مفهوم المحبة في الإسلام وتطبيقاته مقارنة بالأديان والفلسفات المعاصرة

(دراسة نقدية)

الدكتور

صالح بن محمد بن إبراهيم اليحيى







المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الدعوة والثقافة الاسلامية
شعبة الثقافة الإسلامية

مفهومُ المحبَّةِ في الإسلامِ وتطبيقاتُه مقارَنَةً بالأديانِ والفلسفاتِ المعاصِرَةِ

(دراسةٌ نَقْدِيَّةٌ)

بحثٌ مقدَّمٌ لنَيْل درجة الدكتوراه في تخصُّصِ الثَّقافةِ الإسلاميَّةِ

إعداد الطالب

صالح بن مُحَمَّد بن إبراهيم اليحيى

الرقم الجامعي: (٤٤١٧٠٢٢٢)

إشراف

فضيلة الأستاذ الدكتور/ عبد الله بن عثمان بن علي المنصوري

للعام الدراسي ١٤٤٣هـ




شبكة
الألوكة


بسم الله الرحمن الرحيم





شكر وتقدير

الحمد لله وحده، والشكر أولا وآخرا، وظاهرا وباطنا، لله رب العالمين، فله الحمد والفضل والمنة.

والحمد لله الذي أكرمني بوالدين عزيزين سهّلا لي طريق العلم، فاللهم ارحم والدي واجعل قبره روضة من رياض الجنة، واشف والدتي وعافها واشرح صدرها، واجعلها ممن طال عمره، وحسن عمله.

ثم الشكر لزوجتي وأم أولادي على صبرها وتحملها وتقديرها ظروف دراستي وبعدي وانشغالي عنها.

ثم الشكر لإخواني وأخواتي على وقفتهم ودعمهم ومساندتهم لي أثناء الدراسة.

ثم الشكر لكافة زملائي في دراسة الدكتوراه، وأخص منهم الدكتور/ سالم بن عبدالله الشمراني، على جهده معي أثناء البحث، أسأل الله ألا يحرمه الأجر.

وأحمد الله سبحانه وتعالى على أن رزقني بشيخي ومشرف رسالتي ودكتوري الفاضل أ. د. عبدالله بن عثمان المنصوري، الذي كان نعم الموجه والمتابع والمساند لي، فشكرا له على كل ما قدمه لي من إرشاد، وإشراف على رسالتي، وصبرٍ عليَّ، يحوط ذلك دماثة خلقه، وحسن معشره، فلا يوفيه جزاء إلا أن أدعو الله له أن يوفقه ويسدده ويشرح صدره ويرزقه من حيث لا يحتسب، وأن يرزقه الفردوس الأعلى من الجنة.

ثم الشكر لمناقشيَّ الكريمين، فالحمد لله الذي جعل ختام رسالتي ومناقشتي على يديكما، فأنتم شرف لي، وأفتخر بوجود اسميكما في مسيرتي.

والشكر موصول لقسم الدعوة والثقافة الإسلامية ممثلا برئيس القسم الدكتور / محمد بن فهد الحربي، فقد كان نعم الباذل المعين لي في إجراءات رسالتي، فأسأل الله ألا يحرمه الأجر، وأن يجعل ما قام به معي في ميزان حسناته.





مستخلص البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذا ملخص لرسالة الدكتوراه، وعنوانها: (مفهوم المحبة في الإسلام وتطبيقاته مقارنة بالأديان والفلسفات المعاصرة – دراسة نقدية–)، والمقدمة لقسم الدعوة والثقافة الإسلامية، بكلية الدعوة وأصول الدين، بجامعة أم القرى.

وتهدف الرسالة إلى إبراز مفهوم ومكانة المحبة في الإسلام، وبيان منهجه في بنائها وحمايتها، وإظهار تميزه عن الأديان والفلسفات المعاصرة، وقد اتبعت فيها المنهج الاستقرائي، التحليلي، النقدي المقارن.

وتتكون هذه الرسالة من: مقدمة، وتمهيد، وأربعة أبواب، وخاتمة، وفهارس.

وقد اشتمل التمهيد على التعريف بمفردات عنوان البحث، أما الأبواب الأربعة فجاءت كالتالي:

الباب الأول: مفهوم المحبة في الإسلام، والأديان، والفلسفات المعاصرة.

الباب الثاني: مكانة المحبة في الإسلام، والأديان، والفلسفات المعاصرة.

الباب الثالث: منهج الإسلام، والأديان، والفلسفات المعاصرة في بناء المحبة وحمايتها.

الباب الرابع: التطبيقات المعاصرة للمحبة بين المجتمع المسلم، والمجتمعات الأخرى.

ثم الخاتمة، وفيها أهم النتائج والتوصيات، ومن أهم النتائج:

١– عرَّف الإسلام المحبة تعريفا شاملا لكافة جوانبها الوجدانية الشعورية والسلوكية العملية، بخلاف الأديان والفلسفات المعاصرة، التي اقتصرت على جوانب محددة، مغفلة بقية الجوانب الأخرى.

٢– يقوم بناء المحبة وحمايتها في الإسلام، على منهج الصراط المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، بينما تفتقد الأديان والفلسفات المعاصرة ذلك المنهج، بسبب فساد اعتقادهم بالله سبحانه وتعالى، ونزعتهم إلى العقل والحس.

ومن أهم التوصيات:

١– يوصي الباحث بمزيد من الدراسة والبحث في موضوع المحبة ومضامينها في الإسلام، وذلك للاستفادة منها في التعرف على المنهج الشرعي وتطبيقه في واقع المسلمين.

٢– لوسائل الإعلام دور كبير في إبراز الضوابط الشرعية للمحبة في الإسلام، مما يساهم في معالجة المظاهر غير السليمة للمحبة المنتشرة في البلاد الإسلامية.





Abstract

Praise be to Allah, peace and prayers be upon our Prophet Mohammad and upon all his family and companions. Having said all of that:

This is an abstract of a Ph.D. thesis entitled: (The Concept of Love in Islam and its *Enactments Compared to Religions and Contemporary Philosophies – A Critical Study*) presented to the Department of Da'awah and Islamic Culture, Umm Al-Qura University.

The current study aims at highlighting the concept of the position of love in Islam, stating its approach for building and protecting it, and showing its distinction from the other religions and contemporary philosophies. The study adopted the Inductive Approach, (Analytical and Critical Comparative).

This study consists of an introduction, a preamble, four parts, a conclusion and indexes.

The preamble includes a definition of the terms of the research title. The four parts are as follows:

The First Part: The concept of love in Islam, religions and contemporary philosophies;

The Second Part: The position of love in Islam, religions and contemporary philosophies;

The Third Part: The Islamic approach, religions and contemporary philosophies in building and protecting love;

The Fourth Part: The contemporary enactments of love between the Muslim society and the other societies; and

The Conclusion: which includes the main findings and recommendations. Some of the most important findings are as follows:

(1) Islam gave a comprehensive definition of love, all its sentimental and practical behaviour aspects, in a way different from the other religions and contemporary philosophies, which were limited to specific aspects, ignoring the other remaining aspects.

(2) Building and protecting of love in Islam is based on the straight path which does not have crookedness. While the other religions and contemporary philosophies lack such a method because of the corruption in their belief in Allah the Almighty and their tendency to reason and sense.

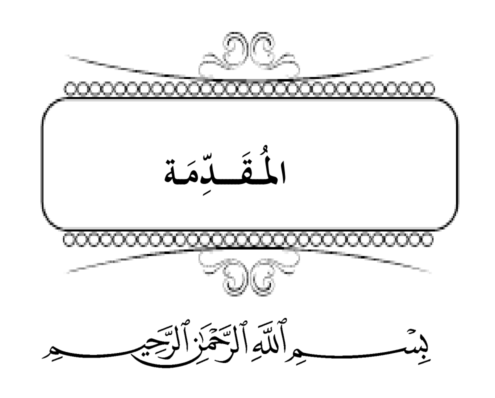
The main recommendations are as follows:

(1) The research recommends that further studies and research are to be conducted on the topic of love and its enactments in order to benefit from such studies in identifying the Sharia (Islamic law) and applying it in the reality of the Muslims.

(2) The media have a major role in highlighting the Sharia rules of love in Islam, which contributes to tackling the non-peaceful aspects of love, which are spread in Islamic countries.







المُقَـدِّمَة

بِسْــــمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيــــمِ

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمـــران:١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النســـاء:١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١]، أما بعد[1]؛ فإنَّ الله ﷻ قد خَلَقَ الخَلْق، وأرسل إليهم رُسُلَه مبشِّرين، ومنذرين؛ ليقيموا عليهم الحجة، والبلاغ، فقد قال تعالى: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾ [النساء:١٦٥].

---

(١) هذه المقدمة تُعرف بخطبة الحاجة، وقد وردت من طُرق عن ابن مسعود، وابن عباس، وغيرهما رضي الله عنهم.

فأمَّا حديث ابن مسعود رضي الله عنه: فقد أخرجه أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني، في سننه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح، الحديث رقم: (٢١١٨)، (٢/ ٢٣٨)، والترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرَة بن موسى بن الضَّحَّاك، في جامعه، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وغيره، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م، في أبواب النكاح، باب ما جاء في خطبة النكاح، الحديث رقم: (١١٠٥)، (٢/٤٠٥)، والنسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخُرَاساني، في سننه، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ– ١٩٨٦م، كتاب الجمعة، باب كيفية الخطبة، الحديث رقم: (١٤٠٤)، (٣/ ١٠٤)، وابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، في سننه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي، كتاب النكاح، باب خطبة النكاح، الحديث رقم: (١٨٩٢)، (١/ ٦٠٩) بهذا السياق بذكر الآيات الثلاث، وصححه الألباني رحمه الله في تخريج الكلم الطيب الحديث رقم: (٢٠٦)، (ص: ١٥٩). وللشيخ الألباني كتاب بعنوان: خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه، نشرته: مكتبة المعارف، وكانت الطبعة الأولى له سنة ١٤٢١هـ–٢٠٠٠م.

وأمَّا حديث ابن عباس رضي الله عنهما: فقد أخرجه مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، في صحيحه، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، الحديث رقم: (٨٦٨)، (٢/ ٥٩٣) دون ذكر الآيات الثلاث.





ونبينا محمد ﷺ هو خاتم النبيين، وإمام المرسلين، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وقد أرسل الله رسله دعاة لعبادته وحده لا شريك له، كما أنهم يدعون لمكارم الأخلاق، والصفات التي بها تسمو بالمجتمعات وتنهض، بل إنها إحدى دلائل ومميزات المجتمعات الصالحة أيًّا كانت هذه المجتمعات، وقد كان رسولنا ﷺ خير الدَّاعين لهذه الأخلاق والصفات، وخير الممتثلين لها، فقد قال تعالى واصفا نبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

وقد جاءت الشريعة الإسلامية بالأخلاق الحسنة، والصفات الحميدة؛ لأهميتها، وعظم أثرها على المجتمعات، والكتاب والسنة هما مصدرا التشريع لتلك الأخلاق، ومنهما تَستمد أهميتَها وشرعيتَها، ومن هذه الصفات الحميدة: صفة المحبة، فهي من الصفات التي جاءت النصوص في الكتاب والسنة بالتأكيد عليها، وبيان أهميتها.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، "فإذا تعلق القلب بالله، أحب كل ما يقرب إلى الله ويزيده، ويبقى أنه أشد حبا لله، فلا حب يوازي ذلك الحب، وإنما يحب بحب الله وله"[١].

ومن السنة: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ، عَلَى مَدْرَجَتِهِ[٢] مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟[٣] قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ»[٤].

---

(١) محبة النبي ﷺ وتعظيمه، أ.د. عبد الله بن صالح الخضيري، عبد اللطيف بن محمد الحسن، مجلة البيان، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، (ص: ١٠).

(٢) أَرْصَدَه: أي: أقعده يرقُبُه، ووَكَّلَهُ الله به. والْمَدْرَجَة -بفتح الميم والراء- هي الطريق؛ سُميت بذلك لأن الناس يدرجون عليها أي: يمضون ويمشون. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، (٢/ ٢٢٦)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢م، (١٦/ ١٢٤).

(٣) تَرُبُّهَا: أي: تقوم بإصلاحها، وتنهض إليه بسبب ذلك. ينظر: النهاية، ابن الأثير (٢/ ١٨٠)، المنهاج شرح مسلم، النووي (١٦/ ١٢٤).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر، والصلة، والآداب، باب في فضل الحب في الله، الحديث رقم: (٢٥٦٧)، (٤/ ١٩٨٨).





ومِن عِظَم فضل هذه الصفة، وأجر المتصفين بها، أن المتحابين في الله تعالى يظلهم الله في ظِلِّه يوم لا ظل إلا ظِلُّه؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله يقول يوم القيامة: «أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي، الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي»[(١)].

وهذه النصوص ومثلها الكثير تبين فضل صفة المحبة، ومكانتها، وما أعدَّه الله لمن تمثَّلَها، وقام بها حق القيام، وتمسك بما جاء به الإسلام من تعاليم تحافظ عليها من الانحراف، أو الاندثار، كما أنها تبين اهتمام الإسلام بمنزلتها؛ حيث وضعها في منزلةٍ عالية يثاب عليها الفرد، بل ويُنَزَّل منزلة عالية عند الله بسببها.

وقد امتازت شِرْعة الإسلام عن الأديان المحرَّفَة والفلسفات الوضعية أيما امتياز، حيث إنَّ المطَّلع على أقوال وأفعال وتوجيهات أصحاب تلك الأديان والفلسفات المحرَّفة حِيَالها، يتبين له ذلك الفرق الكبير بينها وبين الإسلام من حيث التأصيل لهذه الصفة، ومتانة أسسها، والمنهج القويم في بنائها، والحفاظ عليها، والحث على إشاعة أثرها في المجتمعات؛ ومن هذا المنطلق وأهميته والعناية به، اخترت دراسة المحبة في الإسلام، وتطبيقاتها، ومقارنتها بالأديان والفلسفات المعاصرة، سائلا الله العون، والتوفيق، والسَّداد.

أولًا: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره:

تَبْرُزُ أهمية الموضوع، وتظهر أسباب اختياره من خلال النقاط التالية:

١- علاقته المباشرة بمصادر التشريع في الإسلام، وهما الكتاب والسنة، واهتمامهما بهذا الجانب من خلال النصوص المباشرة، وغير المباشرة.

٢- دور المحبة في الأمة الإسلامية، وأهميتهما في بناء الأفراد والمجتمعات.

٣- صلاحية الشريعة الإسلامية ومنهجها الأخلاقي لكلِّ زمان ومكان، وأهميتها في كل جوانب الحياة.

٤- إثراء المكتبة العلمية عمومًا، وتخصص الثقافة الإسلامية خصوصًا بالمعلومات المهمة والمؤثرة، والمساهمة في بحث هذه الصفة من خلال مصادر التشريع.

٥- ندرة الدراسات العلمية والأكاديمية المطروحة في هذا المجال، ومقارنته بالأديان، والفلسفات المعاصرة.

٦- الاهتمام الشخصي بالبحث العلمي في جانب مكارم الأخلاق، وربطه بالثقافة الإسلامية.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر، والصلة، والآداب، باب في فضل الحب في الله، الحديث رقم: (٢٥٦٦)، (٤/ ١٩٨٨).





٧- التنويع في طرق البحث العلمي للأخلاق الإسلامية، من خلال التطرق لها من جوانب جديدة، كالدراسات المقارنة، ودراسة الفلسفات المعاصرة.

٨- انتشار المفاهيم المغلوطة للمحبة في وسائل التواصل الحديثة.

٩- خلط بعض المتصدرين للمشهد الإعلامي بين أصول المحبة في الإسلام، والأديان والفلسفات، ويظهر ذلك من خلال نقلهم لأقوال الفلاسفة، وأصحاب الفكر الوضعي عن الحُب والمحبَّة، جهلًا منهم بماهيتها عندهم.

ثانيًا: أهداف البحث:

يهدف البحث إلى بيان عدة أمور:

١- إبراز مفهوم المحبة في الإسلام.

٢- تأصيل مفهوم المحبة في تخصص الثقافة الإسلامية.

٣- بيان منهج الإسلام في تقرير المحبة، ومنهجه في حمايتها.

٤- دراسة التطبيقات المعاصرة لمفهوم المحبة، في ضوء مصادر الثقافة الإسلامية.

٥- المقارنة بين مفهوم المحبة في الإسلام والأديان الأخرى، والفلسفات المعاصرة.

ثالثًا: مشكلة البحث:

الحاجة إلى ربط مفهوم المحبة بتخصص الثقافة الإسلامية، وبيان منهج الإسلام في تقريرها، وحمايتها في ضوء مصادر الثقافة الإسلامية، ثم دراسة التطبيقات لها عند المسلمين، والمقارنة بينها وبين المحبة في الأديان الأخرى، والفلسفات المعاصرة.

رابعًا: تساؤلات البحث:

سيجيب البحث بإذن الله تعالى عن الأسئلة الآتية:

- ما مفهوم المحبة، وأهميتها؟

- ما الألفاظ الدالة على معنى المحبة، وما مفهومها؟

- ما المنهج الذي وضعه الإسلام لتقرير مفهوم المحبة؟

- ما المنهج الذي وضعه الإسلام لحماية المحبة من المؤثرات عليها؟

- ما موقع المحبة في الإسلام والأديان الأخرى، والفلسفات المعاصرة؟





- ما تطبيقات المحبة، وما جوانب القوة والضعف بها، من خلال مصادر الثقافة الإسلامية؟

خامسًا: منهج البحث:

سأقوم بالجمع بين أكثر من منهج من مناهج البحث في دراسة المحبة، واستنباط ما يتعلق بها من جوانب الثقافة الإسلامية، وهذه المناهج هي:

- المنهج الاستقرائي.
- المنهج التحليلي.
- المنهج النقدي (منهج المقارنة).

هذا مع الالتزام بقواعد كتابة وتوثيق البحث العلمي من حيث:

١- كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني، وسيكون اسم السورة ورقم الآية في متن البحث، وليس في الهامش.

٢- تخريج الأحاديث من مراجعها الأصلية، وما كان في غير الصحيحين أُبَيِّنُ درجتَه.

٣- الالتزام بقواعد اللغة العربية، وعلامات الترقيم، وضبط حركات الكلمات المشكلة حتى لا تلتبس بغيرها.

٤- عند ذكر المراجع في الهامش فإني أستوفي المعلومات الخاصة بالمرجع عند أول مرَّة يَرِد فيها، ومنهجي في عرض المرجع كالآتي: اسم الكتاب، ثم اسم المؤلف، ثم الناشر، ثم رقم الطبعة إن وُجد، وتاريخها، ثم رقم الصفحة، وعند وروده مرة أخرى أكتفي بذكر اسم الكتاب، والمؤلف، والصفحة.

٥- ترتيب المراجع في نهاية البحث حسب حروف المعجم.

٦- تذييل البحث بعدد من الفهارس.





سادسًا: الدراسات السابقة:

من خلال البحث في المكتبات وقفتُ على جُملة من الدراسات التي يمكن أن يكون لها ارتباطٌ بدراستي، من خلال تشابه بعض ألفاظ عنوانها بعنوان رسالتي، أو فصل من الفصول، وقد أجملتها في الآتي:

الدراسة الأولى: «محبة الله عند أهل السنة والجماعة ومخالفيهم، والرد عليهم».

للباحثة: مريم بنت علي الحوشاني، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية الدعوة وأصول الدين، بجامعة الإمام مُحَّد بن سعود الإسلامية، عام ١٤١٨هـ.

وقد احتوت الرسالة على تمهيد، وثلاثة أبواب، وتحت كل باب: فصول، ومباحث، أمَّا التمهيد: فيشتمل على التعريف بالمحبة، والإرادة، والرضا، والمشيئة، وعلاقة هذه الصفات بعضها ببعض، ثم جاء الباب الأول بإثبات صفة المحبة لله ﷻ، والرد على المخالفين من خلال بيان مذهب أهل السنة والجماعة في صفة المحبة، وبيان مذاهب المخالفين، والرد عليهم، واختص الباب الثاني بمحبة العباد لله ﷻ، والرد على المخالفين، حيث بينت المحبة الواجبة لله تعالى، ولوازمها، وآثارها، ومذاهب المخالفين فيها -المتكلمين، والصوفية، والفلاسفة-، ومناقشة تلك المذاهب.

الفروق بين الدراسة السابقة، ودراستي:

١- اقتصار الباحثة في تأصيل القيمة على المعنى العَقَدي والتأصيلي، بينما دراستي تتطرق لتأصيل المحبة من الجانب الثقافي.

٢- اقتصار الدراسة على المحبة في الإسلام، والمحبة لدى المخالفين من الطوائف المنتسبة للإسلام، بينما دراستي تحوي المحبة في الأديان، والفلسفات المعاصرة، أمَّا ما جاء في الرسالة في المبحث الثالث من الباب الثالث (مذهب الفلاسفة)، فقد جاء المبحث كاملا في ثلاث عشرة صفحة فقط، وقد استغرقت الباحثة في بيان موقف الفلاسفة من الإلهيات، ومن العبادات عمومًا، ثم قامت بالاكتفاء بذكر بعض المسائل العقديَّة التي قد تشكِل على الناس من الجانب العَقَدي.

٣- خلو الدراسة من مباحث المقارنة بين الإسلام وغيره من الأديان، والفلسفات المعاصرة، والاقتصار على ذكر أصول المحبة في الإسلام، وأصولها عند المخالفين.

٤- عدم احتواء الرسالة السابقة على التطبيقات المعاصرة للمحبة للفرد والمجتمع، بينما رسالتي احتوت مباحث مستقلة في هذا الجانب.





٥- اتجاه الرسالة في مذهب المخالفين إلى سَرْد الشُّبَه في المحبة وأصلها عندهم، والرد على تلك الشُّبَه من خلال منهج أهل السنة والجماعة، أمَّا رسالتي فتنهج منهج تأصيل المحبة، وأسسها، ومصادرها، والمنهج في بنائها، وحمايتها في الإسلام، والأديان، والفلسفات المعاصرة، والمقارنة بينهما.

٦- الرسالة السابقة تم تقديمها لنيل درجة الماجستير في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، بينما رسالتي في قسم الثقافة الإسلامية مما يجلِّي الفرق في طريقة الطرح، والأبواب، والفصول، والمباحث، ومنهج المقارنة.

الدراسة الثانية: «الحب في الله، في ضوء الكتاب والسنة».

للباحثة: دعاء عفيف تركي حسين، رسالة ماجستير، بجامعة النجاح الوطنية في نابلس - فلسطين، عام ٢٠١١م.

وقد تناولَتْ الباحثة في هذه الرسالة مفهومَ الحب في الله من حيث اللغة والاصطلاح، ودلالته في المصطلح القرآني، ونظائره وأشباهه، موضحة الفروقات بينه وبين الحب البشري السائد في المجتمعات، ثم عرضَت أسباب الحب في الله، وشروطه، وآدابه التي تعمِّق المحبة بين المتحابين من خلال الاستشهاد بالآيات الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، ثم قامت ببيان صفات المتحابين في الله، وأوضحت حقوق المتحابين العامة والخاصة، وبيَّنَتْ حكم هذا النوع من أنواع المحبة بين البشر، ثم أبرزتْ مضامين الحب في الله، وجزاءه، ومنزلته عند الله، وبعد ذلك عرضت المحاذيرَ والنواهي التي لابد من اجتنابها، وختمت البحث بدراسة تطبيقية من خلال بعض النماذج المختارة من السيرة النبوية؛ لتأصل بها هذا الخلق الإسلامي الأصيل.

الفروق بين الدراسة السابقة، ودراستي:

١- اقتصار الباحثة في تأصيل القيمة على المفهوم والسياق القرآني، بينما دراستي تحتوي على المصادر، والأسس، والمنهج الإسلامي في تأصيل المحبة.

٢- اقتصار الدراسة على الحب في الله في الإسلام، بينما دراستي تحوي المحبة في الأديان، والفلسفات المعاصرة.

٣- خلو الدراسة من المقارنة بين الإسلام وغيره من الأديان، والفلسفات المعاصرة.

٤- عدم احتواء الرسالة على التطبيقات المعاصرة للمحبة للفرد، والمجتمع.





الدراسة الثالثة: «المحبة في السنة النبوية، دراسة موضوعية».

للباحث: مُحَمَّد بن أحمد بن شحتة البراوي، رسالة ماجستير في الحديث وعلومه، بكلية أصول الدين، بالجامعة الإسلامية بغزة، عام ١٤٣٦هـ.

وقد جاء ملخص الدراسة على النحو التالي: تهدف الدراسة إلى بيان منزلة المحبة في الإسلام، وما تحويه السنة المطهرة من مظاهر الإنسانية، وبيان جوانب المحبة في حياة الرسول ﷺ، وأثرها على واقع الصحابة رضوان الله عليهم ومن بعدهم، وقد اعتمد الباحث المنهج الاستقرائي في جمع الأحاديث المتعلقة بالموضوع، والاستدلالي في فهم دلالات النصوص ومعانيها، وقد جاء البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة أبواب، وخاتمة.

أمَّا المقدمة: ففيها أهمية الموضوع، وبواعث اختياره، وأهداف البحث، ومنهج البحث، والدراسات السابقة، وخطة البحث، وأمَّا الباب الأول: فقد تناول فيه الباحث، معنى المحبة وأقسامها، وأمَّا الباب الثاني: في صور المحبة الواردة في السنة النبوية، ومنزلة المحبة في الإسلام، ومنها محبة الله تعالى لعباده، ثم محبة العباد الله تعالى، وعلاماتها وثمراتها، ثم محبة المسلمين بعضهم، مبينا حكمها، ووسائل تعميق المحبة، ومفسداتها، وأمَّا الباب الثالث: مظاهر المحبة في السنة، وأثرها على الواقع، مبينا دورها في بناء دولة الإسلام، ثم بين مظاهر المحبة في حياة الرسول ﷺ، ثم المحبة في واقع الصحابة رضي الله عنهم.

الفروق بين الدراسة السابقة، ودراستي:

١- اقتصار الباحث في تأصيل المحبة على المفهوم، ومظاهره في السنة النبوية، بينما دراستي تحتوي على المصادر، والأسس، والمنهج الإسلامي في تأصيل القيمة عمومًا.

٢- اقتصار الدراسة على الحب في الله في الإسلام، بينما دراستي تحوي المحبة في الأديان، والفلسفات المعاصرة.

٣- خلو الدراسة من المقارنة بين الإسلام وغيره من الأديان، والفلسفات المعاصرة.

٤- عدم احتواء الرسالة على التطبيقات المعاصرة للمحبة للفرد، والمجتمع.

٥- عدم طَرْق الباحث للمحبة من الجانب الثقافي بحكم تخصصه في قسم الحديث وعلومه، حيث إنها رسالة ماجستير في الحديث وعلومه، بكلية أصول الدين.

الدراسة الرابعة: كتاب «الفلاسفة والحب، من سقراط إلى سيمون دي بوفوار».

تأليف: ماري مولونييه واود لانسولان، ترجمة: دينا مندور، دار التنوير للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ٢٠١٥م.





وقد احتوى الكتاب مقدمة، ثم شرع المؤلف في ذكر الفلاسفة، مثل: (أفلاطون، ولوكريس، ومونتاني، وجان جاك روسو، وإيمانويل كانط، وآرثر شوبنهاور، وسورين كير كيجارد، وفريدريك نيتشه، وجان بول سارتر، وسيمون دو بوفوار)، ويقول مؤلف الكتاب في ملخصه: الحب: ذلك الشعور المبهج بين كافة المشاعر الأخرى، يبدو صامدًا في مواجهة الأفكار التي عَبَرت القرن الماضي، والتي حصرت الحب في الجنس: حب لطيف، ومرح، ولا يتضمن أي تحديات حقيقية، يقولون: إنه ما من تآلف بين الفلاسفة والحب، أيعني ذلك أن الكثير من الفلاسفة لم يختبروا الحب؟ كلا فيما يبدو، وهذه هي قضية هذا الكتاب، وهي محاولة متواضعة للنظر في هذه النقطة بعدالة على طريقتهم المرتبكة، أو المختالة، واللاذعة في معظم الأحيان، بل والعدائية الشرسة التي انتهجها بعضهم، والحديث عن كل ذلك بلهجة حاسمة، فجميعهم في الحقيقة لديهم ما يقولونه لنا عن الحب، وعما يصاحبه من وَهْمٍ بالخلود، وما يولده من معاناة، وعن الطريقة التي نطمح بها لترويضه.

الفروق بين الدراسة السابقة، ودراستي:

١- الدراسة عبارة عن كتاب مؤلَّف خالٍ من التقسيمات البحثية (فصول - مباحث)، أمَّا دراستي فهي تنهج المنهج العلمي (باب - فصل - مبحث - خاتمة).

٢- عدم احتواء الكتاب على مفهوم المحبة في الإسلام.

٣- عدم تطرق الكتاب إلى التطبيقات المعاصرة للمحبة على مستوى الفرد، والمجتمع.

٤- اقتصار الكتاب على ذكر بعض مظاهر الحب عند الفلاسفة، أمَّا دراستي فهي تشمل المحبة في الإسلام والأديان، ودراسة مقارنة بينها وبين الفلسفات المعاصرة.

٥- عدم تطرق المؤلف إلى منهج التأصيل للمحبة في طريقة سرده للكتاب.

الدراسة الخامسة: «المحبة والبغضاء في القرآن الكريم».

للباحث: محمود أحمد الأطرش، رسالة لنيل درجة الماجستير، في قسم التفسير، بكلية الدعوة، وأصول الدين، بجامعة أم درمان بالسودان، عام ١٩٨٠م.

وقد احتوت الرسالة على تمهيد، وبابين، وتحت كل باب فصول، ومباحث، وجاء التمهيد يتحدث عن المحبة والبغضاء، وصلتهما بالإيمان بالله تعالى، وبدأ الباب الأول بالحديث عن حقيقة المحبة والبغضاء، ومراتبهما، ولوازمهما، وأسبابهما، وكان محتوى الباب الثاني في أصناف المحبة والبغضاء كمحبة الله تعالى للإنسان وبغضه له، وحقيقة هذه المحبة وهذا البغض، وأثرهما وعلاماتهما، ثم الحديث عن محبة الشهوات، والحياة الدنيا، والمال، والنساء، والبنين، ثم الخاتمة.





الفروق بين الدراسة السابقة، ودراستي:

١- اقتصار الباحث في تأصيل المحبة على تعريفِ وحقيقةِ وأسبابِ ومراتبِ المحبة والبغضاء، بينما دراستي تحتوي على المصادر والأسس والمنهج الإسلامي في تأصيل القيمة عمومًا.

٢- اقتصار الدراسة على المحبة في الله، والبغضاء في الإسلام، بينما دراستي تحوي المحبة في الأديان، والفلسفات المعاصرة.

٣- خلو الدراسة من المقارنة بين الإسلام وغيره من الأديان، والفلسفات المعاصرة.

٤- عدم احتواء الرسالة على التطبيقات المعاصرة للمحبة للفرد، والمجتمع.

٥- عدم طَرْق الباحث للمحبة من الجانب الثقافي بحكم تخصصه في قسم التفسير، حيث إنها رسالة ماجستير في التفسير من خلال القرآن الكريم، بينما رسالتي فستكون من الجانب الثقافي للمحبة في الإسلام، ومقارنتها بالأديان، والفلسفات المعاصرة.

الدراسة السادسة: «الهدي النبوي في المحبة، دراسة موضوعية».

للباحثة: صالحة قنيان جلود المساعيد، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في قسم أصول الدين، بكلية الدراسات الفقهية والقانونية، بجامعة آل البيت بالأردن، عام ٢٠٠٦-٢٠٠٧م.

وتهدف الدراسة إلى إثبات عاطفة المحبة للنبي ﷺ في التعبير عن الحب، وإلى محاولة استنتاج أهم الضوابط العامة للمحبة في السنة النبوية، مع بيان معنى المحبة، وأقسامها، ومراتبها.

وقد جاءت الرسالة في أربعة فصول، أما الفصل الأول: بينت فيه الباحثة مفهوم المحبة لغة واصطلاحًا، مع ذكر أبرز ألفاظها، ومدلولاتها اللغوية، كما بينت فيه أقسام المحبة، ومراتبها، وآثارها، ووسائل تحصيلها، وضوابطها في السنة النبوية، وأمَّا الفصل الثاني: فخصصتْه للحديث عن الصورة الأولى من صور المحبة في حياة النبي ﷺ، وهي محبته لله ﷻ، وأساليبه في التعبير عنها، ونتائجها، وثمراتها، وشواهدها، وأمَّا الفصل الثالث: فتحدثت فيه عن هدي النبي ﷺ في محبة الآخرين، كأرحامه، وزوجاته، وأولاده، وأصحابه، وأمته، وأمَّا الفصل الرابع: فخصصته الباحثة للحديث عن محبوبات النبي ﷺ من الأشياء المادية، كالأمكنة، والأطعمة، والأشربة، والطِّيب، والثياب، والحيوانات. والمعنوية، كالعادات، والأخلاق، ونحو ذلك.





الفروق بين الدراسة السابقة، ودراستي:

١- هدفت الباحثة في البحث إلى إثبات عاطفة المحبة للنبي ﷺ في التعبير عن الحب، بينما دراستي تحتوي على مفهوم المحبة في الإسلام، ومصادرها، وأُسسها، والمنهج الإسلامي في تأصيلها عمومًا.

٢- اقتصار الدراسة على المحبة في الإسلام من جانب السنة النبوية، بينما دراستي تحوي المحبة في الأديان، والفلسفات المعاصرة.

٣- خلو الدراسة من المقارنة بين الإسلام وغيره من الأديان، والفلسفات المعاصرة.

٤- عدم احتواء الرسالة على التطبيقات المعاصرة للمحبة للفرد، والمجتمع.

٥- عدم طَرْق الباحثة للمحبة من الجانب الثقافي، بحكم تخصصها؛ فهي رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في قسم أصول الدين بكلية الدراسات الفقهية والقانونية، بينما رسالتي ستكون في الجانب الثقافي.





سابعًا: خطة البحث:

ينقسم البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وأربعة أبواب، وخاتمة، وفهارس مساعدة.

المقدمة:

تتضمن أهمية البحث، وأسباب اختياره، وأهدافه، وتساؤلاته، والدراسات السابقة، ومنهجه، وخطة البحث.

التمهيد:

وفيه التعريف بمفردات عنوان البحث.

-الباب الأول: مفهوم المحبة في الإسلام، والأديان، والفلسفات المعاصرة.

الفصل الأول: مفهوم المحبة في الإسلام.

المبحث الأول: تعريف المحبة، ومرادفاتها في الإسلام.

المبحث الثاني: مصادر المحبة، وأسسها في الإسلام.

الفصل الثاني: مفهوم المحبة في الأديان المحرفة والوضعية.

المبحث الأول: تعريف المحبة في الأديان المحرفة والوضعية.

المبحث الثاني: مصادر المحبة، وأسسها في الأديان المحرفة والوضعية.

الفصل الثالث: مفهوم المحبة في الفلسفات المعاصرة.

المبحث الأول: مفهوم المحبة في الفلسفات المثالية.

المبحث الثاني: مفهوم المحبة في الفلسفات الواقعية.

الفصل الرابع: مقارنة مفهوم المحبة بين الإسلام، والأديان، والفلسفات المعاصرة.

المبحث الأول: مقارنة تعريف المحبة، ومرادفاتها بين الإسلام، والأديان، والفلسفات المعاصرة.

المبحث الثاني: مقارنة مصادر المحبة بين الإسلام، والأديان، والفلسفات المعاصرة.

المبحث الثالث: مقارنة أسس المحبة بين الإسلام، والأديان، والفلسفات المعاصرة.





–الباب الثاني: مكانة المحبة في الإسلام، والأديان، والفلسفات المعاصرة.

الفصل الأول: مكانة المحبة في الإسلام.

المبحث الأول: مكانة المحبة في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: مكانة المحبة في السنة النبوية.

المبحث الثالث: مكانة المحبة في الفكر الإسلامي.

الفصل الثاني: مكانة المحبة في الأديان المحرفة والوضعية.

المبحث الأول: مكانة المحبة في اليهوديَّة، والنصرانيَّة.

المبحث الثاني: مكانة المحبة في الأديان الوَضْعيَّة.

الفصل الثالث: مكانة المحبة في الفلسفات المعاصرة.

المبحث الأول: مكانة المحبة في الفلسفات المثالية.

المبحث الثاني: مكانة المحبة في الفلسفات الواقعية.

الفصل الرابع: مقارنة مكانة المحبة بين الإسلام، والأديان، والفلسفات المعاصرة.

المبحث الأول: مكانة المحبة بين الثبات، وعدمه.

المبحث الثاني: مكانة المحبة بين النسبية، والتطور.

المبحث الثالث: مكانة المحبة بين الشمول، والخصوصية.

–الباب الثالث: منهج الإسلام، والأديان، والفلسفات المعاصرة في بناء المحبة، وحمايتها.

الفصل الأول: منهج الإسلام في بناء المحبة، وحمايتها.

المبحث الأول: منهج الإسلام في بناء المحبة.

المبحث الثاني: منهج الإسلام في حماية المحبة.

الفصل الثاني: منهج الأديان المحرفة والوضعية في بناء المحبة، وحمايتها.

المبحث الأول: منهج اليهوديَّة والنصرانيَّة في بناء المحبة، وحمايتها.

المبحث الثاني: منهج الأديان الوَضْعيَّة في بناء المحبة، وحمايتها.





الفصل الثالث: منهج الفلسفات المعاصرة في بناء المحبة، وحمايتها.

المبحث الأول: منهج الفلسفات المثالية في بناء المحبة، وحمايتها.

المبحث الثاني: منهج الفلسفات الواقعية في بناء المحبة، وحمايتها.

الفصل الرابع: مقارنة منهج بناء المحبة، وحمايتها بين الإسلام، والأديان، والفلسفات المعاصرة.

المبحث الأول: مقارنة منهجية بناء المحبة، وحمايتها، بين الإسلام، والأديان المحرفة، والوضعية.

المبحث الثاني: مقارنة منهجية بناء المحبة، وحمايتها، بين الإسلام، والفلسفات المعاصرة.

-الباب الرابع: التطبيقات المعاصرة للمحبة بين المجتمع المسلم، والمجتمعات الأخرى.

الفصل الأول: التطبيقات المعاصرة على مستوى الفرد والأسرة.

المبحث الأول: التطبيقات المعاصرة على مستوى الفرد.

المبحث الثاني: التطبيقات المعاصرة على مستوى الأسرة.

الفصل الثاني: التطبيقات المعاصرة على مستوى العلاقات الاجتماعية، والعلاقات مع الآخر.

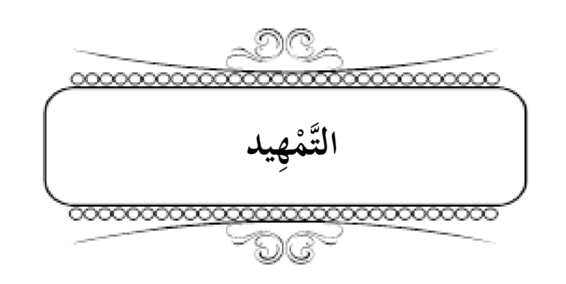
المبحث الأول: التطبيقات المعاصرة على مستوى العلاقات الاجتماعية.

المبحث الثاني: التطبيقات المعاصرة على مستوى العلاقات مع الآخر.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج، والتوصيات.







التَّمْهِيد

ويشمل التعريفَ بمفرداتِ عنوان البحث، حيث يشمل العنوانُ سبعَ مفردات سأقوم -مستعينًا بالله- بالتعريف بها، بُغية أن تكون مَدْخلًا للرسالة:

١/ مَفْهُوم:

اسم مفعول مأخوذ من (فَهِمَ)، والفاء والهاء والميم تعني: عِلم الشيء، وفهمت الشيء فهمًا: عَلِمتُه، وقد اسْتَفْهَمَني الشيءَ فأفهَمتُه، وفهَّمتُه تفهيمًا، وتَفَهَّم الكلام: إذا فَهِمَه شيئا بعد شيء[١].

ويتضح من خلال التعريف: ربط لفظ (مفهوم) بالعلم بالشيء، والمعرفة به، وبماهيته، وإذا ما ربطنا رأس عنوان البحث (مفهوم المحبة) بهذا المعنى، فيصير المعنى: «العِلم بالمحبة، وفهمها»، ويكون هذا الفهم تدريجيًّا من خلال الكشف عمَّا يحقق العلم والفهم بها، مثل: (تعريفها، ومصادرها، وأسسها، ومكانتها، وتطبيقاتها)، وغيره مما يحتوي عليه هذا البحث -بإذن الله-.

٢/ المَحَبَّة:

المحبة مصدر أحبَّ يُحِبُّ حُبًّا ومَحَبَّةً، والمحبة لغة: هي الحُبُّ[٢]، وهو نقيض البغض، والحُبُّ: الوِداد، والمحبة، وكذلك الحِبُّ بالكسر[٣]، ويأتي الحِب -بكسر الحاء أيضًا- بمعنى الحبيب، مثل: خِدْنٍ، وخَدِين[٤].

وعلى هذا فالحب والمحبة مصدران للفعل أَحَبَّ، دون فرق بينهما، ويستقيم معنى (الحب) في ضم الحاء أو كسرها، حيث لا يتغير معناه في كلتا الحالتين.

---

(١) ينظر: الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، (٥/٢٠٠٥)، معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس القزويني، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، (٤/٤٥٧)، مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، الطبعة الخامسة ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م، (ص: ٢٤٤).

(٢) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، (١/ ١٠٥)، معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (٢/ ٢٦)، مختار الصحاح، الرازي، (ص: ٦٥).

(٣) ينظر: لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ، (١/ ٢٨٩).

(٤) ينظر: الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، الجوهري، (١/ ١٠٥)، مختار الصحاح، الرازي، (ص: ٦٥).





أمَّا في الاصطلاح: فللمحبة جملة من التعريفات، منها: «العِلَّة الفاعلة لإدراك الملائم المحبوب المشتهَى، واللذَّة والسرور هي الغاية»[1].

ومن تعريفاتها أيضًا أنها: «مَيْل الإنسان إلى ما يلائم طبعه»[2].

وقيل كذلك إنها: «الْمَيْل إلى ما يوافق لذَّة الإنسان وإدراكه»[3].

وهناك في ثنايا البحث -بإذن الله- مباحث خاصة بالتعريف بها، مما يجلِّي معناها ومفهومها بشَكْلٍ أَعْمَق.

٣/ الإسلام:

لغة: هو الانقياد، والذُّلُّ، والخضوع، ويقال: أسلم، واستسلم: أي: انقاد بخضوع وذُل، والمسلم هو: المستسلم لأمر الله، والمخلص له[4]، قال تعالى: (وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون) [آل عمران: ٨٣].

أمَّا في الاصطلاح: فهو «الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشركِ وأهلِه»[5].

٤/ التطبيقات:

جمع تطبيق، مصدر: طبَّق، يقال: طَبَّقَ الغيثُ الأَرضَ: ملأَها وَعَمَّهَا. وغيثٌ طَبَقٌ: عامٌّ يُطَبِّق الأَرض. وطَبَّقَ الغيمُ تَطْبيقا: أَصاب مطرُه جميعَ الأَرض، والطَّبَقُ أيضا من كلِّ شيءٍ: ما ساواه. ومن معانيه: الحال، والتطبيقات: الأحوال، يقال: كان فلان على طبقاتٍ شَتَّى من الدنيا، أي: حالات، وشاهد

---

(١) قاعدة في المحبة، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم المعروف بابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، مصر، (ص: ٦٠).

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، ابن قيم الجوزية، دار المعرفة، المغرب، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، (ص: ١٩٠).

(٣) ينظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض بن موسى اليحصبي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨م (٢/ ٢٩ -٣٠).

(٤) ينظر: مختار الصحاح، الرازي، (ص: ١٥٣)، لسان العرب، ابن منظور، (١٢/ ٢٩٣-٢٩٤-٢٩٥).

(٥) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز، جمع وإشراف: د. محمد بن سعد الشويعر، دار القاسم، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، (٢/٢٠٣).





ذلك قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق:١٩]. أي: حالًا عن حالٍ يوم القيامة، وطابقتُ بين الشيئين: جعلتُهما على حَذْوٍ وَاحِدٍ وألزقتُهما فيسمَّى هذا المطابق[١].

ومن تعريفاتها: «إخضاع المسائل والقضايا لقاعدة علميَّة، أو قانونيَّة، أو نَحْويَّة»[٢].

والناظر في هذه التعريفات والمفاهيم يستخلص الآتي:

- أولًا: التطبيقات عبارة عن أحوال ومشاهد، يمكن وصفها، والتعبير عنها.
- ثانيًا: يمكن إدراج تلك الأحوال والمشاهد تحت أصولٍ ومعانٍ وقواعد، من خلال إلصاق تلك الأحوال بتلك الأصول والقواعد والمعاني، لتكون دالة عليها وكاشفة لها.
- ثالثًا: المتأمل في النقطتين السابقتين، يتبين له دور البحث في ربط التطبيقات بالمحبة، فالمحبة لها أحوال وصور داخل المجتمعات، ويتجلَّى المفهوم العام للمحبة في الذهن من خلال بيان تلك الأحوال والصور.

٥/ مقارنة:

مأخوذة من (قَرَنَ)، وقارَنَ الشيء بالشيء، أو قارَنَ بين الشيء والشيء: وازَنَه به، وقابل بينهما، ويقال: قارَنَ نصوصًا بعضها ببعض، أي: قارن بينها بالنظر إليها[٣]، وقد جاء لفظ القرين في القرآن الكريم في مواضع عدة، منها قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا﴾ [سورة النساء:٣٨]، جاء في تفسير الآية: أن من قبل من الشيطان في الدنيا فقد قارنه فيها[٤].

وميدانها يكون في التأثيرات الأدبية المتبادلة التي تتعدَّى الحدود اللُّغوية والجنسية والسياسية، كأن يدرس آداب بلدَيْن فيقابل بينهما، ويربط الواحدة بالأخرى، مستخلصًا أوجه الشَّبَه والتأثيرات المتبادلة[٥].

---

(١) ينظر: العين، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (٥/١٠٨ - ١٠٩)، مختار الصحاح، الرازي، (ص: ١٨٨) لسان العرب، ابن منظور (١٠/ ٢١٠).

(٢) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد عمر مختار بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، (١٣٨٧/٢).

(٣) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد عمر مختار، (١٣٠٥/٣).

(٤) ينظر: فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ، (٥٣٨/١).

(٥) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد عمر مختار، (١٨٠٦/٣).





والبحوث التي تشمل المقارنة -مثل هذا البحث-، تعرف بأنها: «البحوث التي تسعى إلى إبراز مواطن الوفاق، أو الخلاف، بين قضيتين أو قضايا، في موضوع واحد، مع تفسير ذلك وتعليله»(١).

٦/ الأديان:

جمع دِين، والدِّينُ يأتي بمعنى: الطَّاعة، تقول: دَانَ لَهُ يَدِينُ دِينًا: أي: أَطَاعَهُ، وَمِنْهُ: الدِّينُ، وَالْجَمْعُ الْأَدْيَانُ. وَيُقَالُ: دَانَ بِكَذَا دِيَانَةً: فَهُوَ دَيِّنٌ، وتَدَيَّنَ به فَهُوَ مُتَدَيِّنٌ، ودَيَّنَهُ تَدْيِينًا وَكَلَهُ إِلَى دِينِهِ(٢).

وقد اختلف العلماءُ في تعريف الدِّين اصطلاحًا اختلافًا واسعًا، فمنهم من عرَّفه بأنه: «الشرع الإلهي المتلقَّى عن طريق الوحي»، وهذا تعريف أكثر المسلمين، ويلاحَظ على هذا التعريف قَصْره الدِّين على الأديان السماويَّة، مع أن الصحيح أن كلَّ ما يتخذه الناسُ ويتعبدون له فهو دين، سواء كان سماويًّا أو غير سماوي، بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥]، وقوله ﷻ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ [الكافرون:٦]، فسمَّى ما عليه مُشْرِكُو العرب من الوثنيَّة دِينًا(٣).

ولعل من أشمل التعريفات للدين أن يقال: «هو اعتقاد قداسة ذات، ومجموعة السلوك الذي يدل على الخضوع لتلك الذات ذُلًّا وحُبًّا، رغبة ورهبة»(٤).

٧/ الفلسفات المعاصِرة:

تُعَرَّف الفلسفة بأنها: «الحِكْمَة»، وتُعرَّف أيضًا بأنها: «رؤية الحقيقة»(٥).

ومن خلال هذا المفهوم يتضح التصاق مفهوم الفلسفة بالحكمة، والهدف من وجود الشيء، كما تبحث الفلسفة عن الوصول إلى الرؤية الحقيقيَّة، التي من أجلها وُجدت الأشياء.

---

(١) أبجديات البحث في العلوم الشرعية، د. فريد الأنصاري، منشورات الفرقان، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ — ١٩٩٧م، (ص: ٩٠).

(٢) ينظر: مختار الصحاح، الرازي، (ص: ١١٠).

(٣) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د. سعود بن عبد العزيز الخلف، مكتبة أضواء السلف، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، (ص: ٩ — ١٠).

(٤) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د. سعود بن عبد العزيز الخلف، (ص: ٩ -١٠).

(٥) ينظر: الفلسفة المثالية (قراءة جديدة لنشأتها، وتطورها، وغاياتها)، د. يوسف حامد الشين، منشورات جامعة قاريونس - بنغازي، الطبعة الطبعة الأولى ١٩٩٨م، (ص:٣٢٧).





ويشمل هذا التعريف الأشياء التي تكون داخل الإنسان وخارجه؛ لذا فالفيلسوفُ: عالمٌ يبحث في المبادئ الأولى للأشياء، وفي الأسباب القصوى، أو هو مفكِّر يعمل على تحليل الأمور والظواهر، وتفسيرها تفسيرًا عقليًّا(١).

أمَّا لفظ: (المعاصِرة) لغة، مأخوذة من (العصر)، وهو الدهر، ويطلق على اليوم والليلة(٢)، والمعاصِر هو: «الجنس الموجود الآن بعد الفصائل المنقرضة منه»(٣).

والمقصود بالفلسفات المعاصرة: هو الإنتاج الفلسفي الذي لا يزال حيًّا وموجودًا في العصر الحاضر(٤).

---

(١) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد عمر مختار، (٣/١٧٤٠).

(٢) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، (٤/ ٥٧٥ – ٥٧٦).

(٣) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد عمر مختار، (٢/١٥٠٧).

(٤) ينظر: الفلسفة المعاصرة في أوروبا، إ.م. بوشنكي، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٢م، (ص: ٩).





الباب الأول

مفهوم المحبة في الإسلام، والأديان، والفلسفات المعاصرة.

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: مفهوم المحبة في الإسلام.

الفصل الثاني: مفهوم المحبة في الأديان المحرفة والوضعية.

الفصل الثالث: مفهوم المحبة في الفلسفات المعاصرة.

الفصل الرابع: مقارنة مفهوم المحبة بين الإسلام، والأديان، والفلسفات المعاصرة.





الباب الأول: مفهوم المحبة في الإسلام، والأديان، والفلسفات المعاصرة

تُعَدُّ المحبة أحد المفاهيم التي اعتنى بها الإسلام، وأولاها اهتمامًا خاصًّا، وكذلك الأديان الأخرى كاليهوديَّة، والنصرانيَّة، والهندوسيَّة، والزرادشتيَّة، والكونفوشيُوسيَّة، وغيرها من الأديان، والمذاهب الوضعية، فقد اهتمت بالمحبة، كما أن الفلسفات أولتها جزء من الاهتمام الذي يصطبغ بما تصطبغ به تلك الفلسفة، ونوعيتها، ومنطلقاتها.

وهذا الاهتمام –سواء في الإسلام، أو الأديان، أو الفلسفات– يتنوَّع في جنباته ومفاصله أيما تنوع، فتجد منها ما أولى المحبة اهتمامًا شموليًّا بمفهومها، ومتعلقاتها، من مصادر، وأسس، ومنطلقات، ومرتكزات، وحرص على تنقيتها والسمو بها مما يخل بها.

ومنها ما أولى جوانب منها اهتمامًا خاصًّا، وأغفل جوانب أخرى.

وهذا التباين في الاهتمام بتلك الجوانب لا شك يحدث نوعًا من عدم التوازن الذي يحافظ عليها من الانكماش أو الانفلات.

ولعَلِّي بصدد دراسة هذا الأمر في هذا الباب، ومقارنة تلك الأديان والفلسفات ببعضها؛ ليتبين الأشمل والأعم والأسلم منها.

وللوصول لتلك الغاية فقد تم تقسيم هذا الباب إلى أربعة فصول، يندرج تحت كل فصل مباحث، وتقسيمها الآتي:

الفصل الأول: مفهوم المحبة في الإسلام، ويندرج تحته مبحثان:

المبحث الأول: تعريف المحبة، ومرادفاتها في الإسلام.

المبحث الثاني: مصادر المحبة، وأسسها في الإسلام.

الفصل الثاني: مفهوم المحبة في الأديان المحرفة والوضعية، ويندرج تحته مبحثان:

المبحث الأول: تعريف المحبة في الأديان المحرفة والوضعية.

المبحث الثاني: مصادر المحبة، وأسسها في الأديان المحرفة والوضعية.

الفصل الثالث: مفهوم المحبة في الفلسفات المعاصرة، ويندرج تحته مبحثان:

المبحث الأول: مفهوم المحبة في الفلسفات المثالية.

المبحث الثاني: مفهوم المحبة في الفلسفات الواقعية.





الفصل الرابع: مقارنة مفهوم المحبة بين الإسلام، والأديان، والفلسفات المعاصرة، ويندرج تحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مقارنة تعريف المحبة ومرادفاتها بين الإسلام، والأديان، والفلسفات المعاصرة.

المبحث الثاني: مقارنة مصادر المحبة بين الإسلام، والأديان، والفلسفات المعاصرة.

المبحث الثالث: مقارنة أسس المحبة بين الإسلام، والأديان، والفلسفات المعاصرة.





الفصل الأول: مفهوم المحبة في الإسلام

عُنِيَ الإسلامُ بأمر المحبة عناية بالغة، والمطَّلِع على ما تزخر به المحبة وجوانبها، وما جاء في الكتاب والسنة عنها، وما قيل فيها من ضوابط، وتنظيمات، تجعلها تسير وفق منهج واضح مفصل، يتبين له الاهتمام البالغ الذي عنيت به.

ومن الجوانب التي اهتم بها الإسلام: الإيضاح لمفهوم المحبة، وماهيتها، والكيفية التي ينبغي أن تكون عليها، كما راعى الإسلام أحوالها ومنازلها ومراتبها، فوضع لها أسسًا ترتكز عليها، وتنطلق منها.

كما جعل الإسلام مصادر تلك المحبة متوافقة مع حاجات الإنسان، ومبتغاه، فمنها: ما يتوافق مع حاجة الإنسان لله ﷻ، ومنها: ما يتوافق مع حاجة الإنسان لسنة النبي ﷺ، ومنها: ما يحتاج استقاؤه من العقل، ومنها: ما يحتاج رؤيته في مجتمعه واستقاؤه مما تعارف عليه قومه، إلى غير لك من جوانب الاهتمام التي من شأنها الوصول بالمحبة القلبية إلى مراتبها الشعورية الصحيحة، ونزولها إلى أرض الواقع بطريقة ممكنة يسيرة التطبيق غير عسيرة، وممكنة الرؤية غير مبهمة.

ولتجلية أصول هذه المعاني، ولبيان تلك الجوانب، قسَّمتُ هذا الفصل إلى مبحثين، هما:

المبحث الأول: تعريف المحبة، ومرادفاتها في الإسلام.

المبحث الثاني: مصادر المحبة، وأسسها في الإسلام.

وسأسير على هذا مستعينًا بالله، راجيًا منه التوفيق إلى النقل الصحيح الواضح البين، والرأي السديد المحكم، فعلى الله توكلت، وبه استعنت.





المبحث الأول: تعريف المحبة، ومرادفاتها في الإسلام

في هذا المبحث أسعى جاهدًا لتقصِّي التعريفات التي قيلت في المحبة، وهذه التعريفات تنقسم إلى قسمين يعضدان بعضهما.

فالأول: هو المعنى اللغوي للمحبة، فتصريفاتها اللغوية من شأن شق أول الطريق الموصل إلى المعنى، وكذلك المعاني التي تُستعمل لتوضيحها، أو المعاني التي قد تستعمل المحبة أو أحد تصريفاتها كناية عنها.

والقسم الثاني الذي يأتي بعد استظهار القسم الأول: هو التعريفات الاصطلاحية التي اصطلح العلماء عليها، وتعد لفظة المحبة من الألفاظ التي تنطلق وتنقدح من الشعور الداخلي النفسي للإنسان، كما أن هناك صعوبة في وصف خروجها من ذلك الشعور إلى الواقع المشاهَد المرئي للإنسان، والممارسة السلوكية المؤثرة في الحياة العامة.

فالمعنيان اللغوي والاصطلاحي بمجموعهما يوصلان لذلك، كما أن الألفاظ الدالة على معاني المحبة تجعل الطريق الموصل إلى المنشود أكثر وضوحًا، ونضوجًا، ورسوخًا.

وقد نهجتُ في التعريف بالمحبة في الإسلام، وفي غيره من الأديان، والفلسفات نهج الوصول إلى تعريف إجرائي مختار أَبْنِي عليه بقية قضايا البحث بإذن الله.

وعلى هذا فقد تم تقسيم هذا المبحث إلى مطلبين، وهما:

المطلب الأول: تعريف المحبة في الإسلام.

المطلب الثاني: مرادفات المحبة في الإسلام.

وسأسير في بيان الألفاظ الدالَّة على معاني المحبة على نهج السير بمفهوم المحبة نفسه، فسأذكر المعاني القريبة من لفظ المحبة، وأبين معناها اللغوي، وقد أكتفي به إن صار المعنى كافيًا واضحًا، وقد أُورد بعض التعريفات الاصطلاحيَّة ابتغاء الوصول لتجلية المعاني الدالة على لفظ المحبة، مع الاجتهاد في تعيين مواطن الربط بينها وبين لفظ المحبة، وبالله التوفيق.





المطلب الأول: تعريف المحبة في الإسلام

أولًا: تعريف المحبة لغة:

المحبة اسم للحُبُّ[١]، والحُبُّ: مصدر أحب يحب حبًّا ومحبة، والحب نقيض البغض، والحُبُّ: الوِداد والمحبة، وكذلك الحِبُّ بالكسر[٢]، ويأتي الحِب -بكسر الحاء أيضًا- بمعنى الحبيب، مثل خِدْنٍ وخَدِين[٣]، وعلى هذا فلفظ (الحب) هو بمعنى المحبة دون فرق بينهما، ويستقيم معناه في ضم الحاء أو كسرها، حيث لا يتغير معناه في كلتا الحالتين.

وحَبَّ الشيء أو الشخص: وَدَّه ومال إليه، ورباط المحبة: عامل يجمع بين شيئين أو أكثر، وكما تحب: حسب ما تريد أو ترغب، وحَبَّ إليَّ أن تفعل: صرت أحبُّ ذلك، وحُبّ الشيء أو الشخص: صار محبوبًا، وحُبّ به: ما أحبَّه إليَّ (للمدح أو للتعجب)، وأحَبَّ الشيء أو الشخص على غيره: آثره وفضَّله عليه، واستَحَبَّ الشيء: قَبِله، وفضَّله، واستحسنه، وآثره، واستَحَبَّ الشِّعر على القصة: اختاره، أحبه أكثر منها، وفضَّله عليها[٤]، وتَحَبَّبَ إليه: تودَّد، وتحابُّوا أي: أحبَّ كلُّ واحد منهما الآخر، والحِباب بالكسر: المحابَّة والموادَّة، والحُباب بالضم: الحُب[٥]، وهنا يصلح الحكم بأن (الاستحباب، والتحبب، والمحابة) كلها ترجع إلى معنى الحب.

أمَّا عن المعاني التي يدور الحب في اللغة حولها، فيمكن حصرها في خمسة معان:

- الأول: اللزوم، والثبات، ومنه: حب البعير وأحب، إذا برك ولم يقم.
- الثاني: اللُّب، وهو حَبَّة القلب، وسُوَيْدَاؤه، وقيل: ثمرته[٦].
- الثالث: الصفاء، والبياض، ومنه قولهم لصفاء بياض الأسنان ونضارتها: حبب الأسنان.
- الرابع: العلو، والظهور، ومنه حبب الماء وحبابه. وهو ما يعلوه عند المطر الشديد. وحبب الكأس منه.

---

(١) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، (١/ ١٠٥)، معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (٢/ ٢٦)، مختار الصحاح، الرازي، (ص: ٦٥).

(٢) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، (١/ ٢٨٩).

(٣) ينظر: الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، الجوهري، (١/ ١٠٥)، مختار الصحاح، الرازي، (ص: ٦٥).

(٤) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد عمر مختار، (١/ ٤٣١ - ٤٣٢).

(٥) ينظر: الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، الجوهري، (ص: ١٠٥).

(٦) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، (١/ ١٠٥)، معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (٢/ ٢٦)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م، (٣/ ١١- ١٢).



الخامس: الحفظ، والإمساك، ومنه حب الماء للوعاء: الذي يحفظ فيه ويمسكه، وفيه معنى الثبوت أيضا[١].

وللربط بين هذه المعاني وبين المحبة، فإن هذه المعاني الخمسة من لوازمها، فهي صفاء المودة، وهيجان إرادات القلب للمحبوب، وعلوها وظهورها منه لتعلقها بالمحبوب المراد، وثبوت إرادة القلب للمحبوب، ولزومها لزومًا لا تفارقه، ولإعطاء المحب محبوبَهُ لُبَّهُ، وأشرفَ ما عنده، وهو قلبه، ولاجتماع عزماته وإراداته وهمومه على محبوبه[٢]، فهذه المعاني يمكن التعبير عنها بالمحبة، ويمكن التعبير بها كذلك عن المحبة، وعِلَّة ذلك دورانها حول بعضها في اللغة.

ثانيًا: تعريف المحبة اصطلاحًا:

ذكر ابن تيمية رحمه الله أن المحبة هي: «العلة الفاعلة لإدراك الملائم المحبوب المشتَهَى، واللَّذَّة والسرور هي الغاية»[٣].

وقد علَّل ذهابه إلى هذا التعريف بقوله: «ومن المعلوم أن كلَّ محبة وبَغْضَة فإنه يتبعها لذَّة وأَلَم، ففي نيل المحبوب لذَّة، وفراقه يكون فيه ألم، وفي نيل المكروه ألم، وفي العافية منه تكون فيه لذَّة، فاللَّذَّة تكون بعد إدراك المشتهى، والمحبة تدعو إلى إدراكه»[٤].

ويستنبط من تعريفه رحمه الله للمحبة، أنه وصفها بالعلة، والعلة هي السبب، وفَعَلَت هذه العلة فعلها في الإنسان، فهي علة فاعلة أحدثت شيئًا في الشعور والوجدان، ثم ربطها بالإدراك الذي يُنبئ عن سلوك يحدث تجاه الشيء الذي لاءمه وأحبه واشتهاه، فتعريفه للمحبة شامل للجانب الشعوري الوجداني الداخلي، والسلوك العملي الظاهري.

---

(١) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، (٣/١١ ـ ١٢).

(٢) ينظر: المرجع السابق، (٣/١١ ـ ١٢).

(٣) قاعدة في المحبة، ابن تيمية، (ص: ٦٠).

(٤) المرجع السابق، (ص: ٦٠).

وجمع ابن القيم رحمه الله[١] في تعريفه للمحبة الجانبين (الشعوري الداخلي، والعملي الظاهري)، فذهب إلى تعريفها بأنها: «ميل الإنسان إلى ما يلائم طبعه»[٢].

وبالنظر للتعريف ومفرداته، نجده يشمل الجانب الشعوري، والعملي:

فالجانب الشعوري الوجداني يبرز في كلمة: (ميل) في أول التعريف.

والجانب العملي السلوكي يظهر في كلمة: (طبعه).

وطبع الإنسان يشمل تصرفاته، وأخلاقه الاجتماعية الظاهرة، كما أن ميل الإنسان لما يلائم طبعه يمكن رؤيته بالعين على شكل سلوك يفيد ميلان الإنسان لهذا الملائِم، فابتدأ التعريف بالجانب الشعوري، وانتهى بالجانب العملي.

كما جاء تعريف القاضي عياض رحمه الله[٣] في ذات السياق، فدلت الألفاظ التي اختارها في تعريف المحبة إلى الشمولية للجانبين، فعرَّفها بأنها: «الميل إلى ما يوافق لذة الإنسان وإدراكه»[٤].

والمتأمل في ألفاظ التعريف يظهر له شموله للجانبين الشعوري، والعملي:

فالجانب الشعوري يظهر في لَفْظَي: (الميل، واللذة).

والجانب العملي يظهر في لفظ: (الإدراك).

---

(١) هو الإمام العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، الحنبلي، الدمشقي، المعروف بابن قيم الجورية، ولد سابع صفر سنة إحدى وتسعين وست مائة، تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية، وهو الذي هذَّب كتبه، ونشر علمه، وسُجن معه في قلعة دمشق، له من التصانيف: «زاد المعاد»، و«مفتاح دار السعادة»، و«إعلام الموقعين»، و«الكافية الشافية»، وغيرها كثير، مات في رجب سنة إحدى وخمسين وسبع مائة. ينظر: الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، (٢/ ١٩٥)، والدرر الكامنة، ابن حجر، (٥/ ١٣٧)، وبغية الوعاة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - لبنان - صيدا، (١/ ٦٢)، والأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر، مايو ٢٠٠٢م، (٦/ ٥٦).

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، ابن القيم، (ص: ١٩٠).

(٣) هو الإمام القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي الأندلسي، ثم السبتي، المالكي، ولد سنة ست وسبعين وأربع مائة، من تصانيفه: «الشفا في شرف المصطفى»، و«شرح حديث أم زرع»، و«الإكمال في شرح صحيح مسلم»، وغيرها، وقد حدَّث عن القاضي خلق من العلماء، منهم: الإمام عبد الله بن محمد الأَشِيري، وأبو جعفر بن القصير الغرناطي، وغيرهم، توفي سنة أربع وأربعين وخمس مائة. ينظر: وفيات الأعيان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان البرمكي، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، (٣/ ٤٨٣)، وسير أعلام النبلاء، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، (٢٠/ ٢١٢).

(٤) ينظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، (٢/ ٢٩ -٣٠).



والإدراك جزء منه داخل الشعور، ولكن له جزء ظاهري مشاهَد، ويدلُّ على أن له وصفًا مشاهَدًا، وهو أنه قد يتم رصده وتعيينه؛ لذا فالرصد والتعيين يتمان عن طريق شيء مشاهد وظاهر.

ومال الراغب الأصفهاني رحمه الله[1] إلى الجانب الشعوري القلبي في تعريف المحبة، فعرفها بأنها: «مَيْل النفس إلى ما تراه، وتظنه خيرًا»[2].

والملاحَظ على هذا التعريف الميل إلى الجانب الشعوري النفسي، والميل القلبي الداخلي:

فالجانب الشعوري من كلمة: (مَيْل).

والجانب النفسي من كلمة: (النفس).

والفعل القلبي من كلمة: (تراه، وتظنه)، وهذا لا يعني اختفاء الجانب العملي السلوكي تمامًا، وإنما يغلب عليه الجانب الداخلي بحكم ألفاظه، وتعدِّيها.

ومال الكَفَوي رحمه الله[3] في تعريفه للمحبة إلى الجانب الشعوري القلبي، فعرفها بأنها: «إفراط الرِّضَا»[4].

والرضا شعور قلبي، ولكن قد يكون له شواهد يتم رصدها للعيان، ولكنه ليس ظاهرًا كالإدراك، فهو بدرجة أقل منه.

(١) هو الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم، المعروف بالراغب الأصفهاني، أو الأصبهاني، الإمام اللغوي، الأديب، المفسر، من أهل أصفهان، وسكن بغداد، له تصانيف كثيرة منها: «محاضرات الأدباء»، و«الذريعة إلى مكارم الشريعة»، و«المفردات في غريب القرآن»، مات سنة اثنتين وخمس مائة. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (١٨/ ١٢٠)، والوافي بالوفيات، الصفدي، (١٣/ ٢٩)، والأعلام، الزركلي، (٢/ ٢٥٥).

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السلام، القاهرة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، (ص: ٢٥٦).

(٣) هو أيوب بن موسى الحسيني، الكفوي، القريمي، الحنفي، أبو البقاء، ولد في كَفَا بالقَرْم، كان من قضاة الحنفية، ولي القَضَاء في كَفَا بتركيا، وبالقدس، وببغداد، وعاد إلى إستانبول فتوفي بها، من آثاره: كتاب «الكليات»، وله كتب أخرى باللغة التركية. ينظر: الأعلام، الزركلي، (٢/ ٣٨)، معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى - بيروت، ودار إحياء التراث العربي - بيروت، (٣/ ٣١).

(٤) ينظر: الكليات، أيوب بن موسى الحسيني القريمي، الكَفَوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، (ص: ٤٧٨).





وفصَّل ابن عاشور رحمه الله[١] في تعريف المحبة، حيث أشار إلى وصفها ونشأتها، وماهيتها، وآثارها، فجاء تعريفه لها بأنها: «انفعال نفساني، ينشأ عند الشعور بحسن شيء من صفات ذاتية، أو إحسان، أو اعتقاد أنه يحب المستحسن، ويجر إليه الخير، فإذا حصل ذلك الانفعال عقبه مَيلٌ، وانجذاب إلى الشيء المشعور بمحاسنه، فيكون المنفعل مُحِبًّا، ويكون المشعور بمحاسنه محبوبًا»[٢].

ويغلب على هذا التعريف -مع طوله- الجانب الشعوري، الوجداني الداخلي، بشكل أكبر من الجانب السلوكي العملي الظاهري، والذي دعاني إلى اختيار انحيازه إلى الجانب الشعوري الداخلي، هو اشتماله على ألفاظ تشير إلى ذلك، وهي: «الانفعال النفساني، والشعور، والميل»، فهذه الألفاظ بعيدة عن المشاهدة، والنظر، والرصد، والقياس، وهي -في نظري- تنزع به إلى الجانب الشعوري أكثر منه إلى الجانب العملي السلوكي، ومع كل هذه الإشارات الشعورية الوجدانية، إلا أن الجانب العملي السلوكي يمكن أن يظهر في جرِّ الخير للمستحسن، ولكن ظهور الألفاظ الشعورية الداخلية أكبر وأظهر.

ومن التعريفات المعاصرة للمحبة، تعريف الدكتور جمال الحسيني أبو فرحة[٣] حيث عرَّف الحُبَّ بأنه: «رِقَّة تتخلَّل القلب، تنحو بالمحب نحو إسعاد المحبوب، والتعايش معه»[٤].

وهذا التعريف يغلب عليه الجانب العملي الظاهري أكثر من الوجداني الداخلي، فلفظ: (رِقَّة) هو الجانب الداخلي فيه.

أمَّا لفظي: (إسعاد، وتعايش) فهما ينزعان إلى الجانب العملي المرئي المشاهد الممكن الرصد، والجانب العملي لا يكون إلا بعد تحقق الشق الوجداني النفسي.

---

(١) هو محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور التونسي المالكي، ولد سنة ست وتسعين ومائتين وألف، كان رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه. ومولده ووفاته ودراسته بها. له مصنفات مطبوعة، من أشهرها: «مقاصد الشريعة الإسلامية»، و«أصول النظام الاجتماعي في الإسلام»، و«التحرير والتنوير في تفسير القرآن»، ومما عني بتحقيقه ونشره: «ديوان بشار بن برد» أربعة أجزاء. وكتب كثيرًا في المجلات، توفي سنة ثلاث وتسعين وثلاث مائة وألف. ينظر: الأعلام، الزركلي، (٦/ ١٧٣)، ومعجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، (١٠/ ١٠١).

(٢) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» ، محمَّد الطاهر بن محمَّد بن محمَّد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤م، (٣/ ٢٢٥).

(٣) هو الدكتور جمال الحسيني أبو فرحة، أستاذ بجامعة السويس بمصر، وأستاذ الدراسات الإسلامية المساعد بجامعة طيبة بالمدينة المنورة، والده الأستاذ الدكتور الحسيني أبو فرحة، له العديد من المؤلفات منها: «ميزان النبوة: المعجزة»، «النبي الخاتم؛ هل وجد؟ ومن يكون؟»، وهي كتب مطبوعة ومتداولة.

(٤) المحبة لمخالف الملة (قراءة في الكتب المقدسة: اليهودية — المسيحية — الإسلامية)، د. جمال الحسيني أبو فرحة، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد الثامن والعشرون، (ص: ٢٩).





ومن التعريفات المعاصرة كذلك، ما ذكرته الباحثة رنا أحمد أبو حبيب في تعريف المحبة بأنها: «الشعور الفطري المعروف الذي يجده المرء في قلبه، فيحتل المحب في قلب حبيبه مكانة طيبة، ترقى بارتقاء المحبة»[(١)].

والمتمعن في هذا التعريف يجده يميل إلى الجانب الشعوري الوجداني للمحبة، وتخلو ألفاظه من الجانب العملي السلوكي الظاهري، ولكنه أضاف إلى المعاني التي نسوقها في هذا المبحث لفظ: «فطرة»، وهذا اللفظ يحدد كثيرًا منشأ هذه المحبة ومبتدأها، فهي فطرة تكون داخل الإنسان، فَطَرَهُ الله عليها، وتبقى هذه الفطرة عُرضة للتغيير والتأثير بحسب المحيط بها.

ثالثًا: التعريف الإجرائي للمحبة في الإسلام:

ومن خلال ما سُقْتُه من التعريفات أعلاه، تبيَّن لي أن تعريف المحبة في الإسلام يحوي جملة من الجوانب التي يمكن أن تجلِّيه، وتجعل معناه مستقرًّا في الذهن، مترجمًا إلى واقع تراه العين، تطمئن له النفس، وقد اجتهدت في صياغة تعريف إجرائي للمحبة في الإسلام، وقد راعيت في هذا التعريف أمرين:

الأول: صياغته بألفاظ تشمل الألفاظ التي وردت في التعريفات السابقة، بغرض الشمول والاستغراق للمعنى اللغوي.

الثاني: مراعاة جميع الجوانب الداخلية والخارجية التي تجري فيها المحبة مجرىً مستقلًّا، فالجانب الفطري والشعوري والقلبي، تجري فيهما المحبة المجرى الداخلي، والجانب العملي السلوكي الحسي، تتمثل فيهما المحبة في صورتها الظاهرية، فأقول مستعينًا بالله: إن التعريف الإجرائي المختار للمحبة في الإسلام، هو أنها: **انفعال فِطْري، وشعور قلبي، وإدراك حسِّي، وسلوك عملي، تنشأ عن الشعور بحسن الشيء، وتتمثل في مَيل الإنسان إلى ما يلائمه ويشتهيه ويظنه خيرا، غايتها السرور، واللذة، والتعايش.**

---

(١) حقيقة المحبة في العقيدة الإسلامية، رنا أحمد مُحَّد أبو حبيب، ماجستير، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، ص (٤).





المطلب الثاني: مرادفات المحبة في الإسلام

تتعدد مرادفات المحبة في الإسلام، ومن خلال ما سقناه في التعريف اللغوي والاصطلاحي يظهر للمتأمل جملة من المعاني التي تقترب من لفظ المحبة، وتصلح أن تُعتبر مرادفة له، وقبل الولوج في خِضَمِّها، يحسن أن أُبَيِّنَ معنى لفظ (المرادفات) اللغوي، ومن خلال الرجوع للمعاجم استنتجتُ تعريفًا لها، وهو ما سأبدأ به هذا المطلب إن شاء الله.

تعريف المرادفات: المرادفات هي المتتابعات، وتَـرَادَف الشيءُ: تَبِع بعضُه بَعْضًا، والترادُف: التَّتَابُعُ(١) وهو إبدال اسم باسم مرادفٍ له يتساويان في التفهيم(٢)، وأَستخلِص من هذا المعنى أن المرادفات تكون بمعنى التابعة التي تتبع الشيء، أو المتتابعة وهي التي تأتي بعد الشيء مباشرة، وأظهر معنى لها أنها ما يتساوى مع اللفظ الأصل في التفهيم وإيصال المقصود، وهذا ما سأسير عليه في سرد المرادفات للمحبة، وأسأل الله التيسير والإعانة.

من خلال البحث في مرادفات المحبة، وجدتُ أن بعض العلماء قد عَدَّ مرادفاتٍ استعملها العرب في حديثها يمكن التفهيم من خلالها أن المقصود هو المحبة، وقد جمعت أظهر هذه المرادفات للمحبة، وهي عشرة ألفاظ، بيانها فيما يلي:

أولًا: الأُلْفَة: وهي مأخوذة من (أَلَفَ) «الْهَمْزَةُ وَاللَّامُ وَالْفَاءُ أصل واحد، يدل على انضمام الشَّيءِ إلى الشَّيءِ، والأشياء الكثيرة أيضًا»(٣).

ويقال: «أَلِفْته إِلْفًا من باب أَنِسْت بِهِ وَأَحْبَبْته، والاسم الأُلْفَة بالضم، وَالْأُلْفَة: اسم من الائتلاف، وهو الالتئام والاجتماع»(٤).

وجاء في المعجم الوسيط أن الأُلْفَة تعني: «تجاذُب الظَّوَاهِر النفسية في المجال الشعوري بتداعي الأفكار وترابطها، وأنها وَشِيجةٌ بَين شَخْصَيْنِ أَو أَكثر، يحدثها تجاذب الميول النفسية، كَصِلَة الصداقة ولُحْمة الْقَرَابَة»(٥).

ولعلَّه باديًا وظاهرًا التعبيرُ بالمحبة عنها في التعريفات، ومن هنا صارت مرادفة لها.

---

(١) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، (٢ /٥٠٣).

(٢) ينظر: المستصفى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، (ص: ١٧).

(٣) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (١/ ١٣١).

(٤) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الحموي، المكتبة العلمية، بيروت، (١/ ١٨).

(٥) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، إستانبول، تركيا، الطبعة الثانية،١٩٧٢م، (١/٢٣-٢٤).





ومن التعريفات التي تُظْهِر ارتباطها بالمحبة وترادفها بها هو أنها تعني: «ميلان القلب إلى المألوف»[1]، والمحبة مقترنة عادة بلفظ (ميل القلب)؛ لذا فتكَرُّرُ لفظ (الميل) في تعريفات الألفة يجعل الرابط والترادف بينها وبين لفظ المحبة رابطًا كبيرًا.

ثانيًا: الهَوَى: لفظة الهوى إذا جاءت بالألف المقصور تعني: «هَوَى النفس، والجمع أهْواءُ، وإذا أضفته إليك قلت: هَوايَ، وهذا الشيء أهوى إليَّ من كذا، أي: أحبُّ إليَّ»[2].

ومن ارتباطه بلفظ المحبة، فإن الهوى يأتي أحيانًا بمعنى: محبة الإنسان الشيء، وغلبته على قلبه؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠]، ومعنى الآية: نهاها عن شهواتها وما تدعو إليه من معاصي الله ﷻ، وأكثر ما يستعمل الهوى في الحب المذموم[3]، وهنا تظهر إمكانية استخدام لفظ الهوى كِناية عن المحبة، وإن كان غالب استعماله القرآني يدل على شهوة النفس.

ومن تعريفات الهوى أنه: «ميل النفس إلى الشيء»[4].

ولعله ينجلي من خلال التعريفات السابقة الترادف والتقارب بين معنى الهوى والمحبة من عدَّة وجوه:

الأول: النصُّ الصريح في التعريف بأن الهوى يعني المحبة، أو محبة الشيء.

الثاني: نصُّ بعض العلماء على أن الهوى يستعمل في مواطن منه كناية عن الحب المذموم.

الثالث: تعريف بعضهم للهوى بأنه: «مَيْل النَّفْس»، كما تُعرَّف المحبة أيضًا بأنها: «مَيْل النَّفْس».

ثالثًا: الشَّوْق: يُعرَّف الشوق بأنه: «نُزُوع النَّفْس إلى الشَّيء أَو تعلقها به، وشَوَّقه إليه: رغَّبَه فيه وحبَّبَه إليه»[5].

وقيل أيضًا بأن الشوق هو: «اهْتِيَاج القلوب إلى لقاء المحبوب، وعلى قدر المحبة يكون الشَّوْق»[6].

والألفاظ صريحة بالتعبير عن الشوق بالمحبة والعكس كذلك.

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي الفاروقي التهانوي، تحقيق: د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، (١/ ٢٥٦).

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، (٦/ ٢٥٣٧-٢٥٣٨)، لسان العرب، ابن منظور، (١٥/ ٣٧٢).

(٣) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، (١٥/ ٣٧٢)، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ابن القيم، (ص: ٢٣).

(٤) روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ابن القيم، (ص: ٢٢).

(٥) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، وآخرون، (١/ ٥٠٠).

(٦) محبة الله في الكتاب و السنة، سميرة أحمد مصطفى مجدوبة، كلية الدراسات العليا، قسم أصول الدين، جامعة النجاح، فلسطين، رسالة ماجستير، ٢٠٠٧م، (ص: ١٩).





ومما ذُكر في الشوق أنه: سَفَر القلب في طلب محبوبه، بحيث لا يَقِر قَرَاره حتى يظفر به ويحصل له، ويقال: الشوق انتظار اللقاء بعد البعاد؛ لذا فإن الشوق إنما يحدث حين الغيبة عن المحبوب، وأمَّا مع حضور المحبوب ولقائه فلا شوق؛ لذا فقد جعل بعض أهل اللغة المحبة أعلى منه، وذاك أن المحبة لا تزول باللقاء(١).

وللقرب الشديد بين لفظي الشوق والمحبة فقد وُصِف الشوق بأنه أحد أحوال المحبة، والشوق من المحبة كالزهد من التوبة، فالتوبة حين تستقر يصبح الزهد ظاهرًا، كذلك المحبة حين تستقر يظهر الشوق(٢)، وهذا القرب الشديد بين اللفظين إنما مردُّه لعدة عِلَل، منها:

١-ربط بعض التعاريف للشوق بأنه يظهر بعد المحبة؛ لذا فهما متلازمان.

٢-تكرار كلمة (الحب، والمحبة) في تعريفات الشوق عند علماء اللغة وهي من المدلولات له.

٣-أن بعض تعريفات الشوق تصِفُه بالتعلق والعلاقة، والعلاقة أحد مرادفات المحبة.

٤-وصف بعض التعريفات بأن زيادة المحبة يلزم معها زيادة الشوق.

رابعًا: الإيثار: وهو من المعاني التي عُبِّر عنها في القرآن الكريم بكلمة: (الحب)، ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ﴾ [ص:٣٢].

قال البغوي رحمه الله(٣) في تفسير قوله: ﴿أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ﴾: «أي: آثرت حُبَّ الخير»(٤)، وهنا قام لفظ الحب مكان لفظ الإيثار.

ومن الآيات التي ورد فيها ذكر الحب بمعنى الإيثار:

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [إبراهيم:٣].

---

(١) ينظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن القيم، دار السلفية، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٤هـ، (ص: ٣٢٧).

(٢) ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي الفاروقي التهانوي، (١/ ١٠٤٧).

(٣) هو أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، الشافعي، المفسر، تفقه على شيخ الشافعية القاضي حسين بن محمد الْمَرْوَرُوذِي، وصنَّف التفسير المشهور، وأوضح المشكلات من قول النبي ﷺ، وروى الحديث ودرس، ومن تصانيفه: «التهذيب» في الفقه، و«شرح السنة» في الحديث، و«المصابيح» وهو جمع بين الصحيحين، وغير ذلك، توفي بمَرْو الرُّوْذ سنة ستة عشر وخمس مائة. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (١٩/ ٤٣٩)، الوافي بالوفيات، الصفدي، (١٣/ ٤١).

(٤) معالم التنزيل، البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، (٨٩/٧).





قال الواحدي رحمه الله[1] في تفسير قوله: ﴿يَسۡتَحِبُّونَ﴾: «أي: «يؤثرونها، ويختارونها»[2].

ولعلَّ استعمال القرآن للفظ الإيثار كِناية عن المحبة يشير إلى أنها من المرادفات الصريحة لها.

خامسًا: القِلَّة: جاءت كلمة الحب في القرآن الكريم تعبيرًا عن القِلَّة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان:٨].

ذكر الشوكاني رحمه الله[3] أن الآية تعني: «يطعمون هؤلاء الثلاثةَ الأصناف الطعام، على حُبِّه لديهم، وقلته عندهم، قال مجاهد[4]: على قِلَّته، وحبِّهم إياه، وشهوتهم له»[5]

ومما جاء بهذا المعنى قوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [البقرة:١٧٧].

---

(١) هو أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، أصله من ساوه، لزم الأستاذ أبا إسحاق الثعلبي، وأكثر عنه، وأخذ علم العربية عن أبي الحسن القُهُنْدُزيّ الضرير. صنف التفاسير الثلاثة: «البسيط»، و«الوسيط»، و«الوجيز»، وله كتاب «أسباب النزول»، وغيرها من المصنفات، وكان طويل الباع في العربية، مات بنيسابور في جمادى الآخرة، سنة ثمان وستين وأربع مائة. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (١٨/ ٣٣٩)، الأعلام، الزركلي، (٤/ ٢٥٥).

(٢) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، تحقيق: الشيخ: عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، والدكتور أحمد محمد صيره، والدكتور أحمد عبد الغني الجمل، والدكتور عبد الرحمن عويس، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م، (٣/٢٣).

(٣) هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، من كبار علماء اليمن، ولد سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف، من أهل صنعاء، وولي قضاءها سنة تسع وعشرين ومائتين وألف، ومات حاكمًا بها. له مصنفات كثيرة منها: «نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار»، و«البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع»، و«الدرر البهية في المسائل الفقهية»، توفي سنة خمسين ومائتين وألف. ينظر: الأعلام، الزركلي، (٦/ ٢٩٨)، وهدية العارفين، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية إستانبول ١٩٥١م، وأعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان، (٢/ ٣٦٥).

(٤) هو مجاهد بن جبر، ويقال: ابن جبير، والأول أصح، المكي، أبو الحجاج القرشي المخزومي، بَرَع في التفسير، وقراءة القرآن، والحديث. روى عن ابن عباس فأكثر، وعنه أخذ القرآن، والتفسير، والفقه. وروى عنه: منصور بن المعتمر، والحكم بن عتيبة، وسليمان الأعمش، وغيرهم. قال محمد بن سعد: «كان فقيها عالما ثقة كثير الحديث»، مات سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة، وله ثلاث وثمانون سنة. ينظر: تهذيب الكمال، المزي، (٢٧/ ٢٢٨)، سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٤/ ٤٤٩).

(٥) ينظر: فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، (٥/٤١٩).





والشاهد هنا قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾، حيث ورد فيها خلافٌ بين المفسِّرين، وذكر الدامغاني[1] صاحب «قاموس القرآن» أن المقصود بلفظ: ﴿حُبِّهِۦ﴾ هنا: «أي: على قِلَّتِه»[2].

ولعل استعمال اللفظ تفهيمًا عن المحبة يشير إلى الترادف معها.

سادسًا: العَلَاقَة: جاء في «لسان العرب»: «العَلاقةُ هي: النَّيْل، والعلاقة: الْمِعْلاق الذي يُعَلَّقُ به الإناء. والعِلاقة، بالكسر: عِلاقة السَّيْف والسَّوْط، ويقال: لفلان في هذه الدار عِلاقة: أي: بقية نصيب، وعَلِق الثوب من الشجر عَلَقًا وعُلوقًا: بقي متعلقا به»[3].

وهنا يظهر لنا شيء من قرب هذا المعنى بالمحبة، حيث إن المحبَّ يتعلق بمحبوبه كالْمِعْلَاق الذي يتعَلَّقُ به الإناء.

وذكر الجرجاني رَحِمَهُ اللَّهُ[4] أن العِلاقة: «بكسر العين، يستعمل في المحسوسات، وبالفتح في المعاني، ومعناها: علاقة الخصومة والمحبة، ونحوهما»[5].

وربطه للعَلَاقَة -بفتح العين- بالخصومة والمحبة يبين أن معناها ملتصقًا بالمشاعر، حيث إن الخصومة والمحبة تظهر فيهما مشاعر الإنسان واضحة وجليَّة، كما تعني التعبير باللفظين عن بعضهما، وهو ما يعني الترادف.

ومما جاء في تعريفها أنها: «الحُب اللازم للقلب»[6].

---

(١) هو الحسين بن محمَّد بن إبراهيم، أبو عبد الله الدامغاني، نسبته إلى دامغان -بين الري ونيسابور-، فقيه حنفي، له مصنفات عديدة منها: «الوجوه والنظائر» في علوم القرآن، و«سوق العروس وأنس النفوس»، و«المجرد في الحكايات»، وغيرها، توفي سنة ثمان وسبعين وأربعمائة. ينظر: الأعلام، الزركلي، (٢/ ٢٥٤)، معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة (٤/ ٤٤).

(٢) قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر، الحسين بن محمَّد الدامغاني، تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت — لبنان، الطبعة الرابعة، ١٩٨٣م، (ص: ١١٤).

(٣) لسان العرب، ابن منظور، (١٠/ ٢٦٥).

(٤) هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني الشافعي، اللغوي، أخذ النحو بجرجان عن أبي الحسين محمَّد بن حسن ابن أخت الأستاذ أبي علي الفارسي. صنف شرحًا حافلًا «للإيضاح»، وله «إعجاز القرآن»، و«العمد في التصريف»، وغيرها، توفي سنة إحدى وسبعين وأربع مائة. وقيل: سنة أربع وسبعين وأربع مائة. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (١٨/ ٤٣٢)، والأعلام، الزركلي، (٤/ ٤٨).

(٥) ينظر: التعريفات، علي بن محمَّد الجرجاني، ضبطه وصححه: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م، (ص: ١٥٥).

(٦) دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، عرَّب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، (٢/ ٢٦٥).



وهذا من أظهر التعاريف التي ربطت معنى العلاقة بالمحبة، حيث نصَّ على معنيين وهما: الحب واللزوم، ومما تمت الإشارة إليه فيما سبق من التعريفات اللغوية للمحبة أنها تعني: «اللُّزُوم والثَّبَات»، وهذا رابط آخر يربط معنى المحبة بالعَلَاقة.

سابعًا: الصَّبَابَة: تأتي الصَّبَابَة في اللغة بمعنى: «الشَّوْق، أو رِقَّته، أو رِقَّة الهَوَى»[1].

وقد سبق من التعريفات الاصطلاحية تعريف المحبة بأنها: «رِقَّة تتخلَّل القلب».

كما تُعرَّف الصَّبْوَة بأنها: «الميل إلى الهوى»، وقوله تعالى: ﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف:٣٣].

قوله هنا: ﴿أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ﴾ يعني: «أمِل إلى جانبهن، أو إلى أنفسهن، بطبعي، ومقتضى شهوتي»[2].

وذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ «أن الصَّبَا: أَصْلُ الْمَيْلِ، والصَّبْوَة: فوقه، والصَّبَابَة: الميل اللازم، وانصباب القلب بكليته»[3].

ويظهر من التعريفات السابقة قُرب معنى الصَّبَابَة من معنى المحبة بتكرار ربطها بـ(الميل)، والمحبة أيضا تُربط كثيرًا بالميل، كما أن بعض من عرَّفها ربطها بالشَّوْق، والشَّوْق من مرادفات المحبة أيضًا.

ثامنًا: المَوَدَّة: والمودة مأخوذة من مادة: «و د د، والوَدُّ مصدر وَدِدْتُ، وهو يَوَدُّ مِن الأمنِية ومِن الْمَودَّة، وَدَّ يَوَدُّ مَوَدَّةً»[4]. والوِداد والوَداد مصدر مثل الْمَوَدَّة، ويقال: هذا وِدُّكَ ووَديدُكَ كما تقول: حِبُّكَ حِبُّكَ وحَبيبُكَ[5]. وهنا تم التعبير بالمحبة عن المودة.

ومما يجلِّي علاقة الوِدَاد بالمحبة، أن الوِدَاد هو صفو المحبة، ولُبُّها، وخالصها، كما أن من أسماء الله تعالى (الوَدُود)، وفي بيان هذه التسمية لله تعالى قولان:

الأول: أنه المودود، المحبوب من عباده.

والثاني: أنه الواد لعباده، المحب لهم[6].

---

(١) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، (ص: ١٠٤).

(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، (٣/ ١٦٣).

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، (٣/ ٢٩).

(٤) العين، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، (٨/ ٩٩).

(٥) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، (٣/ ٤٥٣)، العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، (٨/ ١٠٠).

(٦) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، (٣/ ٢٩).

وكلا المعنيين مرتبطان بالمحبة، والمودة درجة عالية من الحب، فيها صفاء ونقاء، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

تاسعًا: الشَّغَف: جاء في مقاييس اللغة: «الشين والغين والفاء كلمة واحدة، وهي الشغاف، وهو غُلاف القلب. قال الله تعالى: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [يوسف: ٣٠]، أي: أَوْصَلَ الحب إلى شِغَاف قلبها»[(١)].

قال الخليل الفراهيدي رحمه الله[(٢)] في الشَّغَف: «والشَّغاف: مَوْلِجُ البَلْغم، ويقال: غِشاء القلبِ»[(٣)].

وذُكِر من تعريفات الشَّغَف أنه: «بلوغ الحُب شِغَاف القلب، وإحراق الحب للقلب مع لَذَّة يجدها»[(٤)].

وقد ساق ابن القيم رحمه الله جُمْلة من الأقوال في معنى الشغف الوارد في قوله تعالى: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [يوسف: ٣٠] منها:

الأول: أن الشَّغَف المذكور في الآية هو: الحب المستوِلي على القلب، بحيث يحجبه عن غيره، حيث حجب حبُّ يوسف عليه السلام قلبَ امرأة العزيز حتى لا تعقل سواه.

الثاني: أنه الحب الواصل إلى داخل القلب، والمعنى: أحبَّتْه حتى دخل حُبُّه داخل قلبها.

الثالث: أنه الحب الواصل إلى غشاء القلب، والشغاف هنا يعني: غشاء القلب إذا وصل الحب إليه، وقد استشهد ابن القيم رحمه الله بقول السُّدِّي رحمه الله[(٥)] عن الشغاف بأنه: جلدة رقيقة على القلب[(٦)].

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (٣/ ١٩٥).

(٢) هو الخليل بن أحمد الفراهيدي أبو عبد الرحمن، صاحب العربية، ومنشئ علم العروض، البصري، ولد سنة مائة. حدث عن: أيوب السختياني، وعاصم الأحول، والعوام بن حوشب، وغالب القطان، وغيرهم. أخذ عنه: سيبويه النحو، والنضر بن شميل، وهارون بن موسى النحوي، ووهب بن جرير، والأصمعي، وآخرون. وللخليل من التصانيف: كتاب «العين»، و«العروض»، و«الشواهد»، وغيرها، مات سنة بضع وستين ومائة. وقيل: بقي إلى سنة سبعين ومائة. ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، (٢/ ٢٤٤)، سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٧/ ٤٢٩).

(٣) العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، (٤/ ٣٦٠).

(٤) ينظر: المخصص، علي بن إسماعيل بن سِيدَه، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ -١٩٩٦م، (١/ ٣٧٩).

(٥) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السُّدِّي أبو مُحَمَّد القرشي الكوفي. صاحب التفسير. روى عن: أنس بن مالك، والحسن بن علي، علي، وسعد بن عبيدة، وغيرهم. وروى عنه: زائدة بن قدامة، الثوري، وشعبة بن الحجاج، وغيرهم. مات سنة سبع وعشرين ومائة. ينظر: الطبقات الكبرى، أبو عبد الله مُحَمَّد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي، تحقيق: مُحَمَّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م، (٦/ ٣١٨)، تهذيب الكمال، المزي، (٣/ ١٣٢).

(٦) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، (٣/ ٣٠).



وجميع ما سقته من التعاريف يبيّن التَّشابُهَ والتقارب في الدلالة بين لفظة الشَّغَف والمحبة، حيث لا تنفكُّ التعاريف لمعنى الشغف عن اقترانه بالحب، كما أن تعاريفه تجعله لصيقًا بالقلب، كقولهم: إنه جلدة رقيقة على القلب، والمحبة لصيقة بالقلب، مما يجعل هاتين المفردتين أكثر قُرْبًا وترادُفًا.

عاشرًا: الخُلَّة(١): والخُلَّة تتضمن كمال المحبة ونهايتها، بحيث لا يبقى في القلب سعة لغير محبوبه؛ ولهذا لم يصلح لله شريك في الخلة، حيث قال ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلاَمِ وَمَوَدَّتُهُ»(٢).

لذا فهي مَنْصِبٌ لا يقبل المشاركة بوجهٍ مّا، وهذا المنصب خاص للخليلين مُحَمَّد وإبراهيم صلوات الله وسلامه عليهما، كما قال ﷺ: «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللهِ تَعَالَى قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا»(٣)(٤)، قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء:١٢٥]، والخلة درجة عالية من المحبة، وللخليل تأثير كبير على خليله، ومما يجري في هذا السياق قوله تعالى: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ [الفرقان:٢٨]، وقوله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:٦٧]، وفي الآيتين دليل على قوة تأثير الخليل على خليله، فالخلة هي محبة وزيادة.

وتقارب لفظ الخُلَّة مع المحبة ظاهر مما تم نقله، حيث يصح التعبير عن اللفظين بإحداهما، والله أعلم.

(١) وقد عَدَّ بعضُ العلماء الخمسَ المرادفات الأخيرة، وهي: «العَلَاقة، والصَّبَابَة، والمودَّة، والشَّغَف، والخُلَّة» من مراتب المحبة، ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، (٣/ ٢٩ – ٣٢).

(٢) أخرجه البخاري، مُحَمَّد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، في صحيحه، تحقيق: مُحَمَّد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، كتاب الصلاة، باب الخوخة والممر في المسجد، الحديث رقم: (٤٦٦)، (١/ ١٠٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق، الحديث رقم: (٢٣٨٢)، (٤/ ١٨٥٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها، والنهي عن اتخاذ القبور مساجد، الحديث رقم: (٥٣٢)، (١/ ٣٧٧).

(٤) ينظر: جامع الرسائل، تقي الدين أحمد ابن تيمية، تحقيق: د. مُحَمَّد رشاد سالم، دار العطاء – الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، ٢٠٠١م، (٢/ ٢٥٦)، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، ابن القيم، (ص: ١٩٠).





المبحث الثاني: مصادر المحبة، وأُسسها في الإسلام

يولي الإسلام أهمية كبرى للمحبة؛ لذا كان لا بد من مصادر يستمد منها المسلمون تلك القيمة العظيمة، والمصادر هي التي تجعل مفهوم المحبة ينطلق من منطلقات صحيحة تميزه عن غيره من الأديان المحرفة والأديان الوَضْعيَّة والفلسفات الوضعية، وهذه المصادر تتميز بأمور فريدة لا تتوفر فيما سواها، كما أن تلك المصادر تغطي جميع جوانب الحياة المحيطة بالإنسان، فإذا أتيت إلى الشعور والإحساس تجد أنه يجد جانبه وكفايته فيها، وإذا أتيت إلى الجانب العملي السلوكي الظاهري تجد كذلك سننا وضوابط تخرج هذا الخلق وتلك القيمة إلى الواقع، كما أن تلك المصادر توصل المحبة كمفهوم وقيمة إلى أسس ينبني عليها ابتداء، ويتشكل على صورتها النهائية انتهاء، وغالبا ما تكون تلك الأسس تنبعث من عقيدة المسلم وفطرته والعلم بها وزيادة التحصيل فيها، وتجعل تلك الأسس الأمر واضحا للمسلم غير موهم، خصوصا إذا كنا نتكلم عن أمر مهم ينبعث من داخل الشعور والفطرة كأمر المحبة، فأمرها عظيم ومهم ومستلزم للوضوح والاعتقاد الصحيح السليم الخالي من الشوائب، وفي هذا المبحث سنتطرق إلى تلك الأمرين المهمين، وهما: المصادر والأسس، ونتطرق لتعدادها وكيف تطرق الإسلام لها.

ويندرج تحت هذا المبحث مطلبان:

المطلب الأول: مصادر المحبة في الإسلام.

المطلب الثاني: أسس المحبة في الإسلام.





المطلب الأول: مصادر المحبة في الإسلام

من خلال الاطلاع والبحث، تبين أن للمحبة جملة من المصادر التي يستمد منها المسلم المفهوم الواضح، والقيمة البيّنَة للمحبَّة، وقد توصَّلْت إلى أنها أربعة مصادر يمكن استمداد المحبة منها، وهي:

المصدر الأول: الدِّين.

المصدر الثاني: العَقْل.

المصدر الثالث: الفِطْرة.

المصدر الرابع: العُرْف.

وتتميز تلك المصادر في الإسلام بالآتي:

١- اشتمالها على كل الجوانب المحيطة بالمحبة، والمتعلقة بعَلاقة الإنسان وشعوره الداخليّ لها.

٢- واقعية تلك المصادر، وقبول العقل والسلوك لها، فالدِّين هو المصدر الذي يربط الإنسان بخالقِه؛ لاشتماله على الوحي من الله، والتوجيه من النبي ﷺ، كما أن العقل هو من الأمور التي تمكِّن المسلم من استيعاب المحبة وتفاصيلها، وبالنظر للفطرة فإن أهميتها وواقعيتها تتجلى في انبعاث الشعور الداخلي ومنشئه، أمَّا العُرْف فهو ما يستحسنه المرء من خلال البيئة المحيطة، والوسط الذي يعيش فيه، ويتربى بين جنباته.

٣- احتواء تلك المصادر على توجيهات منطقية وواقعية، بإمكانها تحويل المحبة من مجرد أمرٍ شعوري داخلي، إلى سلوكٍ عملي تطبيقيٍّ، يظهر للعيان والمشاهدة.

وسأُفَصِّل في بيان كُلِّ مصدرٍ من هذه المصادر، وكيفية استمداد المحبة منه.

المصدر الأول: الدِّين.

يَستمد المسلمون المحبة من الدين من خلال ثلاثة مصادر، وهي: القرآن الكريم، والسنة النبوية، وإجماع سلف الأمة، وتفصيلها الآتي:

١/ القرآن الكريم:

إنَّ الناظر في كتاب الله يرى الكثير من الآيات التي تدلُّ على المحبة، والتي قاربت الثمانين موضعًا، وتدلُّ تلك المواضع على إثبات صفة المحبة لله ﷻ، ووجوب محبة العباد لربهم، ووجوب محبة النبي ﷺ، ووجوب محبة المؤمنين بعضهم بعضًا.





وقد أَثْبَتَ اللهُ صفة المحبة له بكتابه العزيز في عدة مواضع، حيث جاءت تلك المواضع بأساليب مختلفة، وطرق متعددة، ومن الأساليب والطرق التي وردت في القرآن الكريم في إثبات صفة المحبة لله سبحانه:

١. استعمال أسلوب إثبات محبة الله لأقوامٍ وأوصافٍ معينة.

٢. استعمال أسلوب نفي محبة الله عن أصناف من خلقه، وأوصافٍ معينة.

٣. ألّا يذكر المحبة نصًّا، وإنما يذكر أحد مراتبها، أو مرادفاتها.

٤. ألّا يعبّر عن المحبة بوصفها هي، بل بذكر نقيض المحبة بألفاظٍ متعدِّدَة، مثل السَّخط والكُره(١).

وتعدُّد هذه الأساليب والطُرق يشير إلى قيمة هذه المحبة؛ حيث وردت بهذا الكَمّ من الذِّكْر.

ومن الأدلة على أسلوب إثبات المحبة:

ذِكْر الأصناف الذين أثبت الله لهم محبته؛ لما فيهم من خير، وهِدَاية، وأخلاق كريمة، وخصالٍ محبَّبَة إليه، وقيامهم بأعمال البر، فكانت سببًا في قبولهم عنده، وتشرُّفهم بنيل محبته ﷻ، وهم: المحسنون، والمتقون، والمتوكلون، والتوابون والمتطهرون، والصابرون، والمقسطون، والمتبعون لرسول الله ﷺ، والمقاتلون في سبيله صفًّا(٢)، حيث بيَّن الله ﷻ محبتهم في كتابه العزيز؛ لما تحمله أوصافهم من خيرٍ، وهداية.-وأُورد هنا بعض الآيات مما ورد في بعض أهل هذه الصفات:

فمما ورد في المحسنين قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٤]، وفي الآية تصريح على محبة الله سبحانه وتعالى للمحسنين.

وقال تعالى عن المتطهرين: ﴿لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة:١٠٨]، فالله سبحانه وتعالى يحب المتطهرين.

(١) ينظر: حقيقة المحبة في العقيدة الإسلامية، رنا أحمد محمد أبو حبيب، (ص: ١٣ – ١٥).

(٢) ينظر: محبة الله عند أهل السنة والجماعة ومخالفيهم، والرد عليهم، مريم بنت علي الحوشاني، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٨هـ، (ص: ٥٨ – ٦١).





وقال تعالى عن المتبعين لرسول الله ﷺ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران:٣١]، وهنا يتضح محبة الله سبحانه وتعالى لمن اتبع سنة الرسول ﷺ.

وغير ذلك من الآيات الدَّالة على محبة الله لهذه الأصناف.

-ومن الأدلة على أسلوب نفي المحبة:

ذِكْر الأصناف الذين لا يحبهم الله، ومنهم: المعتدون، والمفسدون، والكافرون، والخائنون، والخوانون، والآثمون، وغيرهم.

وأُورد هنا بعض الآيات مما ورد في بعض أهل هذه الصفات:

فقد قال الله تعالى عن المعتدين: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة:١٩٠]، وهنا ينفي الله سبحانه وتعالى محبته للمعتدين.

وقال تعالى في نفي حبه عن المفسدين: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة:٢٠٥]، وفي الآية تصريح بنفي الله سبحانه وتعالى حبه للفساد.

وقال تعالى في شأن الكافرين: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران:٣٢]، فالله سبحانه وتعالى ينفي محبته عن الكافرين.

وقال تعالى عن الخائنين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال:٥٨].

وقال تعالى عن الخَوَّانين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [النساء:١٠٧]، وهنا نفي محبة الله للخيانة وأهلها.

-ومن الأدلة على التعبير عن المحبة بأحد مراتبها:

ما ذكره الله عن الود: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج:١٤].

وقال أيضًا:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم:٩٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود:٩٠].





وقد ذَكَرَ السَّعْدي رحمه الله[١] -رابطًا الوُد بالمحبَّة- أَنَّ «مَن تاب وأناب، فإن الله يغفر له ويرحمه، ويحبه، ويتقبل توبته، وذكر في لفظ: (الودود)، أنه من أسماء الله تبارك وتعالى، وأنه يَدُلُّ على أنَّ الله يحب عباده المؤمنين، ويحبونه»[٢].

والشاهد في كلامه رحمه الله: رَبْطُهُ للوُدِّ بالمحبة، وهذا من الأساليب التي تمَّ ذِكْرُها، حيث عبَّر القرآن عن المحبة بأحد مراتبها، ومرادفاتها.

وقد نصَّ ابن القيم رحمه الله على أَنَّ «الوِدَاد هو أعلى مراتب المحبة، وهو خالصها ولُبُّها، والودود من أسماء الرب تعالى»[٣]؛ لذا فهو يدل على المحبة، وإن كانت لم تُذكر نصًّا، وإنما عُبِّر عنها بأحد مرادفاتها.

-ومن الأدلة على التعبير عن نقيض المحبة بألفاظٍ متعددة:

ما ذكره الله سبحانه وتعالى من سَخَطِه وكُرهِه لبعض الصفات، كقوله تعالى: ﴿لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ﴾ [المائدة:٨٠]، وهنا عبَّر سبحانه وتعالى بالسخط، وهو نقيض للمحبة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ﴾ [التوبة:٤٦]، والتعبير بكره الله سبحانه وتعالى لبعض الأفعال، هو نقيض للمحبة.

-ومن الأدلة التي تثبت محبة العباد ربهم سبحانه وتعالى:

قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [آل عمران:٣١].

---

(١) هو أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي الحنبلي الشيخ المفسر، من قبيلة تميم، وُلد في بلدة عُنَيْزة في القَصِيم، في الثاني عشر من المحرم عام سبع وثلاث مائة وألف، له العديد من المصنفات منها: «القواعد الحسان في تفسير القرآن»، و«تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن»، وغير ذلك، مات سنة تسعين وثمان مائة وألف. ينظر: الأعلام، الزركلي، (٣/ ٣٤٠)، معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف، والترجمة والنشر، بيروت — لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م، (١/ ٢٧٩).

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م (ص: ٣٨٨).

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، (٣/ ٢٩).



وقولـــه تعـــالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة:٥٤].

-ومن الأدلة على وجوب محبة النبي ﷺ:

قولـه تعـالى: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ﴾ [التوبة:٢٤].

-ومن الأدلة على إثبات محبة المؤمنين بعضهم:

قولـــه تعـــالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [الأنفال:٦٣]، والتأليف بين القلوب يلزم منه المحبة.

وقوله تعالى: ﴿فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾ [آل عمران:١٠٣]، والأخوة لها ارتباط وثيق بالمحبة.

وقولـه تعـالى: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [التوبة:٧١]، والولاية بين المؤمنين تكون بالمحبة.

٢/ السنة النبوية:

تزخر السنة النبوية بأحاديث كثيرة تتحدث عن مفهوم المحبة، وقد شملت تلك المواضع جوانب المحبة، فهي تشمل محبة الله عباده المؤمنين، ومحبتهم إياه ﷻ، ومحبة الرسول ﷺ، ومحبة بعضهم بعض، حيث إن هذه الأحاديث تقرر المحبة من جميع جوانبها وطُرُقِها.

ومما ورد في السنة من إثبات صفة محبة الله ﷻ عباده على الوجه الذي يليق به:

ما رواه أبو هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ، قَالَ



فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: فَيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ»[١].

وفي الحديث إشارة إلى أن المحبة من الله يبتدؤها[٢]، وابتداء الله ﷻ للمحبة إنما يُعْلي من شأنها، ويُظهر مدى وجوب إثباتها له سبحانه وعدم نفيها عنه.

ومن ذلك: ما رواه أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله تعالى قال: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ ...»[٣].

وهذا الحديث نصٌّ صريحٌ في محبة الله لعباده المؤمنين.

ومن أدلة محبة الله عباده، وحُبِّ عباده له، ومحبة الرسول ﷺ:

ما رواه سهل بن سعد ﷺ[٤] أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُفْتَحُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»، فَبَاتَ النَّاسُ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَى، فَغَدَوْا كُلُّهُمْ يَرْجُوهُ، فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيٌّ؟»، فَقِيلَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ فَقَالَ: أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، الحديث رقم: (٣٢٠٩) (٤/ ١١١)، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أحب الله عبدا حببه لعباده، الحديث رقم: (٢٦٣٧)، (٤/ ٢٠٣٠).

(٢) ينظر: حقيقة المحبة في العقيدة الإسلامية، رنا أحمد محمد أبو حبيب، (ص: ١٥ – ١٦).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب التواضع، الحديث رقم: (٦٥٠٢)، (٨/ ١٠٥).

(٤) هو سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري الساعدي، يكنى: أبا العباس، وقيل: أبو يحيى، وكان اسمه حزنا، فسماه رسول الله ﷺ سهلا، وروى عن: النبي ﷺ، وعن أبي، وعاصم بن عدي، وعمرو بن عبسة، وغيرهم. وروى عنه: الزهري، وأبو حازم، وابنه عباس بن سهل، وغيرهم. واختلف في وقت وفاته فقيل: توفي سنة ثمان وثمانين، وهو ابن ست وتسعين سنة. وقيل: توفي سنة إحدى وتسعين، وقد بلغ مائة سنة، وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة. ينظر: الاستيعاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢م (٢/ ٦٦٤)، الإصابة، ابن حجر، (٣/ ١٦٧).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم على يديه رجل، الحديث رقم: (٣٠٠٩)، (٤/ ٦٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ، الحديث رقم: (٢٤٠٦)، (٤/ ١٨٧٢).



والنبي ﷺ أثبت في هذا الحديث محبة علي بن أبي طالب رضي الله عنه لله عز وجل، ومحبة الله عز وجل لعلي رضي الله عنه، ومحبة علي رضي الله عنه للنبي ﷺ، ومحبة النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه، وهذا جمع لأنواع كثيرة من المحبة في موضع واحد من السنة النبوية.

وقد وردت أحاديث تدل على حب الله لأفعالٍ وكرهه لأفعال:

فعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ العُطَاسَ، وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ، فَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ، فَحَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يُشَمِّتَهُ، وَأَمَّا التَّثَاؤُبُ: فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَلْيَرُدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِذَا قَالَ: هَا، ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ»(١).

والعطاس والتثاؤب إنما هما فعلان، وحب الله للعطاس يثبت أنه سبحانه لا يقتصر حبه للعباد فقط، وإنما يحب حتى الأفعال.

ومما يحبه الله عز وجل كذلك من الأفعال: (الرفق)، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: «دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ اليَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ، فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ: عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَ لَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَقَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ»(٢).

ومن أدلة محبة النبي ﷺ:

ما رواه عبد الله بن هشام رضي الله عنه(٣)، قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لاَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ» فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الآنَ، وَاللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الآنَ يَا عُمَرُ»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب، باب ما يستحب من العطاس وما يكره من التثاؤب، الحديث رقم: (٦٢٢٣)، (٨/ ٤٩)، ومسلم في صحيحه كتاب الزهد والرقائق، باب تشميت العاطس، وكراهة التثاؤب، الحديث رقم: (٢٩٩٤)، (٤/ ٢٢٩٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، باب: كيف يرد على أهل الذمة السلام، الحديث رقم: (٦٢٥٦)، (٨/ ٥٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم، الحديث رقم: (٢١٦٥)، (٤/ ١٧٠٦).

(٣) هو عبد الله بن هشام بن زهرة بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة القرشي التيمي. له ولأبيه صحبة. روى عن: النبي ﷺ، وروى عنه حفيده أبو عقيل زهرة بن معبد. يعد في أهل الحجاز، كان مولده سنة أربع، وذهبت به أمه زينب بنت حميد إلى النبي ﷺ وهو صغير، فمسح رأسه، ودعا له، ولم يبايعه لصغره. وسكن المدينة. ينظر: الاستيعاب، ابن عبد البر، (٣/ ١٠٠٠)، الإصابة، ابن حجر، (٤/ ٢١٧).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه، الحديث رقم: (٣٦٩٤)، (٥/ ١٣)، وفي كتاب الاستئذان، باب المصافحة (٦٢٦٤) (٨/ ٥٩) ، وفي كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ، الحديث رقم: (٦٦٣٢)، (٨/ ١٢٩).



ومن أدلة محبة المؤمنين بعضهم لبعض:

ما رواه أبو حمزة أنس بن مالك رضي الله عنه خادم رسول الله ﷺ، عن النبي ﷺ قال «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[١].

وهذه المحبة هي محبة الإيمان، التي تربط بين قلوب المؤمنين بعضهم ببعض.

وكما مَنَّ الله سبحانه وتعالى على عباده وبين لهم ما يحب وما لا يحب في كتابه العزيز، كذلك بين لهم رسوله الكريم ﷺ ما يحبه الله عز وجل وما لا يحبه من العباد والأعمال والخصال.

وفي بيان الكتاب والسنة وتفصيلهما للمحبة وما يحبه الله سبحانه وتعالى وما لا يحبه؛ دليل على إثبات صفة المحبة لله عز وجل، فيجب إثباتها له كغيرها من الصفات من غير تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل[٢]، كما أن ذلك التفصيل في المحبة يجعلها تتبوأ مكانة عالية في دين الإسلام، حيث إن الله أثبتها لنفسه، بل وبين ما يحب وما لا يحب سبحانه وتعالى، وشمل بيانه العباد والصفات والأفعال وغيرها، وكذلك بيَّن رسول الله ﷺ ما يحبه الله وما لا يحبه.

٣/ إجماع سلف الأمة:

يعتبر إجماع سلف الأمة أحد المصادر التي يستقي منها المسلمون مسائلهم في المحبة، وخصوصًا ما حدث فيه اختلاف أو خروج وجنوح من أحد المذاهب أو الطرق التي تنسب نفسها للإسلام، كما أن سلف الأمة كانت المحبة تتمثل في حياتهم وتصرفاتهم، وما ذاك إلا امتثالًا لما تعلموه من كلام الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه محمَّد ﷺ.

لذا فإن إجماع سلف الأمة وإيضاحهم لمراد الله ومراد رسوله ﷺ أحد الأمور التي يحفظ الله بها الدين، "ففهم السلف للنص الشرعي يعتبر حجة بدليل القرآن والسنة وأقوال العلماء"[٣]، وقد قال تعالى موضحًا جزاء من يخالف سبيل المؤمنين، ويخرج عنه -إما برأي شاذ، أو هوى متبع، أو طريقة جديدة على غير هدى من الله-: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، الحديث رقم: (١٣)، (١/ ١٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، الحديث رقم: (٤٥)، (١/ ٦٧).

(٢) ينظر: محبة الله عند أهل السنة والجماعة ومخالفيهم والرد عليهم، مريم بنت علي الحوشاني، (ص: ٦٦).

(٣) فهم السلف الصالح للنص الشرعي (تعريفه – أهميته – حجيته – قواعده – نماذجه)، أ.د. نادر بن بهار العتيبي، مؤتمر النص الشرعي (القضايا والمنهج)، جامعة القصيم، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، المجلد (٢)، ٢٠١٦م، (ص: ١١١).





لذا فسبيل المؤمنين، وإجماعهم، وسيرهم على طريق واحد، يعتبر أحد الأمور التي يَرجع إليها مَن التبس عليه أمر من أمور الدين، والمحبة هي مِن الأمور التي خرج فيها بعضٌ من الجماعات والفرق؛ لذا كان سلف الأمة وأقوالهم أحد المرتكزات التي أوضحت هذا الالتباس والاشتباه، الذي تم إثارته وتلبيسه على عامة المسلمين.

والمطلع على منهج السلف في إثبات صفة المحبة لله ﷻ، فإنه يرى أنهم يثبتون صفة المحبة لله بعدة طرق، منها:

- **أولًا**: في معرض حديثهم عن تفسير بعض الآيات، حيث تورد الإثباتات لهذه الصفة داخل تلك التفسيرات، والسبب في إيرادها ضمنًا للتفسير، كونهم يعدون إثباتها أمرًا لازمًا لا يحتاج إلى تقرير أو مزيد من التأكيد.
- **ثانيًا**: قد يثبتون صفة المحبة في سياق حديثهم عند تقرير مسألة من المسائل في العقيدة.
- **ثالثًا**: قد يَرِد هذا الإثبات عند حثهم وترغيبهم في فعل أمر من أمور الدين والحث عليه، حيث تتبوأ محبة الله في نفوس الناس منزلة عظيمة، استحقت أن تكون أحد البواعث للعمل لله ﷻ.
- **رابعًا**: من الطرق التي تَرِد فيها تلك التقريرات والإثباتات، أثناء دعائهم وصلواتهم.
- **خامسًا**: في فتاويهم وأجوبتهم لمن سألهم عن المحبة نصٌّ صريحٌ، أو عن صفة تدور حولها[١]، وهذا يدل على أنهم ﷺ مهتمون أشد الاهتمام في الإفتاء للناس والتبصير لهم في المسائل المهمة التي تمس أمور الناس وقلوبهم كأمر المحبة.

وأستعرض هنا قولا من تلك الأقوال التي أثبت فيها السلف هذه الصفة:

فقد وَرَدَ عن أبي هريرة ﷺ؛ أن مروان[٢] دخل عليه في مرضه الذي مات فيه، فقال: شفاك الله يا أبا هريرة، فقال أبو هريرة: اللهم إني أحب لقاءك فأحب لقائي، فما بلغ مروان أصحاب القطا[٣] حتى

(١) ينظر: محبة الله عند أهل السنة والجماعة ومخالفيهم والرد عليهم، مريم بنت علي الحوشاني، (ص: ٧٦).

(٢) هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الأموي، أبو عبد الملك، ويقال: أبو القاسم، ويقال: أبو الحكم المدني. أمه أم عثمان آمنة بنت علقمة بن صفوان الكناني. ولد بعد الهجرة بسنتين، وقيل: بأربع، ولم يصح له سماع من النبي ﷺ.مات بدمشق في رمضان سنة خمس وستين، وهو ابن ثلاث وستين، وقيل: ابن إحدى وستين. ينظر: الاستيعاب، ابن عبد البر، (٣/ ١٣٨٧)، تهذيب الكمال، المزي، (٢٧/ ٣٨٧)، تقريب التهذيب، ابن حجر، (ص: ٥٢٥).

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد، (٤/ ٢٥٣)، والمحتضرين، أبو بكر عبد الله بن محمد البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا، تحقيق، محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم - بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، (ص: ٢١٠).





مات أبو هريرة[١]، وأبو هريرة رضي الله عنه يتأوّل حديث النبي ﷺ الذي قال فيه: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ»[٢][٣].

والإشارة هنا من أبي هريرة رضي الله عنه تبين مدى التزام الصحابة رضوان الله عليهم -وهم من سلف الأمة- بما أثبته ﷺ لربه، بل ويبين مدى اقتدائهم بتلك الإثباتات والتقريرات، ويشير أيضا إلى إثبات محبة العباد لربهم.

والخلاصة أن أقوال السلف بعمومها تدل دلالة واضحة على أنهم رحمهم الله أثبتوا كل صفات الله عز وجل، وإثباتهم لها إنما ينبع عن فهم لمعانيها، وأنهم أجروها على ظاهرها، وصفة المحبة من تلك الصفات[٤]، وهذا الإجماع الذي حدث إنما هو من أكبر النعم التي امتنَّ بها على أمة الإسلام، حيث جنبهم بهذا الإجماع شرورًا كبيرة وفسادًا عظيما في دينهم، بل حفظ لهم صفة عظيمة لله تبارك وتعالى، هي صفة المحبة؛ لذا فقد قدَّمت الجانب العقدي في كون السلف الصالح هم أحد مصادر المحبة في الإسلام، كونه الجانب الأكبر والأظهر في اعتبارهم مصدرا من مصادر المحبة.

المصدر الثاني: العقل.

يُعَدُّ العقل هو المصدر الثاني للمحبة في الإسلام بعد الدين، ولَعلِّي هنا أركز على نوعين من المحبة لهما شأن كبير مع العقل، وما سوى هذين النوعين قد لا يحتاج للحديث عنه لظهور المصلحة منه، والنوعان اللذان أسعى للحديث عنهما هما: محبة الله لعباده، ومحبة العباد لله، وكيف يعد الإسلام العقل مصدرًا لهما.

ذكر ابن القيم رحمه الله أن كل صفة في القرآن الكريم قد دل السمع الصحيح والعقل الصريح على إثباتها لله تبارك وتعالى، وبذلك يكون قد تواطأ عليها دليل السمع ودليل العقل معًا، وبين أنه لا يمكن أن يعارض بثبوتها دليل صحيح، سواء كان هذا الدليل عقليًّا أو سمعيًّا، وفي حال خروج دليل معارض، فإن كان هذا المعارض من قبيل الأدلة السمعية، فإنه لا يعدو كونه من أمرين:

---

(١) أصحاب القطا: هم أصحاب القطن الذين يبيعون القطن بسوق القطانين، وهو: سوق بالقدس الشريف مجاور لباب المسجد من جهة الغرب، وهو سوق في غاية الارتفاع والإتقان. ينظر: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي الحنبلي، تحقيق: دنان يونس عبد المجيد نباتة، مكتبة دنديس- عمان، (٢/ ٥٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، الحديث رقم: (٦٥٠٧)، (٨/ ١٠٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، الحديث رقم: (٢٦٨٣)، (٤/ ٢٠٦٥) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٣) محبة الله عند أهل السنة والجماعة ومخالفيهم والرد عليهم، مريم بنت علي الحوشاني، (ص: ٧٥).

(٤) ينظر: المرجع السابق، (ص: ٧٢).





الأول: إما أن يكون الدليل السمعي المعارض من قبيل الكذب المفترى أصلًا.

الثاني: أو يكون من قبيل الفهم الخاطئ من المعارض.

وإن كان الدليل المعارض الذي خرج من قبيل الأدلة العقلية، فإنه لا يعدو كونه من قبيل الشبه الوهمية الخيالية التي لا دليل عقلي برهاني عليها[1]، وإيراده رحمه الله للعقل وأنه يثبت صفات الله تبارك وتعالى، إشارة إلى أن أهل الإسلام لم يغفلوا جانب العقل بجانب الأدلة من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة رحمهم الله، إذ يوردون تلك الأدلة العقلية إلى جانب إيرادهم الأدلة الأخرى بيانًا منهم رحمهم الله على الاهتمام بهذا الجانب.

ومن نفى من صفات الله تبارك وتعالى شيئا، فإنه -عقلًا- ينفي كمال الرب تبارك وتعالى، وقد أشار ابن القيم رحمه الله إلى هذا المعنى، حيث أشار إلى أن الله سبحانه ذكر في كتابه العزيز إثبات الصفات لنفسه في مواطن كثيرة، وبين أن ما وصف به نفسه تبارك وتعالى هو الكمال الذي لا ينبغي لسواه، فمن جحد شيئًا من تلك الصفات فهو جاحد لكمال الله تبارك وتعالى، فالواجب أنه يمدح بكل صفة وصف بها نفسه، ومجّد بها نفسه، وأثنى بها على نفسه، وحمد بها نفسه، فذكرها تبارك وتعالى على وجه التعظيم والمدح له[2]، والربط العقلي هنا هو أن نفي صفة من صفات الله هو نفي لكماله تبارك وتعالى، حيث إن الصفة التي أثبتها الله لنفسه مقترنة بذكره لكماله تبارك وتعالى، ويتجلَّى ذلك في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، وصفة محبته تبارك وتعالى هي إحدى الصفات التي يجري عليها هذا الكلام.

وأشار ابن القيم رحمه الله إلى: أن الله تبارك وتعالى أثبت صفاته وأفعاله بطريق المعقول، فَفَطِنت لهذا الاستدلال العقول الحية، واستمرت العقول الميتة على رقدتها، فقال الله تعالى في صفة العلم: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤]، فتأمل صحة هذا الدليل مع غاية إيجاز لفظه واختصاره، وقال سبحانه في صفة الخلق: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۗ﴾ [النحل:١٧]، فما أصح هذا الدليل وما أوجزه، وقال تعالى في صفة الكلام: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾ [الأعراف:١٤٨]، وهذا الدليل الأخير فيه إشارة وتنبيه عقلي من الله تبارك وتعالى، بأن الإله الذي لا يكلم ولا يهدي، لا يصلح أن يكون إلها[3]، واستنباط ابن القيم رحمه الله من هذه الآيات بأن الله تبارك وتعالى يثبت صفاته التي تليق به من جانب

---

(١) ينظر: الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ، (٣/ ٩٠٩).

(٢) ينظر: المرجع السابق، (٣/ ٩٠٩).

(٣) ينظر: المرجع السابق، (٣/ ٩١٤).





العقل، يبيّن اهتمام الإسلام بجانب العقل وعدم إغفاله، خصوصا وأنه أسلوب تمّ استعماله في القرآن الكريم في إثبات صفات الله ﷻ.

وقد اهتم ابن القيم رحمه الله بجانب إثبات صفة المحبة لله ﷻ بالأدلة العقلية، فمن ذلك ما ذكره من أن صفة المحبة والرضى والفرح والغضب والبغض والسخط، إذا ما أُثبِتت لله ﷻ، فإن هذا من أعظم صفات الكمال له سبحانه، واستدل بدليل عقلي يشير إلى أن إثبات هذه الصفات هو من باب إثبات الكمال، ودليله أنَّا إذا فرضنا أن هناك ذاتين:

الأولى: لا تحب شيئا، ولا تبغضه، ولا ترضاه، ولا تفرح به، ولا تمقته، ولا تكرهه.

الثانية: تحب وتبغض، وترضى وتفرح، وتسخط وتكره، فأي الذاتين تستحق أن توصف بالكمال؟[١]، لا شك أن الذات التي تحب وتكره وتغضب وتفرح هي من توصف بالكمال، عن الأخرى التي لا تحب ولا تكره ولا ترضى ولا تفرح.

ومما استشهد به ابن القيم رحمه الله في إثبات المحبة عقلًا، بأن انقسام الكون في أفعاله وصفاته وأعيانه إلى محبوب لله ﷻ ومرضي له، ومسخوط مبغوض له مكروه له، هو من الأمور المعلومة بكافة أنواع الأدلة، العقلية والنقلية، والفطرية والاعتبارية، فمن سوّى بين ذلك كله، فإنه لا شك قد خالف فطرة الله التي فطر الناس عليها، وخالف بتلك التسوية المعقول والمنقول، وخرج وشذَّ عما جاءت به الرسل[٢].

ومما ذكره رحمه الله في تقرير إثبات المحبة عقلًا أن جميع طرق الأدلة -عقلًا ونقلًا وفطرة، وقياسًا واعتبارًا- إنما تشير وتدل على إثبات محبة العبد لربه، والرب لعبده، وأن كل من أنكر ذلك، فهو ينكر خاصة الخلق والأمر، وينكر أيضا الغاية التي وجدوا من أجلها، وقد عزا رحمه الله سبب ربطه بمن أنكر المحبة بأنه ينكر كل ذلك، إلى أن الخلق والأمر، والثواب، والعقاب، كل ذلك إنما نشأ عن المحبة ولأجلها[٣]، إذ لو افترضنا أنه ليس هناك محبة من الله للعباد، ومن العباد لله، فإنه لا معنى للخلق ولا للثواب ولا للعقاب.

قال ابن عثيمين رحمه الله[٤]: «ويجب أن يكون اعتمادنا في الأمور الغيبية على الأدلة السمعية، لكن لا مانع من أن نستدل بأدلة عقلية، لإلزام من أنكر أن تكون المحبة ثابتة بالأدلة العقلية، مثل الأشاعرة،

---

(١) ينظر: المرجع السابق، (٤/ ١٤٥١).

(٢) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، (١/ ٢٦٨)

(٣) ينظر: المرجع السابق، (٣/ ٢٠).

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن صالح بن محمد عثيمين المقبل الوهيبي التميمي، عالم وفقيه سعودي، وأستاذ في كلية الشريعة بفرع جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية في منطقة القصيم، وعضو هيئة كبار العلماء. ولد في عنيزة بمنطقة القصيم سنة سبع وأربعين وثلاث مائة وألف من الهجرة، وتوفي رحمه الله سنة إحدى وعشرين وأربع مائة وألف من الهجرة. ينظر: ابن عثيمين الإمام الزاهد، ناصر بن مسفر الزهراني، الطبعة: الأولى، دار ابن الجوزي، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، (ص: ٢٧-٣٥).





يقولون: لا يمكن أن تثبت المحبة بين الله وبين العبد أبدًا؛ لأن العقل لا يدل عليها، وكل ما لا يدل عليه العقل، فإنه يجب أن ننزه الله عنه، فنحن نقول: نثبت المحبة بالأدلة العقلية، كما هي ثابتة عندنا بالأدلة السمعية، احتجاجًا على من أنكر ثبوتها بالعقل»(١).

وما سقتُه من الأدلة العقلية في إثبات محبة الله لعباده، ومحبة العباد لله، إنما يظهر اهتمام المسلمين بالأدلة العقلية في إثبات المحبة، بل في إثبات صفات الله ﷻ كلها، وهو من الأمور التي استعملها القرآن الكريم في إثبات صفات الله ﷻ، واستعملها كذلك سلف الأمة في التقرير والرد على من أنكره وخالف إجماع المسلمين، ومن لازم إثبات محبة الله لعباده، ومحبة العباد لربهم، هو إثبات المحبة بين المؤمنين بعضهم بعضا، إذ أن إثباتها لله ﷻ واعتبارها من صفات الكمال هو من الصفات التي يحث عليها الشرع ويندب إليها؛ لذا فهي في حق المؤمنين بين أنفسهم أولى وأحرى.

المصدر الثالث: الفِطْرَة.

والفِطرة هي: «الخِلقة التي خلق الله عباده عليها، وجعلهم مفطورين عليها، على محبة الخير وإيثاره، وكراهة الشر ودفعه، وفطرهم حنفاء مستعدين لقبول الخير والإخلاص لله، والتقرب إليه»(٢).

ويتبين من خلال هذا التعريف أن الفطرة ترتبط بالمحبة من وجهين:

١- ورود لفظ المحبة في تعريف الفطرة، فهي محبة الخير وإيثاره، فالمحبة تنوب أحيانا عن لفظ الفطرة.

٢- قبول الخير والإخلاص لله والتقرب إليه، تعتبر المحبة من أعظم الدوافع الفطرية الداخلية لتحقيقه والقيام به.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن في الفطرة قوة موجبة لحب الله، والذل له وإخلاص الدين له، فكل حركة إرادية فإن الموجب لها قوة في المريد، فإذا أمكن في الإنسان أن يحب الله ويعبده ويخلص له الدين كان فيه قوة تقتضي ذلك، إذ الأفعال الإرادية لا يكون سببها إلا من نفس الحي المريد الفاعل، ولا يشترط في إرادته إلا مجرد الشعور بالمراد، فما في النفوس من قوة المحبة له إذا شعرت به، يقتضي حبه إذا لم يحصل معارض، وهذا موجود في محبة الأطعمة والأشربة والنكاح ومحبة العلم وغير ذلك، وإذا كان كذلك وقد ثبت أن في النفس قوة المحبة لله والذل له وإخلاص الدين له وأن فيها قوة الشعور به لزم قطعا وجود المحبة فيها والذل بالفعل لوجود المقتضى الموجب إذا سلم عن المعارض، والمحبة مشروطة بالعلم، فإن ما لا

---

(١) شرح العقيدة الواسطية، للشيخ محمد بن صالح بن محمد العثيمين، خرج أحاديثه واعتنى به: سعد بن فواز الصميل، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: السادسة، ١٤٢١ هـ، (ص: ٢٤٠ -٢٤١).

(٢) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٣هـ، (ص: ٥١).





يشعر به الإنسان لا يحبه، والحب للمحبوبات لا يكون بسبب من خارج، بل هو جبلي فطري، وأيضا فإذا كانت المحبة فطرية -وهي مشروطة بالشعور- لزم أن يكون الشعور أيضا فطريًّا، والمحبة له أيضا فطرية؛ لأنها لو لم تكن فطرية لكانت النفس قابلة لها ولضدها على السواء، وهذا ممتنع[1].

ومما يستنبط من كلامه رحمه الله في كون المحبة فطرية ما يلي:

١- وَصفُهُ للفطرة بأنها القوة الموجبة لمحبة الله، فلفظ المحبة ملتصق غالبًا بلفظ الفطرة، كونها فطرية داخلية، وتنشأ من الداخل قبل أن تخرج للظاهر بصيغة عمل أو طاعة.

٢- أن المحبة هي أحد دوافع الفطرة، فمن أحب شيئًا عمل له، وأخلص وبذل من أجله، ومحبة الله هي أكبر محرك ودافع للعمل والإخلاص له سبحانه.

٣- أن الفطرة والمحبة هي أمر ينشأ داخل الإنسان، ويكون لها أثر خارجي يدل على نشأتها ووجودها، ألا وهو السلوك، فأي فعل -من إرادة الإنسان- يقتضي أن يكون له دافع داخلي، ومنبع شعوري، فهو الفطرة والمحبة له.

٤- الفطرة يسندها العلم، فهي تنمو كلما ازداد الإنسان علمًا بما فُطِر عليه، والمحبة تنمو كلما ازداد الإنسان معرفة بالشيء، فكما أن الفطرة تنمو بالعلم، فالمحبة توازي الفطرة في هذا النمو، فالمسلم فُطر على محبة الله، وتدفعه هذه الفطرة للعلم بالله والإقرار به، فتنمو عنده الفِطر بمقدار نمو العلم بالله، والمحبة موازية للفطرة، فكلما ازداد علمه بالله ازدادت محبته له.

٥- ارتباط الشعور بالفطرة والمحبة، فما لا يشعر به الإنسان لا يمكن أن يحبه، والفطرة لا يمكن أن تكون في أمر يجهله الإنسان، ففطرة الإنسان على محبة الله هي بسبب شعور الإنسان بالله، وكلما ازداد شعورًا بعلم الله وإحاطته وقدرته؛ ازدادت محبته له سبحانه.

المصدر الرابع: العُرْف.

العُـرْفُ: ضـد النُّكـر. والمعـروف: ضـد المنكـر. يقـال: أَوْلاه عُرفًـا أي: مَعْروفًـا، والمعـروف والعَارِفَـةُ: خلاف النُّكر. والعُرْفُ والمعروف: الجُود، وقيل: هو اسم ما تبْذُلُه وتُسْديه.

والعرف هو: كل ما تعرفه النفس من الخير، وتبسأ به -أي: تُسَرُّ- وتطمئن إليه، والمعروف: هو ما يستحسن من الأفعال[2].

---

(١) ينظر: درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، أحمد بن عبد السلام بن تيمية، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، (٨/ ٤٤٩ -٤٥١).

(٢) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، (٩ /٢٣٩).



قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وإذا كانت المحبة والإرادة أصل كل عمل وحركة -وأعظمها في الحق محبة الله وإرادته بعبادته وحده لا شريك له، وأعظمها في الباطل أن يتخذ الناس من دون الله أندادًا يحبونهم كحب الله ويجعلون له عدلًا وشريكًا- علم أن المحبة والإرادة أصل كل دين -سواء كان دينًا صالحًا أو دينًا فاسدًا- فإن الدين هو من الأعمال الباطنة والظاهرة، والمحبة والإرادة أصل ذلك كله، والدين هو الطاعة والعبادة والخلق، فهو الطاعة الدائمة اللازمة التي قد صارت عادة وخلقًا، بخلاف الطاعة مرة واحدة، ولهذا فسر الدين بالعادة والخلق، ويفسر الخلق بالدين أيضا كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]»[١].

وربطُ كلامه رحمه الله بالعرف في المحبة يتجلى في جملة من الأمور:

١- أن المحبة والإرادة في الإسلام مرتبطان بكل عمل وحركة؛ لذا فارتباطها بجميع الأعمال والحركات يجعلها داخل الشعور عُرفًا بشكل تلقائي لا إرادي.

٢- أن الأعمال التي يقوم بها المسلم من الطاعات والعبادات منشؤها هو محبة الله سبحانه وتعالى؛ لذا كان من العُرف داخل الذهن ربط كل عمل يقوم به الإنسان لله جل وعلا بالمحبة والتعظيم، وعلو المنزلة لله سبحانه وتعالى في قلب هذا العبد.

٣- أن من يقوم بعمل يشرك به مع الله أحدًا، فإنه في العرف يساوي محبة الله بمحبة غيره.

٤- أن الدين الذي يعتقده الإنسان، أو يدين به، تدفعه تلك الديانة إلى محبته، وتدفعه المحبة إلى إرادة البذل والعمل من أجله، والدين هو الطاعة والعبادة والخلق التي تُلزم من يدين به، فتصير تلك الأعمال والأفعال الدينية عُرفًا داخل الإنسان؛ للزومها ومحبتها في ذهنه، فترتبط المحبة بالعُرف من هذا الجانب.

(١) قاعدة في المحبة، ابن تيمية، (ص: ٣١ -٣٢).



المطلب الثاني: أسس المحبة في الإسلام

تتبوأ المحبة مكانة عالية في دين الإسلام، وهذه المكانة استمدتها من كونها تتعلق بأعظم الأمور التي ينبني عليها الدين، فأول هذه الأمور العظام هو أنها تتعلق بالله ﷻ، فقد أثبتها الله لنفسه، فهي من صفاته ﷻ، وكذلك أثبت ﷻ أنه يحب عباده المؤمنين، وأمر عباده المؤمنين بأن يحبوه ﷻ محبة تليق به، وربط محبتهم له بالعمل والعبادة له سبحانه، وليس مجرد الأقوال دون الأفعال، كما أمرهم بمحبة رسوله ﷺ محبة فوق محبة النفس، ويندرج تحتها اتباعه ﷺ وتصديقه فيما أخبر به عن ربه ﷻ، كما أن المحبة تتبوأ تلك المكانة أيضًا لأن الله ﷻ قد بين في كتابه وكذلك رسوله ﷺ قد بين في سنته أن المحبة بين العباد بعضهم بعضًا واجبة، وأنها مرتبطة بالإيمان، بل هي أكبر علاماته ودلالاته، كل هذا دعاني إلى صياغة تلك الأمور المهمة تحت بند الأسس التي قامت عليها المحبة في الإسلام، وقد قسمتها إلى خمسة أسس –وبالله التوفيق–، وهي:

الأساس الأول: إثبات صفة المحبة لله ﷻ.

الأساس الثاني: تقديم محبة الله على كل شيء.

الأساس الثالث: ارتباط محبة الله بالعبادة، والعمل.

الأساس الرابع: محبة الرسول ﷺ فوق محبة النفس.

الأساس الخامس: الحث على المحبة بين المؤمنين، وتعظيم شأنها.

وقد اجتهدت في ترتيب تلك الأسس على هذا النحو بناء على أهمية كل أساس وأولويته.

الأساس الأول: إثبات صفة المحبة لله ﷻ:

يثبت أهل السنة والجماعة صفات الله ﷻ إثباتًا حقيقيًّا من غير تكييف ولا تعطيل، ولا تشبيه ولا تمثيل، والإيمان بالله وأسمائه وصفاته ركن من أركان الإيمان بالله ﷻ، دلنا على ذلك المولى سبحانه، فقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠]، وقال تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، وأرشدنا إليه رسول الله ﷺ فقال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ»[1]، وقد ذكر

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار، والشروط التي يتعارفها الناس بينهم، وإذا قال: مائة إلا واحدة أو ثنتين، الحديث رقم: (٢٧٣٦)، (٣/ ١٩٨)، وفي كتاب الدعوات، باب: لله مائة اسم غير واحد، الحديث رقم: (٦٤١٠)، (٨/ ٨٧)، وفي كتاب التوحيد، باب إن لله مائة اسم إلا واحدا، الحديث رقم: (٧٣٩٢)، (٩/ ١١٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، الحديث رقم: (٢٦٧٧)، (٤/ ٢٠٦٢).





ابن عبد البر رحمه الله[١] أن أهل السنة مجموعون ومتفقون على الإقرار بكل الصفات الواردة في القرآن والإيمان بها، وأشار إلى أنهم يحملونها على الحقيقة لا على المجاز، دون تكييف شيء منها، ولا يحدون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فهؤلاء كلهم ينكرونها ولا يحملون شيئًا منها على الحقيقة، بل ويزعمون أن من أقر بهذه الصفات مُشَبِّهة، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود. والحق: فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله، وهم أئمة الجماعة[٢].

وذكر ابن القيم رحمه الله أن جميع الطرق والأدلة -عقلًا ونقلًا وفطرة، وقياسًا واعتبارًا، وذوقًا ووجدًا- تثبت محبة العبد لربه، والرب لعبده[٣]، وقد ردَّ رحمه الله على من قال بأن آيات الصفات من المتشابهات وليست من المحكمات، وبيّن أنه لم يُعرَف عن أحد من الصحابة قط أن آيات الصفات من المتشابهات، بل المنقول عنهم يدل على خلاف ذلك، والذي عُهِد عنهم بأنه لم يحدث بينهم تنازع في شيء منها، فكيف تكون متشابهة عندهم[٤]، وعدم تنازع الصحابة في آيات الصفات إنما هو دليل على أنها من المحكمات عندهم رضوان الله عليهم.

وفي شأن صفة المحبة خصوصًا، ذهب بعض المتكلمين إلى أن الله لا يحب عباده المؤمنين، وأوَّلوا هذه المحبة بإرادة الإحسان إليهم وولايتهم وتوفيقهم، فجعلوا المحبة نوعًا من الإرادة، وهذا من التأول الباطل، وفيه صرف للمحبة عن حقيقتها المرادة، والذي ذهب إليه أهل السنة والجماعة أن المحبة غير الإرادة، وأقروا بأن الله سبحانه وتعالى موصوف بالمحبة حقيقة، وأن المحبة من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف[٥].

وقد وصف الله سبحانه وتعالى نفسه بأنه يُحِب، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة:٥٤]، ووصف نفسه بأنه يحب عباده المؤمنين ويحبونه، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ

---

(١) هو الإمام، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري، الأندلسي، القرطبي، المالكي، مولده: في سنة ثمان وستين وثلاث مائة في شهر ربيع الآخر. وقيل: في جمادى الأولى. وطلب العلم بعد التسعين وثلاث مائة، وأدرك الكبار، وجمع وصنف، من تصانيفه: «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد»، و«الاستذكار لمذهب علماء الأمصار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار»، و«الاستيعاب في أسماء الصحابة»، و«جامع بيان العلم وفضله، وما ينبغي في روايته وحمله»، وغيرها. مات أبو عمر ليلة الجمعة سلخ ربيع الآخر، سنة ثلاث وستين وأربع مائة، واستكمل خمسا وتسعين سنة وخمسة أيام رحمه الله. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (١٨/ ١٥٣)، الأعلام، الزركلي (٨/ ٢٤٠).

(٢) ينظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ، (٧/ ١٤٥).

(٣) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، (٣/ ٢٠).

(٤) ينظر: الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، ابن القيم، (١/ ٢١٣، ٢١٤).

(٥) ينظر: محبة الله عند أهل السنة والجماعة ومخالفيهم والرد عليهم، مريم بنت علي الحوشاني، (ص: ٥٥ – ٥٦).





﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[آل عمران:٣١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢]، وقوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٤]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران:١٥٩]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف:٤].

ومما يُثبت ذلك: ورود آيات تدل على أن الله لا يحب بعض الأعمال والأعيان، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال:٥٨]، وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران:٣٢]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام:١٤١].

ومن السنة ما رواه أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ ...»(١).

كل هذه الأدلة تثبت أن المحبة صفة حقيقية لله ﷻ، وأهل السنة يعتبرون هذا من أسس المحبة التي ينبى عليها دين الإسلام.

الأساس الثاني: تقديم محبة الله على كل شيء:

من مقتضيات إثبات صفة المحبة لله سبحانه وتعالى، تقديم محبته على كل شيء، وهذا من الأسس التي يقِرُّها المسلمون، وأنه لا يجوز بأي حال من الأحوال أن يتم تقديم محبة غيره عليه ﷻ، لا لملك مقرَّب ولا لنبي مرسل.

وأبرز علامات حب العبد لربه وتقديم تلك المحبة على كل شيء، هو أن يقدم ما يحبه الله ﷻ على ما تحبُّه نفسه، حتى وإن خالف ذلك هواه، وكذلك أن يكون بغضه تبعًا لما يبغضه الله ﷻ حتى وإن كان هذا الْمُبغَضُ مما تميل له نفسه وتريده، وأن تكون موالاته ومعاداته وفقًا لموالاة الله ومعاداته ﷻ، فيوالي من والاه الله، ويعادي من عاداه الله، ويتبع في ذلك رسول الله ﷺ، ويقتفي أثره ويقبل الهدى الذي جاء به، ولا يتحقق أساس تقديم محبة الله على كل شيء إلا بانطباق هذه الشروط كاملة، إذ لا يمكن تصور أن

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب التواضع، الحديث رقم: (٦٥٠٢)، (٨/ ١٠٥).





المسلم يقدم محبة الله ﷻ على كل شيء إذا فقد إحدى هذه العلامات والشروط[1]، والمتأمل في تلك العلامات والمعايش لها يجد أن النفس إذا توطَّنت عليها، وحققت مراد الله، وقدمت محبته على محابِّها، فإنها تتجرد من كل أهوائها، ويتحقق لها الصلاح والهداية لأمر الله، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت:٦٩]، إذ أن هواها مع التوطين وافق ما جاء به رسول الله ﷺ، فصارت تقدم محبة الله على كل شيء، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ [البقرة:١٦٥]، فصارت لا تقدم على محبة الله شيئًا.

ولهذا أشار ابن تيمية رحمه الله إلى أن قلوب بني آدم مفطورة على محبة وإرادة ما يعبدونه ويتألهونه، كما أن فيهم محبة وإرادة ما ينكحونه ويطعمونه، وهذا الأمر فيه صلاح لنفوسهم، وقوام لقلوبهم، وبهذه المحبة التي صرفوها لله ﷻ تصلح حياتهم ويدوم شملهم، ثم أشار إلى لطيفة من لطائفه رحمه الله وهي أن حاجة الناس إلى التأله تعتبر أعظم وأشد من حاجتهم إلى الغذاء، وقد فسَّر هذه المقارنة بأن فقد التأله تفسد معه النفس، أما فقدهم للغذاء فإنه لا يفسد معه إلا الجسد فقط[2]، ولا شك أن فساد النفس أعظم من فساد الجسد؛ لأن النفس إذا فسدت ضلّت وهامت في الأرض حيرانة تبحث لها عن مفسر لوجودها ووجود الكائنات أجمع، حتى وإن كانت أجسامها صحيحة قوية، فإن تلك الأجساد لا تفيد مع فساد النفس.

وتأكيدًا لهذا الأساس وعظم شأنه، فقد توعد الله ﷻ في كتابه العزيز مَن يُقدم شيئًا أو أحدًا –مهما كان– على محبته وطاعته ﷻ، وكذلك على محبة رسوله ﷺ وطاعته، ولعظم الأمر فإنه لم يقف عند حد الوعيد فقط، بل إن الله ﷻ حكم عليهم بالفسق والخروج عن الصراط المستقيم[3]، فقال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة:٢٤].

وفي الآية نصٌّ صريح على هذا الأساس العظيم، حيث إن مَن قدّم أحدًا من الخلق كأبيه أو ابنه أو أخيه أو زوجه، أو أحد من عشيرته على أمر الله ورسوله، فإنه يوصم بالفسق والميل عن الصراط المستقيم، كما يشمل ذلك الأموال والتجارة والمسكن وغيرها من الأمور المحببة إلى النفس.

---

(١) ينظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م، (٢/ ٤٢٤).

(٢) ينظر: قاعدة في المحبة، ابن تيمية، (ص: ٤٤).

(٣) ينظر: محبة الله عند أهل السنة والجماعة ومخالفيهم والرد عليهم، مريم بنت علي الحوشاني، (ص: ١٨٠).





ومما يبين أثر تقديم محبة الله على جميع المحابِّ ويجلي معناها، ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في أن ذلك التقديم لمحبة الله ورسوله ﷺ على جميع المحاب، هو الدافع الأكبر في صدور الأعمال الإيمانية من المسلم، فجميع الأعمال الايمانية الدينية لا تصدر إلا عن المحبة المحمودة، وأصل المحبة المحمودة هي محبة الله سبحانه وتعالى، وقد حصَر رحمه الله صدور جميع الأعمال الإيمانية بأنها لا تصدر ولا تحدث إلا عن محبة الله؛ لذلك فإن الله سبحانه وتعالى لا يقبل من العمل إلا ما أريد به وجهه[(١)]، ثم بينَّ رحمه الله أن المؤمن يحب الله ويحب رسله وأنبياءه وعباده المؤمنين، وهذا من محبة الله، ولا ينافي أن المحبة التي لله لا يستحقها غيره، فلهذا جاءت محبة الله مذكورة بما يختص به سبحانه من العبادة، والإنابة إليه، والتبتل له، ونحو ذلك[(٢)].

وقد ردَّ رحمه الله على شبهة مَن قال بأن محبة المؤمنين لله إنما هي من قبيل محبة العِوض، والمقصود مجرد محبة العمل الذي ينالون به بعض الأغراض المحبوبة من غير أن يكون ربهم محبوبًا أصلًا، فبيَّن أن محبة الله لا تعلق لها بمجرد محبة العوض، وضرب بذلك مثلا أن مَن استأجر أجيرًا بعوض، فإنه لا يقال: إن الأجير يحبه بمجرد أنه قام بأداء العمل الذي استأجره لأجله، بل وارد أن يستأجر الرجل من لا يحبه بحال، بل قد يستأجر من يبغضه، وكذلك مَن افتدى نفسه بعمل من عذاب معذِّب، فإنه لا يقال: إنه يحبه، بل على العكس فإنه سيكون مبغِضًا له[(٣)].

وبهذا يتضح صدق محبة المؤمنين لله سبحانه وتعالى، وأنها ليست كمحبة غيره، بل هي محبة خالصة، وكذلك من خلال هذا المثل يتضح لماذا محبة الله مقدمة على كل شيء، حيث إنها أصدق المحبة وأخلصها؛ لذلك كان أساس تقديمها على كل شيء هو من أعظم الأسس.

وتقديم محبة الله على ما سواه هي علامة صدق المحبة، فقد ذكر ابن القيم رحمه الله أنه لم يَصدق مَن ادعى محبة محبوب وهو يرى غيره ينتهك حرمة محبوبه، ويريد أذاه، ويسعى لمساخطه، ويستخف بأمره، ويستهين بحقه، ولا تقع منه الغيرة لذلك، بل إن قلبه بارد أمام ذلك الانتهاك، فكيف نُصدق محبة العبد لربه وهو لا يغار لمحارمه إذا انتُهكت، ولا يغضب لحقوقه إذا ضُيعت[(٤)].

وكلام ابن القيم رحمه الله يدلنا على أمرين:

الأول: أن كلامه رحمه الله في سياق تقديم محبة الله على كل شيء؛ لذا فالواجب على كل مسلم تقديم محبة الله على ما سواها من المحبوبات.

---

(١) ينظر: أمراض القلوب وشفاؤها، أحمد ابن تيمية الحراني، المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٩٩هـ، (ص: ٥٩).

(٢) ينظر: المرجع السابق، (ص: ٦٣).

(٣) ينظر: المرجع السابق، (ص: ٧٠).

(٤) ينظر: روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ابن القيم، (ص: ٢٧٤).





الثاني: أن علامة صدق محبة الله ﷻ هي الغضب إذا انتُهكت محارم الله، والغضب إذا ضُيعت حقوقه ﷻ، والاهتمام غاية الاهتمام بأمره، إما بإتيان ما أمر به، أو الانتهاء عما نهى عنه ﷻ، وهذا هو صدق المحبة.

ثم أشار رحمه الله إلى عِظم أمر الغيرة لله، وأنها من الركائز الأساسية الدالة على وجود المحبة لله، وتقديمها على غيرها من المحابِّ، فإذا ترحلت الغيرة من القلب ترحلت منه المحبة، وأشار رحمه الله إلى أن المحبة ليست هي ما يترحل فقط، بل يترحل أمر أعظم وهو (الدين) وإن بقيت فيه آثاره، وربط رحمه الله الغيرة بجملة من الأصول التي يقوم عليها دين الإسلام، ومما ربطها به هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد فسر سبب هذا الربط، أنها هي الحاملة على ذلك، فإذا زالت تلك الغيرة من القلب، لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر، فإن الغيرة هي الدافع الأكبر للقيام بهذه الشعيرة العظيمة(١).

لذا كان الارتباط بين الغيرة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لازمًا، وعلى هذا الأساس يُقاس كثير من الأصول التي يقوم عليها دين الإسلام، فليست شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الوحيدة في هذا الباب، بل يقاس عليها من الشعائر كالجهاد في سبيل الله، والدعوة إلى الإسلام وغيرها مما تذكيها المحبة لدين الله والغيرة على محارمه، والحرص على الامتثال لأوامره، وجعل تلك المحبة مقدمة على كل شيء.

وفي قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِۗ﴾ [البقرة:١٦٥] إشارة لطيفة إلى أن المؤمنين يقدمون محبة الله على كل شيء، فالمؤمنون لا شك أعلم بالله من المشركين، والمحبة ومقدارها صعودًا ونزولًا إنما يتبع العلم، وبناءً على هذا، فإن المؤمنين جعلوا جميع حبهم لله وحده، وهنا ينطبق الوصف على أن هذه المحبة خالصة لله وحده، أما المشركون فقد جعلوا بعض حبهم لغيره، وأشركوا بين الله وبين الأنداد في الحب، وهذا يلزم ذهاب قسط من المحبة لغير الله من الأنداد، ومعلوم أن المحبة الخالصة هي المحبة التي لا تشوبها شائبة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلٗا سَلَمٗا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الزمر:٢٩](٢).

وهنا يتضح مدى تقديم محبة المؤمنين لمحبة الله على غيره، ومدى خلوص تلك المحبة لله ﷻ.

---

(١) ينظر: المرجع السابق، (ص: ٢٧٤).

(٢) ينظر: محبة الله عند أهل السنة والجماعة ومخالفيهم والرد عليهم، مريم بنت علي الحوشاني، (ص: ١٧٩).



وقد أشار الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله[1] إلى هذا الأمر، وهو أن المؤمنين أشد حبًّا له من المشركين؛ وذلك لأنهم لم يشركوا معه أحدًا في محبته، ولم يفعلوا ما فعل مدعو محبته من المشركين الذين اتخذوا من دونه أندادًا، وصرفوا لها من المحبة مثل محبة الله، فأعظم علامات حب العبد لربه، تقديم ما يحبه الله ﷻ على ما تحبه نفسه، وإن خالفت هواه، وبغض ما يبغضه الله ﷻ حتى وإن مال إليه هواه، وصرف الموالاة لمن والى الله ورسوله، وكذلك معاداة من عاداه[2]، وهذا مما يجعل تقديم محبة الله على ما سواها من الأسس العظيمة التي ترتكز عليها المحبة في الإسلام.

الأساس الثالث: ارتباط محبة الله بالعبادة، والعمل:

ربَطَ الله ﷻ محبته بالعبادة له، والعبادة هي: «اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة»[3]، فالصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، وأداء الأمانة، وصدق الحديث، وبر الوالدين، والوفاء بالعهود، وصلة الأرحام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وحب الله ورسوله، وخشية الله، والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، وأمثال ذلك كله من العبادة لله، والعبادة لله هي الغاية المرضية له، والمحبوبة إليه ﷻ، بل هي التي خلق الخلق لها كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦][4]، وهذا هو شأن العبادة، حيث إنها الغاية التي خلق الله لها الخلق، وهي التي أمر الله بها الإنس والجن.

والعبودية لله تعالى هي غاية كمال المتقين، وهي مقصد المحبين، ونهاية شرف المخلصين؛ لذا فقد جعلها الله وصفًا لأكمل خلقه وأقربهم إليه منزلة، فقال عن عيسى عليه السلام: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء:١٧٢]، ومما يدلل على أهميتها أنها أول كلمة افتتح بها نبي الله عيسى عليه السلام كلامه حين تكلم في المهد، فقال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم:٣٠]، فجعل عيسى عليه السلام غايته ونسبه هو العبودية لله تعالى، ومما يجلي منزلة العبودية، قوله تعالى عن الملائكة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩﴾ [الأعراف:٢٠٦]، كما أن وصْفَ الله تعالى نبينا محمدًا ﷺ بوصف العبودية في أشرف

(١) هو حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، فقيه أديب، من علماء جيزان بين الحجاز واليمن. ولد في قرية السلام التابعة لمدينة المضايا، جنوبي جيزان سنة اثنتين وأربعين وثلاث مائة وألف من الهجرة، من كتبه: «الجوهرة الفريدة في العقيدة»، و«اللؤلؤ المكنون في أحوال السند والمتون»، و«النور الفائض في علم الفرائض»، و«الأصول في نهج الرسول»، وغيرها. توفي سنة سبع وسبعين وثلاث مائة وألف من الهجرة. ينظر: الأعلام، الزركلي (٢/ ١٥٩).

(٢) ينظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، (٢/ ٤٢٤).

(٣) العبودية، ابن تيمية، تحقيق: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، (ص: ٤٤).

(٤) ينظر: المرجع السابق، (ص: ٤٤).



مقاماته، وأكمل حالاته، وهو الإسراء، هو دليل على أهميتها، ومكانتها، فقال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ [الإسراء:١][(١)]؛ لذا فإنَّ وصف الله ﷻ بالعبودية لأنبيائه -وهم أكمل الخلق، وأحبهم إلى الله، وأكثرهم تضرعًا له- يشير إلى جملة من الأمور:

الأول: عِظم منزلة العبادة عند الله ﷻ، حيث إنه خلق الخلق لأجلها؛ حيث قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

الثاني: وهو متعلق بالأول، حيث إن الأنبياء ما بلغوا هذه المنزلة إلا بالعبودية والتضرع والذل لله ﷻ، والعبودية والتضرع مرتبطٌ بالمحبة، حيث إن المحب كلما ازداد حبًّا لمحبوبه ازداد تضرعه وعبوديته له، فقد أشار ابن تيمية رحمه الله إلى هذا فقال: «ولفظ العبادة متضمن للمحبة مع الذل»[(٢)].

الثالث: أن حقيقة العبودية لا تتأتَّى إلا بمحبته ﷻ، وإفراد الله بالعبادة وصرف العبودية التامة له وحده سبحانه، هو من أعظم آثار المحبة وأطيب ثمارها[(٣)]، وفرْق هذه الإشارة عن التي قبلها، أن الإشارة هنا إلى التوحيد وهو إفراد الله بالعبادة، وبلوغ كمال التوحيد إنما يكون بعد محبة خالصة لله وحده، أما الإشارة السابقة فهي عن الذل والتضرع والخشوع وعلاقته بالمحبة، وزيادته مع زيادة المحبة، ونقصانه حين تنقص المحبة، بل قال ابن تيمية رحمه الله: إنَّ «العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب، فهي تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له»[(٤)].

وقد أشار ابن تيمية رحمه الله إلى أن محبة الله جاءت مقترنة بما يختص به سبحانه من العبادة والإنابة إليه والتبتل له ونحو ذلك[(٥)]، وهذا يدلل على أن العبادة لله ﷻ مقترنة اقترانًا تامًا مع محبة الله ﷻ، وهو الأساس الذي نتحدث عنه هنا.

لذا فإن تحقيق العبودية لله ﷻ بكل وجه، هو تحقيق محبة الله بكل درجة، وبقدر اكتمال عبودية العبد لله ﷻ، تكمل محبته لربه، وتكمل كذلك محبة الرب عبده، وبقدر نقص العبودية لله ﷻ، تنقص محبته لربه، وتنقص محبة ربه له[(٦)]، فالمحبة مرتبطة بالعبادة لله ﷻ ارتباطًا وثيقًا جعل العبادة هي مقياس محبة العبد لله ﷻ.

---

(١) ينظر: محبة الله عند أهل السنة والجماعة ومخالفيهم والرد عليهم، مريم بنت علي الحوشاني، (ص: ٢٤٥).

(٢) أمراض القلوب وشفاؤها، ابن تيمية، (ص ٧٠).

(٣) ينظر: محبة الله عند أهل السنة والجماعة ومخالفيهم والرد عليهم، مريم بنت علي الحوشاني، (ص: ٢٤٧).

(٤) العبودية، ابن تيمية، (ص: ٤٨).

(٥) ينظر: التحفة العراقية في الأعمال القلبية، أحمد ابن تيمية الحراني، المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٩٩هـ، (ص: ٦٣).

(٦) ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (١٠/ ٢١٣).





وما سقتُه من الأدلة السابقة على أن العبادة هي المقياس الحقيقي للمحبة، ينفي قول القائلين بأن المحبة ليس لها علاقة بالعبادة، وأن المحبة في القلب، ولا يمكن أن يقاس الحب لله أبدًا؛ لأنه شعور وجداني، بل إن المرء يمكن أن يكون محبًّا لله أكثر من غيره، بغض النظر عن الأعمال والعبادات، وهنا أَرُدُّ على ذلك القول بأمرين:

الأول: أنه لو كان كلامهم صحيحًا، وأن العبادة والإنابة ليست مقياسًا لمحبة الله، فهذا يلزم منه أن الفاجر المعرض عن الله قد يكون أكثر محبة لله من المنيب العابد المطيع لله المتبع لأوامره، حيث إن المحبة في القلب، وليس لها علاقة بالعبادة والإنابة، وهذا أمر لا يدخل العقل، فقد قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ﴾ [غافر:٥٨].

الثاني: لو افترضنا صحة كلامهم فإنه لا داعي للشرائع التي جاء بها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ إذ أن الشرائع هي أوامر ونواهي من الله ﷻ ينبغي الإتيان بها، وهي المقياس الذي يقاس به حب العبد لله وبُعده عنه، ومن تلك الشرائع ما قاله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة:٤٣]، فالأوامر هنا واضحة وصريحة، وهي من الله ﷻ؛ لذا فعدم الإتيان بها هو تفريط في أمره تبارك وتعالى، والتفريط في أمره موجب لغضبه.

الأساس الرابع: محبة الرسول ﷺ فوق محبة النفس:

إن محبة الرسول ﷺ فوق محبة البشر كلهم، بل وحتى فوق محبة النفس، هي من الأسس التي تقوم عليها المحبة في دين الإسلام، فقد قال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب:٦].

وفي هذا الآية دليل على أن من لم يكن النبي ﷺ أولى به من نفسه فإنه لا يدخل في دائرة المؤمنين، وهذه الأولوية للنبي ﷺ تتضمن عدة أمور، منها:

أولًا: أن يكون النبي ﷺ أحب إلى العبد من نفسه، فقد بين ابن القيم رحمه الله أن الأولوية أصلها الحب، وطبيعة البشر أن تكون نفسه أحب إليه من غيره، ومع هذا يجب أن يكون الرسول ﷺ أولى به من نفسه، وأحب إليه منها، ولا يحصل له اسم الإيمان إلا بذلك[1]؛ لذا صار حب الرسول ﷺ أولى من حب النفس كمالًا للإيمان، حيث إن المسلم لا بد أن يجاهد نفسه لكي يصل إلى هذه المرتبة.

---

(١) ينظر: الرسالة التبوكية = زاد المهاجر إلى ربه، ابن قيم الجوزية، تحقيق: د. محمد جميل غازي، مكتبة المدني، جدة، (ص: ٢٩).



ثانيًا: أن من لوازم هذه الأولوية والمحبة، الانقياد والطاعة لما جاء به رسول الله ﷺ، والرضا والتسليم بكل ذلك، وعدم الجزع والتسخُّط مما جاء به، ومن لوازمها أيضا الرضا بحكمه ﷺ، والتسليم لأمره، وإيثاره على ما سواه[1].

لذا فإن التزام المسلم للأوامر والنواهي التي جاء بها رسول الله ﷺ، وعدم تركها والإعراض عنها أو الاعتراض عليها، هو دليل على محبته ﷺ فوق محبة النفس.

ومن الأدلة على وجوب محبته ﷺ، أن الله جعل مَن يُحب مَن يُحادِّ الله ورسوله قد ارتكب أمرًا ينفي كمال الإيمان، إذ يقول سبحانه: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢][2].

فقد ربط الله ﷻ محادَّته بمحادَّة النبي ﷺ، وهذا يبين المنزلة العظيمة له ﷺ، حيث إن تحريم محادَّته ﷺ، ومعارضة أمره الذي جاء به، وربطها بالإيمان، يلزم منها محبته ﷺ المحبة التي تليق به، وهي محبة فوق محبة النفس، حيث إن الله حين ربط ذلك بصحة الإيمان إنما يجلّي فضله ﷺ، إذ الالتزام والاتباع له هو مما ينجي المؤمن؛ ولهذا فإن النفس التي تستشعر هذا الأمر، وأنه ﷺ جاء بالهدى الذي تنجوا به النفوس، لا تملك إلا أن تجعل محبته فوق محبتها نفسها.

ومن الأدلة الصريحة على وجوب محبة النبي ﷺ فوق محبة النفس: ما رواه عبد الله بن هشام، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لاَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ» فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الآنَ، وَاللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الآنَ يَا عُمَرُ»[3].

---

(١) ينظر: المرجع السابق، (ص: ٢٩).

(٢) ينظر: حقيقة المحبة في العقيدة الإسلامية، رنا أحمد محمد أبو حبيب، (ص: ١٣٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، الحديث رقم: (١٣)، (١/ ١٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، الحديث رقم: (٤٥)، (١/ ٦٧).

وقد ذكر ابن حجر رحمه الله[1] في شرح الحديث أن جواب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الأول كان بحسب طبع ابن آدم، ثم لما تأمل رضي الله عنه أن النبي ﷺ أحب إليه من نفسه؛ لأنه السبب في نجاتها من المهلكات في الدنيا والأخرى، أجاب بأنه يحبه ﷺ أكثر من نفسه[2].

واستجابة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لأمر النبي ﷺ يبين وجوب محبة النبي ﷺ فوق محبة النفس من جهتين:

الأولى: أن النبي ﷺ أمَره بأن يكون أحب إليه حتى من نفسه، وهذا موجب لاتباعه ﷺ، ومحبته فوق محبة النفس.

الثانية: سرعة استجابة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأمر النبي ﷺ تُظهر جانبًا من جوانب كيفية تعامل الصحابة رضوان الله عليهم مع النبي ﷺ، إذ أنهم لا يتأخرون في اتباع أوامره، والانتهاء عما نهى عنه، وهذا يبين محبته ﷺ في قلوبهم، ويجعل الناظر والمتأمل في هذه المعاملة يوقن بأنهم يحبونه ﷺ فوق محبة نفوسهم.

والمطلع على تاريخ المسلمين، يجد محبة الرسول ﷺ ظاهرة جلية في نفوسهم، فلقد حبب الله إلينا رسوله ﷺ حين زينه بالإيمان والتقوى، فلا تكاد تجد قلبا عرف رسول الله ﷺ حق المعرفة إلا وأحبه، حتى إن بعض الذين لم يؤمنوا به أحبوه، بل إن بعضهم سانده وحماه، ولعل عم رسول الله ﷺ حين حماه وآواه، مع كونه لم يدخل الإسلام على ما أقول خير مثال، وذلك أن الله قد طرح لنبيه ﷺ القبول والمحبة، فمهما أكثرت البحث فلن تجد إنسانًا قد نال من المحبة أكثر مما ناله المصطفى ﷺ، ولعل تضحية الصحابة رضوان الله عليهم للنبي ﷺ بالغالي والنفيس هو خير شاهد على عمق تلك المحبة، وبيان على أنها ثاني حب بعد حب رب العالمين في قلوب المسلمين[3].

وكل هذا يبين الأساس المتين لهذه المحبة في دين الله، وكيف أن الله أمر بها، وأمر بها رسوله ﷺ، وسار عليها الصحابة رضوان الله عليهم، ومن بعدهم من سلف الأمة.

---

(١) هو أحمد بن علي بن مُحَمَّد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر، من أئمة العلم والتاريخ. أصله من عسقلان بفلسطين، ومولده ووفاته بالقاهرة. ولد سنة ثلاث وسبعين وسبع مائة. له تصانيف كثيرة، منها: «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، و«الإصابة في تمييز الصحابة»، و«تهذيب التهذيب»، و«الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة»، و«لسان الميزان»، و«الإحكام لبيان ما في القرآن من الأحكام»، وغيرها كثير. توفي سنة اثنتين وخمسين وثمان مائة. ينظر: الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، السخاوي، (١/ ١٠١، وما بعدها)، الأعلام، الزركلي، (١/ ١٧٨).

(٢) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، إخراج وتصحيح: محب الدين الخطيب، ترقيم: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، (١١/ ٥٢٨).

(٣) ينظر: حقيقة المحبة في العقيدة الإسلامية، رنا أحمد مُحَمَّد أبو حبيب، (ص: ١٢٩).



الأساس الخامس: الحث على المحبة بين المؤمنين، وتعظيم شأنها:

لقد حث دين الإسلام العظيم على المحبة بين المؤمنين وإشاعتها، وجعل هذه المحبة من التحابِّ في الله، ورتب على هذه المحبة أجرًا عظيمًا، بل وجعلها من أعظم القربات، ولعظم أمرها فقد امتن الله بها على عباده، قال تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ﴾ [الأنفال:٦٣].

وللأثر الذي تُحدثه تلك المحبة، فقد أوجب الله على المؤمنين بقاءهم عليها والمحافظة عليها، والقيام بحقوقها، ورأب تصدعها، فقد قال تعالى في ذلك: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات:١٠][1].

وهذه المحبة التي رابطها هو الأخوة في الله، إنما تشير إلى مميزات كثيرة، نذكر منها:

- **أولًا**: أن هذه المحبة من شأنها المحافظة على دين الله، حيث إن بقاء الأخوة فيها، وجعلها هي الرابط الأساسي يجعل من أمر بقاء الدين والحفاظ على أسسه وكيانه أمرًا حتميًّا.
- **ثانيًا**: انتفاء جميع الروابط الأخرى غير رابط المحبة في الله، وهذا يعني صفاء هذه المحبة وخلوصها لله ﷻ، وتخليصها من كل رابط آخر.
- **ثالثًا**: أن الله ﷻ هو مَن أمر بهذه المحبة وحثَّ عليها، بل وامتن على عباده المؤمنين بها، وأنه سبحانه جعلها سبب الألفة بينهم في قوله تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ﴾ [الأنفال:٦٣].
- **رابعًا**: أنها سبب للقضاء على جميع الخلافات والمشاحنات، التي قد تحدث بين المسلمين أكثر من أي سبب آخر، حيث قرن الله الأخوة بين المؤمنين بالإصلاح بينهم، فقال تعالى في ذلك: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات:١٠]، وهذا الاقتران إنما هو حثٌّ من الله على إجلال هذه المحبة وتذكُّرها عند الإصلاح بين المتخاصمين وتذكيرهم بها؛ لأنها أدعى أن تلين قلوبهم على بعضهم، ولو كان غير ذلك لما ذكرها الله في هذا الموضع.

(١) ينظر: المحبة في السنة النبوية (دراسة موضوعية)، محمد بن شحته البراوي، ماجستير، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م، (ص: ٦٤).



ومن الأحاديث التي تبين وتجلي عظم هذه المحبة: ما رواه أبو هريرة ﵁ حيث قال: قال: النبي ﷺ: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»(١).

وهذا الربط بين الإيمان والمحبة بين المؤمنين مِن أظهر الروابط التي تضع المحبة سببًا في كمال الإيمان، وشرطًا في دخول الجنة للمؤمنين، وفي الحديث حثٌّ لكل مسلم على أن يبذل هذه المحبة لله ﷻ، وأن يتآخى مع إخوانه المؤمنين؛ لأن هذه المحبة، وهذا الإخاء إنما هو أحد أسباب دخول الجنة.

وقد ذكر النووي ﵀(٢) في معرض شرحه للحديث عن معنى قوله ﷺ: «ولا تؤمنوا حتى تحابوا» أنه لا يكمل إيمان المؤمن، ولا يصلح حال المؤمنين إلا بالتحاب بينهم، وقد نقل ﵀ عن بعض أهل العلم أن معنى الحديث أنكم لا تدخلون الجنة يوم القيامة إذا لم تكونوا متحابين(٣)، وفي هذه الإشارة بيان اهتمام الإسلام بهذه المحبة بين المؤمنين، وجعْلها أحد الأسس التي تقوم عليها، كيف لا، وهي التي جعلها الله سببًا لكمال الإيمان، ولا يكمل إيمان مؤمن حتى يحققها، بل ورتب عليها دخول الجنة من عدمه.

ومن الأحاديث الشريفة التي تبين هذه المحبة، وتجعلها أساسًا من أسس كمال إيمان المسلم:

حديث أنس بن مالكٍ ﵁، عن النبي ﷺ قال: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»(٤).

وفي الحديث ربط عظيم للمحبة بجملة من الأمور، منها:

- **أولًا**: ارتباط لفظ الإيمان بلفظ المحبة، وهذا متوارد في آيات القرآن الكريم، وأحاديث النبي ﷺ، ولا شك أن الإيمان مرتبة عظيمة في دين الله، وربط المحبة بين المؤمنين بها، هو أكبر بيان لمنزلتها، والحث على التزامها، والمحافظة عليها.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبة المؤمنين من الإيمان، وأن إفشاء السلام سبب لحصولها، الحديث رقم: (٥٤)، (١/ ٧٤).

(٢) هو يحيى بن شرف بن مُرِّي -بضم الميم وكسر الراء المشددة- ابن حسن بن حسين بن حزام بن مُحَمَّد بن جمعة النووي، ولد في المحرم سنة إحدى وثلاثين وست مائة بنوى -من قرى حوران، بسورية- ، من مصنفاته: «المنهاج في شرح مسلم، والأذكار»، و«رياض الصالحين»، و«الإرشاد في علوم الحديث». توفي ليلة الأربعاء الرابع والعشرين من رجب سنة ست وسبعين وست مائة بنوى، ودفن بها. ينظر: تاريخ الإسلام (١٥/ ٣٢٤)، طبقات الشافعية، السبكي، (٨/ ٣٩٥)، الأعلام، الزركلي، (٨/ ١٤٩).

(٣) ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، (٢/ ٣٦).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، الحديث رقم: (١٣)، (١/ ١٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، الحديث رقم: (٤٥)، (١/ ٦٧).



- **ثانيًا**: نفي النبي ﷺ في قوله: «لا يؤمن» وابتداؤه به، فيه إشارة على عظم هذا الأمر، حيث ابتدأ بنفي الإيمان –وذكر أهل العلم أنه نفي لكمال الإيمان وليس لأصله كما أشرنا– من باب تنبيه السامع لما سيتم ذكره بعدها من أمر وشأن المحبة.

- **ثالثًا**: أن المسلم لا يكتفي بحبه لأخيه المسلم فقط، وإنما بأن يحب له ما يحبه لنفسه، وهذا أمر فيه وضع لهذه المحبة في مرتبة عالية سامية، فيها إلزام من الله تعالى بمحبة المسلمين ومحبة الخير لهم، وهذا إذا تحقق فإن قلب المسلم المحبِّ يتخلص من حظوظِ نفسٍ كثيرة تبعد عنه حبَّه لذاته فقط، كما أن تحققها في مجتمع من شأنه جعْل هذا المجتمع يعيش حياة مطمئنة أكثر من غيره؛ لوجود هذا المبدأ بين أهله.

وفي حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، إشارة لهذه المحبة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال، قالَ رسُولُ اللَّه ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ في ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ: إمامٌ عادِلٌ، وشابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّه تَعالى، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ في المسَاجِدِ، وَرَجُلانِ تَحَابَّا في اللَّه: اجتَمَعا عَلَيهِ، وتَفَرَّقَا عَلَيهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ، وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخافُ اللَّه، ورَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فأَخْفَاها، حتَّى لا تَعْلَمَ شِمالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينهُ، ورَجُلٌ ذَكَرَ اللَّه خالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»[1].

والشاهد في هذا الحديث هما الرجلان اللذان تحابَّا في الله، والأجر المترتب على حبهما في أن الله يظلهم بظلِّه يوم لا ظِلَّ إلا ظِلُّه، وهذا تأكيد أن المحبة بين المؤمنين أساس مهم في دين الإسلام.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، الحديث رقم: (٦٦٠)، (١/ ١٣٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، الحديث رقم: (١٠٣١)، (٢/ ٧١٥).



الفصل الثاني: مفهوم المحبة في الأديان المحرفة والوضعية

تمهيد:

قبل الدخول في مباحث هذا الفصل، يحسن التعريف ببعض المفردات الموضحة لما سيأتي بإذن الله من المواضيع التي سيتم طرقها، وسأعرِّف ابتداء بلفظ (الأديان) مع التعريج على أقسام الأديان، والسير في هذا الفصل على أساسها.

تعريف الأديان:

الأديان: جمع دِين -بكسر الدال-، وقد اختلف العلماء في تعريف الدين اصطلاحًا اختلافًا واسعًا، فمنهم من عرفه بأنه: الشرع الإلهي المتلقى عن طريق الوحي.

وهذا تعريف أكثر المسلمين، ويلاحظ عليه: قَصْره الدين على الأديان السماوية، مع أن الصحيح أن كل ما يتخذه الناس ويتعبدون له فهو دين، سواء كان سماويًّا أو غير سماوي، بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥]، وقوله ﷻ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون:٦]، فسمى ما عليه مشركو العرب من الوثنية دينًا[١].

لذا فإن البحث عن تعريف أشمل قد يكون أنفع لهذا الفصل، خصوصًا أننا سنتطرق في هذا الباب إلى ثلاثة من الأديان الوَضْعيَّة.

ولعل من أشمل التعريفات للدين أن يقال: هو اعتقاد قداسة ذات، ومجموعة السلوك الذي يدل على الخضوع لتلك الذات ذلًّا وحبًّا، رغبة ورهبة[٢].

وعلى هذا التعريف، فالأديان الوَضْعيَّة تدخل ضمن مصطلح الدين.

أما من جهة أقسام الأديان، فإنها تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: أديان سماوية، وتدعو في أصلها إلى عبادة الله ﷻ، وهي: الإسلام، ثم اليهوديَّة، ثم النصرانيَّة[٣].

القسم الثاني: أديان وضعية، وتدعو إلى الوثنية والشرك[٤]، ويدخل فيها كل دين غير الأديان السماوية.

---

(١) ينظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د. سعود بن عبد العزيز الخلف، (ص: ٩ – ١٠).

(٢) ينظر: المرجع السابق، (ص: ٩ –١٠).

(٣) ولا شك أن اليهودية والنصرانية قد دخلهما التحريف، ولكن الأصل في مصادر الديانتين سماوي من الله.

(٤) ينظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د. سعود بن عبد العزيز الخلف، (ص: ١٢).



والذي سأسير عليه في البحث -بإذن الله- هو هذا التقسيم للأديان، فأما الأديان السماوية غير الإسلام فهي (اليهوديَّة، والنصرانيَّة)، وأما الأديان الوَضْعيَّة المختارة في البحث هي (الهندوسيَّة، والزرادشتيَّة، والكونفوشيُوسيَّة)، وعلى هذا ستكون باقي فصول ومباحث الأديان في البحث كله.

ويندرج تحت هذا الفصل مبحثان:

المبحث الأول: تعريف المحبة في الأديان المحرفة والوضعية.

المبحث الثاني: مصادر وأسس المحبة في الأديان المحرفة والوضعية.





المبحث الأول: تعريف المحبة في الأديان المحرفة والوضعية

بعد تعريف المحبة في الإسلام، واستظهار المعاني فيها، واستكشاف جانبها الشعوري الداخلي، والعملي الظاهري، سيكون هذا المبحث عن نظرة الأديان للمحبة، من خلال مفهومها وماهيتها لدى كل دين، وبما أن هذا المبحث هو أول مبحث يتطرق للأديان فسنعرف لكل دين من الأديان الخمسة المختارة (اليهوديَّة والنصرانيَّة والهندوسيَّة والزرادشتيَّة والكونفوشيُوسيَّة) تعريفًا موجزًا قبل الدخول في مفهوم المحبة، كما سأسعى جاهدًا إلى الوصول إلى تعريف إجرائي للمحبة في كل دين منها، سعيًا إلى تحديد المفهوم، بغية السير بناء عليه في باقي فصول البحث ومباحثه، وسأسعى في اختيار الألفاظ الشاملة للتعريف من خلال سرد ما أصل إليه من تعريفات لدى كل ديانة، سائلًا الله التيسير والإعانة والتسديد، وسأقسّم هذا المبحث إلى مطلبين بناء على التقسيم الوارد في مقدمة هذا الفصل، فسيكون التقسيم للمطلبين كالآتي:

المطلب الأول: تعريف المحبة في الأديان السماوية المحرفة.

المطلب الثاني: تعريف المحبة في الأديان الوَضْعيَّة.



المطلب الأول: تعريف المحبة في الأديان السَّماويَّة المحرفة (اليهوديَّة، والنصرانيَّة)

أولًا: اليهوديَّة:

اليهود هم الذين يزعمون أنهم أتباع موسى عليه السلام، وكتابهم التوراة، وقد وردت تسميتهم في القرآن بـ (قوم موسى)، و(بني إسرائيل) نسبة إلى يعقوب عليه السلام، وكذلك (أهل الكتاب) -وهم فصيل من أهل الكتاب وليسوا كل أهل الكتاب-، وكذلك (اليهود)(١)، وقد دخل التحريف للديانة اليهوديَّة، وسأسعى للوصول إلى مفهوم المحبة من خلال كتبهم التي يقدسونها.

تعريف المحبة في اليهوديَّة:

خلال البحث عن المحبة عند اليهود وجدت أنهم يستخدمون في لغتهم العبرية كلمة (أهافاه ahavah) بمعنى الحب، ولا يقتصر استخدام هذه الكلمة في النواحي الدينية فقط، بل والعلمانية كذلك، كما تطلق هذه الكلمة على الحب الذي يقع بين البشر أنفسهم، وبين البشر والكائنات الأخرى(٢)، فاستعمال هذه الكلمة يجري في كتبهم المقدسة وأوساطهم الفكرية، وقد يعبِّرون بها عن الحب بين البشر وبين غيره من الكائنات الأخرى؛ لذا فهي تستعمل على نطاق واسع.

وإذا ما تأملنا في المحبة عند اليهوديَّة وسماتها العامة، فإنه يغلب على النظرة اليهوديَّة للمحبة الجانب التعبيري العملي، ويغفلون الجانب الشعوري الوجداني الخالص الذي لا يتجسد في الخارج على شكل صور محسوسة أو ملموسة، مع وجود شواهد له، ولكنها أقل من الجانب الأول.

كما يظهر هذا المعنى الحسي في تعبيرهم عن المحبة الزوجية بأنها قوة دافعة للآخر، حتى جانب المحبة الروحية فإنهم ينزلونه إلى صورة واقعية متمثلة في العلاقة بين الأقارب والأصدقاء، كما يرمز بعضهم للحب الإلهي بأنه الحب الإنساني وتعبير عنه، ويعبر اليهود عن الحب الاجتماعي بالولاء، كما يرتبط معنى المحبة عندهم غالبا بالصداقة والعطاء، وهذه كلها يغلب عليها الممارسة العملية أكثر من الجانب الروحي الوجداني، أما عن النظرة التفصيلية لتعريف المحبة، فيعرف اليهود المحبة من حيث العموم والخصوص، فالمعنى الخاص يعرف بأنه: الرغبة المجردة، ومثاله: التعبير عن الإعجاب، أما المعنى العام فتعرف المحبة بأنها: الرغبة في أن تمنح أكثر فأكثر(٣)، وهذا المعنى (العام) يرتبط بالعطاء والأمور الحسية العملية ارتباطًا وثيقًا، جريا على النظرة العامة التي تنزع إلى النزول إلى الصور المحسوسة المشاهدة.

---

(١) ينظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د. سعود بن عبد العزيز الخلف، (ص: ٣٦)

(٢) ينظر: مجلة أديان (المودة والرحمة والمحبة في الأديان)، مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان، الدوحة، الإصدار الأول، ٢٠١١م، (ص: ٨)، وذلك في لقاء مع الحاخام ستينسالتز.

(٣) ينظر: المرجع السابق، (ص: ٩).

ويسمي اليهود نوعًا من أنواع المحبة بـ (المحبة الروحية)، ويعبر عنها اليهود من خلال العلاقة التي تكون بين الأبناء وآبائهم وأمهاتهم، والعلاقة التي تكون بين الأصدقاء، فيعرفون المحبة هنا بأنها: علاقة الدم مع الأب والأم، والرابطة الروحية بين الأصدقاء[(١)]، وهذا المفهوم يجلي شيئًا من الجانب الروحي عند اليهود، حيث يجنحون في المحبة المتعلقة بالروح -والتي غالبًا تكون إلهية- إلى تعريفها بعلاقة الدم والأصدقاء.

ويَربط اليهود بين المحبة والصداقة ربطًا وثيقًا، فهم يعتبرون أن الصداقة لا تختلف بمعناها الأعم عن الحب، وقد يعبرون أحيانا عن الصداقة بالمحبة والعكس، ويصفون الصداقة التي لا تحتوي على الحب بأنها ليست صداقة حقيقية، بل مجرد اتفاق متبادل على العمل معًا، أو على الأقل عدم إلحاق الأذى ببعضنا[(٢)]، وهنا يظهر لنا أمران:

الأول: أنهم يربطون المحبة بالصداقة على شكل تعريف لها ومفهوم يصاغ بمعناها.

الثاني: أنهم يعاملون الصداقة والمحبة كمعنى واحد، يصلح التعبير عن أحدهما بالآخر.

ويعبر اليهود عن المحبة التي تكون بين الرجل والمرأة بأنها: ظاهرة تمثل قوة مجربة عفوية، تقود الشخص إلى شيء أو شخص ما أكثر من ضد نفسه، ومن تعريفاتها في هذا السياق أنها: الحافز الحيوي للأجناس كل للآخر، وبما أن هذه التعاريف تشمل المحبة التي تكون بين الأزواج، فقد ذهب بعضهم إلى أن مفهوم المحبة الزوجية هو: عطية الإنجاب[(٣)]، ولعل المعاني والألفاظ في جملة المفاهيم المذكورة تجنح إلى وصف المحبة كشيء محسوس ظاهر مشاهد في العيان على شكل صورة، وهذا ما يلصق المعنى هذا بالمعنى العام المادي الذي تتصف به اليهوديَّة عموما.

لذا فإنه يطغى على النظرة اليهوديَّة للمحبة الجانب العملي السلوكي، فترتبط المحبة بالعطاء، ويعبر عنها في هذا الجانب بأنها: تقديم كافة أنواع المساعدة والعون لمن يحتاجها[(٤)]، فالسلوك العملي المتعين في هذا التعريف يعبر عن النظرة المادية اليهوديَّة للمحبة.

ومن صور الجانب العملي السلوكي للمحبة، ربطها بالحياة الاجتماعية، فالمحبة في هذا السياق تعني: الولاء نحو الجيران وقبولهم كإخوة وأخوات، والاهتمام بحقوق الغرباء والفقراء والأيتام[(٥)]، وهذا التعريف يرتبط

---

(١) ينظر: القاموس الموسوعي للعهد الجديد، فرلين د.فيربروج، مكتبة دار الكلمة logos، القاهرة – مصر، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٧م، (ص: ٦)، وقد ذكر الكتاب هذه المعاني عن العهد القديم، الذي هو أحد مراجع اليهود الدينية.

(٢) ينظر: مجلة أديان (المودة والرحمة والمحبة في الأديان)، (ص: ٩-١٠).

(٣) ينظر: القاموس الموسوعي للعهد الجديد، فرلين د.فيربروج، (ص: ٦).

(٤) ينظر: مجلة أديان (المودة والرحمة والمحبة في الأديان)، (ص: ٩-١٠).

(٥) ينظر: القاموس الموسوعي للعهد الجديد، فرلين د.فيربروج، (ص: ٦).



بعلاقة في التعريف السابق من خلال الجانب الاجتماعي، وإن اختفت الفئة المستهدفة فيهما، إلا أن الجانب الاجتماعي المحسوس المشاهد هو العمدة فيهما.

واستمرارًا للنظرة المادية المتمثلة في الصور المحسوسة المغفلة للجوانب الشعورية الداخلية، فإن اليهود يَربطون بين الحب في سياقه الإنساني والحب في سياقه الإلهي، والربط هنا في كون العلاقة تكون في الاتجاهين، بمعنى أن الحب الإنساني -بين البشر وبعضهم البعض- هو في أصله من نبع الحب الإلهي، كما أن الحب الإنساني قد يكون رمزًا لحب الله[1]، والرمزية للحب الإلهي بالحب الإنساني هو من باب التصوير والمشاهدة لحب لا يمكن رؤيته ووصفه،؛ لذلك تم تصويره بما يمكن مشاهدته.

ومن خلال ما تم سَوقه من التعريفات والمفاهيم للمحبة عند اليهود، فإني أخلص إلى تعريف إجرائي للمحبة عندهم، لعله يجمع شتات المعاني والألفاظ المتنوعة، ويكون عمدة في قادم فصول البحث.

التعريف الإجرائي للمحبة في اليهوديَّة:

هي الرغبة في التعبير عن الإعجاب، وبذل العطاء للآخرين، والارتباط بالجنس الآخر، ورابطة روحية بين الأقارب والأصدقاء، تتمثل في صورة صداقة، وترمز للحب الإلهي.

ثانيًا: النصرانيَّة:

هي دين النصارى، الذين يزعمون أنهم يتبعون المسيح عليه السلام، وكتابهم الإنجيل، ويطلق عليهم في القرآن الكريم (النصارى)، وأهل الكتاب -وهم فصيل من أهل الكتاب وليسوا كل أهل الكتاب-، وأهل الإنجيل، وهو يسمون أنفسهم بالمسيحيين نسبة إلى المسيح عليه السلام، ويسمون ديانتهم بالمسيحية، ولم ترد هذه التسمية في القرآن ولا في السنة، وهي تسمية لا توافق واقعهم لتحريفهم دين المسيح عليه السلام وتبديلهم التوحيد بالشرك، فالأولى أن يطلق عليهم نصارى، أو أهل الكتاب[2]، فالتحريف واقع في ديانتهم، كما أن الأولى تسميتهم بالنصارى؛ لأنها هي اللفظ الذي أطلقه عليهم القرآن الكريم.

تعريف المحبة في النصرانيَّة:

يقف النصارى في نظرتهم للمحبة موقفًا مغايرًا لليهود، فاليهود يسعون إلى إنزال المحبة للواقع بصور مشاهدة محسوسة، بينما يتجه النصارى إلى إعلاء المحبة للصور الكاملة المثالية المشابهة لمحبة الله، البعيدة عن الواقع المشاهد المحسوس، فتجدهم -غالبا- يخلطون في تعريفهم للمحبة الروحية بين المحبة الإلهية والمحبة الإنسانية، فيعرفون المحبة على أنها غير خاصة بأحد الاتجاهين، فيقولون إنها هي: «الرغبة الحارة المتلهفة

---

(١) ينظر: مجلة أديان (المودة والرحمة والمحبة في الأديان)، (ص: ٩).

(٢) ينظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، الدكتور سعود بن عبد العزيز الخلف، (ص: ١٢١).





لأجل خير المحبوب، والاهتمام العظيم برفاهيته»(١) ولم يفرِّق في هذا التعريف بين محبة الله ومحبة الإنسان، حيث جاء شاملًا لكلا المحبتين.

كما يسعون في تعريف المحبة الإنسانية إلى السمو بالحب إلى أعلى درجات الكمال من أجل الاقتداء بالله، فتكون المحبة عندهم هنا «مبدأ تعاطفي، يتجسد في تصرفات غايتها السمو بالطبيعة إلى أعلى درجة ممكنة من درجات الكمال، اقتداء بالله الكمال المطلق، وتحقيقًا لما يشعر الإنسان الحر في ذاته أنه له وجد»(٢).

ويظهر في هذا التعريف ارتباطه بالتعريف الأول من حيث الجمع بين المحبتين (الإلهية، والإنسانية).

والنصارى في سعيهم لتحقيق المحبة وبلوغ كمالها في النفس البشرية، إنما مرده السعي للاقتداء بالله، مما يؤدي إلى ارتقاء الإنسان فوق بشريته ومشابهة صفات الله، ويرون أن أكمل صفة فيها مشابهة بالله هي صفة المحبة، لكونهم يرون أنها جوهر الله أو صفته الأولى(٣)، وبما أن المحبة هي أسمى تعبير عن الله وعلاقته بالجنس البشري، فيجب كذلك أن تكون أسمى تعبير عن علاقة الإنسان بخالقه وبأخيه الإنسان(٤)، ولعل سعيهم لرفع المحبة بين الإنسان وأخيه الإنسان لدرجة مشابهة لمحبة الله، هو ما جعل بعض التعريفات تكون شاملة للمحبتين، دون فصل إحداهما عن الأخرى.

أمَّا عن المحبة في سياقها العملي التطبيقي، فإنها تأتي في النصرانيَّة على صورة سلوك عملي بحت، يتسم بالتضحية والبذل دون انتظار الجزاء أو الرد، فعند استعراض تلك التعريفات نبدأ بأعمِّها ألفاظا ثم الأدق فالأدق.

فمن التعريفات التي تفيد ألفاظها العمومية في الجانب العملي، هو تعريفهم للمحبة بأنها تعني: العمل على سد احتياجات الآخرين(٥)، والعمومية في هذا التعريف تأتي من خلوه من ألفاظ البذل والتضحية وغيرها.

---

(١) قاموس الكتاب المقدس، مجمع الكنائس الشرقية، مكتبة المشغل، بيروت، الطبعة: السادسة، ١٩٨١م، (ص: ٢٨٥).

(٢) الموسوعة الفلسفية العربية، رئيس التحرير: د. معن زيادة، مكتبة مؤمن قريش، معهد الإنماء العربي، الطبعة: الأولى، ١٩٨٦م، (٧٣٤/١).

(٣) ينظر: صفة المحبة الإلهية في النصرانية، مفهومها ولوازم تفسيرها، وموقف الإسلام منها، رفعة دحيم الدوسري، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، ١٤٢٩ - ١٤٣٠هـ، (ص: ٣٧ - ٣٨).

(٤) ينظر: قاموس الكتاب المقدس، مجمع الكنائس الشرقية، (ص: ٢٨٥).

(٥) ينظر: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، شركة ماستر ميديا، القاهرة - مصر، (ص: ٢١٠٨).





أما التعريف الأدق لوصف للمحبة العملية النصرانيَّة، هو أن المحبة تعني: «العطاء الباذل غير الأناني»[1]، والدقة تأتي من خلال أن لفظ (العطاء) يوحي بالكثرة أكثر من لفظ (العمل)، كما يؤيد ذلك لفظ (الباذل غير الأناني) الذي يبين دقة الوصف والتعبير عن المحبة.

وتتجلى أكثر المعاني دقة ووصفًا للمحبة في النصرانيَّة في تعريفهم للمحبة بأنها: سلوك عمليّ، يتمثل في التضحية والبذل والعطاء دون انتظار للأخذ[2]، فهذا التعريف هو الذي يبين أن المحبة تحتوي على أكثر الأوصاف بذلا وتضحية وعطاء، ويزيد في أنه ينبغي عدم انتظار الأخذ أو الرد من الآخر، والمتأمل في هذا يلحظ سعيهم للتشبه بأعلى درجات المحبة الإنسانية سعيًا للاقتداء بمحبة الله.

التعريف الإجرائي للمحبة في النصرانيَّة:

ومن خلال ما سبق من التعريفات والمفاهيم للمحبة عند النصارى، فإني أستنتج وأستخلص من ذلك تعريفًا إجرائيًا للمحبة عندهم، لعله يكون جامعًا للمعاني والألفاظ المتنوعة، ويكون معتمدًا في قادمَ فصول البحث.

فالمحبة عندهم: رغبة عاطفية، وسلوك عملي، يتمثل في العطاء والبذل والتضحية دون انتظار الجزاء، بغية الاقتداء بمحبة الله، وبلوغ أعلى درجات الكمال.

---

(١) المرجع السابق، (ص: ٢٧٢٢).

(٢) ينظر: المحبة لمخالف الملة (قراءة في الكتب المقدسة: اليهودية – المسيحية – الإسلامية)، د. جمال الحسيني أبو فرحة، (ص: ٣٩).





المطلب الثاني: تعريف المحبة في الأديان الوَضْعيَّة

الأديان الوَضْعيَّة:

هي التي تكون من وضع البشر أنفسهم، والدين الوضعي هو عبارة عن مجموعة من المبادئ والقوانين العامة، وضعها بعض الناس لأممهم؛ ليسيروا عليها، ويعملوا بما فيها، والتي لم يستندوا في وضعها إلى وحي سماوي، ولا إلى الأخذ عن رسول مرسل، وإنما هي جملة من التعاليم والقواعد العامة، التي اصطلحوا عليها، وساروا على منوالها، وخضعوا فيها لمعبود معين، أو معبودات متعددة[١]، وأبرز علاماتها أنها مستمدة من عقول البشر، وإن ارتبطت بعبادات روحية وتعلقات إلهية وأناشيد موجهة للأرواح وغيرهم؛ لذا فهي تَنزع إلى مسمى القوانين والمبادئ العامة أكثر من كونها تعاليم إلهية مستمدة من كتب مقدسة.

والأديان الوَضْعيَّة التي سأقوم بدراستها -بإذن الله- هي ثلاثة أديان، وهي: الهندوسيَّة والزرادشتيَّة والكونفوشيُوسيَّة، والسبب الذي دعاني لاختيار هذه الأديان الثلاثة، هو أن كل ديانة تشير إلى مكان جغرافي مختلف عن الأخرى، فالهندوسيَّة انتشرت في بلاد الهند، والزرادشتيَّة انتشرت في بلاد فارس، والكونفوشيوسة انتشرت في بلاد الصين، وهذا الاختلاف الجغرافي بين الديانات الثلاث يُقدم تنوعًا في المنطلقات والنتائج المتعلقة بالمحبة، بخلاف الاقتصار على أديان من منطقة جغرافية واحدة التي من الممكن أن تؤدي دراستها إلى منطلقات ونتائج متقاربة تقلل من ثراء البحث وتنوعه.

أولًا: الهندوسيَّة:

الهندوسيَّة ديانة الجمهرة العظمى في الهند الآن، وتسمى الهندوسيَّة أو الهندوكية، إذ تمثلت فيها تقاليد الهند، وعاداتهم وأخلاقهم وصور حياتهم[٢]، ويطلق عليها أيضًا البرهمية، وهي ديانة وثنية تحوي مجموعة من العقائد والعادات والتقاليد التي تشكلت عبر مسيرة طويلة من القرن الخامس عشر قبل الميلاد إلى وقتنا الحاضر، وهي ديانة تضم القيم الروحية والخلقية إلى جانب المبادئ القانونية والتنظيمية، متخذة عدة آلهة بحسب الأعمال المتعلقة بها، فلكل منطقة إله، ولكل عمل أو ظاهرة إله[٣].

فهي ديانة تتعدد فيها الآلهة على حسب الأعمال والمناطق والظواهر، وهذه من الأمور المؤثرة في الأخلاق عمومًا، والمحبة خصوصًا، كما سيأتي في ثنايا البحث عند الحديث عن هذه الديانة بإذن الله.

---

(١) الأديان الوضعية، مناهج جامعة المدينة العالمية، جامعة المدينة العالمية، ٢٠١٠م ، (ص: ١٠).

(٢) ينظر: أديان الهند الكبرى (الهندوسية – الجينية – البوذية)، د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة: الحادية عشر، ٢٠٠٠م، (ص: ٣٧).

(٣) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف: د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٠ هـ، (٢ /٧٢٤).





تعريف المحبة في الهندوسيَّة:

يعد الجانب الروحي الداخلي للمحبة هو النزعة الأكثر تأثيرا في الهندوسيَّة، حيث تعبر أكثر معاني المحبة عندهم عن هذا التوجه، وهناك توجه آخر يصرفها إلى كونها أسلوب حياة أو ممارسات عملية تظهر كتعبير عن المحبة، وهناك توجه ونظرة تحاول الجمع بين الجانب الروحي مع الجانب العملي التطبيقي، ولا يُخفي الهندوسيون النظرة السلبية لجانب المحبة الروحي، حيث يصفه بعضهم بأنه شعور يعكر صفاء الذهن، ويؤثر على قرارات الإنسان الحياتية تأثيرًا سلبيًّا، ويعدونه من الأمور التي ينبغي التحرر منها.

ويربط الهندوسيون في بعض الأحيان المحبة بالطبيعة، حيث يرون أن المحبة تنبعث من الطبيعة، فيعرفون المحبة بأنها: شعور ينبعث من أسلوب الطبيعة، وتستعملها الأحاسيس في تحقيق غاياتها، ويتوجب قهرها ومواجهتها وعدم الخضوع لسيطرتها(١)، وهنا نجد الطبيعة هي المبعث الذي تنشأ منه المحبة، ومن ثَمَّ تجري في الأحاسيس محققة غاياتها.

ويصفون المحبة داخل الذهن بأنها الرغبة، فيجعلون معناها أنها: أحد الرغبات الذهنية المسيطرة على القلب، والتي ينبغي التحرر من سيطرتها والتخلص منها، للدخول في التنسك والوصول لمنزلة القديسية(٢)، وهنا تتبدى النظرة السلبية للمحبة كونها أحد موانع الوصول لمنزلة القديسية.

وينظر بعضهم للحب بأنه خليط من المشاعر الداخلية والأعمال الحسية التطبيقية، فيعرفونه بأنه: تعبير عن المشاعر الذاتية، والأعمال الحسية، مرتبط بالذهن ويعكر صفاءه، وينبغي تنحيته عند القيام بالأعمال الحسية الذهنية(٣).

ويلاحظ في التعريفات السابقة النظرة السلبية الظاهرة في التعامل مع المحبة، حيث يدعون إلى تنحيتها جانبا، وعدم ظهور تأثيرها من الشعور إلى الواقع العملي، وتَبْرز السلبية في وصفهم للمحبة بأنها تمنع الوصول لمنزلة القديسين، وهناك نظرة إيجابية للمحبة، ولكنها بشكل أقل ظهورا ووضوحا من النظرة السلبية.

ويستجلب الهندوس محبة الآلهة من خلال طقوس عملية لا يظهر فيها الجانب الروحي الوجداني تجاه هذه الآلهة، حيث يرون أن المحبة في هذا الجانب: ممارسات عملية، وطقوس معينة، تستجلب محبة الآلهة(٤).

---

(١) ينظر: الباجافا دجيتا (الكتاب الهندي المقدس)، د. شاكوانتالا راواشاشري، ترجمة: رعد عبد الجليل جواد، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، الطبعة: الأولى، ١٩٩٣م، (ص: ٤٥ – ٤٨).

(٢) ينظر: الباجافاد جيتا (الكتاب الهندي المقدس)، (ص: ٣٦).

(٣) ينظر: المرجع السابق، (ص: ٣٧).

(٤) ينظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، د. مُحَّد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة: الثانية ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م، (ص: ٦٠٣).





ويظهر الجانب العملي البحت في النظرة للمحبة في الممارسات الواقعية، من خلال ربط المحبة بممارسة (الجنس)، فيصفون المحبة بأنها: أسلوب يتم ممارسته في الحياة العملية، ويعد الجنس أحد مظاهره العملية[١].

وهنا يظهر تأثر الهندوسيَّة بالفلسفة الواقعية ونظرتها للحب كما سيأتي عرضه وبسطه -بإذن الله- في مبحث: (مفهوم المحبة في الفلسفات الواقعية).

وقد حاولت لملمة ألفاظ المحبة ومعانيها في الهندوسيَّة، وصغت على منوالها تعريفًا إجرائيًّا مختارًا بُغية التوضيح لمفهومها عندهم، والسير على هذا التعريف في ثنايا البحث بإذن الله.

التعريف الإجرائي للمحبة في الهندوسيَّة:

هي شعور داخلي تُولده الطبيعة، ويتمثل في شكل رغبة ذهنية، تستعملها الأحاسيس لتحقيق غاياتها، يهدف إلى التأثير السلبي على الأعمال الحسية، ويعد الجنس أحد مظاهره العملية.

ثانيًا: الزرادشتيَّة:

وهي ديانة نسبت إلى مؤسسها زرادشت[٢]، وهي ديانة فارسية قديمة[٣]، وتتمركز حول الإله الواحد الكبير المطلق[٤]، ويقدسون آلهة متعددة، منها: الشمس والسماء[٥]، وتسمى الزرادشتيَّة في بعض المصادر عبدة النار، وتتمحور حول الإله الواحد المطلق، الذي يخلق إلهين، يختار أحدهما الخير والنور واسمه (أهورامزدا)، ويختار الثاني الشرّ والظلام واسمه (أهريمان)؛ ولهذا تسمى هذه الديانة بالوحدانية الثنوية، التي

(١) ينظر: الهندوسية (مقدمة قصيرة جدا)، كيم نوت، ترجمة: أميرة علي عبد الصادق، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، الطبعة: الأولى، ٢٠١٦م، (ص: ١١٧).

(٢) هناك من يقول أن زرادشت شخصية أسطورية غير حقيقية، وهناك من يقول أنه شخصية حقيقية وأنه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهناك من يقول أنه شخصية حقيقية ولكنه ليس إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ينظر: الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة، وموقف الإسلام منها، د. إبراهيم محمد إبراهيم، مطبعة الأمانة ، مصر، الطبعة: الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م، (ص: ١٦٦ – ١٦٨).

(٣) ينظر: الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة، وموقف الإسلام منها، د. إبراهيم محمد إبراهيم، ص (١٦٦ – ١٦٨)، الموجز في المذاهب والأديان، الأب صبري المقدسي، مكتب سركيس آغاجان، أربيل، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٧، (١ /٥٥)، مفهوم الألوهية في الأديان الزرادشتية والهندوسية والبوذية (دراسة مقارنة)، ريبوار كريم الشميراني، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، بغداد، كلية أصول الدين، قسم العقيدة، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، (ص: ٦٥).

(٤) ينظر: الموجز في المذاهب والأديان، الأب صبري المقدسي، (١ /٥٥)، مفهوم الألوهية في الأديان الزرادشتية والهندوسية والبوذية (دراسة مقارنة)، ريبوار كريم الشميراني، (ص: ٦٥).

(٥) ينظر: أفستا (الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية)، د. خليل عبد الرحمن، روافد للثقافة والفنون، سورية، الطبعة: الثانية، ٢٠٠٨م، (ص: ١٠٨-٤٣٢).





تقف في تعارض مع مفهوم التعددية ولا تلغي صفة الوحدانية[١]، وهنا يَحدث اضطراب في تعيينهم إلهين لهم ويدّعون الواحدية، وهذا الموضع عندهم يحدث خللا في النظرة الأخلاقية وغيرها، كما سيأتي إن شاء الله.

تعريف المحبة في الزرادشتيَّة:

يغلب على معاني المحبة عند الزرادشتيَّة الجانب الروحي، وكثيرا ما توصف المحبة عندهم بأوصاف تنزع إلى الشعور الداخلي، والإيمان القلبي، وتعلق القلب وتعاطفه، وسخاء الروح وكرمها، ولا تقتصر النظرة إلى المحبة على الجانب الروحي فقط، فكما أنه هو النظرة الأغلب إلا أنه يأتي بدرجة أقل منه الجانب العملي التطبيقي، ولعل المبرر لموقع الجانبين (الروحي والعملي) للمحبة في الزرادشتيَّة، هو التوجه الروحي الذي يغلب على منطلقات هذه الديانة الوضعية.

وباستقراء الجانب الروحي الشعوري الداخلي لمعنى المحبة في الزرادشتيَّة، يظهر أحد المعاني التي عرفوها بها، فالمحبة هي: شعور داخلي يحوِّل العدو صديقًا، والخبيث طيبًا، والجاهل عالِمًا[٢]، فهذا الشعور الداخلي الذي يصَيِّر الأشخاص المتصفين بتلك الأوصاف المكروهة إلى أشخاص محبوبين، لا بد له من دافع قوي لتحويل تلك المنبوذات إلى محبوبات، فهذا الدافع عندهم هو المحبة.

كما يظهر عندهم جانب روحي للمحبة وعلاقتها بالأرواح ومناجاتها، فينظرون للمحبة من هذه الناحية أنها: الانفتاح على الأرواح الطاهرة، والترنم بالخير، واستلهام القوة من روح مختلفة[٣]، ويأتي هذا التعريف استمرارًا للتعريف السابق في كون المحبة قوة دافعة، فهم هنا يستجلبون تلك القوة من تلك الأرواح الشريرة.

وقد يقترن الشعور الداخلي بالجانب العملي من خلال ظهور هذا الشعور على شكل سلوك تطبيقي محسوس، فيعرفونها بأنها: صورة للإيمان بالله، تتجسد على شكل أعمال يكون لها نتائج وآثار محسوسة في حياة الآخرين[٤]، وهنا يتضح اقتران الجانب العملي بالجانب الروحي من خلال إدخالهم للإله في هذا التعريف، ومن ثَمَّ تجسيد تلك المحبة على صورة أعمال لها نتائج وآثار محسوسة.

---

(١) ينظر: الموجز في المذاهب والأديان، الأب صبري المقدسي، (١/٥٥-٥٦).

(٢) قصة الحضارة، ويليام جيمس ديورانت، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمود وآخرين، دار الجيل، بيروت - لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، (٢ /٤٣٢).

(٣) أفستا (الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية)، د. خليل عبد الرحمن، (ص: ٦١٤-٦١٥).

(٤) ينظر: بدايات الفلسفة الأخلاقية، د. مُحَمَّد عبد الرحمن مرحبا، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، (ص: ٩٥).





أمّا عن الجانب العملي البحت للمحبة، فإن المحبة تأتي بمعنى: العمل من أجل العدالة، والوفاق الاجتماعي، وتحقيق السلام(١)، وهذه ألفاظ تنزع بالكلية إلى الجانب العملي السلوكي المجرد عن الجانب الشعوري الداخلي.

وبناء على هذه التعريفات، فقد خلصت إلى تعريف إجرائي للمحبة في الزرادشتيَّة، مراعيًا جميع الألفاظ المذكورة، معبرًا عن المعاني الواردة الكامنة في تلك التعريفات.

التعريف الإجرائي للمحبة في الزرادشتيَّة:

هي شعور داخلي، يعبر عن الإيمان بالله، منفتح على الأرواح الطاهرة، يهدف إلى استلهام القوة من روح خارجية، وتقبل الآخرين بعلاتهم، وتحقيق السلام، ويتجسد في سلوك عملي محسوس في التعامل مع الآخرين، والعمل من أجل العدالة والوفاق الاجتماعي.

ثالثًا: الكونفوشيُوسيَّة:

هي ديانة أهل الصين، وترجع إلى الفيلسوف كونفوشيوس(٢) الذي ظهر في القرن السادس قبل الميلاد داعيًا إلى إحياء الطقوس والعادات والتقاليد الدينية التي ورثها الصينيون عن أجدادهم مضيفًا إليها جانبًا من فلسفته وآرائه في الأخلاق والمعاملات والسلوك القويم، وتقوم على عبادة إله السماء أو الإله الأعظم، وتقديس الملائكة، وعبادة أرواح الآباء والأجداد(٣)، ومن خلال هذا الوصف للكونفوشيوسية يتبين أنها تتضمن عادات وطقوسًا وتقاليد دينية اجتماعية موروثة من الأسلاف، كما تقدس الأرواح والآباء وغيرهم، وهذا الاعتقاد سيكون موضع أثر عند الحديث عن المحبة في هذه الديانة.

---

(١) ينظر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، مشرف التحرير: جفري بارندر، ترجمة: د. إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة: د. عبد الغفار مكاوي، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٣م، (ص: ٩١).

(٢) هو فيلسوف صيني ولد سنة ٥٥١ ق. م في مدينة تسو Tsou، واسمه كونج Kung وهو اسم القبيلة التي ينتمي إليها، وفوتس Futze معناه الرئيس أو الفيلسوف، فهو بذلك رئيس كونج أو فيلسوفها. أنشأ مدرسة لدراسة أصول الفلسفة، انكبَّ على كتب الأقدمين يلخصها، ويرتبها، ويضمنها بعض أفكاره، ويعتبر كونفوشيوس المؤسس لديانة الكونفوشيوسية، ومات في سنة ٤٧٩ ق. م، واستمر مذهبه حتى منتصف القرن العشرين الحالي. ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٧٤٨).

(٣) ينظر: الكونفشيوسية في الصين (دراسة تحليلية نقدية)، د. عالية صالح القرني، مجلة كلية دار العلوم، العدد: ٦٠، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، ٢٠١١م، (ص: ٢٨٣)، ما بعد الموت عند اليهودية – النصرانية – المجوسية – الهندوسية – البوذية – الكنفوشيوسية، د. مشاري سعيد المطرفي، أصل الكتاب رسالة دكتوراه في الفلسفة الإسلامية، جامعة المنيا، كلية دار العلوم، قسم الفلسفة الإسلامية، ١٤٣٨هـ – ٢٠١٧م، (ص: ١٩٧)، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (٢/٧٤٨).





تعريف المحبة في الكونفوشيُوسيَّة:

تنقسم النظرة في الكونفوشيُوسيَّة للمحبة إلى قسمين:

الأول: النظرة للمحبة على أنها شعور وجداني نفسي.

الثاني: النظرة للمحبة على أنها سلوك عملي مجتمعي، أو أداة تستعمل لتسيير المجتمع وانتظامه، وهي النظرة الغالبة.

فإذا ألقينا النظرة على القسم الأول، من حيث إن المحبة شعور وجداني نفسي، فنجد أنها تعني: الشعور بالانسجام النفسي مع المجتمع، والخضوع لقوانينه بشكل تلقائي[(١)]، وتأتي كذلك المحبة عندهم في هذا الإطار بمعنى: التعبير عن الشوق لأرواح الأجداد، ويأخذ الشعور تجاه أرواح الأجداد بُعدًا أكبر، حيث تأتي المحبة بمعان أدق تعبيرًا من المعنى السابق، فتأتي بمعنى: إظهار الطاعة والانصياع لأرواح الأجداد، تقديرًا للبركات التي تمنحها لهم تلك الأرواح[(٢)]، وهذا هو الجانب الروحي الداخلي النفسي الذي تعنيه المحبة في الكونفوشيُوسيَّة.

أما إذا انتقلنا بالنظرة للقسم الثاني من حيث إن المحبة تأتي على شكل سلوك عملي أو أداة مجتمعية، فيظهر هذا الأمر في سلوك كونفوشيوس، فقد كان مُغرمًا بتحقيق المدينة الفاضلة، وسعى كونفوشيوس إلى جعل هذه المدينة أكثر واقعية من مدينة أرسطو التي كان يدعو إليها[(٣)]، وفي هذا السياق، تتجه نظرتهم لمعنى المحبة أنها: سلوك عملي، يتمثل في حسن المعاملة ورقة الحديث والأدب والخطاب مع الآخرين[(٤)]، وتستمر النظرة المجتمعية لمعاني المحبة عند الكونفوشيُوسيَّة في نظرتهم للمحبة أنها: أداة لتنظيم سلوك الأفراد، وتحقيق التآلف بين الناس[(٥)]، وتتمثل هذه الأداة في صور يشدد عليها الكونفوشيوسيون في تعزيزهم للجانب التنظيمي المجتمعي، فيعتبرون أن المحبة تأتي بمعنى: الطاعة للحاكم، والانقياد له، والطاعة للوالد والأخ الأكبر، والإخلاص للصديق، ومراعاة مشاعر الآخرين، ويعتبرون أن المحبة للعادات والتقاليد الموروثة

---

(١) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (٢ /٧٥٣)، ما بعد الموت عند اليهودية – النصرانية – المجوسية – الهندوسية – البوذية – الكنفوشيوسية، د. مشاري سعيد المطرفي، (ص: ١٩٧).

(٢) ينظر: الكونفشيوسية في الصين (دراسة تحليلية نقدية)، د. عالية صالح القرني، (ص: ٣١٤).

(٣) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (٢ /٧٥٣).

(٤) ينظر: الكونفشيوسية في الصين (دراسة تحليلية نقدية)، د. عالية صالح القرني، (ص: ٢٩٩).

(٥) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (٢ /٧٤٩).





من الأمور التي يجب احترامها والمحافظة عليها[١]، وبعد سوق المعنيين الداخلي النفسي، والسلوكي العملي المجتمعي، فقد استنتجت تعريفًا إجرائيًا للمحبة عندهم، سعيتُ إلى جعله جامعًا للألفاظ، معبرًا عن المعاني.

التعريف الإجرائي للمحبة في الكونفوشيُوسيَّة:

هي شعور وجداني نفسي، وسلوك عملي اجتماعي، يؤدي إلى انسجام المرء مع مجتمعه، والخضوع لقوانينه، للوصول إلى مدينة فاضلة، وتتمثل في الانصياع لأرواح الأجداد تقديرًا لهم، واحترام الموروثات والمحافظة عليها.

(١) ينظر: المرجع السابق، (٢/ ٧٥٣ - ٧٥٤)، ما بعد الموت عند اليهودية - النصرانية - المجوسية - الهندوسية - البوذية - الكنفوشيوسية، د. مشاري سعيد المطرفي، (ص: ١٩٧ - ١٩٨).





المبحث الثاني: مصادر المحبة، وأسسها في الأديان المحرفة والوضعية

بعد الانتهاء من بيان مفهوم المحبة في الأديان المحرفة والوضعية، فإن ذكر المصادر التي تُستقى منها المحبة، والأسس التي ترتكز وتنطلق منها المحبة، هو بمثابة الوصول إلى الإيضاح الشمولي لمفهوم المحبة في الأديان، أما من جهة المصادر، فقد يتبادر للذهن جملة من التساؤلات حين استعراض المفهوم المقصود للمحبة في كل دين، ولكن حين يتم استظهار المصادر التي تم استقاء المفهوم منها تزول كثير من الإشكالات التي قد تعرض لمن استُشكل عليه شيء، وإذا ما أتينا لدور الأسس في إيضاح المفهوم، فإن المفهوم لا شك ينطلق من منطلقات معينة خاصة بكل ديانة، ويرتكز على مرتكزات تقوم عليها تلك الديانة، ويتعرض لمؤثرات خارجية تطرأ على أصول تلك الديانة، فكان من شأن استعراضها إزالة اللبس الحاصل بسبب تلك الإشكالات، وقد قسمت المبحث إلى مطلبين:

المطلب الأول: مصادر المحبة في الأديان المحرفة والوضعية.

المطلب الثاني: أسس المحبة في الأديان المحرفة والوضعية.





المطلب الأول: مصادر المحبة في الأديان المحرفة والوضعية

تستمد الأديان عقائدها وشرائعها وأخلاقها من خلال مصادر متعددة، فمنها ما تعزوه إلى الجانب الروحي الديني كالمصادر الدينية والكتب المقدسة التي يقولون إنها نزلت عليهم من السماء، أو يقدسونها لكونها من تأليف مَن يزعمون نبوته أو ألوهيته في دينهم، كما يستمدون أمور ديانتهم كذلك من مصادر أخرى، وتختلف تلك المصادر الأخرى مثل: (العقل، والفطرة، والعُرف)، وتختلف أهمية تلك المصادر نزولًا وصعودًا في الاعتبار، فمنها ما تعتبره ديانة اعتبارًا كليًّا، وهذا الاعتبار الكلي قد يفوق أحيانًا المصدر الديني المقدس عندهم، وأحيانًا يكون موازيًا له، وأحيانًا يكون في درجة أقل منه حيث قد يأتي مفسرًا أو محللًا أو محدِّدا، كما تكون بعض المصادر قليلة الاعتبار، فتجد أرباب تلك الديانة لا يولون ذلك المصدر الاهتمام الذي يمكن رؤيته بوضوح؛ لذا تجد ذلك المصدر يكون متخفيا في جملة من القضايا الداخلية العميقة التي يصعب ملاحظتها، وقد قسمت هذه المصادر إلى أربعة أقسام، وهي:

المصدر الأول: الدِّين.

المصدر الثاني: العَقْل.

المصدر الثالث: الفِطْرة.

المصدر الرابع: العُرْف.

وستكون طريقة عرضي لها -بإذن الله-، بذكر المصدر ثم سرد الديانات الخمس تحته مباشرة (اليهوديَّة والنصرانيَّة والهندوسيَّة والزرادشتيَّة والكونفوشيُوسيَّة)، مبينًا المظهر الذي يبين اعتبار ذلك المصدر في كل ديانة.

المصدر الأول: الدِّين.

أولًا: اليهوديَّة:

تتسم اليهوديَّة بتعدد كتبها الدينية المقدسة، ويعود هذا إلى عدة أسباب من أهمها فكرة العقيدة الشفوية الحلولية التي تضفي القداسة على كتابات الحاخامات الدينية واجتهاداتهم، بل تعادل بين الوحي الإلهي من خلال مصدرها المتمثل في (التوراة)، والاجتهاد البشري من خلال (التلمود)[1]؛ لذا فجانب التعدد في الكتب الدينية عائد لإضفاء القدسية كتابات الحاخامات واجتهاداتهم.

والمصادر الدينية التي يستمد منها اليهود تعاليمهم وأخلاقهم هي:

---

(١) ينظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د. عبد الوهاب المسيري، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٩م، (٥/ ٨٣).





١- التوراة، والكتب الملحقة بها، ويراد بالتوراة عند اليهود: خمسة أسفار يعتقدون أن موسى عليه السلام كتبها بيده ويسمونها (البنتاتوك) نسبة إلى (بنتا)، وهي كلمة يونانية تعني خمسة، أي: الأسفار الخمسة[١].

٢- التلمود، وينقسم إلى قسمين: الأول: المشنا: وهي مجموعة الأحكام والتعاليم والتفاسير والوصايا التشريعية التي تناقلت عبر الأجيال من عهد موسى عليه السلام، والثاني: الغمارا: وهي تعليقات وشروح الحاخامات على المشنا[٢].

٣- بروتوكولات حكماء صهيون، وهي مصدر حديث عند اليهود، وتعريفها: «وثائق محاضرات ألقاها زعيم صهيوني على مجموعة من الصهاينة ليستأنسوا بها، ويسيروا عليها في إخضاعهم للعالم والسيطرة عليه»[٣]، ولعل استمداد المحبة من هذا المصدر يكمن في الأهداف التي تسعى لها هذه البروتوكولات من السيطرة على العالم وإخضاعه لهم، مما يحدث أثرًا كبيرًا في جميع النواحي الأخلاقية.

ولِربط هذه المصادر بالمحبة، سأورد بعضًا من النماذج التي وردت فيها المحبة في ثنايا تلك المصادر، ومن تلك النماذج ما جاء في سفر التثنية: «فإذا سمعت هذه الأحكام يا شعب إسرائيل، وحفظتها، وعملت بها، فجزاؤك أن يحفظ الرب إلهك عهده لك ورحمته التي أقسم عليها لآبائك، فيحبك ويباركك ويكثرك»[٤]، وفي هذا النقل ورد لفظ المحبة.

ويرى اليهود في التوراة أن الله لا يحب فقط، وإنما يختار أيضًا، ويتصرف في الطبيعة لأجل شعبه -بزعمهم أنهم شعبه المختار-، وأن الله دخل في عهد معهم، ويستشهدون بأن تاريخ أعمال الله معهم دليل على تلك المحبة[٥]، فمحبة الله لهم استمدوها من مصدر ديني، وهو التوراة.

أما بروتوكولات حكماء آل صهيون، فإن الغرض منها هو إطلاع الصهاينة على الخطة التي يستعبدون بها العالم، ثم كيف يحكمونه إذا وقع تحت سيطرتهم[٦]، وهذا الأساس الذي يقومون عليه يؤثر

(١) ينظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د. سعود بن عبد العزيز الخلف، (ص: ٦٥ – ٦٦).

(٢) ينظر: المحبة لمخالف الملة (قراءة في الكتب المقدسة: اليهودية – المسيحية – الإسلامية)، د. جمال الحسيني أبو فرحة، (ص: ٢٠).

(٣) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د. سعود بن عبد العزيز الخلف، (ص: ١٠٥).

(٤) سفر التثنية ٧: ١٢ – ١٣ العهد القديم العبري (ترجمة بين السطور) عبري – عربي، الأبوان بولس الفغالي وأنطوان عوكر، الجامعة الأنطونية، المكتبة البولسية، لبنان، الطبعة: الأولى ٢٠٠٧م، (ص: ٢٩٩ – ٣٠٠).

(٥) ينظر: القاموس الموسوعي للعهد الجديد، فرلين د.فيربروج، (ص: ٦).

(٦) ينظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، الدكتور سعود بن عبد العزيز الخلف، (ص: ١٠٥).





بشكل مباشر في تعاملهم مع غيرهم من الأديان الأخرى، ويؤثر بشكل واضح في قيمة المحبة التي ينتهجونها في سبيل تحقيق هذه الغاية(١).

ثانيًا: النصرانيَّة:

يستمد النصارى عقائدهم وتشريعاتهم من مصدرين أساسيين:

١- الكتاب المقدس، فالنصارى يقدسون كلًّا من العهد القديم والعهد الجديد، ويضمونهما معا في كتاب واحد يطلقون عليه اسم (الكتاب المقدس)، والعهد القديم هو التوراة والكتب الملحقة بها(٢)، وقد سبق ذكرها وتعريفها في المصدر الأول عند اليهوديَّة، أما العهد الجديد(٣): فهو يحتوي على سبعة وعشرين سفرا، منها ما يسمى بالأناجيل الأربعة (إنجيل متى، ومرقص، ولوقا، ويوحنا)(٤).

٢- المجامع النصرانيَّة، وهي هيئات شورية في الكنيسة تبحث في الأمور المتعلقة بالديانة النصرانيَّة وأحوال الكنائس(٥)، وهي نوعان، الأول: مجامع محلية، وهي التي تبحث في الشؤون المحلية للكنائس التي تعقد فيها. والثاني: مجامع عالمية، وهي التي تبحث في العقيدة النصرانيَّة، ومواجهة بعض الأقوال التي يُرَى غرابتها ومخالفتها للديانة، وقد انطوت هذه المجامع على تحريفات كثيرة وتغييرات على دين النصارى، مما كان له أثر كبير على عقائدهم، وأخلاقهم(٦).

أمَّا عن نماذج المحبة في الكتاب المقدس، ما جاء في إنجيل متى: «(يا معلم ما هي أعظم وصية في الشريعة؟)، فأجابه يسوع: (أحب الرب إلهك بكل قلبك، وبكل نفسك، وبكل عقلك، هذه هي الوصية الأولى والعظمى. والوصية الثانية مثلها: أحب قريبك مثلما تحب نفسك. على هاتين الوصيتين تقوم الشريعة كلها وتعاليم الأنبياء»(٧).

وهذا النص يعتبر عمدة عند النصارى في المحبة، فهو يفسر بعض المعاني التي ذكرناها في مفهوم المحبة عند النصارى من تشبيههم لمحبتهم بمحبة الله.

---

(١) وهذه البروتوكولات تتسم بالغموض، وما توصف به إنما هو ما تم تسريبه منها؛ لذا فهي تعتبر مصدرا غير مباشر كالكتب المقدسة.

(٢) ينظر: دراسات في اليهودية والنصرانية وأديان الهند، للدكتور مُحَمَّد ضياء الأعظمي، (ص: ٣٦٠).

(٣) والملاحظ أن النصارى أسموا الكتب التي يقدسها اليهود العهد القديم كون اليهود أقدم منهم كديانة، أما الأناجيل التي نزلت على النصارى فهي العهد الجديد؛ لكونها الجديدة التي تخصهم.

(٤) ينظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د. سعود بن عبد العزيز الخلف، (ص: ١٣٤).

(٥) ينظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د. سعود بن عبد العزيز الخلف، (ص: ١٧٨).

(٦) ينظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د. سعود بن عبد العزيز الخلف، (ص: ١٧٨: ١٨٨).

(٧) إنجيل متى (٢٢: ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠).





ثالثًا: الهندوسيَّة:

من سمات الهندوس أنهم لا يتقيدون بعقيدة خاصة؛ لذلك يسهل عليهم الإيمان بالله وبغيره من الآلهة الكثيرة من القوى الطبيعية وغيرها؛ لذلك افترقت كلمتهم في عدد من المصادر الأساسية، فكل فرقة من فرقهم لها كتب خاصة بها؛ لذا فلديهم عدد هائل من الكتب عسيرة الفهم، غريبة اللغة، وقد أُلِّفت كتب كثيرة لشرحها وأخرى لاختصار تلك الشروح، وكلها مقدسة، وأهمها ما يسمى (الفيدا)، ويعتبر من أهم الكتب المقدسة لدى الهندوس، ونال شهرة كبيرة من الجماهير، وهو ليس اسم كتاب مؤلف على الأبواب والفصول، وإنما هو مجموعة من الأجزاء المنتشرة من تعليمات الزهاد والنساك في قرون ما قبل الميلاد(١)، والفيدا معناها: الحكمة والمعرفة، ومدارج الارتقاء للحياة العقلية من السذاجة إلى الشعور الفلسفي، وفيه أدعية تنتهي بالشك والارتياب كما أن فيه تأليهًا يرتقي إلى وحدة الوجود(٢)، وفي القديم كان يطلق لفظ فيدا على جميع الكتب الهندوسيَّة(٣)؛ لذا فإن الفيدا قد يشمل جميع الكتب الهندوسيَّة كمصطلح يحوي تحته تحته كل ما هو مقدس من تعليمات الزهاد في الهندوسيَّة.

ومن نماذج المحبة في النصوص الواردة في الكتب المقدسة عند الهندوسيَّة: «تحدث الرب قائلا: حين يهجر المرء جميع الرغبات التي تدخل للذهن يابارثا، ويكتفي من نفسه وحدها لنفسه، عندها يدعى رجل متنسك للحكمة، من لا يشغل الحزن ذهنه ولا يشتاق للمتع، من هو حر من الحب، الخوف والغضب، ذلك الذي بعقلية الورع يسمى قديسًا»(٤).

ومن النماذج كذلك: «الحب والكره توجههما الأحاسيس نحو أهدافها، لا تكن تحت تسلط هذين الاثنين، فكلاهما يعدان من مكامنه»(٥).

وهنا يتضح من صيغة النقول اعتبارها تعليمات وأقوال من الزهاد والمتنسكين الهندوس لتلاميذهم، وقد وقعت على مصدرين للهندوس مترجمين باللغة العربية، وهما (الباجافادجيتا)، و(ومنوسمرتي)، وقد جعلتهما المعتمد في نصوص الهندوسيَّة من الكتب المقدسة.

---

(١) ينظر: دراسات في اليهودية والنصرانية وأديان الهند، للدكتور محمد ضياء الأعظمي، (ص: ٥٣٣ – ٥٣٤).

(٢) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (٢ /٧٢٤).

(٣) ينظر: دراسات في اليهودية والنصرانية وأديان الهند، د. محمد ضياء الأعظمي، (ص: ٥٣٤).

(٤) الباجافاد جيتا (الكتاب الهندي المقدس)، (ص: ٣٦).

(٥) الباجافاد جيتا (الكتاب الهندي المقدس)، (ص: ٤٥).





رابعًا: الزرادشتيَّة:

تستند الزرادشتيَّة في معتقداتها وعباداتها وطقوسها على مصدر كتاب قديم مقدس عندهم، يؤمنون إيمانًا كاملًا بأنه أنزل على زرادشت عن طريق الوحي، وهو المصدر الأول للزرادشتية، ثم توالت -بعد ذلك- الشروح التي دونت في فترات لاحقة[١]، ويزعمون بأن زرادشت قضى حياته في نشر رسالته، والعمل على تعليم شعبه التعاليم الأخلاقية بحسب الكتاب الموحى إليه واسمه (آفيستا)[٢].

ومن نماذج المحبة عند الزرادشتيَّة في كتابهم المقدس: «ثمة تغن بحب الخالق، بالمكرمات، باسم الروح الطاهرة تقربًا من الحق، ورفضًا لما هو مزيف في الوجود، الزرادشتي يستلهم القوة من روح مختلفة وإن كانت روحه هي التي تحثه على ذلك؛ لأن الانفتاح على الأرواح الطاهرة والترنم بالخير يظهران للإنسان ما لم يره سابقا»[٣].

ولعل الحب المقصود في النص المقدس عند الزرادشتيَّة هو الحب الذي يتعلق بالخالق – مع إيمانهم بآلهة متعددة –، وهو دليل على استمداد الزرادشتيَّة المحبة من هذا المصدر الديني.

خامسًا: الكونفوشيُوسيَّة:

تستمد الكونفوشيُوسيَّة عقائدها وشرائعها وأخلاقها من مجموعتين من المصادر:

المجموعة الأولى: هي الكتب الخمسة القديمة، وهي الكتب التي قام كونفوشيوس ذاته بنقلها عن كتب الأقدمين.

المجموعة الثانية: الكتب الأربعة لكونفوشيوس، وهي الكتب التي ألفها كونفوشيوس وأتباعه مدوِّنين فيها أقواله مع التفسير تارة والتعليق أخرى، وهي تمثل فلسفة كونفوشيوس ذاته[٤].

وقد قام كونفوشيوس بدراسة كتاب (الوثائق التاريخية)، وهو مجموعة من السجلات التي تتعلق بأسرة تشو الغربية، وكتاب (الأغاني) الذي يحتوي على ترانيم شعائرية لملوك أسرة تشو الأول، ونظر إليها كبقايا العصر الذهبي، فكانت سياسته استرجاع سياسات ملوك أسرة تشو الأول، واعتبرها سلطته المرجعية، واستخدمها ككتاب مقدس، وقام بتأويل لغتها العتيقة تأويلًا معاصرًا، فأنشأ منها مذهبًا أخلاقيًّا واجتماعيًّا

---

(١) ينظر: مفهوم الألوهية في الأديان الزرادشتية والهندوسية والبوذية (دراسة مقارنة)، ريبوار كريم الشميراني، (ص: ٢٧).

(٢) ينظر: الموجز في المذاهب والأديان، الأب صبري المقدسي، (١ /٥٩).

(٣) أفستا (الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية)، د. خليل عبد الرحمن، (ص: ٦١٤).

(٤) ينظر: الكونفشيوسية في الصين (دراسة تحليلية نقدية)، د. عالية صالح القرني، (ص: ٣٠٣ – ٣٠٩)، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف: د. مانع بن حماد الجهني، (٢ /٧٥٢).



من هذه الكتابات التي تتعلق بالعرافة ويسيطر عليها السحر واللاأخلاقية[1]، فكتبهم المقدسة تعد أحد المصادر التي يستقون منها أخلاقهم والمحبة من ضمن تلك الأخلاق، وقد بحثت عن الموجود من تلك الكتب، والمترجم للعربية، فوجدت ثلاثة كتب يقدسونها ويولونها اهتمامهم، وهي: محاورات كونفوشيوس، ومنشيوس، وكتاب الوسطية والاعتدال، وسيأتي في ثنايا البحث بعض الشواهد منها بإذن الله.

المصدر الثاني: العقل.

أولًا: اليهوديَّة:

خلال البحث في مصادر المحبة عند اليهود، وقعتُ على جملة من الدلائل التي تشير إلى إعمال اليهود للعقل في شرائعهم وأخلاقهم ومن ضمنها المحبة، وقد حصرتها في ستة دلائل:

١- يطغى على الشخصية اليهوديَّة النظرة المادية للقيم والأخلاق والمثل والسلوك[2]، النظرة المادية تنزع إلى الجانب العقلي وما يراه مناسبًا، وهنا يدخل العقل كمصدر أصيل بجانب المصدر الديني.

٢- منطلق السلوك الأخلاقي في الشخصية اليهوديَّة قائم على الكذب -حتى على الله- قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:٧٨]، فحوّلوا دينهم من الدعوة إلى الفضيلة إلى وسيلة لتبرير الرذيلة[3]، والكذب هو من قول الإنسان وتفكيره واختراع عقله، وهو إلى اختراع العقل أقرب، حيث إن الكذب يتطلب قول غير الحقيقة، وهذا يحتاج إلى خيال أوسع، وإعمال العقل لصياغة تلك الحقيقة الخاطئة.

٣- بلَغَ اليهودُ مبلغًا خطيرًا في تحريف العقيدة وآيات الله وشرائعه، قال تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء:٥٠]، وبلوغهم لهذا المستوى من التحريف يظهر الاستخفاف بالله وأوامره من قبل الشخصية اليهوديَّة[4]، كما أن هذا التحريف يستلزم إعمال العقل لصياغة هذا التحريف.

٤- يرى اليهود أن الأنبياء أسهبوا في موضوع محبة الله لهم، تبريرًا لقضية الاختيار[5]، وذاك أنهم يزعمون أنهم شعب الله المختار، ومرجع ذلك الاختيار هو محبة الله لهم دون غيرهم، فقد حكى القرآن

---

(١) ينظر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، جفري بارندر، (ص: ٢٣٨ – ٢٣٩).

(٢) ينظر: الجانب المادي في الشخصية اليهودية، آلاء محمد عصام مصباح عشا، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، قسم التفسير، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٧م، (ص: ١٣٣)

(٣) ينظر: المرجع السابق، (ص: ١٤١).

(٤) ينظر: المرجع السابق، (ص: ١٤٢).

(٥) ينظر: القاموس الموسوعي للعهد الجديد، فرلين د.فيربروج، (ص: ٦).



قولهم: ﴿نَحۡنُ أَبۡنَـٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥۚ﴾ [المائدة:١٨]، وهذا زعم باطل، فقد قال تعالى: ﴿بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ﴾ [المائدة: ١٨]، ومسألة اختيار الله لهم كشعب إنما استمدوها من إسهاب الأنبياء في وصف محبة الله لهم، وهذا من إعمال العقل.

٥-مرور اليهوديَّة بمراحل تطور تاريخية طويلة، متعددة ومتناقضة، ويتبدى هذا في الصراع الحاد بين التوحيد والحلولية في كتبهم المقدسة[١]، والتناقض يبين وجود عمل العقل، حيث إن كلام الله لا يتناقض، وإنما التناقض يحدث بسبب عمل العقل.

٦-تعد بروتوكولات حكماء صهيون أحد المظاهر البارزة في إعمال اليهود للعقل في شرائعهم وأخلاقهم، فهي عبارة عن (وثائق وبروتوكولات) عرضت على زعماء الصهاينة في المؤتمر الذي عقد في مدينة بازل في سويسرا سنة (١٨٩٧م)، وكان قد حضر هذا المؤتمر نحو ثلاثمائة من أعتى الصهاينة يمثلون خمسين جمعية يهودية، ولا يُعرف لها كاتب محدد[٢]، وهي من إعمال العقل المحض، وقد ذكرتها كذلك في المصادر الدينية كَوْن اليهود يعتبرونها وثائق يُضْفَى عليها صبغة التقديس، ولكنها في الحقيقة إعمال للعقل.

ثانيًا: النصرانيَّة:

مما يدل على أن النصارى يعملون العقل في جانب العقائد والشرائع والأخلاق -ومنها المحبة-، عدة أمور منها:

١- أنه ليس من السهولة بمكان الحصول على تعريف اصطلاحي للمحبة اتفق عليه النصارى، ومردّ ذلك أنهم ينظرون للمحبة على أنها سلوك أكثر من كونها جانبًا نظريًّا يمكن وصفه، فالمحبة المسيحية -في نظرهم- ليست درسًا نظريًّا يُقدّم في شكل محاضرات ومعلومات تحفظها وتجيب عليه بنجاح، وإنما هي حياة وعمل وتجرد من الذات[٣]؛ لذا فدخول العقل وإعماله مجال خصب فيها.

٢- جاء في التفسير التطبيقي للكتاب المقدس: «ليست شرائع الله حملًا ثقيلًا في عددها أو في تفصيلها، بل يمكن تلخيصها في قاعدتين بسيطتين للحياة: المحبة لله، والمحبة للآخرين، وهما في العهد القديم، فعندما تحب وتهتم بالآخرين اهتمامك بنفسك فإنك تتمم الغرض من الوصايا العشر وسائر شرائع العهد القديم»[٤].

---

(١) ينظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د. عبد الوهاب المسيري، (٥/ ٨٣).

(٢) ينظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د. سعود بن عبد العزيز الخلف، (ص: (١٠٥).

(٣) ينظر: درجات المحبة المسيحية والكينوسيس، د. رؤوف إبراهيم، مدارس الأحد بروض الفرج، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٠م، (ص: ٦).

(٤) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، شركة ماستر ميديا، (ص: ٢٠٢٨).





وهذا النقل يشير إلى أن الاجتهاد العقلي يلخص الشرائع ويختصرها، كما أن اختزال كل الشرائع في محبة الله والآخرين واكتمال تطبيق كل الوصايا والشرائع بمجرد المحبة، يظهر الجانب العقلي الاجتهادي في شأن المحبة في النصرانيَّة.

٣- النصراني في سعيه لتحقيق المحبة في حياته، وإكمالها في نفسه، ومحاولة تطبيقه لها على أكمل صورة يستطيعها، إنما هو يسعى للاقتداء بالإله وبلوغ كمالاته، ذلك الاقتداء الذي يؤدي بالإنسان إلى أن يرتقي فوق بشريته ويشابه الله في صفاته؛ ليصبح على مثال الله(١)، ولا بد له خلال سعيه لتحقيق هذا الهدف من إعمال عقله، والبحث عن كل ما يسبب التشبه بالله للوصول لمراده من المحبة.

ثالثًا: الهندوسيَّة:

يظهر أثر العقل في الهندوسيَّة في شرائعها وأخلاقها -ومنها المحبة- من خلال:

١- أن الهندوسيَّة عبارة عن مجموعة من العقائد والعادات والتقاليد التي تشكلت عبر مسيرة طويلة من القرن الخامس عشر قبل الميلاد إلى وقتنا الحاضر(٢)، وهذا التشكل والتطور ليس من وحي إلهي أو مصدر شرعي، وإنما هو من تطور الأفكار وتجدد الأحوال وتطورها؛ لذا فالعقل هو المنشأ الأبرز لمثل هذه التطورات التي صارت إليها الديانة الهندوسيَّة.

٢- توصف الهندوسيَّة أحيانًا إلى أنها أسلوب حياة أكثر منه نصوصًا مقدسة إلهية، فقد أشار فيلسوف هندوسي معاصر يدعى سارفابالي راذاكريشنان(٣) إلى أن الهندوسيَّة (أسلوب حياة)، ويرى أن الهندوسيَّة لم تكن شيئًا منفصلًا عن المجتمع والسياسة، وعن جني المال، وممارسة الجنس، والحب، والتعليم(٤)، فهذه الأمور التي ذكرها إنما هي أساليب تستعمل في الحياة باجتهاد الإنسان، وقد نص على أن الحب أحد هذه الأساليب، وهذا المعنى يجلي أثر العقل وإعماله في الديانة الهندوسيَّة.

رابعًا: الزرادشتيَّة:

يُعمِل الزرادشتيون العقل في نظرتهم للأخلاق والشرائع، فيزعمون أنهم يعلمون التسامح والرحمة، ويشجعون بعضهم على العلم، واستعمال العقل والمنطق والقناعة والتفكير بالحياة، ومصير الانسان،

---

(١) ينظر: صفة المحبة الإلهية في النصرانية، مفهومها ولوازم تفسيرها، وموقف الإسلام منها، رفعة دحيم الدوسري، (ص: ٣٧ - ٣٨).

(٢) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (٢ /٧٢٤).

(٣) هو سارفابالي راذاكريشنان، ولد سنة ١٨٨٨م، هو فيلسوف وسياسي هندي، عمل سفيرا، ثم نائبا لرئيس الهند، ثم انتخب رئيسا لجمهورية الهند من ١٩٦٢م إلى ١٩٦٧م، ودرس الأديان الشرقية بأكسفورد من ١٩٣٦ إلى ١٩٥٢م، ونقل إلى الإنجليزية العديد من المؤلفات الهندوسية القديمة، وحاول التوفيق بين الغرب والشرق. ومات سنة ١٩٧٥م. ينظر: معجم الفلاسفة، إعداد: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، الطبعة: الثالثة، ٢٠٠٦م، (ص: ٣١٦).

(٤) ينظر: الهندوسية (مقدمة قصيرة جدا)، كيم نوت، (ص: ١١٧).





والموت، والجنة، والنار، وبالعناصر الأربعة (الماء، والنار، والهواء، والتراب) التي هي من أقدس الأشياء المخلوقة[١]، وتفكيرهم بالعلم، والمصير، والجنة، والنار، إنما يكون عن طريق استعمال العقل، والتفكير والمنطق.

ويرى الزرادشتيون أن الحب يجب ألا يبقى مجرد أفكار تدور في ذهنك أو كلمات تلوكها في فمك، بل يجب أن يتجسد أعمالًا تكون لها آثار ونتائج محسوسة في حياة الآخرين[٢]، وهذه الأعمال وتطبيقها على أرض الواقع لا شك يتطلب إعمال العقل، وجعْله الدليل إلى إمكانية إنزال تلك التعاليم والأقوال إلى واقع ملموس.

خامسًا: الكونفوشيُوسيَّة:

إن من أدلِّ الأمور على إعمال العقل في الكونفوشيُوسيَّة هو أن كونفوشيوس دعا إلى إحياء الطقوس والعادات والتقاليد الدينية التي ورثها الصينيون عن أجدادهم، وأضاف إليها جانبًا من فلسفته وآرائه في الأخلاق والمعاملات والسلوك القويم[٣]، وإضافته هذه إنما هي مِن إعْمال العقل فيما ورثه من الطقوس والعادات الدينية القديمة.

المصدر الثالث: الفطرة.

أولًا: اليهوديَّة:

يعتبر اليهودُ الفطرةَ أحدَ المصادر التي يستدلون بها على المحبة ومفهومها وماهيتها، فيعرفون المحبة في بعض جوانبها بأنها: ظاهرة تمثل قوة مجربة عفويَّة، تقود الشخص إلى شيء أو شخص ما أكثر من نفسه، ويعرفونها كذلك بأنها: الحافز الحيوي للأجناس كلٌّ للآخر، كما يعرفونها بأنها: الرابطة الروحية بين الأصدقاء[٤]، وهنا تتجلى الفطرة في هذه التعريفات من خلال جملة من الأمور:

١- اشتمال المفهوم للفظ (عفوية)، وهو لفظ قريب جدًّا من كونه مفطورًا عليه الإنسان، وليس يُنشِؤُه الإنسان من تلقاء نفسه.

٢- تعريفهم للمحبة بأنها الحافز الحيوي للأجناس كلٌّ للآخر، يشير إلى انجذاب الجنس للجنس الآخر؛ لما يجده من جوانب في الجنس الآخر غير موجودة فيه، فالرجل ينجذب للمرأة لاختلاف

---

(١) ينظر: الموجز في المذاهب والأديان، الأب صبري المقدسي، (١ /٥٦).

(٢) ينظر: بدايات الفلسفة الأخلاقية، د. محمد عبد الرحمن مرحبا، (ص: ٩٥).

(٣) ينظر: ما بعد الموت عند اليهودية – النصرانية – المجوسية – الهندوسية – البوذية – الكنفوشيوسية، د. مشاري سعيد المطرفي، (ص: ١٩٧).

(٤) ينظر: القاموس الموسوعي للعهد الجديد، فرلين د.فيربروج، (ص: ٦).





الجنس واختلاف الجوانب التي خلق الله كل جنس عليها، والمرأة كذلك تنجذب للرجل لذات الشيء، وهو ما يسميه البعض بالحب الفطري.

٣- اشتمال التعريف الثالث على لفظ (الرابطة الروحية)، يظهر الجانب الروحي الداخلي للمحبة، وهنا لا مناص عن كونه فطرة فطر الله الخلق عليها.

ثانيًا: النصرانيَّة:

تتجلى الفطرة في النصرانيَّة في كونها تنزع إلى الجانب المثالي الذي يتجاهل الواقعية في أغلب جوانبه، حيث لا يصح -في المسيحية- شطر الطاقة الإنسانية الداخلية إلى اتجاهين متعاكسين، اتجاه السماء واتجاه الأرض(١)، بل يغلب الجانب الروحي على النظرة المسيطرة على المعتقدات والأخلاق في النصرانيَّة.

والمتتبع للنظرة العامة للمحبة بين البشر في النصرانيَّة يجد أنها تسير على نمط حب الله للبشر كما عبرت عنه كتبهم المقدسة(٢)، وهم بذلك يسعون للتشبه بمحبة الله للبشر كنموذج ينبغي السير عليه في سائر أنواع المحبة.

فالحاصل أن هذا التوجه الروحي الداخلي للمثالية والتشبه بالإله، هو أظهر نموذج لاعتبار الفطرة عند النصارى، فهم يرون المحبة فطرة خالصة من الله، ولا بد أن تشبه المحبة بين المخلوقين محبة الله ﷻ.

ثالثًا: الهندوسيَّة:

من خلال تتبع لفظ الفطرة في الكتاب المقدس للهندوس، يظهر التناقض في تناولها، فتارة تأتي في سياق الامتداح، وتارة أخرى في سياق الذم، وشاهد الامتداح من الكتاب المقدس: "دين المرء الذي تريده السجية هو الأفضل من أي دين آخر رغم اتساقه، والأفضل أن يموت المرء على دينه، فالدين الآخر مليء بالشرور"(٣)، وشاهد الذم: "إذن فبأي شيء يُكرَه الإنسان على ارتكاب الآثام؟ ... أهي الرغبة، الغضب، الفطرة على الهوى المستبد"(٤).

كما تشكل عقيدة (النرفانا) أحد أوجه النظرة المتسمة بالفطرة في الديانة الهندوسيَّة، وعقيدة النرفانا بالمعنى الحرفي (الانفجار)، واصطلاحًا تعني: الحلول الكامل للروح في الروح العليا، ويمثلها الهندوس كمثل

---

(١) ينظر: الإسلام بين الشرق والغرب، علي عزت بيجوفيتش، ترجمة: محمد يوسف عدس، مؤسسة بافاريا، دار النشر للجامعات، مصر، الطبعة: الثانية، ١٩٩٧م، (ص: ٢٧٤).

(٢) ينظر: المحبة لمخالف الملة (قراءة في الكتب المقدسة: اليهودية – المسيحية – الإسلامية)، د. جمال الحسيني أبو فرحة، (ص: ٢٥).

(٣) الباجادفيتا (الكتاب الهندوسي المقدس)، شاكوانتالا راوا شاستري، (ص: ٤٥).

(٤) المرجع السابق، (ص: ٤٥).





حفنة ملح ترمى في البحر فتذوب في المياه التي جاءت منها ولا يمكن أن تنفصل عنها، كذلك تذوب الروح في الروح العليا[١]، وهذه النظرة تظهر اعتبار الهندوسيَّة للفطرة من خلال:

١- سعي الروح الدنيا للاندماج في الروح العليا، وهو سعي نحو الروح التي خلقت الناس وفطرتهم على الكيفية التي خرجوا بها على الدنيا، فهو سعي نحو الفطرة.

٢- الحلول الكامل للروح الدنيا في الروح العليا، هو كناية عن الحلول في الله -تعالى الله علوا كبيرا- وهذا الحلول إنما هو مما يستطيعه الإنسان -حسب العقيدة الهندوسيَّة-؛ لذا يصبح الإنسان ذا أخلاق صحيحة سوية لحلوله بالروح العليا، وتلك الأخلاق هي الفطرة.

٣- تنتهي عقيدة النرفانا عند مستوى الذوبان في الروح العليا، وهو -في نظري- يعني تمثل الأخلاق الكاملة في نفس الإنسان الذي حدث له الذوبان، فتكون أخلاقه هي النموذج الصحيح والمثال الأعلى للأخلاق.

رابعًا: الزرادشتيَّة:

تظهر الفطرة كأحد مصادر المحبة في الزرادشتيَّة من خلال الوصف المثالي للمحبة، حيث يصفونها بأنها هي الإيمان نفسه.

فتذهب الزرادشتيَّة إلى أن على الإنسان واجبات ثلاثة، وهي أن يجعل العدو صديقًا، وأن يجعل الخبيث طيبًا، وأن يجعل الجاهل عالِمًا[٢]، وهذه النظرة -التي تعبر عن المحبة- تعد إغراقًا في تصفية القلب من موازين الدنيا، والاتجاه إلى الاعتبارات العليا.

ويعد الطريق إلى الله ومعرفته هو الإيمان في الزرادشتيَّة، وليس المؤمن إلا ذلك الذي وصل إلى أذنيه صوت الله الهامس، وليس الإيمان بالله شيئا آخر غير حب الإنسان لأخيه الإنسان، ولكي تثبت إيمانك بالله ما عليك إلا أن تقتدي بحبه، فحرارة الحب ستذيب كل شك في قلبك[٣]، وتعبيرهم للمحبة بالإيمان هو ما يجلي هذا المعنى المراد إيضاحه.

خامسًا: الكونفوشيُوسيَّة:

تظهر الفطرة كأحد مصادر المحبة في الكونفشيوسية في بعض التعليمات التي دعا إليها كونفوشيوس، ومن تلك التعليمات:

---

(١) ينظر: الباجافاد جيتا (الكتاب الهندي المقدس)، د. شاكوانتالا راواشاشري، (ص: ٣٩).

(٢) ينظر: قصة الحضارة، ويليام جيمس ديورانت، (٢/٤٣٢).

(٣) ينظر: بدايات الفلسفة الأخلاقية، د. محمد عبد الرحمن مرحبا، (ص: ٩٥).





- طاعة الولد لوالده، والخضوع له.
- طاعة الأخ الأصغر لأخيه الأكبر.
- طاعة الحاكم، والانقياد إليه.
- إخلاص الصديق لأصدقائه.
- عدم جرح الآخرين بالكلام أثناء محادثتهم[١]، والمتأمل في تلك التعليمات يجد أن كلَّ إنسانٍ قد فُطِر قلبه عليها، ومن هنا جاء الارتباط بين الفطرة وكونها أحد مصادر المحبة في الكونفوشيُوسيَّة.

المصدر الرابع: العُرف.

أولًا: اليهوديَّة:

يَظهر العرفُ كأحد مصادر المحبة في اليهوديَّة من خلال أحد معاني المحبة التي عبّرت عنها المفاهيم اليهوديَّة للمصطلح، وهذا المفهوم يدور حول الحياة الاجتماعية وإحاطتها بمفهوم المحبة تماما، فيذهب المفهوم إلى أن المحبة تكمن في أساس حياة جماعة اجتماعية خالصة، والمحبة في هذا السياق تعني: الولاء نحو الجيران، وقبولهم كإخوة وأخوات والاعتراف بهم على هذا الأساس، وهذا الأساس مختص بالتشريع الاجتماعي الذي يهتم على نحو خاص بحقوق الغرباء والفقراء والأيتام[٢].

وعلى هذا فإن هذا الأساس مبني على الأعراف الاجتماعية التي يسنها المجتمع الذي يعيش فيه الأقرباء والجيران والغرباء على أساس تلك الأعراف الاجتماعية، ومن هنا فتستمد اليهوديَّة هذا النوع من المحبة على الأساس الذي بُنِي عليه المجتمع، وتحتكم إلى أعرافه وعاداته.

ثانيًا: النصرانيَّة:

تُعد الأعراف الاجتماعية التي يمكن من خلالها التعرف على حاجات الآخرين ومساعدتهم بناء عليها، أحد المصادر التي يستمد النصارى مفهوم المحبة من خلالها، فالمحبة في هذا السياق تعني: العمل على سد احتياجات الآخرين، ومن التعاليم النصرانيَّة لمن أراد الوصول للمحبة المجتمعية هو أن من وجد أناسا

---

(١) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (٢ /٧٥٣ – ٧٥٤)، ما بعد الموت عند اليهودية – النصرانية – المجوسية – الهندوسية – البوذية – الكنفوشيوسية، د. مشاري سعيد المطرفي، (ص: ١٩٧ – ١٩٨).

(٢) ينظر: القاموس الموسوعي للعهد الجديد، فرلين د.فيربروج، (ص: ٦).



محتاجين يعيشون على مقربة منه، أينما كان يعيش، فليس هناك أي منطق يدعوه لرفض مساعدتهم[1]، والربط بين المحبة والعُرف من خلال هذا النوع وهذا المفهوم لها، يكون في الآتي:

١- انطلاق المفهوم من تلمس حاجات الآخرين، وتحديدها بناء على العرف الذي يسود في المجتمع الذي يعيش فيه.

٢- اشتمال هذا النوع من المحبة على الاهتمام بالآخرين الذين يعيشون في المجتمع الواحد وسد حاجاتهم.

٣- ترك تحديد مقدار المساعدة ونوعها وكيفيتها إلى الشخص نفسه، وقياس تلك الأمور بما يقيسها المجتمع الذي يعيش فيه.

ثالثًا: الهندوسيَّة:

يمكن ربط شعائر وعقائد وأخلاق الديانة الهندوسيَّة بالعرف من خلال تعدد الآلهة الذي تنتهجه الهندوسيَّة.

فالهندوسيَّة ديانة تضم القيم الروحية والخلقية إلى جانب المبادئ القانونية والتنظيمية، وتتخذ عدة آلهة بحسب الأعمال المتعلقة بها، فلكل منطقة إله، ولكل عمل أو ظاهرة إله[2]، وهنا يتبين للمتأمل في مبررات تعدد الآلهة الجانب المجتمعي، فكل منطقة تتخذ إلها يتوافق مع مكوناتها وأعرافها وتقاليدها وحاجاتها، وهذا من أظهر الأمور التي تجعل العرف أحد مصادر الأخلاق عندهم، والمحبة هي أحد تلك الأخلاق التي تتعرض لتلك التنظيمات والقوانين المجتمعية.

رابعًا: الزرادشتيَّة:

يظهر العرف كأحد مصادر المحبة في الزرادشتيَّة في مدى تأثيره على زرادشت، حيث قام بالتعديل على كل الأفكار التي أخذها من سابقيه بطريقة خاصة به، ويظهر ذلك في حبه للآلهة، حيث يزعم الزرادشتيون أن هذا الحب هو الاهتمام بجملة من الجوانب الاجتماعية وتحسينها، فقد عمل من أجل العدالة، ومن أجل الوفاق الاجتماعي، ومعارضة الأعمال المدمرة التي يقوم بها الغزاة، باعتقاده أن السلام والحق يتمثل في الحياة الريفية المستقرة[3]، ويستشف من هذه الفكرة أن المحبة عند زرادشت مجرد أمر شعوري ووجداني اتخذه سبيلا إلى تحقيق العدالة والوفاق الاجتماعي، أكبر من كونها تقديسا للآلهة، فصار

---

(١) ينظر: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، شركة ماستر ميديا، (ص: ٢١٠٨).

(٢) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (٢ /٧٢٤).

(٣) ينظر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، مشرف التحرير: جفري بارندر، (ص: ٩١)



دورها اجتماعيا أكبر من كونه عقديا تقديسيا للآلهة، كما أن تلك الإصلاحات خاضعة للعرف الذي يقره المجتمع لا على النصوص المقدسة.

خامسًا: الكونفوشيُوسيَّة:

مما يروى عن كونفوشيوس، أنه يداوم على تأدية الشعائر الدينية، فهو يتوجه في عباداته إلى الإله الأعظم أو إله السماء، ويصلي صامتًا، ويعتقد بأن الصلاة ليست إلا وسيلة لتنظيم سلوك الأفراد، ويعتبر أن الدّين أداة لتحقيق التآلف بين الناس[١]؛ لذا فهو يستخدم الدين ويكيفه لتحقيق المحبة والتآلف بين الناس، فأصبح التآلف بين الناس هو الغاية، والدين والصلاة إنما هي وسائل لتحقيق تلك الغاية، وهنا يتبين أن العرف المجتمعي السائد هو أحد المرتكزات التي يبني عليها كونفوشيوس أسس المحبة عنده.

(١) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (٢ /٧٤٩).





المطلب الثاني: أسس المحبة في الأديان المحرفة والوضعية

تنطلق المحبة في الأديان من أسس ترتكز عليها وتنطلق منها، وقد تكون تلك الأسس ليست من المرتكزات ولا من المنطلقات، ولكنها تأخذ مسمى الأسس بسبب قوة التأثير الذي تحدثه عليها؛ لذا كان لزاما عدم إغفال مثل هذه المؤثرات كون طغيان آثارها في بعض الأحيان أعظم من آثار الأساس والمنطلق نفسه، وأحيانا يكون تأثير الأساس والمنطلق منحرفًا عن المسار المراد منه بسبب تأثير جوانب أخرى أثرت فيه تأثيرا شديدا فصبغت عليه صبغتها، وألقت عليها بظلالها وآثارها؛ ولهذا حاولت جاهدًا إحصاء الأسس والمنطلقات والمرتكزات، وعدم إغفال تلك المؤثرات التي تطرأ على تلك الأسس والمنطلقات؛ لذا حرصت بعد ذكر الأساس عدم إغفال الربط له بالمحبة وبيان أثره إن استلزم الأمر ذلك، وانطلاقا من هذا فقد قسمت الأسس التي تنطلق منها المحبة في الأديان إلى نوعين من الأسس، وهما:

أولًا: الأسس العقائدية.

ثانيًا: الأسس الأخلاقية.

وستكون طريقة التناول في هذا المبحث، هي البدء بالأسس العقائدية أولا، وسيكون العرض بذكر الديانة وسرد أسسها العقائدية في المحبة، ثم بعد الانتهاء منها، يكون البدء بالأسس الأخلاقية مع سرد كل ديانة تحت هذا البند، مع استعراض الأسس الأخلاقية للمحبة الخاصة بتلك الديانة.

أولًا: الأسس العقائدية:

١/ اليهوديَّة:

تدور الأسس العقائدية للمحبة حول ما يسمى بالثالوث الحلولي[١] عند اليهود، وأركان هذا الثالوث هي: الإله والشعب والأرض، وسنأخذ كل ركن منها على حدة مع بيان أثره على المحبة:

١- الإله: تتأثر المحبة في اليهوديَّة من خلال نظرة اليهود للإله، حيث إن لهم في الاعتقاد فيه عدة أقوال مستمدة من مصادرهم، ومن العهد القديم تحديدا، فمن الأقوال من يعتبره كإله للعالم كله، ومنها من يرى الإله كإله قومي خاص بالشعب الإسرائيلي وحده، ويكون لكل شعب من الشعوب الأخرى غير شعب إسرائيل إله خاص بهم، كما يصفون الإله في هذه الحالة بصفات البشر المختلفة[٢]، ويرجع

---

(١) يعتقد اليهود بأن هناك وحدة مقدسة قائمة بين الأرض والشعب لحلول الإله فيهما وتوحده معهما، وتسمى الثالوث الإلهي، ينظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د. عبد الوهاب المسيري، (٥/ ٧٨).

(٢) ينظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د. عبد الوهاب المسيري، (٥/ ٦٥ – ٦٦)، الأسس الأخلاقية في العهد القديم مع مقارنتها بالقرآن الكريم، د. ريمة شريف الصياد، دار النوادر، سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م، (ص: ٣٣).





ذلك الاختلاف والتعارض في النظرة للإله إلى تعدد المصادر التي شكلت العهد القديم، حيث صبغه كل مصدر من المصادر المتعددة بصبغة تختلف عن الآخر[1]، وأثر هذه النظرة على المحبة يمكن تعداده في الآتي:

- النظرة المختلفة للإله -والتي قد تصل لحد التناقض- تُحدث خللا في ميزان محبة الإنسان لله ﷻ، حيث إن ماهية هذا الإله لم تتشكل بشكل واضح.
- النظرة التي تذهب إلى فكرة الإله القومي المقصور على بني إسرائيل، تؤثر بشكل حتمي على كيفية التعامل مع الشعوب الأخرى التي لا تنتمي لبني إسرائيل، وهذا أثره واضح على المحبة والتسامح بين اليهود والشعوب الأخرى.
- اتصاف الإله بصفات البشر يُحدث أثرًا في المحبة لهذا الإله الذي يفترض أن يكون متفردًا بصفاته عن البشر، فتكون محبته مشابهة لمحبة المخلوقين، وليست محبة مبنية على التعظيم والتقديس.

٢- الشعب: يعتقد اليهود أنهم شعب الله المختار، وقد حاول كثير من حاخامات اليهود وكثير من فقهائهم ومفكريهم تفسير فكرة الاختيار، فجاؤوا بتفسيرات كثيرة تفسر هذا الاختيار، ولكن وبغض النظر عن مضمون تلك التفسيرات، فإن فكرة الاختيار على وجه العموم تؤكد فكرة الانفصال والانعزال عن الآخرين، وهي بشكل دقيق تعبير عن القداسة الناجمة عن الحلول الإلهي في الشعب[2]، وهذا يدعوهم إلى نظرة دونية إلى الشعوب الأخرى، حيث تتسم هذه النظرة بانخفاض تقديرهم لغيرهم من الشعوب، والنظرة لأنفسهم بنظرة التقديس، وهذا يشير إلى إيمانهم بالطبقية بين البشر، وهذا يؤثر في سلوكهم في التعامل مع أنفسهم، وكذلك مع الشعوب الأخرى، حيث إن ذلك التعامل سيكون مفتقرا إلى التواضع والمحبة بشكل عام.

٣- الأرض المقدسة (أرض الميعاد): ويسمونها (أرض إسرائيل)، والمقصود بها (فلسطين)، فيعتقدون أن هناك وحدة مقدسة قائمة بين الأرض والشعب لحلول الإله فيهما وتوحده معهما؛ ولذا ترتبط الديانات والعبادات الوثنية الحلولية بأرض محددة أو بمكان محدد وبشعب يقيم على هذه الأرض أو على علاقة ما بها[3]، ويروج غالبية اليهود -وآخرون غيرهم- أن أرض فلسطين منحها الله لليهود إرثا أبديا لا يكون لغيرهم، وأنه لا يكتمل إيمانهم إلا بالحصول عليها، وقد فعلوا ذلك في الماضي، فلما

---

(١) ينظر: الأسس الأخلاقية في العهد القديم مع مقارنتها بالقرآن الكريم، د. ريمة شريف الصياد، (ص: ٣٣).

(٢) ينظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د. عبد الوهاب المسيري، (٥/٧٢).

(٣) ينظر: المرجع السابق، (٥/ ٧٨).





أُخذت من أيديهم وجب عليهم العودة إليها كما يحدث هذا الزمان[1]، ويعتقدون أن السكنى في الأرض المقدسة بمنزلة الإيمان، وأن المقيم خارج هذه الأرض المقدسة إنسان لا إله له، وأن من يعيش خارج أرض الميعاد كمن يعبد الأصنام، وأن من يعيش في الأرض المقدسة يعيش أبد الآبدين، ومن يعيش في الأرض المقدسة يطهر من الذنوب، والساكن فيها مغفور له، وارتبطت الشعائر الدينية اليهوديَّة في الأرض المقدسة، كالصلوات من أجل المطر لا بد أن تكون في الأرض المقدسة، والشعائر الخاصة بالزراعة لا تقام إلا في الأرض المقدسة[2].

ولربط هذه النظرة والآثار المترتبة عليها بالمحبة، فإن المتأمل في فرط محبتهم لهذه الأرض أوصلهم إلى منزلة التقديس لها، بل وأوصلهم إلى أن الإيمان لا يكون في الإنسان إلا إذا سكن هذه الأرض، وأن من يسكن هذه الأرض يطهر من الذنوب ويغفر له -بغض النظر عن توبته وعلاقته بالله-، ويظهر أنهم من شدة محبتهم للأرض المقدسة وغلوهم فيها أنهم أنزلوها منزلة أعظم من منزلة العقيدة والتقوى، قادهم فرط محبتهم لهذه الأرض إلى إنزالها تلك المنزلة غير الواقعية.

٢/ النصرانيَّة:

تكمن أسس المحبة العقدية في النصرانيَّة في وصفهم لله بأنه محبة، كما شبهوا محبة الله بمحبة الخلق، وأقاموا تلك المحبة -بينهم وبين الله- على أساس الأبوة والبنوة، وتفصيل هذه الأسس فيما يلي:

١- تغليب جانب الرجاء على الخوف بذريعة أن (الله محبة): وقد قادهم هذا الأمر إلى عدم الانضباط السلوكي، وحدوث نوع من الانفلات الأخلاقي في المجتمع النصراني، وما ذلك إلا من تغليب جانب الرجاء لأن (الله محبة)[3]، ويعتقدون بأن المسيح مات مصلوبا، ويعللون ذلك بأنه صُلب فداء للبشر لتخليصهم من خطيئة أبيهم آدم عليه السلام، وهي أَكْلُه من الشجرة التي نُهي عنها، فانتقلت تلك الخطيئة إلى أبنائه، وأغضبت الله عليهم أيضا، فكان لا بد من وسيط يتحمل هذا الإثم ويرضى بأن يموت على الصليب[4]، وفكرة أن الصلب يكفّر الخطيئة تورث النظرة إلى تغليب جانب الرجاء على الخوف، حيث إن من الممكن أن يكفر الخطيئة عن الفرد شخص آخر، ولا يستلزم التوبة من المعنيّ بالذنب.

---

(١) ينظر: الأسس الأخلاقية في العهد القديم مع مقارنتها بالقرآن الكريم، د. ريمة شريف الصياد، (ص: ٩٧).

(٢) ينظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د. عبد الوهاب المسيري، (٥/ ٧٨).

(٣) ينظر: صفة المحبة الإلهية في النصرانية، مفهومها، ولوازم تفسيرها، وموقف الإسلام منه، رفعة دحيم ناصر الدوسري، (ص: ٢).

(٤) ينظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د. سعود بن عبد العزيز الخلف، (ص: ٢٢٥)، كفارة المسيح، عوض سمعان، كنيسة قصر الدوبارة، شركة الطباعة المصرية، (ص: ١٩– ٢١).





٢- تكييف محبة الله وتشبيهها بمحبة الخلق: يُكيف النصارى محبة الله ﷻ ويغرقون في تفاصيل تلك الكيفية، حتى وصل بهم الأمر أن جعلوا المحبة ذاتا من ذواته الحية، تنتقل بين الله والمسيح والنصارى، ووصفوها بأنها محبة مجانية مضحية فادية، ثم شبهوا محبة الله بمحبة خلقه، فتخيلوا الله إنسانا -تعالى الله عن ذلك-؛ لأنهم يعتقدون أنه ذلك الشاب الوديع المسالم الذي صُلب ولم يملك لنفسه نفعا، وظلت محبة ووداعة ذلك الشاب في أذهانهم حتى تصوروا كل صفاته بتلك البشرية الضعيفة الوادعة، وبخاصة محبته، فراحوا يشبهونها بمحبة خلقه، فهو يحب حبًّا متهورًا غير متعقل، ويجاهد لينال محبة أحبائه، ثم لا يجد وسيلة للتعبير عن محبته إلا بقتل نفسه أمامهم، ليفيقوا من غفلتهم ويعلنوا حبه[١]، وهنا يتبين تشبيههم لمحبة الله بمحبة المخلوقين، وعدم النظرة لمحبة الله بمحبة التقديس والتعظيم.

٣- قيام المحبة بين الله والنصارى على الأبوة والبنوة: يذهب المفهوم النصراني إلى أن محبتهم مع الله قائمة على أساس علاقات القرابة والصلة البشرية، فهي بالدرجة الأولى محبة الأب لابنه، قائمة على كونهم أبناء الله، فهو يحبهم محبة أبوية، وهم يحبونه لذات السبب، وهي أحيانا محبة صداقة وشراكة بينهم وبين الله تعالى المتمثل عندهم في المسيح[٢]، ويزعم النصارى أن الله أب للمسيح أبوة حقيقية، حيث وردت كلمة الأب لدى النصارى في العهد الجديد في مواطن عديدة وورد في بعضها نسبة أبوة الله للمسيح[٣]، وهذا من أسسهم التي يجعلونها مقياسا للمحبة بينهم وبين الله، وينادون بأن تكون المحبة بين الخلق أنفسهم تشابه محبة الله.

٣/ الهندوسيَّة:

إن الأسس الاعتقادية للمحبة عند الهندوس تكمن في أمرين أساسيين، فلديهم نظرة للإله مغرقة في التعددية، فيرون أن هناك آلهة متعددة، كما يعتقدون بتناسخ الأرواح وتكرار المولد، ونبين هنا هذين الأساسين وعلاقتهما بالمحبة:

١- النظرة إلى الإله (تعدد الآلهة): يعتقد الهندوس بأن لكل طبيعة نافعة أو ضارة إلهًا يُعبد: كالماء والهواء والأنهار والجبال وغيرها، وهي آلهة كثيرة يتقربون إليها بالعبادة والقرابين[٤]، والمتأمل في التعددية الإلهية يجد أنها تسبب اضطرابا في المحبة من خلال:

---

(١) ينظر: صفة المحبة الإلهية في النصرانية، مفهومها، ولوازم تفسيرها، وموقف الإسلام منه، رفعة دحيم ناصر الدوسري، (ص: ١١٧).

(٢) ينظر: المرجع السابق، (ص: ١١٨).

(٣) ينظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د. سعود بن عبد العزيز الخلف، (ص: ٢٠٥).

(٤) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (٢ /٧٢٦).



- اختلال الطمأنينة في التلقي والمصدرية، مما يورث ضعف اليقين والالتزام واختلال الاعتقاد القلبي المستمد من الثقة الداخلية بالمعتقد.
- اختلال المحبة الإلهية، بسبب تعددية صرف المحبة لتعدد الآلهة، بخلاف صرف المحبة لإله واحد.
- تعددية الآلهة تؤدي إلى خلاف حتمي في الإيمان بالآلهة نفسها واتفاق الناس على تحديد آلهة بعينها، خصوصا إذا كان كل إله ينسب إلى طبيعة وعمل، والخلاف في أيسر الأمور يضعف المحبة، فضلا عن الأمور الاعتقادية التي تعد من الأمور المصيرية لدى كل إنسان.

٢- تناسخ الأرواح وعلاقتها بالجزاء: والتناسخ هو رجوع الروح بعد خروجها من جسم إلى جسم آخر حسب الأعمال، فروح الإنسان تنتقل من جسمه إلى جسم الحيوان والحشرات، ويرجع سبب اعتقاد الهندوس بالتناسخ وتكرار المولد إلى أن الروح إذا خرجت من الجسم فلا تزال لها أهواء وشهوات مرتبطة بالعالم المادي لم تتحقق بعد، كما أنها إذا خرجت من الجسم وعليها ديون كثيرة فلا بد من أدائها، فلا مناص إذن من أن تستوفي شهواتها في حياة أخرى، وتتذوق الروح ثمرة أعمالها التي قامت بها في حياتها السابقة[(١)]، وكذلك لاحظوا من واقع الحياة أن الجزاء قد لا يقع، فالظالم قد ينتهي دون أن يُقتص منه، والمحسن قد ينتهي دون أن يُحْسَن إليه، ولذلك لجأوا إلى القول بتناسخ الأرواح ليقع الجزاء في الحياة إذا لم يتم في الحياة الحاضرة[(٢)]، وهذا يُحدث اضطرابا في الجزاء والحساب لدى النفس، فلو التزمت التزاما تاما بالأوامر الإلهية فإنها قد تعاقب بجريرة غيرها، وبدوره يؤثر على السلوك والأخلاق من حيث الالتزام بها وفائدته المرجوة، والمحبة من ضمن الأخلاق؛ لذا فهو أساس لها من حيث قوة تأثيره عليها.

٤/ الزرادشتيَّة:

تتأثر المحبة عند الزرادشتيَّة بأساسين مهمين في عقيدتهم، فهم يؤمنون بالواحدية الثنوية — مع عبادتهم لآلهة متعددة غيرها –، ويعتقدون بعض المعتقدات في المعاد وخروج الروح عند الموت، ويمكن ربط هذين الأساسين بالمحبة من خلال:

١- النظرة إلى الإله (الوحدانية الثنوية): تتمحور الزرادشتيَّة حول الإله الواحد المطلق، الذي يخلق إلهين، يختار أحدهما الخير والنور واسمه (أهورامزدا)، ويختار الثاني الشرّ والظلام واسمه (أهريمان)؛ ولهذا تسمى هذه الديانة بالوحدانية الثنوية[(٣)]، وارتباط هذه العقيدة كأساس للمحبة بأن التعدد في الآلهة عندهم

---

(١) ينظر: ثقافة الهند وجهاتها الروحية والأخلاقية والاجتماعية، البروفيسور أترباء، (ص: ٤٢)، أديان الهند الكبرى (الهندوسية – الجينية – البوذية)، د. أحمد شلبي، (ص: ٦١) ، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، د. مُحَمَّد ضياء الرحمن الأعظمي، (ص: ٦٢٠).

(٢) ينظر: أديان الهند الكبرى (الهندوسية – الجينية – البوذية)، د. أحمد شلبي، (ص: ٦٠).

(٣) ينظر: الموجز في المذاهب والأديان، الأب صبري المقدسي، (١ /٥٥).



ينطوي عليه ما ينطوي على الهندوسيَّة من أثرٍ على المحبة، كما أن تنصيبهم إلها للشر يجعل قدرا كبيرا في قلوبهم للشر إما خوفا منه بإفراط لكونه يختص بإله، أو إنزاله منزلة عظيمة قد تحدو ببعض الناس لعبادة هذا الإله.

٢- المعاد وخروج الروح: والمعاد عندهم يتعلق بالروح، فيبدأ المعاد عقب خروج الروح مباشرة، لكن الرحلة إلى العالم الأخروي لا تبدأ على الفور، لأن في عقيدتهم انفصال الروح عن الجسد ومغادرتها البدن تعقبه سلسلة من الإجراءات حتى تتحرر الروح نهائيا من عبودية الآثار المادية ومن كل سلطان الدنيا، ويستمر هذا التحرر ثلاثة أيام بلياليهن حيث تبقى الروح بجوار رأس الميت قبل الدفن(١)، وهم هنا يقرون بالمعاد، لكن هذا الإقرار يشوبه شيء من التراخي، كمكوث الروح حول رأسه ثلاثة أيام، واعتبار أن هناك رحلة وفترة بين الدنيا والآخرة، وبقاء الروح حتى بعد الموت، وانتظار التخلص من الأمور المادية وسلطان الدنيا وتصفية النفس من كل آثار الدنيا حتى يكون صافيا تماما قبل الذهاب للآخرة، وهذا الانفصال بين الحياة الدنيا والآخرة يؤثر في النظرة الجدية للمعاد، وينسحب على التزام المرء بالأخلاق في الدنيا والجدية في السعي لتحقيقها، وهذا ينطبق كذلك على المحبة، حيث تضعف الجدية في تصفية الحب واتباع قوانينه، والتفريق بين محبة الله ومحبة النبي ﷺ ومحبة المخلوقين، وكذلك عدم محبة الشر والبراءة من أهله.

٥/ الكونفوشيُوسيَّة:

تتلخص الأسس الاعتقادية المتعلقة بالمحبة في الكونفوشيُوسيَّة، في أساسين ينطلقان من نظرتهم للإله والملائكة وأرواح الأجداد، وقضية تأليه الأرواح واعتبارها مبررا للمحبة، وتفصيل ذلك في الآتي:

١- النظرة إلى الإله والملائكة وأرواح الأجداد (تعدد الآلهة): يعتقد الكونفوشيوسيون بالإله الأعظم أو إله السماء ويتوجهون إليه بالعبادة – وقد حدث عندهم انحرافٌ كبيرٌ في العبادة -، كما أن عبادته وتقديم القرابين إليه مخصوصة بالملك، أو بأمراء المقاطعات، ويعتقدون أن للأرض إلها، وهو إله الأرض، ويعبده عامة الصينيين، ويعتقدون أن الشمس والقمر، والكواكب، والسحاب، والجبال، لكل منها إله وعبادتها وتقديم القرابين إليها مخصوصة بالأمراء، ويقدسون الملائكة ويقدمون إليها القرابين، ويقدسون أرواح أجدادهم الأقدمين، ويعتقدون ببقاء الأرواح، والقرابين وهي عبارة عن موائد يدخلون

(١) ينظر: زرادشت والزرادشتية، د. الشفيع الماحي أحمد، مجلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، العدد الحادي والعشرون، الرسالة الستون بعد المائة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، (ص: ٤٣- ٤٤).





بها السرور على تلك الأرواح بأنواع الموسيقى، ويوجد في كل بيت معبد لأرواح الأموات ولآلهة المنزل[1]، وتعدد الآلهة وتقديس ذوات كثيرة يؤثر في المحبة من خلال جملة من الأمور:

- الاضطراب في صرف المحبة لآلهة متعددة، مما يسبب عدم التوازن في تحديد منزلة ومحبة كل إله، أمَّا الإسلام فلا يجوز صرف محبة التعظيم إلا لله وحده.
- تعدد تقديس ذوات كثيرة وآلهة متعددة يُحدث خللا في ثبات الأسس العقائدية مما يؤدي إلى تشتت جانب المحبة الإلهية وعدم انضباطها واستقرارها.

٢- اعتبار تأليه الأرواح وعبادتها مبررا لمحبتهم لهم (تبرير المحبة): تعد فكرة تأليه الأجداد من الأفكار التي ورثتها الكونفوشيُوسيَّة من الديانات الشعبية القديمة، ويبررون عبادة أرواح الأجداد بعديد من المبررات، منها: أنها تعبير عن الحب والشوق الذي يكنه الأبناء نحو الآباء، ومظهر للطاعة والانصياع لهم تقديرا للبركات التي تمنحها هذه الأرواح لأحفادها، -مثل وهبهم القدرة على الإنجاب، والمباركة في الزرع والبيع-، وشكرا لهم على النصائح التي يسدونها تبعا لعلمهم غير المحدود[2].

والإفراط في النظر إلى مفهوم المحبة وإيصاله إلى التأليه والعبادة والخضوع لتلك الأرواح، وعدم الأخذ بالوسطية والاتزان والاعتدال في النظرة البشرية لتلك الأرواح، مما يفضي إلى الغلو في المحبة والوصول بتلك الأرواح البشرية إلى درجة التأليه.

ثانيًا: الأسس الأخلاقية:

١/ اليهوديَّة:

يرى المتتبع لليهودية في جانب المحبة أنها تقوم على ثلاثة أسس أخلاقية، وتتمحور هذه الأسس حول مبدأ الإلزام الأخلاقي وماهية استمداده، والحافز الأخلاقي وكيفيته، وارتباط المحبة بالجزاء الدنيوي أكثر من الجزاء الأخروي المختص بالوعيد لمن أخلّ بالمحبة المراد تحقيقها، وتفصيله في الآتي:

١- الإلزام الأخلاقي مقتبس من التشبه بالله: يقتبس اليهود إلزامهم بالمحبة بالتشبه بالله، فالمظهر الأعلى للمنزلة الأخلاقية عندهم يكون بالسير في طريق الله والتشبه به[3]، جاء في سفر التثنية «والآن يا شعب إسرائيل، ما الذي يطلبه منك الرب إلهك إلا أن تخافه، لتسلك في كل طرقه، وتحبه وتعبده بكل قلبك وكل نفسك»[4]، فالقانون الأخلاقي الإلهي لا يعبر عن أوامر وإرادة الله، بل هو منبثق عن الله، أي:

---

(١) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (٢ /٧٥٢ – ٧٥٣).

(٢) ينظر: الكونفشيوسية في الصين (دراسة تحليلية نقدية)، د. عالية صالح القرني، (ص: ٣١٤).

(٣) ينظر: الأسس الأخلاقية في العهد القديم مع مقارنتها بالقرآن الكريم، د. ريمة شريف الصياد، (ص: ١٥١).

(٤) سفر التثنية: (١٠ : ١٢).





عن كماله وطبيعته الأخلاقية اللامتناهية؛ ولذلك فإن أساس هذا القانون: (يجب أن تكون مقدسًا؛ لأن الله مقدس)، وليس لأن الله يأمر بذلك[١]، كما يُستَشَفُّ من العهد القديم أن الأخلاق واجبة النفاذ على الله كما البشر، واستدلوا على ذلك بمراجعة الآباء أو الأنبياء له في بعض المواقف –تعالى الله عمَّا يقولون–[٢]؛ لذا فإن المحبة والإلزام بها وكيفيتها وماهيتها، كل ذلك يُستمد من التشبه بالله وليس من أوامره وتعاليمه.

٢- حافز وجود المسؤولية هو في العلاقة بين الله وبين اليهودي كعلاقة الأبوة والبنوة: وهذا هو المنهج المتبع في العهد القديم من وصفٍ للعلاقة بين الله وبين اليهودي بأنها علاقة أبوة وبنوة –ولو على المجاز–، وأنها هي الحافز على وجود المسؤولية الأخلاقية[٣]، فالحافز الذي يذكي المسؤولية عن المحبة ولازم القيام بها هو أن العلاقة بين اليهودي وبين الله هي علاقة الأبوة والبنوة.

٣- ارتباط القيام بالمحبة بالجزاء الدنيوي وضعف ارتباطه بالجزاء الأُخروي: تميل الجزاءات –عمومًا– عند اليهود إلى الجزاء الدنيوي، أكثر منها للجزاء الأُخروي، وذاك أنه يندر ذكر المعاد والجزاء بعد الموت في كتبهم[٤]، والتوراة ليس فيها تصريح بذكر المعاد، وعامة ما فيها من الوعد والوعيد فهو في الدنيا، كالوعد بالرزق والنصر والعاقبة، والوعيد بالقحط والأمراض والأعداء، وقد يوجد في التوراة ما يفيد بالتلميح، أو في النبوات[٥]، فعلى هذا الأساس فإن المحبة ترتبط كغيرها من الأخلاق بالجزاء الدنيوي أكثر من الأُخروي.

٢/ النصرانيَّة:

تقوم المحبة من الجهة الأخلاقية عند النصارى على جملة من الأسس، فهي محبة تقوم على تعيين الأشخاص المحبوبين دون الاعتبار لصفاتهم وأعمالهم، كما تتسع دعوى المحبة عندهم لدرجة عدم ارتباطها بأمور توضحها أو تتعلق بها، بل هي منفتحة متسعة تتسع لكل ما يمكن إدخاله فيها، كما أن محبة الآخرين تجلب التضحية من أجلهم دون النظر لمراتبهم وقربهم من الإنسان الذي أحب، وتفصيل تلك الأسس في الآتي:

---

(١) ينظر: الأسس الأخلاقية في العهد القديم مع مقارنتها بالقرآن الكريم، د. ريمة شريف الصياد، (ص: ١٥٢)، تم نقله عن (theethics of Judaism)، (١ / ١١٢).

(٢) ينظر: المرجع السابق، (ص: ١٥٢)، تم نقلها من (oldtestament ethics) للمؤلف douglas a.knight (ص: ٥٥).

(٣) ينظر: المرجع السابق، (ص: ١٩٣).

(٤) ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي الظاهري، مكتبة الخانجي، القاهرة، (١/ ١٥٥).

(٥) ينظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد ابن تيمية، تحقيق: علي بن حسن بن ناصر الألمعي وغيره، دار الفضيلة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، (٢ /٣٢٢).





١- المحبة قائمة على التعيين: تقوم المحبة في النصرانيَّة على التعيين لا على العمل والاتصاف بصفات معينة، فالله ﷻ تتجه محبته لبعض الأعيان والأشخاص دون ارتباط هذه المحبة بالإتيان بعمل أو خلق يحبه الله، فلو نظرنا للمحبة في الإسلام نجدها تتجه إلى الأعمال والأوصاف والأخلاق لذاتها وللأعيان المتصفين بها، بينما في النصرانيَّة تتجه المحبة للأعيان بغض النظر عن أخلاقهم وأعمالهم، أو لاختصاصهم بأمور خارجة عن إرادتهم هي من القدر السابق، كأن يحب لأجل التعيين، فتكثر في كتبهم عبارات (أحبنا، أحبكم، يحب أبناءه، يحبنا ونحن خاطئون، يحبنا ونحن محرومون)، وهكذا يرتبط الحب بالأشخاص بغض النظر عن أعمالهم(١)، فالمعيار عندهم في المحبة قائم على تعيين الأشخاص لا على الأعمال والأوصاف.

٢- اتساع دعوى المحبة وعالمها في النصرانيَّة: المطلع على المحبة في الإسلام يجدها واضحة المعالم، تعرف أسبابها الموصلة لها، ولوازمها المتعلقة بها، وشروطها السابقة لها، ليعرف المؤمن كيف يسلك لينال محبة الله، أما في النصرانيَّة فهي ليست كذلك، فلا يعرف لها أخلاقيات مرتبطة بها، ولا سلوكيات لازمة لها، فيكثر التكرار المجرد للفظ المحبة، وكلٌّ يربطه فيما يراه متناسبا معها، فمن كان اتجاهه أخلاقيا ملأها بالأخلاقيات من غير انضباط واطراد، ومن كان راغبا في الأمور غير الأخلاقية حملها عليها، وذلك لأنها مجرد دعوى لا ترتبط بحقيقة واضحة ولا بسلوك مقنن(٢)، وهذا الاتساع والتجريد هو أساس مقصود عند النصارى، فوصْفُهم لله بأنه محبة، يجلي ذلك المعنى الذي يقصدون منه الفتح الكامل لمعنى المحبة، وقد تكون لهم دوافع في ذلك المسلك، كجذب الناس لدينهم تحت شعار (النصرانيَّة محبة) وغيرها.

ومما استنتجته في سياق اتساع دعوى المحبة عند النصارى، هو تلك الآراء التي تقول أن الفروق الجنسية بين الرجل والمرأة فروق وظيفية، وهي مؤقتة وليست عميقة، ولا تتصل بالعالم الآخر؛ لأنه في العالم الآخر لا يزوجون ولا يتزوجون، فالفروق بين الرجل والمرأة فروق مادية لا وجود لها في العالم الآخر، فعلى هذا فلن تنظر المرأة للرجل نظرة الشهوة -يوم القيامة- ولن ينظر الرجل إلى المرأة نظرة الاشتهاء في هذا اليوم، وفي هذه الحالة فقط ستذوب الاختلافات بين الرجل والمرأة(٣)، وربط هذا بالمحبة هو أن اقتصار المتع الأخروية على رؤية الإله فقط دون المتع الأخرى يظهر الانفتاح الكامل في النظرة إلى المحبة وعدم انضباطها، حيث إن انفتاح دعوى المحبة عندهم جعلهم يقصرون متع الآخرة على رؤية الإله فقط، وينفون ما سواه مما يتمتع به أهل الجنة مما يتعلق بالمحبة بين الرجل والمرأة.

---

(١) ينظر: صفة المحبة الإلهية في النصرانية، مفهومها، ولوازم تفسيرها، وموقف الإسلام منه، رفعة دحيم ناصر الدوسري، (ص: ١٢٣).

(٢) ينظر: المرجع السابق، (ص: ١٢٣ – ١٢٤).

(٣) ينظر: الملكوت، القمص سيداروس عبد المسيح، دار العالم العربي، الطبعة: الأولى، ١٩٧٩م، (ص: ١٠٣ - ١٠٤).





٣- التضحية لأجل محبة الآخرين: الناظر للمحبة في الإسلام يجد أنها واقعية ويمكن تطبيقها، فالإسلام لا يطلب محبة تُقَدَّم على النفس إلا محبة الله ورسوله، وهذه تَقْبلها وتستطيعها النفوس المؤمنة حقًّا، أما النصرانيَّة فهي تطلب أكثر من ذلك، إذ يدعي أتباعها أن المحبة التي يحملونها هي محبة مضحية مؤثرة، وفي ذلك ادعاء للاعتلاء على المشاعر البشرية العادية، وكم نسمع عند النصارى من قصص التضحية بالنفس والمال لأجل الآخرين، وفي ذلك صورة مثالية، الواقع يشهد بندرتها وندرة حصولها، وهذه طبيعة الفكر الإنساني إذا أغرق في المثالية خرج عن الواقع وصادمه، بل وصادم الفطرة الإنسانية[١]، ومما يسير في السياق ذاته هو اعتقادهم أن المسيح مات مصلوبا، ويعللون ذلك بأنه صلب فداء للبشر لتخليصهم من خطيئة أبيهم آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهي أَكْلُه من الشجرة التي نُهي عنها، فانتقلت تلك الخطيئة إلى أبنائه، وأغضبت الله عليهم أيضا، فكان لا بد من وسيط يتحمل هذا الإثم ويرضى بأن يموت على الصليب[٢]، وقد يستمد المتأمل في قضية أن يموت عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على الصليب ليرضى الله عن بني آدم ويتوب عليهم، أن الله -في نظر النصارى- ضحَّى بنفسه من أجل البشرية، فوجب الاقتداء بهذا الفعل، مما أورثهم فرطا في التضحية وزيادة في حدها، مما يعني عدم انضباط المحبة بنساء على هذا.

٣/ الهندوسيَّة:

يظهر للمتتبع لتعامل الهندوسيَّة مع المحبة جملة من الأمور التي تشير إلى نظرة حذرة وخوف مستمر من هذه المحبة، والدعوة لعدم الاستسلام لها والحذر منها -وهي النظرة الغالبة عليهم وليست الوحيدة-، ولعل هذه النظرة هي امتداد للنظرة العامة للأخلاق عندهم، فتجد أن الأخلاق عندهم تتسم بالتشاؤم والانكماش والانسحاب من الواقع، وهذا التشاؤم والانكماش والانسحاب يتم العمل به من أجل الاندماج في الإله المزعوم عندهم (براهما)، ونجمل هذه النظرة في الآتي:

١- الحافز والغاية في الأخلاق عند الهندوس (النظرة السلبية): تعتبر النظرة التشاؤمية هي الغالبة في النظرة الأخلاقية عند الهندوس، وهنا يضعف الحافز، وتكون الغاية غير صلبة مما يضعف الإيمان بها وتمسك القلب بها وانضباط المحبة خلالها، فالأخلاق الهندية أخلاق سلبية في طابعها العام، وهي أخلاق انكماش وفرار وانسحاب من الواقع وتشاؤم، ومن هنا ارتبطت الأخلاق الهندية بالزهد والتصوف والعزوف عن الحياة الدنيا[٣]، فمن صور الأخلاق عند الهندوسيين: أن أغلى ما يطمعون فيه هو الانطلاق والاندماج في براهما، أما كيفية الوصول إلى هذه الغاية فكانت دائمًا الزيادة المفرطة بالصوم،

---

(١) ينظر: صفة المحبة الإلهية في النصرانية، مفهومها، ولوازم تفسيرها، وموقف الإسلام منه، رفعة دحيم ناصر الدوسري، (ص: ١٢٦).

(٢) ينظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د. سعود بن عبد العزيز الخلف، (ص: ٢٢٥)، كفارة المسيح، عوض سمعان، (ص: ١٩ – ٢١).

(٣) ينظر: بدايات الفلسفة الأخلاقية، د. مُحَمَّد عبد الرحمن مرحبا، (ص: ٧٩).





وأَرَق الليل وتعذيب النفس[١]، كما يفضل أن يُبدي الهندوسي نفسه بأنه يعيش أسير الحرمان، ويحمل نفسه ألوان البلاء، وبأن يبدو دائمًا كثير الهموم، والخوف، والتشاؤم، وهو بفعله هذا لا يتمنى الموت؛ بل يرجو لنفسه الفناء في براهما، ومن أجل ذلك حفلت حياة كثير من الهنود بالبؤس ومحاربة الملاذ والسلبية والتصور وتعذيب النفس[٢]، وهذا الأسلوب يؤثر بشكل واضح على الجانب الأخلاقي بشكل عام، والمحبة هي مما يدور في ذلك الفلك الأخلاقي.

٢- النظرة الحذرة للمحبة وأحاسيسها: جاء في نصوص الكتاب المقدس (الباجافاد جيتا) عن المحبة «الحب والكره توجههما الأحاسيس نحو أهدافها، لا تكن تحت تسلط هذين الاثنين، فكلاهما يعدان من مكامنه»[٣]، وجاء كذلك: «يستخلص ثومسون قائلا: الحب والكره يتوجهان باتجاه المشاعر، الحب والكره يتوجهان باتجاه المشاعر والروح مجهولة، جميع المشاعر تنبعث من أسلوب الطبيعة المسمى (راجاس)، ويجب أن يقهر»[٤].

ومن هذه النصوص تظهر النظرة الحذرة من أحاسيس الحب، والتوجيه الصريح بقمعها، والقضاء عليها، وعدم الاستسلام لها، وهو التوجه الغالب عندهم، وهناك توجهات إيجابية أخرى، ولكنها محدودة ومحصورة.

٤/ الزرادشتيَّة:

تختص الأسس الأخلاقية للمحبة عند الزرادشتيَّة بأمرين مهمين: فأولها: أن محبة الآلهة هي الأساس الذي يدعو لنشر العدل، وثانيهما: أن المحبة عندهم لا تحد بحدود أو ضوابط، فهي مفتوحة -غير منضبطة- من أجل نشر التسامح وبذور المحبة في العالم كله -كما يزعمون-، وأُلخِّص هذه الأسس في الآتي:

١- محبة الآلهة هي الدافع الرئيس للعدالة: يزعم الزرادشتيون أن محبة الآلهة هي من دفع زرادشت للتغيير والتعديل في إرث سابقيه، ومع نبذ زرادشت للتراث القديم فإنه لم يستطع أن ينفك عنه بشكل كامل، فاصطبغت ترانيمه التي وضعها بالشكل القديم المأثور، كما اعتبر طقوس النار التي كانت في تراث من سبقه هي رمز النور، حتى بلغ به أن استخدمها في صلواته، لكنه قام بالتعديل على كل الأفكار التي أخذها من سابقيه بطريقة خاصة به، فحبه – للآلهة – تطلّب منه أن يعمل من أجل العدالة، والوفاق

---

(١) ينظر: أديان الهند الكبرى (الهندوسية – الجينية – البوذية)، د. أحمد شلبي، (ص: ٦٧)، نقلا عن nells: a short history of the world، (ص: ١٢٣).

(٢) ينظر: أديان الهند الكبرى (الهندوسية – الجينية – البوذية)، د. أحمد شلبي، (ص: ٦٧).

(٣) الباجافاد جيتا (الكتاب الهندي المقدس)، (ص: ٤٥).

(٤) الباجافاد جيتا (الكتاب الهندي المقدس)، (ص: ٤٨).





الاجتماعي ومعارضة الأعمال المدمرة التي يقوم بها الغزاة، باعتقاده أن السلام والحق يتمثل في الحياة الريفية المستقرة[1].

وأستنتج من هذا أنه لَمّا رأى زرادشت الوثنية وفساد التراث الماضي القديم، التهبت محبة الآلهة في قلبه، فدفعه ذلك اللهيب الناتج عنها إلى السعي الحثيث وراء العدالة وطلبها وتطبيقها في المجتمع، وبدل أن تدعوه المحبة الإلهية إلى عبادة الله وتوحيده والبحث عن العدالة في نفسه أولا، دعته إلى العدالة الاجتماعية وأحدثت انفصالًا في المحبة الإلهية وواجباتها، بعكس الإسلام الذي يجعل المحبة الإلهية سبيلا إلى إخلاص العبادة لله وحده، وتقديس هذه المحبة وتعظيمها في المقام الأول، فالمحبة دفعته إلى العدالة بدل أن تدفعه إلى العمل والتوحيد ودعوة الناس لتوحيد الله.

٢- انفتاح مفهوم المحبة وعدم حده بحدود: يزعم الزرادشتيون أن ديانتهم تعلم التسامح والرحمة، وتشجع على العلم واستعمال العقل والمنطق والقناعة والتفكير بالحياة ومصير الإنسان والموت، والجنة والنار وبالعناصر الأربعة (الماء والنار والهواء والتراب) التي هي من أقدس الأشياء المخلوقة عندهم، وقد عرفت الزرادشتيَّة ازدهارًا وانتشارًا واسعًا في العالم القديم، وصار لها دور كبير في الثقافة والحضارة العالمية، ويزعمون أنها ساهمت في نشر بذور المحبة والرحمة والسلام في العالم[2].

ويتبين هنا أن الحافز والغاية -العامة- عند الزرادشتيَّة هي نشر المحبة والتسامح والرحمة في العالم، مما يجعلها دعوى مفتوحة غير منضبطة، وأغفلوا جانب الحافز العقدي الديني الذي يدعو إلى المحبة المنضبطة المحدودة بحدود الدين غير المنفتحة على مصراعيها، فحدى بهم إلى اختزال الحافز، والغاية إلى سلوك روحاني عام متسامح مع الجميع ليس له ضوابط وحدود.

٥/ الكونفوشيُوسيَّة:

يغلب على الكونفوشيُوسيَّة في نظرتها للمحبة تغليب الجانب الاجتماعي، من جهة تحقيق مصالحه، وقيامه بالشكل الصحيح، مغلِّبَةً هذا الجانب على الجانب الديني المرتبط بانبثاق المحبة وضوابطها من الإله؛ لذا صار الأساس عندهم في المبدأ الأخلاقي للمحبة هو تغليب الجانب الإنساني الدنيوي على غيره من الجوانب، ويبدو ذلك في سعي كونفوشيوس إلى إقامة المدينة الفاضلة المزعومة، وتفصيل ذلك في الآتي:

١- الإلزام الأخلاقي للمحبة مصدره تطبيق النظام الاجتماعي: تعد الأخلاق هي الأمر الأساس الذي تدعو إليه الكونفوشيُوسيَّة، وهي محور الفلسفة وأساس الدين، وهي تسعى إليه بتربية الوازع الداخلي

---

(١) ينظر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، جفري بارندر، (ص: ٩١).

(٢) ينظر: الموجز في المذاهب والأديان، الأب صبري المقدسي، (١ /٥٦).





لدى الفرد، ليشعر بالانسجام، الذي يسيطر على حياته النفسية، مما يخضعها للقوانين الاجتماعية بشكل تلقائي[1].

وهذه النظرة تجلي أن مصدر الإلزام في المحبة جانب اجتماعي بحت، وليس أنها أوامر من الله ﷻ، كذلك الحافز للأخلاق هو اجتماعي وليس مبدأ طاعة لله.

٢- التركيز في المحبة على الجانب الإنساني الدنيوي: حيث لم يذهب كونفوشيوس باتجاه الحديث عن أمور الغيبيات، ولا بحث في نظام الكون وسننه، ولا هو أولى جل اهتمامه للبحث في المادة والماديات، وظواهر الطبيعة ومظاهرها، وإنما تركز اهتمامه على الجانب الإنساني[2].

وهذه النظرة المائلة إلى الجانب الإنساني والتركيز عليه على حساب الغيبيات والوحي؛ تجعل النظرة العامة قاصرة لديهم، مما يؤثر على النظرة الأخلاقية بشكل خاص وعدم مراعاة الشمولية فيها، وهذا يؤثر على المحبة من حيث قصور جوانبها وأبعادها نظرًا للقصور الموجود في النظرة العامة، وتتجرد المحبة آنذاك من الجانب الإلهي.

٣- السعي إلى تطبيق المدينة الفاضلة على أرض الواقع: كان كونفوشيوس مغرمًا بالسعي لتحقيق المدينة الفاضلة التي يدعو إليها، وهي مدينة مثالية، ويزعم الكونفوشيوسيون أنها تختلف عن مدينة أرسطو الفاضلة -ولعلهم الكونفوشيوسيون الجدد، لأن كونفوشيوس ولد ومات قبل أرسطو-، إذ إنّ مدينة كونفوشيوس مثالية في حدود واقعٍ ممكن التحقيق والتطبيق -بزعمهم-، بينما مدينة أرسطو تجنح إلى مثالية خيالية بعيدة عن مستوى التطبيق البشري القاصر[3].

وعلى ذلك فالجانب الذي يتبدى ظاهرًا للعيان من المحبة عندهم هو الجانب الاجتماعي الإنساني، وهناك جانب آخر وهو أن السعي إلى المثالية حين يصطدم بالواقع يبحث صاحبه عن مخارج واجتهادات يسد بها الثغرات التي أحدثها هذا الاصطدام، مما يجعل جانب الانضباط في الأخلاق غير متزن، وهذا يؤثر على المحبة على الخصوص.

---

(١) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (٢ /٧٥٣).

(٢) ينظر: الكونفشيوسية في الصين (دراسة تحليلية نقدية)، د. عالية صالح القرني، (ص: ٣٠١).

(٣) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (٢ /٧٥٣).



الفصل الثالث: مفهوم المحبة في الفلسفات المعاصرة (المثالية والواقعية)

مدخل: قبل بيان مفهوم المحبة في الفلسفات، يحسُن التطرق إلى بعض المفاهيم العامة والخاصة بهذا الفصل، حتى تكون مدخلًا موضِّحًا للصورة العامة المبدئية للفصل، والتي أسعى من خلالها إلى وضع قاعدة عامة أنطلق منها في تحديد تلك المفاهيم، وربطها بالسمات العامة للفلسفة المراد توضيح مفهوم المحبة فيها.

ويندرج تحت هذا الفصل مبحثان، هما:

المبحث الأول: مفهوم المحبة في الفلسفة المثالية.

المبحث الثاني: مفهوم المحبة في الفلسفة الواقعية.

ومن خلال عنوان الفصل وعنواني المبحثَيْنِ، فإن المصطلحات التي أود إيضاحها قبل الولوج في مباحث الفصل، ثلاثة مصطلحات:

المصطلح الأول: الفلسفة، وهو العنوان العام للفصل عموما.

المصطلح الثاني: المثالية، وهي الفلسفة التي سأتطرق لمفهوم المحبة فيها في المبحث الأول.

المصطلح الثالث: الواقعية، وهي ثاني الفلسفات المراد إيضاح مفهوم المحبة فيها.

أولًا: مفهوم الفلسفة:

يعرف أفلاطون(١) الفلسفة بأنها الحكمة، ويعرفها أيضا بأنها رؤية الحقيقة(٢)، ومن خلال هذا المفهوم يتضح التصاق مفهوم الفلسفة بالحكمة والهدف من وجود الشيء، كما تبحث الفلسفة عن الوصول إلى الرؤية الحقيقية التي من أجلها وجدت الأشياء، ويشمل هذا التعريف الأشياء التي تكون داخل الإنسان وخارجه.

ثانيًا: مفهوم المثالية(٣):

اشتقت كلمة مثالية من كلمة مثال، وتعني النموذج، والمثال غالبا ما يكون صورة الشيء أو الفعل في منتهى الكمال(٤)، والفكرة الرئيسة للمثالية ترتكز على الروح الإنسانية كأهم عنصر في الحياة والطبيعة

---

(١) هو أفلاطون الفيلسوف اليوناني المشهور، وُلد في أثينا، عام ٤٢٧ ق.م، اسمه الحقيقي: أرستوكليس، أسس مدرسة للفلسفة والعلوم عُرِفَت باسم الأكاديمية، وكان الفيلسوف أرسطو أبرز تلاميذه. ومن أشهر مؤلفاته: «المحاورات»، توفي سنة ٣٤٧ ق.م. ينظر: الموسوعة العربية العالمية، مجموعة من المؤلفين، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م، (١/ ٤٠٠).

(٢) ينظر: الفلسفة المثالية (قراءة جديدة لنشأتها وتطورها وغاياتها)، د. يوسف حامد الشين، (ص: ٣٢٧).

(٣) وهي الفلسفة الأولى المراد دراستها في هذا الفصل.

(٤) ينظر: الفلسفة المثالية (قراءة جديدة لنشأتها وتطورها وغاياتها)، د. يوسف حامد الشين، (ص: ١٩).



غير المادية للكون، وترى المثالية أن هذا الواقع روحي في طبيعته وليس فيزيائيا، أي: أن العالم ليس ظاهرة طبيعية، وإنما هو من صنع العقل(١)، واستخدم مصطلح المثالية لأول مرة في القرن السابع عشر عن طريق الفيلسوف لايبتنز(٢) عندما أطلقه على فلسفة أفلاطون تمييزًا لها عن الفلسفة المادية(٣)، وأستنتجُ من هذا المفهوم للمثالية عدة أمور:

١- أن الفلسفة المثالية تدرس صورة الشيء، وليس واقعه الفعلي المادي.

٢- أن الفلسفة المثالية تنزع إلى الجانب العقلي الروحي، لا إلى الجانب المادي الواقعي.

٣- ترى الفلسفة المثالية أن الواقع والعالم هو من صنع العقل، وليس له وجود مادي.

٤- ترى الفلسفة المثالية أن العالم والأحداث هي إرهاصات لتفاعلات عقلية، وليس لتفاعلات مادية فيزيائية.

المثالية المعاصرة:

تهدف المثالية المعاصرة إلى أن توحد بين الإنسان وبين واقعه الروحي الذي ينتسب إليه، وهي تعلمه أن يصقل الروح باعتبارها جزءًا من كيانه يرتبط أكثر ما يرتبط بهذا الواقع، وهي تحاول أن تخلق ارتباطًا وثيقًا بين الإنسان والطبيعة، ويجب على الإنسان ألا ينظر إلى العالم حوله باعتباره آلة هائلة تعمل بلا روح وبغير هدف، فالطبيعة أكثر من مجرد مادة متحركة، ذلك أنه حتى المقومات النهائية للمادة إنما هي روحية؛ ومِن ثَمّ فإنها وثيقة الصلة بهذا العالم، وتُولي المثالية المعاصرة اهتمامها بالأنشطة العقلية، والقدرة على الأحكام الخلقية والجمالية والانضباط الذاتي(٤)، ومن هنا يتبين ارتباط المثالية المعاصرة بالمثالية القديمة ارتباطًا وثيقًا يظهر في جملة من الأمور:

١- ارتباطها بالواقع الروحي وانصراف اهتمامها للروح.

٢- اعتبارها أن المقومات النهائية للمادة هي مقومات روحية.

٣- تُولي اهتمامها بالعقل، وقدرته على إصدار الأحكام.

---

(١) ينظر: فلسفة التربية (اتجاهاتها ومدارسها)، د. مُحَمَّد منير مرسي، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٢م، (ص: ١٧٢).

(٢) هو الفيلسوف غوتفريد فلهلم لايبنتز، فيلسوف ألماني، وعالم بالرياضيات، ولاهوتي، وكميائي، ولد سنة ١٦٤٦م في لايبتزغ، ألف العديد من المؤلفات منها: «نظرية الحركة المجردة»، و«نظرية الحركة العينية»، ومات سنة ١٧١٦م في هانوفر. ينظر: معجم الفلاسفة، (ص: ٥٧٨، وما بعدها).

(٣) ينظر: الفلسفة المثالية (قراءة جديدة لنشأتها وتطورها وغاياتها)، د. يوسف حامد الشين، (ص: ١٣-١٤).

(٤) ينظر: فلسفة التربية اتجاهاتها ومدارسها، د. مُحَمَّد منير مرسي، (ص: ١٧٣).





وقد يظهر تطور في الفلسفة المثالية المعاصرة عن القديمة في جانب إيلاء المادة جانبًا من الاعتبار، حيث إنها تُولي للجانب المادي نوعًا من الوجود أكثر من المثالية القديمة، ولكنها في نهاية الأمر ترد هذا الجانب المادي إلى اعتبارات روحية عقلية داخلية.

ثالثًا: مفهوم الواقعية:

الواقعية كلمة مأخوذة عن اللفظ الإنجليزي (realism)، بمعنى الموجود حقيقة في الطبيعة والإنسان، أو المنسوب إلى الواقع، أو هي ما حدث بالفعل مطابقًا للواقع[(١)]، وهي مذهب يجعل الاعتبار الأول للواقع ظاهر الطبيعة والحياة، وهي نزعة تعتمد على الحس، والحقائق الملموسة، في الحكم على الأشياء وتقديرها[(٢)]، وأستنتجُ من هذا التعريف جملة من الأمور:

١- أن الفلسفة الواقعية تقدم الواقع الملموس الظاهري على الشعور الذهني الداخلي.

٢- تعتمد الفلسفة الواقعية على الحس وظاهر الطبيعة والحياة.

٣- تحكم الفلسفة الواقعية على الأشياء ومقاديرها من خلال الحقائق الملموسة.

٤- تهتم الواقعية بمطابقة الأحداث الفعلية للواقع المشاهد.

٥- تعتبر الفلسفة الواقعية الوجود الحسي الملموس في الطبيعة والإنسان هو الأصل الذي تبنى عليه الحقائق.

نظرة الفلسفة الواقعية للقِيَم:

يعتقد أنصار الاتجاه الواقعي أن القيم يتم الحصول عليها عن طريق الحواس والتجربة؛ لأنها مشتقة من الواقع المحسوس، ومن ثم فهي متغيرة ونسبية، ويمكن قياسها عن طريق وسائل علمية وبحثية، كأي موضوع مادي قابل للبحث والدراسة في العلوم الطبيعية، وتصبح القيم -بناء على هذا- فعلًا اجتماعيًّا له ضوابطه ومقاييسه ومواقفه العلمية، وعندما يتفاعل الإنسان مع الواقع ومعطياته[(٣)].

---

(١) ينظر: المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، مكتبة المدرسة، بيروت، ١٩٨٢م، (٢ /٥٥٢).

(٢) ينظر: منزلة الإنسان ووجوده في المذاهب الفكرية المعاصرة (دراسة نقدية في ضوء الإسلام)، محمد عطا محمد أبو سمعان، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، كلية أصول الدين، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، (ص: ٨٢).

(٣) ينظر: القيم المتضمنة في مقرر التربية الإسلامية في المرحلة المتوسطة في ضوء إشكاليات ثورة الاتصالات بالمجتمع الكويتي، سالم يوسف الحسينان، رسالة ماجستير، جامعة طنطا، كلية التربية، قسم أصول التربية، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م، (ص: ٣٥).





والمتأمل في الفلسفة الواقعية يجد القيم والأخلاق تتمثل في حقيقة موجودة ومحسوسة في العالم المادي الخارجي، بعكس المثالية التي تنظر للقيم والأخلاق كحقائق وتصورات تتكون داخل الذهن والعقل، وتكون ملتصقة بالجانب الروحي أكثر من الجانب المادي الواقعي.





المبحث الأول: مفهوم المحبة في الفلسفة المثالية

تأتي المحبة في الفلسفة المثالية المعاصرة على عدة مفاهيم، أسعى في هذا المبحث إلى حصرها -قدر الإمكان- وتفنيدها، وذكر علاقتها بالمفهوم العام للمثالية، ثم أستخلص من تلك المفاهيم التعريف الإجرائي للمحبة في الفلسفات المثالية.

يأتي مفهوم المحبة الشمولي في الفلسفة المثالية على أنها: قوة كونية شمولية، تجمع في كل واحد الإنسان والطبيعة، والمثل الأعلى والواقع، والروحي والحسي، ويتمثل الحب في الأدب بطبيعته الروحية والمثالية، ويمكن أن يعبر عن نفسه في حب واقعي أرضي(١).

ويشتمل مفهوم الحب عادة على السعي الدائم نحو الْمَثل الأعلى الحقيقي، وحالة العشق الدائم، والركوع الصوفي أمام المبدأ الأنثوي(٢).

ويظهر بادئ ذي بدء اشتمال هذا التعريف على الجانبين (الروحي، والواقعي)، ولكنه في الحقيقة ينزع إلى الجانب الروحي أكثر منه للواقعي؛ لأنه يرى أن الحب لا يتمثل في الواقع إلا من خلال الأدب، كما أن ألفاظه تنزع إلى الجانب الروحي، مثل (المثل الأعلى - العشق - الركوع الصوفي).

ويعتبر (أفلاطون) أنَّ الحب ذو طبيعة وسط بين الآلهة والبشر، وأن أعلى مراتبه: الحب الروحي، وأدناها الحب الجسدي، ويعرف الحب العقلي بأنه: تزاوج عقلين راقيين بريء عن أي نزعة حسية، كحب الرجل للرجل، ففيه تَرَفُّع عن الحب الجسدي، وهو وحده الكفيل بقيام مشاركة بينهما طول الحياة(٣).

والمتأمل في هذا التعريف يظهر له طغيان الجانب الروحي العقلي على الجانب المادي الجسدي؛ وذلك أنه يرى أن أعلى مراتب الحب هو الحب الروحي وأدناها الجسدي.

---

(١) ينظر: الإيروس والثقافة (فلسفة الحب والفن الأوروبي)، فياتشيسلاف شستاكوف، ترجمة: د. نزار عيون السود، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، الطبعة: الأولى، ٢٠١٠م، (ص: ١٩٨).

(٢) ينظر: المرجع السابق، (ص: ٢٠٢).

(٣) ينظر: الحب عند هيغل، د. منذر شباني وهانيا بهجت مهنا، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية العدد (٥)، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد (٣٨)، ٢٠١٦م، (ص: ٤٣٧).





ويربط (ديكارت)[1] الحب بالشعور النفسي الداخلي، فيعرفه بأنه: "شعور للنفس تسببه حركة الأرواح التي تحضها للارتباط بملء إرادتها بالأغراض التي تبدو مناسبة لها"[2]، كما يرى أن الحب ليس إلا أثرًا لعلة هي (الجسم)، ولكن قد يتولد الحب أو يتغير بمفعول علل نفسية تتصل بتصورات النفس وإرادتها، وبمختلف التجارب الوجودية التي تؤثر في جسم الإنسان[3].

ويخص (ديكارت) حب عمل الخير بتعريف مستقل، حيث يعرفه بأنه: الحب الذي يحثنا على أن نريد الخير لمن نحب، كما يعرف حب الشهوة بأنه: الحب الذي يجعلنا نرغب في الشيء الذي نحب[4].

ونخلص من خلال تلك التعريفات، إلى أن الحب عند (ديكارت) هو شعور نفسي، وعلل نفسية، تتصل بتصورات النفس وإرادتها، مما يؤثر في جسم الإنسان، ويربطه غالبا بعمل الخير لمن نحب، والرغبة في الشيء الذي نحب.

والمتأمل في نظرة (ديكارت) للحب يرى ارتباطها بالمفهوم العام للمثالية من خلال:

١- ابتداء المحبة عنده من الشعور النفسي، وهو أمر داخلي في داخل الإنسان وروحه، كما هي المثالية التي ترى الحياة في داخل الإنسان.

٢- يرى أن المحبة متصلة بتصورات النفس وإرادتها، والتصورات هي مرادفة للمعنى العام للمثالية التي تنطلق من الصورة أو المثال أو النموذج وتبقى عنده، ولا تخرج للواقع غالبا.

٣- وصَفَ المحبة بأنها الرغبة في الشيء، والرغبة هي دافع داخلي يبقى في شعور الإنسان مالم ينزله إلى الواقع بأمور ملموسة محسوسة.

---

(١) هو رينيه ديكارت، فيلسوف مثالي فرنسي، كثيرا ما يلقب بأبي الفلسفة الحديثة، ويلقب كذلك بأبي المثالية الحديثة، ولد ديكارت في لاهاييه قرب شاتيليرو، في ٣١ مارس ١٥٩٦م، وفي أواخر عام ١٦٤٩م قبل دعوة من الملكة كريستينا لزيارة السويد حيث أصيب بمرض عضال وتوفي هناك في ١١ فبراير ١٦٥٠م. ينظر: الموسوعة العربية العالمية (١٠/ ٥٧٢)، والمذاهب الفلسفية العظمى في العصور الحديثة، د. محمد غلاب، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٦٧هـ ١٩٤٨م، (ص: ٨٢).

(٢) انفعالات النفس، رينيه ديكارت، ترجمة: جورج زيناتي، دار المنتخب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، (ص: ٥٥).

(٣) ينظر: في معاني الحب وأنواعه عند ديكارت، سفيان سعد الله، مجلة أوراق فلسفية، القاهرة، العدد ٥٦، (ص: ٤٧).

(٤) ينظر: انفعالات النفس، رينيه ديكارت، (ص: ٥٦-٥٧).





ويرى (سبينوزا)(١) أن الحب قد يتعلق بانفعال خارجي وقد لا يتعلق، أما الحب الذي يتعلق بانفعال خارجي فيعرفه بأنه: اللذة المصحوبة بفكرة علة خارجية(٢)، ويعتقد (سبينوزا) في هذا النوع بأن الحب مثله مثل الكراهية، يعد نتيجة انفعال قوي، وعلاوة على ذلك، فهذان الانفعالان يرتبط أحدهما بالآخر، بصورة وثيقة؛ وليس من قبيل المصادفة أن يتحول الحب بسرعة إلى كراهية، فيعرف الحب بأنه: لذة ناتجة عن سبب خارجي، ويعرف الكراهية بأنها: كدر وألم ناتج عن سبب خارجي(٣).

وهناك نوع من أنواع الحب عند (سبينوزا) لا يتعلق بالانفعالات الخارجية، وهو الحب العقلي، ويسميه (الحب العقلي لله)، ويصف هذا الحب بأنه الخير الأسمى؛ وسبب التسمية: أنه لا يتعلق بانفعال الحسد ولا بانفعال الغيرة ولا بالانفعالات الأخرى(٤)، ولعل سبب ربط (سبينوزا) الحب بالكراهية هو كونهما نتيجة انفعال قوي، وقد يتحول الحب بسرعة إلى كراهية والعكس كذلك، ويربط الحب باللذة التي تكون مصحوبة بعلة خارجية، ويعد كل حب لا يتعلق بانفعال، كانفعال الحسد والغيرة، بأنه حب أسمى.

وتظهر المثالية في هذا المفهوم للمحبة بالنظر في النوعين معًا، إلَّا أن النوع الثاني أظهر وألصق بالمثالية من النوع الأول، فألفاظه تشير بارتباطه لفظيًّا ومعنًى بالمفهوم العام للمثالية، وأُجمِل تلك الروابط في المعنيين بالآتي:

١- عدم تعلق النوع الثاني من المحبة بأي انفعال خارجي فيه إشارة واضحة لبقائه داخل الشعور والروح.

٢- ربطه بالخير الأسمى والحب العقلي لله، يبين العلاقة بين تلك الألفاظ وألفاظ المثالية العامة (المثل الأعلى) وغيره من الألفاظ التي توحي بسمو وعلو تلك المحبة وعدم نزولها للواقع المجرد.

٣- بالنظر للنوع الأول من الحب عنده ومفهومه: اللذة المصحوبة بفكرة علة خارجية، يظهر ميل سبينوزا إلى حصر هذا النوع داخل الشعور والتراخي في إظهاره إلى أرض الواقع، حيث جعل اللذة -والتي هي داخل الشعور- الأصل في المعنى، بينما العلة الخارجية أمر مصاحب غير رئيس في المعنى.

---

(١) هو سبينوزا، باروك، فيلسوف هولندي، كان يسمى أيضًا بندكت، ولد في أمستردام سنة ١٦٣٢م لأبوين يهوديين، تأثرت فلسفة سبينوزا بالفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت، وتبنى آراء ديكارت في أن الفكر والمادة هما النظامان الأساسيان للواقع، وأن العالم المادي ليس سوى أجزاء من المادة تتحرك وتتفاعل وفق قوانين سببية، توفي سنة ١٦٧٧م. ينظر: الموسوعة العربية العالمية (١٢/ ١٤٨).

(٢) ينظر: علم الأخلاق، باروخ سبينوزا، ترجمة: جلال الدين سعيد، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٩م، (ص: ١٦٢).

(٣) ينظر: الإيروس والثقافة (فلسفة الحب والفن الأوروبي)، فياتشيسلاف شستاكوف، (ص: ١٧٣).

(٤) ينظر: المرجع السابق، (١٧٣-١٧٤).



ويميل الفيلسوف (لايبنتز) إلى أن الحب هو: الميل إلى إيجاد الرضا والسعادة في خير وكمال وسعادة إنسان آخر، أو الميل إلى دمج خير الآخرين بخيرنا الشخصي[١]، فيربط الحب بشخص آخر، ويتمثل هذا في السعي إلى إسعاده وإرضائه.

ولعل ألفاظ (الميل - دمج - خير الآخرين) توحي بالارتباط بين هذا المفهوم للحب والمفهوم العام للمثالية، حيث يركز كلاهما على الأمور الداخلية الباقية في الشعور دون الجوانب الخارجية الواقعية المشاهدة على أرض الواقع.

ويرى الفيلسوف (إيمانويل كانط)[٢] أن الحب شعوري وجداني مرتبط بعاطفة الإشباع واللذة، وهو قضية إحساس لا قضية إرادة، ويعلل ذلك بقوله: يمكنني أن أحب ليس لأنني أريد، وليس واجبي أن يلزمني بأن أحب، ومن ثم فواجب الحب لا معنى له[٣]، فالحب عنده مجرد شعور وجداني داخلي لا قضية إرادة منطلقة من واجب ملزم، لذلك رَبَطَه بالعاطفة وإشباع اللذة الداخلية للإنسان.

وهذه النظرة للحب تتجلى فيها المثالية من خلال جملة من الأمور، منها:

١- اشتمال المفهوم على الأمور الوجدانية الشعورية، وتجرده من الجوانب الواقعية المشاهدة.

٢- رَبْطه باللذة الداخلية للإنسان، وبقاؤه يدور في هذه اللذة، وانتهاؤه بإشباعها، وعدم تجاوزه لهذه المرحلة.

٣- اشتمال المفهوم على الجانب العاطفي والنزعة الداخلية، ووصف الإحساس بأنه لا يتجاوز إلى الإرادة التي يمكن أن تخرج إلى أرض الواقع.

ويعرف الفيلسوف (هيغل)[٤] الحب من جانبين، الجانب الأول: الفردي الشخصي، والجانب الثاني: المجتمعي.

---

(١) ينظر: الإيروس والثقافة (فلسفة الحب والفن الأوروبي)، فياتشيسلاف شستاكوف، (ص: ١٧٦).

(٢) هو إيمانويل كانط وتكتب أحيانا (كانت)، فيلسوف ألماني، ولد بكونيغسبرغ بروسيا الشرقية، ٢٢ أبريل ١٧٢٤، ومن أهم مؤلفاته كتاب: «نقد العقل المحض»، والذي كان منهجًا جديدًا في النظر إلى المسائل الفلسفية وفي تحليلها، كما كتب في الفلسفة الأخلاقية: «ميتافيزيقا الأخلاق»، ومات بكونيغسبرغ ١٢ فبراير ١٨٠٤. ينظر: الموسوعة العربية العالمية، مجموعة من العلماء والباحثين، (١٩/ ٧٩)، معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، (٥١٣، وما بعدها).

(٣) ينظر: الإيروس والثقافة (فلسفة الحب والفن الأوروبي)، فياتشيسلاف شستاكوف، (ص: ١٩٤).

(٤) هو جورج فلهلم فريدريش هيغل، فيلسوف ألماني، ولد في شتوتغارت بألمانيا ٢٧ أغسطس ١٧٧٠م، ويعتبر أحد أهم الفلاسفة الألمان، وأهم مؤسسي المثالية الألمانية في الفلسفة في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، وكان لفلسفته أثر عميق على معظم الفلسفات المعاصرة، ومن كتبه: «موسوعة العلوم الفلسفية»، و«مبادئ في فلسفة القانون»، و«الدروس في فلسفة التاريخ»، مات بالكوليرا في ١٤ نوفمبر ١٨٣١م في برلين. ينظر: معجم الفلاسفة (ص: ٧٢١، وما بعدها).

فالحب الفردي عنده يُعرف بأنه: شعور الفرد بأنه متحد مع آخر[1]، ويميل في هذا الجانب إلى أن الحب عاطفة وأخلاق في صيغة طبيعية، أما الحب المجتمعي، فيرى أن أساسه الأخلاقي يكون من خلال الزواج، الذي يُحَوّل وحدة الجنسين الطبيعية إلى وحدة روحية؛ ولهذا فإن الحب لا يكتسِب معناه الروحي وأساسه الأخلاقي إلا في الزواج، والحب بدون زواج هو حب لا أخلاقي[2].

ويعرف الحب أيضا بأنه: علاقة جدلية مع الآخر، فيجب على الإنسان أن يعي ذاته أولا قبل أن يعي الآخر، ووعيه لذاته يكون بمعرفة علاقة ذاته ونفسه بالعالم الخارجي وموضوعاته، وعلاقتها بالذوات الأخرى، والسبب في ذلك أنها لا يمكن أن تعي نفسها وذاتها إلا من خلال فهم الذوات والنفوس الأخرى[3].

وأخلُص إلى أن (هيغل) أضاف معنى الاتحاد، وهو شعور الفرد باتحاده في الآخر، ويكتسب هذا الاتحاد معناه الأخلاقي في الزواج.

أما عن ربط مفهوم الحب عنده بالمفهوم العام للمثالية، فإن الربط يتضح بالنظر إلى المفردات، ومكان نشأتها ومنتهاها، وأذكر تلك الروابط في النقاط التالية:

١- يعرف (هيغل) الحب بأنه (اتحاد)، والاتحاد لا يمكن أن يكون واقعيًّا ظاهريًّا ملموسًا أو محسوسًا، وإنما يكون اتحادا في الجانب الروحي الداخلي.

٢- ينشأ الحب عنده بالشعور، وحين المتابعة لهذا الشعور ومرحلته الأخرى، فيتبين أن هذا الشعور ليس له منفذ إلى الخارج أو صورة واقعية يتمثل عليها؛ لذا فهو داخلي في الروح والذهن.

٣- يرى (هيغل) أن المعنى الأخلاقي للحب هو الزواج، أما أي معنى غيره فهو لا أخلاقي.

ويميل الفيلسوف (فيشته)[4] إلى وصف الحب بالاتحاد، واعتبره الوسيلة الأمثل لاتحاد الطبيعة بالعقل، فيعرف الحب بأنه: تلك النقطة الأكثر خصوصية، وودية، لاتحاد الطبيعة والعقل، وهو الحلقة الوحيدة، التي تتدخل فيها الطبيعة بالعقل، وبالتالي، فهو الوسيلة الأروع بين الطبيعي والأخلاقي، فالقانون

---

(١) فلسفة الروح (هيجل)، ولتر ستيس، ترجمة: د. إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير للطباعة والنشر- بيروت، الطبعة: الثالثة ٢٠٠٥م، (٢/ ٩٥).

(٢) ينظر: الإيروس والثقافة (فلسفة الحب والفن الأوروبي)، فياتشيسلاف شستاكوف، (ص: ١٩٦).

(٣) ينظر: الحب عند هيغل، د. منذر شباني وهانيا بهجت مهنا، (ص: ٤٣٨).

(٤) هو جوهان غوتْليب فيشْته، فيلسوف ألماني، ولد في رامينا، قرب بوتزن في ألمانيا سنة ١٧٦٢م، أثّر على العلوم الألمانية في مجالات الميتافيزيقا (ما وراء الطبيعة) وعلم الجمال والفكر الاجتماعي، كان فيشته من أتباع الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط صاحب فكرة المذهب المثالي، ومن مؤلفاته: «أساس النظرية الكاملة للمعرفة»، مات سنة ١٨١٤م. ينظر: الموسوعة العربية العالمية (١٧/ ٦٨٩).

الأخلاقي يتطلب بأن ينسى المرء نفسه في الآخر، والحب يقدم نفسه للآخر[1]، وتتضح العلاقة بين (هيغل وفيشته) من خلال وصفهم للحب بأنه اتحاد، ولكن (هيغل) جعل هذا الاتحاد بين الفرد والآخر، أما (فيشته) فوصفه بأنه بين الطبيعة والعقل.

واتجاه (فيشته) إلى أن الاتحاد يكون بين الطبيعة والعقل يمكن ربطها بالمثالية بالنقاط نفسها التي ذكرنا كروابط بين المحبة عند هيغل وبين المفهوم العام للفلسفة.

ويصف الفيلسوف (أريك فروم)[2] الحب من خلال أربعة مفاهيم، فالأول هو: المفهوم العام للحب، والثاني: مفهوم الحب الأصيل، والثالث هو: الحب اللاعقلاني، والرابع هو: الحب العاطفي.

فمفهوم الحب العام عنده، هو أن الحب: نفاذ فعال إلى الشخص الآخر الذي تخمد الوحدة رغبتي لمعرفته[3]، فطبيعة الحب في هذا التعريف هي طبيعة داخلية نفسية، تتمثل في الرغبة إلى الآخر.

أما مفهوم (الحب الأصيل) فهو: تعبير عن الإنتاجية، ويتضمن الرعاية والاحترام والمسؤولية والمعرفة[4]، فيظهر الحب هنا بصيغة عملية تطبيقية ظاهرية.

أما الحب اللاعقلاني فيسميه أيضًا (الحب الأعمى)، وهو أن يكون الشخص دون مستوى الشعور بالذاتية، فيميل إلى تأليه المحبوب كالأعمى، فيصب قواه في الشخص المحبوب، كونه الخير الأقصى والنور كله، وغالبا ما يكون هذا الحب في الأفلام والروايات، وغالبا ما يعيشه معظم الناس[5]، ويرتبط التعريف بالشعور بالذات الأخرى المحبوبة أكثر من الشعور بالذات الداخلية للإنسان، وعلة ذلك الاعتقاد بأن المحبوب هو الخير الأقصى والنور كله، ولا يخفى تأثر التعريف بالمثالية التي تصف الحب بأنه شعور داخلي روحي.

أما المفهوم الرابع للحب: فهو (الحب العاطفي)، وهو العيش في علاقة خيالية شاطحة غير واقعية، ومثاله الحب الذي يعيشه المستهلك للشاشة السينمائية والمجلات التي تحكي قصص الحب[6]، والفكرة الرئيسة لهذا التعريف: أن الحب مرتبط بالخيال غير الواقعي.

---

(١) ينظر: الإيروس والثقافة (فلسفة الحب والفن الأوروبي)، فياتشيسلاف شستاكوف، (ص: ١٩٧).

(٢) هو أريك فروم، عالم نفس وفيلسوف إنساني (مثالي) ألماني أمريكي، ولد في مدينة فرانكفورت بألمانيا عام ١٩٠٠م. ألف عدة كتب في الفلسفة وعلم النفس والدين والاجتماع، ومن أعماله: «فن الحب»، و«قلب الرجل»، و«المجتمع العاقل»، وغيرها، توفي في ٢٣ مارس عام ١٩٨٠م. ينظر: الموسوعة العربية العالمية (١٧/ ٣٥٤).

(٣) الحب عند هيغل، د. منذر شباني وهانيا بهجت مهنا، (ص: ٤٣٧).

(٤) فن الحب (بحث في طبيعة الحب وأشكاله)، أريك فروم، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار العودة، بيروت، ٢٠٠٠م، (ص: ٥٧).

(٥) ينظر: المرجع السابق، (ص: ٨٩).

(٦) ينظر: المرجع السابق، (ص: ٨٩ -٩٠).



ويعترض (فروم) على فكرة أن الحب هو الإشباع الجنسي، وأن الإشباع الجنسي هو أساس علاقات الحب المرضية، وأن الحب هو وليد اللذة الجنسية، ويذهب إلى أن السعادة الجنسية والإشباع الجنسي هما نتيجة الحب وليس العكس[١].

ويظهر في هذا الاعتراض النزعة المثالية للفيلسوف (إريك فروم)، حيث يعتبر المظاهر المادية الواقعية للحب أنها مجرد نتيجة للدوافع الداخلية.

التعريف الإجرائي للمحبة في الفلسفة المثالية:

من خلال ما سبق سرده من التعريفات، أخلُص إلى أن الحب في الفلسفة المثالية يعرف بأنه: قوة كونية شمولية، تجمع الإنسان بالطبيعة، والمثل الأعلى والواقعي، والروحي، والحسي، ويظهر واقعيا في الأدب فقط، وقد يعرف بأنه: السعي نحو المثل الأعلى الحقيقي، وقد يكون تزاوجًا بين عقلين، أعلى مراتبه: الروحي، وأدناها: الجسدي، ويوصف بأنه شعور نفسي داخلي، ورغبة في شيء معين، ويعرف بأنه اللذة المجردة، أو المصحوبة بانفعال خارجي، وفيه ميل إلى إسعاد وإرضاء الآخر، ودمجه فينا، وقد يوصف بالشعور الوجداني الذي ينشأ من العاطفة واللذة، وقد يعني الاتحاد بالآخر، أو اتحاد الطبيعة بالعقل، وقد يعبر عنه بالزواج، أو الشعور بالذات الأخرى لاعتقاد خيريتها.

وانطلاقًا من هذه المفاهيم، يمكن تعريف المحبة تعريفًا إجرائيًّا في الفلسفة المثالية بأنها: **قوة ذاتية عاطفية، وشعور نفسي داخلي وجداني تجاه شيء معين لاعتقاد فضله وخيريته، يسعى إلى دمجه واتحاده فينا، هدفه السعي نحو المثل الأعلى، واللذة المجردة، ويتمثل باتحاد الطبيعة بالعقل، والإنسان بالطبيعة، والروح بالحس، أعلى مراتبه: الحب الروحي، وأدناها: الجسدي، يظهر واقعيا في الأدب فقط.**

العلاقة بين مفهوم المحبة، ومفهوم المثالية:

تتمثل العلاقة بين التعريف الإجرائي المختار، وبين مفهوم وسمات الفلسفة المثالية في جملة من النقاط، أذكر منها:

- اشتمالهما على لفظ المثل الأعلى، فالمثل الأعلى كما سبق ذكره في الفلسفة المثالية يعني النموذج أو صورة الشيء في منتهى الكمال، والمثل الأعلى في المحبة هو كمال العاطفة أو أسماها وأعلى مراتبها، والمحبة في الفلسفة المثالية تسعى إلى هذا المثل الأعلى.
- اشتقت الفلسفة المثالية من النموذج والمثال، الذي يكون صورة الشيء في منتهى الكمال، وهو ما ذُكر في التعريف الذي يصف شعور المحبة بأنه موجه تجاه شيء معين لاعتقاد فضله وخيريته.

(١) ينظر: المرجع السابق، (ص: ٨٠ -٨١).





- ارتباط التعريف بالشعور الداخلي، وهذا أحد سمات الفلسفة المثالية التي ترتكز على الروح الداخلية للإنسان.
- ترى الفلسفة المثالية أن العالم ليس ظاهرة طبيعية، وإنما هو من صنع العقل، وهو ما برز في ألفاظ التعريف التي تشير إلى التفاعلات العقلية الداخلية مثل: (قوة، ذاتية، عاطفية، شعور، داخلي، وجداني).
- ترتكز الفلسفة المثالية على الروح باعتبارها هي الأساس في الواقع الذي نعيشه؛ لذلك اشتمل التعريف على اتحاد الأمور المادية بالجوانب الروحية، مثل: اتحاد الطبيعة بالعقل، واتحاد الروح بالحس، كما بين التعريف أن أعلى مراتب الحب هو (الحب الروحي) انطلاقًا من هذا الأساس.
- قلة الألفاظ التي تُظهر المحبة بشكلها الواقعي، واتجاه التعريف نحو الجوانب الروحية الداخلية الذاتية.
- وجود ألفاظ تبين اتجاه التعريف نحو الجوانب العقلية مثل: (دمج، واتحاد الآخر فينا)، وكما ذكر في المفاهيم السابقة للتعريف الإجرائي مثل: مفهوم (تزاوج عقلين)، تبين غياب الواقعية المحسوسة في التعريف، وهذا أحد أبرز مرتكزات المثالية، وهو اقتصارها على الجانب الروحي الداخلي.





المبحث الثاني: مفهوم المحبة في الفلسفة الواقعية

تتنوع مفاهيم ومعاني المحبة في الفلسفات الواقعية، وفي هذا المبحث أقوم بجمعها -قدر الإمكان- وتفنيدها، وربطها بالمفهوم العام للواقعية، ثم بعد الجمع والتفنيد أحاول استخلاص التعريف الإجرائي للمحبة في الفلسفات الواقعية انطلاقًا من المفهوم العام للفلسفة الواقعية.

وتظهر الواقعية في بعض جوانبها في المحبة على صورة وجدانيات عنيفة، فقد تناول الفيلسوف (أرسطو)[1] الحب ودرسه -ابتداء- كما يدرس سائر الوجدانيات العنيفة عن قلب الإنسان وأحاسيسه الخفية، وما للحب من قدرة إبداعية خلّاقة ينطوي عليها، فالحب الذي يزول ليس حبا حسب تعبيره إذ يقول: «إن حبا أمكن يوما أن ينتهي لم يكن في يوم ما من الأيام حبًّا حقيقة»[2].

وأستنتج من هذا أن مفهوم الحب عنده هو: إحساس ووجدان قلبي خفي عنيف، ينطوي على قدرة إبداعية خلّاقة، غير قابل للزوال.

وتظهر النزعة الواقعية في هذا التعريف في لفظ (العنف) حيث تطغى عليها النظرة المحسوسة المشاهدة، كذلك ألفاظ (القدرة الإبداعية) فتنطوي على أشياء مشاهدة ومحسوسة وملموسة، كما تتجلى النظرة الواقعية في عدم إمكانية زوال الحب، فعدم إمكانية الزوال تشير إلى البقاء الدائم.

ويرى الفيلسوف (فرنسيس بيكون)[3] أن الحب يتم تصويره على خشبة المسرح بشكل مثالي يختلف عن الحب في الواقع، حيث إنه في الواقع يحمل همومًا وآلامًا ومصائب، كما يرى بيكون أن الإنسان يحمل بطبعه ميلًا خفيًّا وسعيًا لمحبة الآخرين، فإذا لم يصرف هذا الميل إلى شخص واحد أو أشخاص قليلين فإنه سينتشر بالطبع على أناس كثيرين ويدفعهم لكي يصبحوا إنسانيين ورحيمين، وهذا ما يلاحظ أحيانا لدى الملوك[4].

---

(١) هو أرسطو بن ينقوماخوش، ولد في اسطاغيرا وتعرف اليوم باسم ستافرو وهي جزيرة صغيرة في شبه الجزيرة الخلقيدية سنة ٣٨٤ ق. م، هو أول من خلص صناعة البرهان من سائر الصناعات المنطقية، وصورها بالأشكال الثلاثة، وجعلها آلة للعلوم النظرية، حتى لقب بصاحب المنطق، ويعتبر مؤسس الفلسفة الواقعية، وله في جميع العلوم الفلسفية كتب. توفي سنة ٣٢٢ ق.م. ينظر: بغية الطلب في تاريخ حلب، كمال الدين ابن العديم، (٣/ ١٣٤١)، معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، (ص: ٥٢).

(٢) ينظر: الحب عند هيغل، د. منذر شباني وهانيا بهجت مهنا، (ص: ٤٣٧).

(٣) هو فرانسيس بيكون، ولد في ستراند على مقربة من لندن ٢٢ يناير ١٥٦١م، وهو فيلسوف إنجليزي، معروف بقيادته للثورة العلمية عن طريق فلسفته الجديدة القائمة على الملاحظة والتجريب، من كتبه: «حكمة الأقدمين»، و«مقدمات للتاريخ الطبيعي والتجريبي»، وغيرها. مات في لندن ٩ أبريل ١٦٢٦م. ينظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، (ص: ٢٢٦).

(٤) ينظر: الإيروس والثقافة (فلسفة الحب والفن الأوروبي)، فياتشيسلاف شستاكوف، (ص ١٧٢).





ويفرق بيكون بين الحب الزوجي والودي والحب الفاجر، فيرى أن الحب الزوجي، هو الذي يخلق الحب الإنساني، ويسمي الحب الودي (الصداقة)، ويرى أنه هو الذي يطور الحب نحو الكمال، ويرى أن الحب الفاجر هو الذي يفسق الحب ويهينه[١].

وأستنتج من هذا أن مفهوم الحب لدى بيكون هو: الميل والسعي لإسعاد الآخرين.

وتظهر الواقعية في مفهوم الحب عند (بيكون) في تصويره للحب بأنه سعي للآخرين، والسعي من الأمور التي يمكن رؤيتها والإحساس بها، كما أن الحب يظهر بجملة من الصور المشاهدة، كالألم والهم والمصيبة، وهذه كلها أمور قد يتم مشاهدتها عيانا في أرض الواقع.

وتظهر الواقعية بشكل جلي في مفهوم الحب عند الفيلسوف (ستندال)[٢]، حيث يعرف الحب بأنه: مبدأ ديمقراطي رفيع، يساوي في الحقوق بين الطبقات والفئات، والرجال والنساء، والمتأمل في رواياته يتبين له النزعة الواقعية في تصوره للحب، حيث يصفه بأنه نداء حقيقي، يكرس الإنسان له حياته كلها، بل ويبلغ به الأمر إلى أن يضحي من أجل الحب[٣].

ولعل مظاهر الواقعية بادية في التعريف والوصف، فوصف الديمقراطية يوحي بأن الحب أمر يمكن تداوله كما تُتَداول الأمور في الديمقراطية؛ لذا فإنه يرى أن الحقوق التي يتم إقرارها لجميع الطبقات والفئات والرجال والنساء هي موضوعه، كما أن وصفه بأن الإنسان يسعى لتكريس نفسه للحب، بل قد يبلغ به الأمر أن يضحي من أجله، يشير إلى تجاوز الحب الأمور الشعورية الداخلية، وتمثله ظاهرا في حياة الإنسان، كما أن الإنسان يصعب أن يسعى ويضحي لشيء مجهول لا يحس به ويعيشه بشكل واقعي.

وتستمر النظرة الواقعية للحب عند (ستندال) في تعداده لمراحله، حيث يرى أن الحب لا بد أن يمر بثلاث مراحل:

الأولى: مرحلة الولادة.

الثانية: مرحلة النمو والتطور (وتتصف هذه المرحلة والمرحلة السابقة بالشكوك والأحلام).

الثالثة: مرحلة الاكتمال والاختتام[٤].

---

(١) ينظر: المرجع السابق، (ص: ١٧٢-١٧٣).

(٢) ستندال هو الاسم المستعار للكاتب الفرنسي ماري هنري بيلي، وهو من الشخصيات المهمة في تاريخ الرواية النفسية الفرنسية. ولد ستندال في جرينوبل بفرنسا سنة ١٧٨٣م، وشارك في الحروب النابليونية، وصار نابليون الأول بطله الأعظم، وكان مهتمًا أساسًا بالبحث عن السعادة في كتاباته، واعتقد أن السعادة يمكن تحقيقها بالطاقة الجسمية والتصميم، ويمكن وجود آثار للواقعية والرومانسية في أعماله، توفي في باريس سنة ١٨٤٢م. ينظر: الموسوعة العربية العالمية، مجموعة من العلماء والباحثين، (١٢/ ١٦٧).

(٣) ينظر: الإيروس والثقافة (فلسفة الحب والفن الأوروبي)، فياتشيسلاف شستاكوف، (ص: ١٨٣).

(٤) ينظر: المرجع السابق، (ص: ١٨٤ -١٨٥).





ويفهم من وصف المرحلة الأولى والثانية بالشكوك والأحلام بأنهما تكونان داخل الشعور والعقل، بينما توحي المرحلة الثالثة بالظهور الواقعي للحب حيث اكتمل الحب عند هذه المرحلة واختتم جميع مراحله.

ولم يكتفِ ستندال بمرحلة الحب، بل صاغ له نماذج يتشكل عليها أثناء تطوره، وقد حصرها في أربعة نماذج:

النموذج الأول: الشهوة.

النموذج الثاني: الشوق، وهنا يلاحظ استمرار الحب في الشعور والحالة الداخلية.

النموذج الثالث: الحب الجسدي، وفي هذا النموذج يبدأ الحب ينزل إلى الحالة الخارجية الواقعية.

النموذج الرابع: الزهو[(١)].

وقد تظهر الواقعية في الحب على صور آلام ومعاناة مشاهدة، ويعد الفيلسوف (تولستوي)[(٢)] من الفلاسفة الذين صوروا طبيعة الحب من حيث هو معاناة وآلام، كما أنه يرى أن الحب الحسي الجسدي هو سبب المصائب البشرية[(٣)]، ولعل المتمعن لنظرة تولستوي للحب يدرك أن مفهومه للحب يظهر في عدة أمور:

١- يظهر المفهوم عند (تولستوي) من خلال تصويره لطبيعة الحب بالمعاناة والألم، كما أن ربطه المعاناة والألم والمصائب بالحب الحسي الجسدي يجلي الجانب الأكبر من نظرته له، فتولستوي يرى أن الحب ليس أمرا شعوريًّا فقط، بل هو أمر ينزل إلى الواقع، ولكنه ينزل إلى الواقع بصورة ألم ومعاناة؛ لذا فالجزء الأول من مفهوم تولستوي للحب أنه: معاناة داخلية، وسلوك عملي مؤلم.

٢- يرى (تولستوي) أن أكبر صورة لطبيعة الحب تتمثل في الحب الجسدي الحسي، حيث ربطه بالمعاناة والألم بوصفه أنه سبب المصائب البشرية، فإذا أضفنا الجزء الثاني لمفهوم الحب عنده يصبح تعريفه: معاناة داخلية، وسلوك عملي مؤلم، يتمثل في الحب الجسدي، ويعد أكبر أسباب المصائب البشرية.

(١) ينظر: المرجع السابق، (ص: ١٨٦).

(٢) هو تولستوي، ليو، كاتب روسي، يُعد من أشهر الكتاب في العالم في مجال الأدب، ولد سنة ١٨٢٨م، من أشهر أعماله: كتاب «الحرب والسلام»، و«أنَّا كارنينا»، و«ما الفن؟». وكتب بعض الأعمال المسرحية مثل: «قوة الظلام» (١٨٨٨م). وأشهر أعماله التي كتبها في أواخر حياته كانت «البعث»، وهي قصة كتبها عام (١٨٩٩م)، مات سنة ١٩١٠م. ينظر: الموسوعة العربية العالمية، مجموعة من العلماء والباحثين، (٧/ ٣٢٦).

(٣) ينظر: الإيروس والثقافة (فلسفة الحب والفن الأوروبي)، فياتشيسلاف شستاكوف، (ص: ٢٣٤).





٣- يظهر في مفهوم (تولستوي) للحب اتجاهه الواضح إلى النظرة الواقعية، حيث إنه يصوره أنه (آلام ومعاناة) والآلام والمعاناة قد تكون من الأمور المحسوسة الملموسة المشاهدة التي يمكن أن ترى بالعين المجردة، وقد تكون آلاما نفسية، ومعاناة داخلية، كما أن اعتباره الحب الجسدي هو سبب المصائب البشرية يظهر اهتمامه بالواقعية الحسية المشاهدة لطبيعة الحب ومفهومه تجاهه.

وبحكم أن الحب قد يرتبط بالعنف، فيربطه بعض الفلاسفة الواقعيين بالكراهية، حيث يرى الفيلسوف (إميل زولا)[١] أن مفهوم المحبة لا يختلف عن مفهوم الكراهية، ويحيطهما بنوع من القدسية التي ينبغي ألا تمس، ويصف أن من يتلبس بهما يوصف بالقوة والبسالة لأنه عبر عما بداخله؛ لذا فيتبين مفهوم المحبة عنده من خلال استعراض مفهوم الكراهية، فيرى أن الكراهية: شعور النفس السخي، والعيش في احتقار الأشياء المخزية، وهي تخفف الآلام وتقيم العدالة، ويرى أن قيمة الإنسان الآن هي أنه يضمر الضغينة والشحناء[٢]، والمتمعن في تعريفه للكراهية ووصفها بأنها هي المحبة يظهر له مفهوم المحبة عنده بأنه: شعور نفسي، يظهر في الواقع بتعظيم الأشياء ذات القيمة.

ويمكن ربط هذا المفهوم بالفلسفة الواقعية من خلال:

١- ظهور الشعور الأولي الداخلي على أرض الواقع من خلال أمور مشاهدة محسوسة.

٢- اشتمال المفهوم على لفظ (الأشياء)، والذي يبين أن المقصود هو أمور مشاهدة لا أفكار داخلية فقط.

٣- أن المحب يعظم الأشياء ذات القيمة، والتي لها قيمة عالية مهمة عنده؛ لذا فالقيمة والأهمية تكون للأشياء التي يمكن الإحساس بها ومشاهدتها.

---

(١) هو زولا، إميل، روائيّ فرنسيّ، ولد في العاصمة الفرنسية باريس سنة ١٨٤٠م، يعدُّ مؤسس المذهب الطبيعي في الأدب، كتب العديد من الأعمال النقدية التي يدافع فيها عن المذهب الطبيعي، مثل: «الرواية التجريبية» (١٨٨٠م)، و«الروائيون الطبيعيون» (١٨٨١م)، و«المذهب الطبيعي في المسرح» (١٨٨١م)، ومات زولا سنة ١٩٠٢م. ينظر: الموسوعة العربية العالمية، مجموعة من العلماء والباحثين، (١١/ ٦٨٢).

(٢) ينظر: إميل زولا، تأليف: مارك برنارد، ترجمة: غالية شملي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٧٨م، (ص: ١٣٥).





ويرتبط الحب في الفلسفة الواقعية بالجنس -كأحد صوره وحقائقه الملموسة- ارتباطًا وثيقًا، حيث يرى الفيلسوف (سيجموند فرويد)[١] أن الحب غريزة في الإنسان، ويتمثل في صورته الواقعية الظاهرية على صورة الجنس، ويمكن إجمال نظرته في عدة نقاط:

١- يرى (فرويد) أن الإنسان يمتثل لنزعاته الغريزية تحت أي ظرف وضغط، فتجده يريد الحب وينشد اللذة ويتحاشى الألم حتى وهو يتعرض إلى ضغط الظروف الاقتصادية[٢]، فمبتدأ الحب عنده هو نزعة غريزية تتأثر بالظروف.

٢- يرى (فرويد) أن كل حب منشؤه الجنس، حتى لو بدا لنا مفرغًا من الجنس، حيث إن منشأ الحب هو الغريزة المنبثقة من الرغبة الجنسية، وهذه الغريزة قد يحاول الإنسان أن يجعلها دافعًا لحب الناس، ولكنه يحاول أن يفرغه من الشهوة والنزعة الجنسية[٣]، وهنا يربط فرويد نشأة الحب بالجنس.

٣- يندر أن يكون الإنسان خيّرًا تماما أو شريّرًا تماما على وجه الإطلاق، ولكن تارة في الخير وتارة في الشر، وتكون هناك تقلبات تتعرض لها الغرائز، فبعض دوافع الشر القوية في الطفولة تنقلب إلى خير عند البلوغ، وقد ينقلب الطفل الأناني المسرف إلى شخص باذل ومضحٍ، وسبب هذا التقلب عاملان:

الأول (داخلي): وهو عامل الرغبة الجنسية التي تتفجر إلى الحب بأوسع معانيه، فيساهم في تحويل الأنانية الفردية الداخلية إلى حب اجتماعي، فنتعلم قيمة الحب وقيمة أن نكون محط حب الآخرين، ونتعلم أن حب الآخرين ميزة نضحي في سبيلها.

الثاني (خارجي): تنشئة الحب فينا، ودفعها لنا لاحترام مطالب بيئاتنا الثقافية، ثم تأتي الحضارة لتطور هذه التنشئة، فتجبر كل إنسان متحضر على التخلي عن العامل الداخلي المتمثل في الرغبات الغريزية وإشباعها[٤]، ونستنتج من تلك العوامل أن مفهوم الحب عند (فرويد) من حيث عوامل التأثير، يتلخص في مفهومين:

الأول (الحب الداخلي): وهو أثر الرغبة الجنسية المتحول إلى أوسع معاني الحب الاجتماعي.

الثاني (الحب الخارجي): وهو الدافع إلى احترام مطالب البيئة الثقافية النابع من التنشئة.

---

(١) هو سيجموند فرويد، طبيب نمساوي ولد في فريبرج مورافيا بتشيكوسلوفكيا (السابقة) عام ١٨٥٦م، كتب عدة أعمال أهمها: «تفسير الأحلام»، و«مقدمة في التحليل النفسي»، وتعتبر نظرياته في السلوك والعقل ومنهجه في العلاج أساس علم النفس الحديث، توفي سنة ١٩٣٩م. ينظر: الموسوعة العربية العالمية، مجموعة من العلماء والباحثين، (١٧/ ٣٥٥).

(٢) ينظر: الحب والحرب والحضارة والموت، سيجموند فرويد، دراسة وترجمة: د. عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، (ص: ٦).

(٣) ينظر: المرجع السابق، (ص: ٧٧).

(٤) ينظر: المرجع السابق، (ص: ١٧-١٩).





٤- تتلخص أنواع الحب عند (فرويد) ومفهومها في الآتي:

النوع الأول: الحب الجنسي: وهو الحب الذي يهدف إلى الإفراغ الجنسي فقط.

النوع الثاني: الحب التناسلي: وهو الحب الذي يجعل الجنس وسيلة للإنجاب.

النوع الثالث: الحب الغيري: وهو أن يحب الرجل المرأة، وتحب المرأة الرجل.

النوع الرابع: الحب المثلي: وهو أن يحب الرجلُ الرجلَ، وتحب المرأةُ المرأةَ[١]، وتظهر من خلال تقسيمه للحب ومفاهيم تلك التقسيمات النظرة الواقعية التي تتمثل في السلوك الجنسي المحسوس والملموس.

ويمكن استنتاج مفهوم الحب عند (فرويد) بأنه: شعور بالانجذاب تجاه الآخر، هدفه الإفراغ الجنسي والإنجاب.

٥- بالنظر إلى علاقة الحب بالثقافة عند (فرويد)، فإنه يطلق على الحب الذي يتجاوز الحدود الجنسية أنه (حب ثقافي)، أو صداقة من الناحية الثقافية؛ لأنها لا تقتصر على موضوع واحد (وهو الجنس) بل أكثر منه، لكن يحدث هناك خلل وصدع في هذا النوع من الحب، حيث إنه مع تطور العلاقة المتبادلة تفتقد تلك العلاقات بساطتها، والسبب في ذلك أن الحب لا يساير مقتضيات الثقافة، والثقافة كذلك تشكل تهديدًا على الحب بالقيود التي تفرضه عليه[٢]، وتشير نظرته إلى الثقافة وعلاقتها بالحب وحتمية حدوث خلل وتصدع فيه، إلا أنه لا بد للحب من صورة واقعية محسوسة ملموسة يتمثل عليها لكي يتجنب ذلك الصدع والخلل.

٦- يمكن حصر دوافع الحب السلوكي (العملي) عند فرويد، إلى دافعين:

الأول: الدافع الغريزي: أن يظهر الحب على الفرد باستمرار بدافع الغريزة، وسماه (فرويد): الحب.

الثاني: الدافع النفعي: أن يظهر الحب على الفرد طالما أن سلوكه يعود عليه بالنفع ويفي بمتطلباته الأنانية، ويسميه فرويد (توقع المكافأة)[٣]، وهذه الدوافع الملموسة المشاهدة، هي استمرار لنظرة (فرويد) الواقعية المادية للحب.

٧- أما عن أثر نظرية الحب عند (فرويد)، فبحلول أواخر القرن التاسع عشر أصبح التحليل النفسي (الفرويدي) الشكل المسيطر لفهم ظاهرة الحب أو ظاهرة الجنس بشكل أدق[٤]، فأصبح الجنس في

---

(١) ينظر: المرجع السابق، (ص ٧٠) ، في الحاشية، من كلام المترجم الحنفي.

(٢) ينظر: المرجع السابق، (ص: ٦٧-٦٨).

(٣) ينظر: المرجع السابق، (ص: ٢٠).

(٤) ينظر: الإيروس والثقافة (فلسفة الحب والفن الأوروبي)، فياتشيسلاف شستاكوف، (ص: ٢٣٦).



الغرب -في القرن العشرين- مادة للبحوث في اتجاهات كثيرة من العلم، وبخاصة التحليل النفسي، فالنظرية (الفرويدية) كانت النظرية الأكثر تأثيرا، والتي ساهمت بالقسط الأكبر في دراسة سيكولوجية النزعة الجنسية، وقد بقيت الفرويدية النظرية الرائدة في علم الجنس الغربي، طيلة عقود طويلة[١]، وهذا يبين طغيان نظريته في ذلك القرن.

وتظهر المحبة في الفلسفة الواقعية المعاصرة، على صورة رسوم وصور فنية تُرى وتُشاهد بالعين المجردة، وتطور الأمر حتى دخل موضوع الجنس على هذه النظرة كأحد المظاهر التي تجعل المحبة تتمثل في صورة واقعية محسوسة يتم مشاهدتها عيانا والإحساس بها في الواقع، وتكونت تلك النظرة من خلال:

١- ارتبط مفهوم الحب بنزعة الفن، حيث إن الفن هو أحد المجالات التي يمكن أن تُظهر الحب بصورة واقعية من خلال رسومات الفنانين التي يتم مشاهدتها بالعين المجردة.

٢- ظهر الحب بشكل واقعي ومشاهد ومحسوس من خلال الصور المحفورة على الخشب على شكل إيحاءات جنسية، مثل تسمية بعض المحفورات الخشبية (قصة عاهرة) أو (قصة داعر)، مما يشير إلى أن الحب يتجلى بشكل محسوس وملموس من خلال هذه المحفورات[٢].

٣- تطور مفهوم الحب الواقعي متأثرًا بالنزعة الفنية ورسوماتها التصويرية، وكذلك متأثرًا بالمحفورات الخشبية التي تحوي الإيحاءات الجنسية، حتى حلَّ الجنس محل الحب، فصارت الفلسفة الجنسية هي الطاغية على فلسفة الحب، نظرًا للتوجه الجارف نحو الجنس كأحد مظاهر نظرة الفلسفة الواقعية للحب[٣].

التعريف الإجرائي للمحبة في الفلسفة الواقعية:

من خلال حصر المفاهيم للمحبة عند الفلاسفة الواقعيين، تبين أن مفهومها يشير إلى أنها: إحساس ووجدان قلبي خفي عنيف، ينطوي على قدرة إبداعية خلاقة، غير قابل للزوال، وميل وسعي لإسعاد الآخرين، ومبدأ ديمقراطي رفيع، يساوي في الحقوق بين الطبقات والفئات، والرجال والنساء، ومعاناة داخلية، وسلوك عملي مؤلم، يتمثل في الحب الجسدي، ويعد أكبر أسباب المصائب البشرية، وشعور نفسي، يظهر في الواقع بتعظيم الأشياء ذات القيمة، وشعور بالانجذاب تجاه الآخر، هدفه الإفراغ الجنسي والإنجاب.

---

(١) ينظر: المرجع السابق، (ص: ٢٧٠).

(٢) ينظر: المرجع السابق، (ص: ١٩٠ -١٩١).

(٣) ينظر: المرجع السابق، (ص: ٢٦٩).



وانطلاقا من هذه المفاهيم، يمكن تعريف المحبة تعريفًا إجرائيًّا في الفلسفة الواقعية بأنها: **شعور نفسي، ومعاناة داخلية، ووجدان قلبي عنيف، يؤدي إلى الميل لإسعاد الآخر والانجذاب إليه، ويتمثل في الحب الجسدي الحسي، ويهدف إلى الإفراغ الجنسي.**

العلاقة بين مفهوم المحبة ومفهوم الواقعية: تتمثل العلاقة بين التعريف الإجرائي المختار، وبين مفهوم وسمات الفلسفة الواقعية في جملة من النقاط، أذكر منها:

- اشتمالهما على لفظي الجسدي والحسي، فاللفظان يشيران إلى الأمور الحسية الملموسة المشاهدة، وتهتم دائما بالواقع الملموس.
- تميل الفلسفة الواقعية إلى الأمور الظاهرية في الطبيعة والحياة، وهو ما يتمثل في التعريف بوصف الهدف من المحبة، وهو الإفراغ الجنسي والإنجاب.
- تشير جملة (الإفراغ الجنسي والإنجاب) إلى المبدأ العام في الفلسفات الواقعية، حيث إنها تحكم على الأشياء ومقاديرها بالحقائق الملموسة المحسوسة، فالجنس هو حقيقة ملموسة محسوسة تصور الحب بصورته الواقعية، كما أن الإنجاب كذلك هو واقع محسوس ملموس يشير إلى أحد صور المحبة.
- تبني الفلسفة الواقعية الحقائق على الوجود الحسي الملموس في الطبيعة، وهو ما يتمثل في ابتداء مفهوم المحبة بالأمور الشعورية الداخلية الوجدانية، وانتهاؤه بالأمور المحسوسة الملموسة التي يمكن أن يبنى عليها حقيقة ومثال واقعي.
- اقتصار الألفاظ التي تُظهر المحبة بشكلها المثالي الشعوري الداخلي على منشأ المحبة، واتجاه التعريف في نتيجته نحو الجوانب الواقعية الملموسة المشاهدة.



الفصل الرابع: مقارنة مفهوم المحبة بين الإسلام، والأديان، والفلسفات المعاصرة

بعد أن انتهيتُ من استعراض مفهوم المحبة في الإسلام، والأديان المحرفة والوضعية، والفلسفات المعاصرة، نأتي إلى الفصل الرابع الذي أَنشُدُ فيه مقارنة ما تم استعراضه واستنتاجه في المفهوم، ولكي أسير على منهج واضح، فيحسن أن أبدأ بتعريف المقارنة، وتحديد المقصود منها.

فلفظة: (مقارنة): مأخوذة من (قرن)، وقارن الشيء بالشيء، أو قارن بين الشيء والشيء: وازنه به، وقابل بينهما، ويقال: قارن نصوصًا بعضها ببعض، أي: قارن بينها بالنظر إليها[(١)]، وميدانها يكون في التأثيرات الأدبية المتبادلة التي تتعدى الحدود اللغوية والجنسية والسياسية، كأن يدرس آداب بلدين فيقابل بينهما، ويربط الواحدة بالأخرى، مستخلصًا أوجه الشبه والتأثيرات المتبادلة[(٢)]، والبحوث التي تشمل المقارنة -مثل هذا البحث-، تعرف بأنها: «البحوث التي تسعى إلى إبراز مواطن الوفاق، أو الخلاف، بين قضيتين أو قضايا، في موضوع واحد، مع تفسير ذلك وتعليله»[(٣)].

وعلى هذا التعريف سأبين المنهج الذي سأسلكه في البحث، فإن الأصل في المقارنة التي ستكون في هذا البحث: هو ما تم ذكره في أهداف البحث، والقائم على إبراز تميز المحبة في الإسلام عن الأديان المحرفة والوضعية والفلسفات المعاصرة.

وعلى هذا فإن المقارنة تقوم على مبدأ إبراز جوانب الشمولية والكمال في الإسلام، مقابل جوانب النقص والخلل في الأديان، والفلسفات المعاصرة.

ولكي يزداد المنهج وضوحًا وتحديدًا، فإني سأقوم بالمقارنة على جملة من الأسس والمحددات التي من شأنها أن تجعل المقارنة فاعلة مثمرة، والأسس والمحددات يمكن إجمالها في الآتي:

- تقوم المقارنة على أساس تميز الإسلام في النظرة للمحبة عن الأديان والفلسفات المعاصرة.
- مقارنة أبرز المظاهر التي قمت باستنتاجها ورصدها أثناء البحث في الإسلام والأديان والفلسفات المعاصرة، ولا يعني هذا الإحاطة بكل مواطن المقارنة؛ لأنه أمر متعذر، ويحتاج وقتا أطول، ومشروعًا لا يمكن لباحث واحد أن يقوم به وحده.

---

(١) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد عمر مختار، (١٣٠٥/٣).

(٢) ينظر: المرجع السابق، (١٨٠٦/٣).

(٣) أبجديات البحث في العلوم الشرعية، د. فريد الأنصاري، (ص: ٩٠).



- قد يبرز جانب معين في إحدى الديانات أو الفلسفات يحمل بعض الصفات المختلفة عن الأمر المراد مقارنته مما هو جدير بالمقارنة، فسأقوم بمقارنته بالإسلام في حينه.
- سيكون المنهج المتبع هو البدء بذكر مواطن تميز الإسلام في النقطة المرادة، ثم الانتقال لليهودية وبيان مواطن النقص والخلل ومقارنتها بالإسلام، ثم النصرانيَّة، ثم الأديان الوَضْعيَّة الثلاثة (الهندوسيَّة، والزرادشتيَّة، والكونفوشيُوسيَّة)، ثم الفلسفة المثالية، ثم الواقعية.
- سيكون الاعتماد في المادة العلمية والاستنتاجات الواردة في مباحث المقارنة على ما تم إيراده في المباحث الأصلية الواردة في الفصول السابقة له.
- عند بيان مظاهر تميز الإسلام في نظرته للمحبة سأقوم باستعراض المظاهر البارزة العامة، أما المظاهر التفصيلية التي يتميز بها الإسلام، فسيتم استعراضها بعد ذكر كل مظهر أو موطن خلل أو نقص في الأديان والفلسفات المعاصرة.
- تجري هذه المحددات والأسس للمقارنة على جميع مباحث المقارنة في البحث.

ويندرج تحت هذا الفصل ثلاثة مباحث، وهي:

المبحث الأول: مقارنة تعريف المحبة، ومرادفاتها، بين الإسلام، والأديان، والفلسفات المعاصرة.

المبحث الثاني: مقارنة مصادر المحبة بين الإسلام، والأديان، والفلسفات المعاصرة.

المبحث الثالث: مقارنة أسس المحبة بين الإسلام، والأديان، والفلسفات المعاصرة.



المبحث الأول: مقارنة تعريف المحبة ومرادفاتها بين الإسلام، والأديان، والفلسفات المعاصرة

أولًا: الإسلام:

تمتاز تعريفات الإسلام للمحبة بأنها تجمع بين الجانب الوجداني الشعوري الداخلي للمحبة، وفي الوقت نفسه فإنها لا تغفل الجانب العملي السلوكي الظاهري، وأذكر مثالين لتوضيح هذا الامتياز، الأول: في تعريف ابن تيمية رحمه الله بأن المحبة هي: «العلة الفاعلة لإدراك الملائم المحبوب المشتهى، واللذة والسرور هي الغاية»[(١)]، وقد علل ذهابه إلى هذا التعريف بقوله: «ومن المعلوم أن كل محبة وبغضة فإنه يتبعها لذة وألم، ففي نيل المحبوب لذة، وفراقه يكون فيه ألم، وفي نيل المكروه ألم، وفي العافية منه تكون فيه لذة، فاللذة تكون بعد إدراك المشتهى والمحبة تدعو إلى إدراكه»[(٢)]، ووصفه لها بالعلة يشير إلى أنها سبب، فالعلة هي السبب، وفَعَلَت هذه العلة فعلها في الإنسان، فهي علة فاعلة أحدثت شيئًا في الشعور والوجدان، ثم ربطها بالإدراك الذي يُنبئ عن سلوك يحدث تجاه الشيء الذي لاءمه وأحبه واشتهاه، فتعريفه للمحبة شامل للجانب الشعوري الوجداني الداخلي، والسلوك العملي الظاهري.

أما الثاني: فهو تعريف ابن القيم رحمه الله حيث جمع في تعريفه للمحبة بين الجانبين (الشعوري الداخلي، والعملي الظاهري)، فذهب إلى تعريفها بأنها: «ميل الإنسان إلى ما يلائم طبعه»[(٣)].

وبالنظر للتعريف ومفرداته، نجده يشمل الجانب الشعوري والعملي، فالجانب الشعوري الوجداني يبرز في كلمة (ميل) في أول التعريف، والجانب العملي السلوكي يظهر في كلمة (طبعه)، وطبع الإنسان يشمل تصرفاته وأخلاقه الاجتماعية الظاهرة، كما أن ميل الإنسان لما يلائم طبعه يمكن رؤيته بالعين على شكل سلوك يفيد بميلان الإنسان لهذا الملائِم، فابتدأ التعريف بالجانب الشعوري، وانتهى بالجانب العملي.

ويظهر هذا الجانب المتميز في نظرة الإسلام من خلال مرادفات المحبة في الإسلام، فالمرادفات العشرة للمحبة المختارة في البحث هي: الألفة، والهوى، والشوق، والإيثار، والقِلَّة، والعلاقة، والصبابة، والمودة، والشغف، والخُلة.

والمتأمل في ما ذكرته من تعريفات وشواهد على كل مرادفة، يجد أن هناك مرادفات تنزع إلى الجانب الشعوري الداخلي، وهناك مرادفات يغلب عليها الجانب السلوكي الظاهري.

---

(١) قاعدة في المحبة، ابن تيمية، (ص: ٦٠).

(٢) المرجع السابق، (ص: ٦٠).

(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، ابن القيم، (ص: ١٩٠).



ثانيًا: اليهوديَّة:

إذا ما أتينا لمقارنة الجانب الداخلي الشعوري والظاهري العملي في الديانة اليهوديَّة مقابل النظرة في الإسلام، فإن الديانة اليهوديَّة لا تجمع بين الجانبين، بل إنه يغلب الجانب الظاهري التعبيري الذي يتشكل على صور محسوسة، ويغيب إلى حد ما الجانب الشعوري الوجداني الخالص الذي لا يتجسد في الخارج على شكل صور محسوسة أو ملموسة، بخلاف النظرة الإسلامية التي تمتاز بشمول هذين الجانبين في معظم تعريفاتها، وهو ما تدعو إليه في جميع شؤون حياة الإنسان بالحث على خلق التوازن بين الجانب الروحي الداخلي والجانب الخارجي السلوكي.

ويظهر ميل اليهوديَّة في نظرتها للمحبة إلى الجانب الظاهري المحسوس في تعبيرهم عن المحبة الزوجية، فقد ذهب بعضهم إلى أن مفهوم المحبة الزوجية هو: «عطية الإنجاب»[(١)]، ولعل الجانب الظاهري العملي في التعريف يتمثل في التعبير عن المحبة الزوجية بهذه الألفاظ، فلفظ الإنجاب مثلا، يشير إلى المولود الذي أنجبه الزوجان من خلال علاقة الزوجية، وهذا المولود هو مظهر حسي ملموس ظاهري.

وامتدادًا للنظرة الظاهرية للمحبة في اليهوديَّة، فإنه يظهر في نظرتهم وتعريفهم للمحبة الروحية، فإنهم يذهبون في بعض تعريفاتهم لها إلى إنزالها على شكل صورة واقعية متمثلة في العلاقة بين الأقارب والأصدقاء[(٢)].

كما تربط اليهوديَّة بين الحب في سياقه الإنساني والحب في سياقه الإلهي، وهذا يعزز النظرة المادية للمحبة والسعي إلى البعد عن الجانب الروحي الشعوري الداخلي، والاتجاه إلى الجانب الظاهري الواقعي المحسوس، ويظهر الربط بين السياقين (الإنساني والإلهي)، في كون العلاقة تكون في الاتجاهين، بمعنى أن الحب الإنساني -بين البشر وبعضهم البعض- هو أصلا من نبع الحب الإلهي، كما أن الحب الإنساني قد يكون رمزا لحب الله[(٣)]، والرمزية للحب الإلهي بالحب الإنساني هو من باب التصوير والمشاهدة لحب لا يمكن رؤيته ووصفه، لذلك تم تصويره بما يمكن مشاهدته، ولأجل هذا يمكن الحكم على اليهوديَّة بإغفال الجانب الروحي الشعوري الداخلي للمحبة.

ثالثًا: النصرانيَّة:

بالنظر للنصرانية وتعريفها للمحبة ومقارنته بتعريفها في الإسلام، يتبين أَنَّ الاتجاه الروحي الداخلي الشعوري يُعَدُّ هو الطابع السائد على نظرتها للمحبة، والملاحِظ يجد أن النصارى في نظرتهم للمحبة يقفون

---

(١) ينظر: القاموس الموسوعي للعهد الجديد، فرلين د.فيربروج، (ص: ٦).

(٢) ينظر: المرجع السابق، (ص: ٦).

(٣) ينظر: مجلة أديان (المودة والرحمة والمحبة في الأديان)، الحاخام ستينسالتز، (ص: ٩).





موقفا مغايرا لليهود، فنظرتهم تشير إلى المحبة الكاملة المثالية المشابهة لمحبة الله، والمتأمل في تعريفاتهم يرى أنها كثيرا ما تبتعد عن الواقع المشاهد المحسوس، بعكس اليهود الذين يسعون إلى إنزال المحبة للواقع بصور مشاهدة محسوسة.

ومن الدلائل على توجه النصرانيّة إلى الجانب الشعوري الداخلي الوجداني هو طريقتهم في التعامل مع المحبة الإلهية والإنسانية، فتجدهم -غالبا- لا يفرقون بين المحبتين، فهم يخلطون في تعريفهم للمحبة الروحية الوجدانية بين المحبة الإلهية والمحبة الإنسانية؛ لذا فلا يضعون تعريفًا خاصًّا لكل محبة، بل يعرفون المحبة تعريفًا واحدًا شاملًا للاتجاهين، فيقولون إنها هي: «الرغبة الحارة المتلهفة لأجل خير المحبوب، والاهتمام العظيم برفاهيته»(١)، ولم يُفَرَّق في هذا التعريف بين محبة الله ومحبة الإنسان، حيث جاء شاملًا لكِلا المحبتين.

وتظهر تلك النظرة للمحبة من خلال سعيهم للتشبه بالله ﷻ في جميع الأعمال، فهم في جانب تعريف المحبة الإنسانية يحاولون الارتفاع بها إلى أعلى درجات الكمال، وهدفهم بمحاولة الارتقاء هذه هو أنهم يبحثون عن الاقتداء بالله.

كما تظهر تلك النظرة في نظرهم إلى المحبة على أنها: «مبدأ تعاطفي، يتجسد في تصرفات غايتها السمو بالطبيعة إلى أعلى درجة ممكنة من درجات الكمال، اقتداء بالله الكمال المطلق، وتحقيقًا لما يشعر الإنسان الحر أنه له وجد»(٢).

ويظهر في هذا التعريف جملة من الأمور التي تُجلي النظرة الروحية الشعورية للمحبة عندهم من خلال الآتي:

١- يعتبر هذا التعريف امتدادًا لمنهجهم في الجمع بين المحبتين (الإلهية والإنسانية)، حيث يسعون بالسمو بالمحبة الإنسانية حتى تبلغ هذا المبلغ.

٢- ربط السمو والارتفاع بالمحبة إلى أعلى درجات الكمال بأنه اقتداء بالله ﷻ، يبين أن المحبة المقصودة هي المحبة الداخلية الشعورية.

٣- ارتباط تعريفات المحبة بالجانب الشعوري الداخلي الوجداني يُظهر ضعف الاهتمام بالجانب العملي السلوكي، وأنه لا يأتي في منزلة المحبة الوجدانية الداخلية، بخلاف اليهود الذين اهتموا بالجانب الظاهري العملي على حساب الجانب الشعوري المعنوي الوجداني.

---

(١) قاموس الكتاب المقدس، مجمع الكنائس الشرقية، (ص: ٢٨٥).

(٢) الموسوعة الفلسفية العربية، رئيس التحرير: د. معن زيادة، (١/٧٣٤).





وبمقارنة منهج النصرانيَّة بالإسلام، فإن الإسلام لا يهمل الجانب الظاهري العملي السلوكي المحسوس؛ لذا فإن المحبة في الإسلام تمتلك طابعًا عمليًّا ظاهريًّا متميزًا، ينعكس على الحياة الاجتماعية، بعكس النصرانيَّة التي تغرق في الروحانيات والمثاليات.

ويتضح من خلال المقارنة بين تعريف الإسلام للمحبة، وتعريف اليهوديَّة والنصرانيَّة لها، أن اليهوديَّة تنزع إلى المحبة الظاهرية العملية السلوكية، بينما تنزع النصرانيَّة إلى المحبة الروحية الشعورية الوجدانية الداخلية، أمَّا الإسلام فإنه جاء متميزًا عن تلك النظرتين، ولعلي أجمل تميزه عنهما في هذا الجانب في جملة من النقاط:

١- لم ينحَ الإسلام منحى إحدى الديانتين، ولم يتجه إلى نبذ نظرتهما للمحبة، بل إنه جاء من أجل بيان أنه يمتلك منهجًا متميزًا في النظرة للمحبة، فالمنهج قائم على الشمولية للجانب الشعوري والسلوكي، وهذه الشمولية تُبين عظمة دين الإسلام، فالشمولية في الإسلام أمر ظاهر متميز.

٢- تتَّسم التعريفات في الإسلام بالاهتمام بالجانب الداخلي والخارجي للإنسان، وهذا يُظهر نهج الإسلام لمنهج التوازن في النظرة للإنسان والطبيعة، أو الروح والمادة، ونظرة التوازن هذه تأتي في سياقات متعددة، فمنها الاجتماعي والاقتصادي وغيرهما، ولعل الجانب الاجتماعي الذي يتمثل في الألفة والمحبة بين أفراد المجتمع، هو أحد المظاهر التي تُبرز التوازن في النظرة للمحبة، فالمجتمع المسلم يهتم بالمحبة الداخلية والألفة بين قلوب المسلمين، وكذلك يهتم بالجانب الظاهري العملي السلوكي المتمثل في تقديم الخدمة والإحسان إلى الناس.

وشاهد الجانب الداخلي القلبي المتمثل في الألفة، قوله تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ﴾ [الأنفال: ٦٣]، أما الجانب الظاهري العملي المتمثل في الإحسان إلى الناس فشواهده كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

٣- يشير الأمران السابقان اللذان يتميز بهما الإسلام في جمعه بين النظرتين العملية والسلوكية، إلى أمر آخر هو من مميزات الأمة الإسلامية، وهو الوسطية في جميع شؤون الحياة، فلا إفراط ولا تفريط، فقد قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]، والسابر للنظرة اليهوديَّة والنصرانيَّة يرى ضعف منهج الوسطية في النظرة للمحبة، ويرى جانب الإفراط والتفريط ظاهرًا في كل جوانب النظرتين الوجدانية والعملية.

٤- تمتاز النظرة الإسلامية للمحبة من خلال تعريفاتها بأنها جامعة شاملة لجميع الجوانب التي تتعلق بحياة الإنسان الداخلية والخارجية، وهذا يُظهر ميزة كمال الدين الإسلامي في نظرته لجميع الأمور،





فقد قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣].

٥- تمتاز النظرة الإسلامية في الجمع بين كافة جوانب الإنسان الداخلية والخارجية بالاهتمام بكافة جوانب الإنسان، وعدم إهمال جانب والاهتمام بالآخر، وعدم طغيان كفة جانب على حساب جانب آخر، وهو ما يتمثل في قول الله تعال: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ﴾ [الأنعام: ٣٨].

٦- إن الانحياز في تعريف المحبة إلى جانب واحد يجعل الإشباع الذي يجده الفرد المعتنق للديانة في هذا الجانب فقط، بينما يصيبه الفراغ في الجانب الذي تمّ إهماله، وهو ما ينطبق على اليهوديَّة والنصرانيَّة في اهتمام كل ديانة منهما بجانب دون الآخر، أمَّا الإسلام فإنه يسعى إلى الإشباع في كافة الجوانب، فاهتمامه بالجانب الروحي الإلهي هو إشباع للجانب الداخلي، واهتمامه بالجانب العملي السلوكي هو إشباع للجانب الخارجي، وعلى هذا فإن النفس والمجتمع تنالهما المحبة من كافة أطرافها.

رابعًا: الهندوسيَّة:

إنَّ المطَّلع على النظرة الهندوسيَّة وتعريفها للمحبة ومقارنته بالإسلام، والمتأمل في مجال المقارنة في كون التعريفات شاملة للجانبين الداخلي والخارجي، أو الروحي والسلوكي، أو منحازة لأحدهما، فإنه يظهر له أن الجانب الروحي الداخلي للمحبة هو النزعة الأكثر تأثيرا في الهندوسيَّة، وهو التوجه السائد في أغلب التعريفات التي توصلت إليها.

ويطغى على تعريفات المحبة في الهندوسيَّة النظرة السلبية للمحبة، وتتجلى السلبية في وصف بعض من يعرفون المحبة بأنها شعور يعكر صفاء الذهن ويؤثر على قرارات الإنسان الحياتية تأثيرًا سلبيًّا، ويعدونه من الأمور التي ينبغي التحرر منها، ويرون أن المحبة مرتبطة بالطبيعة ومنبعثة منها، ومن التعريفات التي تُظهر هذه النظرة في الهندوسيَّة: تعريفهم للمحبة بأنها: شعور ينبعث من أسلوب الطبيعة، وتستعملها الأحاسيس في تحقيق غاياتها، ويتوجب قهرها ومواجهتها وعدم الخضوع لسيطرتها(١)، ويصفون المحبة داخل الذهن بأنها الرغبة، فيجعلون معناها أنها: أحد الرغبات الذهنية المسيطرة على القلب، والتي ينبغي التحرر من سيطرتها والتخلص منها، للدخول في التنسك والوصول لمنزلة القديسية(٢).

(١) ينظر: الباجافادجيتا (الكتاب الهندي المقدس)، (ص: ٤٥ – ٤٨).

(٢) ينظر: المرجع السابق، (ص: ٣٦).





وتظهر نقاط المقارنة في التعريفات بين الإسلام والهندوسيَّة في النقاط التالية:

١- يطغى على تعريفات المحبة في الهندوسيَّة النزعة للجانب الروحي الداخلي، والتركيز على هذا الجانب وتجاهل الجانب العملي الظاهري للمحبة، بينما الإسلام يمتلك منهجًا متوازنًا في الجمع بين المحبة الروحية الداخلية والخارجية.

٢- يسيطر أسلوب التحذير من المحبة وآثارها على التعريفات الهندوسيَّة للمحبة، ويعتبرونها أحد المؤثرات السلبية التي ينبغي الحذر منها، بينما تتسم التعريفات في الإسلام بالنظرة الإيجابية للمحبة، والدعوة إلى صرفها إلى الطريق الصحيح.

٣- تشير بعض التعريفات في الهندوسيَّة إلى أن المحبة لا تنبعث من الداخل الإنساني، بل تنبعث من الطبيعة الخارجية، وهذا -في نظري- هو سبب النظرة السلبية لها، بينما التعريفات في الإسلام تشير إلى انبعاث المحبة من الشعور الداخلي، ولا تحذر من خروج هذا الشعور إلى أرض الواقع، وظهوره للعيان بشكل محسوس، بل توجهه وتجعل له ضوابط تجعله يسير بالاتجاه الصحيح الإيجابي.

٤- تسعى الهندوسيَّة من خلال التعريفات إلى التخلص من المحبة، وتدعو معتنقيها إلى هذا الأمر، ويشير ذلك إلى سعيها لرصد منابع المحبة والقضاء عليها، وفي نظري أن هذا الأمر منافٍ لمنهج الوسطية في النظرة إلى المؤثرات الإنسانية الانفعالية، ومن المعلوم أن الوسطية هي من الأمور التي يتميز بها الإسلام، وهي أمر متعلق بالنظرة العامة التي تحدث التوازن داخل الإنسان.

٥- تعتبر الهندوسيَّة -من خلال التعريفات- أن المحبة تُعد حاجزًا عن الترقي في المنزلة الإلهية القدسية للإنسان، وهو امتداد للنظرة السلبية العامة للمحبة، ولكن توجه هذه السلبية إلى المعنى الروحي الإلهي، حيث إنه على المتنسِّك أن يبتعد عن المحبة، وهنا تبرز النظرة السلبية المغرقة لهذا الشعور الداخلي، أمَّا الإسلام فإنه ينظر إلى أن محبة الله هي أعظم الأمور التي يمكن أن يتلبس بها المتعبد لله، بل إن العبد كلما كان أكثر محبة كان أكثر تعبدًا وخضوعًا لله ﷻ.

خامسًا: الزرادشتيَّة:

تتجه الزرادشتيَّة في تعريفاتها للمحبة إلى الجانب الروحي الداخلي أكثر من الاتجاه إلى الجانب العملي السلوكي، فإنه غالبًا ما توصف المحبة عندهم بأوصافٍ تشير إلى المحبة الشعورية الوجدانية، وتنزع إلى وصف المحبة بالإيمان القلبي، وتعلق القلب وتعاطفه، وسخاء الروح وكرمها، وهذه النزعة الروحية الشعورية الداخلية للمحبة هي السائدة على لغة تعريفاتها.





وإذا ما اطلعنا على المحبة من الجانب الآخر وهو الجانب السلوكي الظاهري، فإنه يأتي بدرجة أقل من الاهتمام من الجانب الروحي الداخلي، ولعل المنطلقات الروحية التي تنطلق منها عقائد وأفكار الديانة عموما هي المبرر لتفوق الجانب الروحي على الجانب العملي للمحبة في الزرادشتيَّة.

وللتدليل على تلك النظرة، فإن من تعريفات المحبة في الزرادشتيَّة، أنها: شعور داخلي يحوِّل العدوَّ صديقًا، والخبيثَ طيبًا، والجاهل عالِمًا[(١)]، والذي يصَيِّر الأشخاص المتصفين بتلك الأوصاف المكروهة إلى أشخاص محبوبين، لا بد أن يكون خلفه دافع قوي يمكِّنُه من تحويل تلك المنبوذات إلى محبوبات، وهذا ما يجعل الحكم على توجههم للمحبة بأنه يميل إلى الجانب الروحي، حيث إن الدوافع تعتبر أمرًا داخليًّا.

كما يعرفون المحبة بأنها: الانفتاح على الأرواح الطاهرة، والترنُّم بالخير، واستلهام القوة من روح مختلفة[(٢)]، والمتأمل في التعريف يرى أن الجانب الروحي يطغى على مفهومه، حيث يشير إلى المحبة وعلاقتها بالأرواح ومناجاتها، وهذا سياق روحي شعوري داخلي.

وللمقارنة بين تعريفات الزرادشتيَّة للمحبة وبين تعريفات الإسلام، فإني أجملها في عدة نقاط:

١- تُظهِر الزرادشتيَّة المحبة على أنها قادرة على تحويل الأعداء لأصدقاء، والخبثاء إلى طيبين، والجهلاء إلى علماء، والذي استنتجته أن القدرة تكون داخل الإنسان في تحويل نظرته لهؤلاء، فبدل أن ينظر للعدو كعدو، فإن المحبة تجعله ينظر له كصديق، والخبيث كذلك، والجاهل كذلك، وفي نظري أن هذا الأمر غير قابل للتطبيق، وينزع إلى المثالية، وغير واقعي حقيقةً، أمَّا الإسلام فإنه لا يجعل المحبة كذلك، بل لا يكلف النفس إلا ما تطيق، ويتعامل مع الانفعالات الداخلية وغيرها بواقعية حتى تكون ثمرة تطبيقها أكبر.

٢- تَصْرِف الزرادشتيَّة المحبة من خلال التعريفات إلى الأرواح الطاهرة، وهذه محبة شعورية متجهة في الغالب إلى السماء، والإسلام يجعل المحبة الإلهية متجهة إلى الله وحده، ويشدد الإسلام على المحبة الإلهية وصرفها لله وحده، وينبذ كل محبة تُقَدَّمُ على محبة الله.

٣- تجعل الزرادشتيَّة مصدر استلهام القوة الأرواح المختلفة، كالأرواح الطاهرة المزعومة عندهم، وتبين التعريفات أن المحبة هي إحدى السبل التي يمكن استجلاب تلك القوة بها، فصرف المحبة للروح المختلفة كفيل أن يحضر القوة المرجوة للإنسان، وهذا الأمر غير موجود في الإسلام، فالإسلام يجعل العبد يستلهم القوة من التوكل على الله والاستعانة به، ومن ثَمَّ بذل الأسباب المادية المباحة،

---

(١) قصة الحضارة، ويليام جيمس ديورانت، (٢ /٤٣٢).

(٢) أفستا (الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية)، د. خليل عبد الرحمن، (ص: ٦١٤-٦١٥).





وليس للأرواح المختلفة -سواء أرواح الموتى أو الجن أو الملائكة أو غيرهم- أيّ دور في استلهام القوة.

٤- تجعل الزرادشتيَّة الغاية من الجانب العملي للمحبة تحقيق الوفاق والسلام، فيعرفون المحبة بأنها: العمل من أجل العدالة والوفاق الاجتماعي وتحقيق السلام[١]، أمَّا الإسلام فإن غاية المحبة العملية يكون من جانبين، أولهما: جانب المحبة الإلهية، ويكون بالعمل والعبادة، وهما دليل المحبة الروحية. وثانيهما: جانب المحبة البشرية، وهو التآلف من أجل نشر دين الله، وإقامة الحق.

سادسًا: الكونفوشيُوسيَّة:

تسعى الكونفوشيُوسيَّة في تعريفها للمحبة إلى الجمع بين الجانبين الداخلي والخارجي، الروحي والعملي، وهو المجال الذي سأقارن تعريفاتها من خلاله بالتعريفات في الإسلام، فقد ذكرتُ في تعريفاتها أن نظرتها للمحبة تنقسم إلى قسمين:

الأول: النظرة للمحبة على أنها أمر داخلي وجداني شعوري نفسي.

الثاني: النظرة للمحبة على أنها أمر ظاهري عملي مجتمعي ينزع إلى السلوك، ويُنظر لها في هذا السياق أيضا أنها أداة تستعمل لتسيير المجتمع وانتظامه.

فالمحبة تعني في القسم الأول: الشعور بالانسجام النفسي مع المجتمع، والخضوع لقوانينه بشكل تلقائي[٢]، وتعني كذلك: التعبير عن الشوق لأرواح الأجداد، ولا يقف الحد عند هذا الشوق لتلك الأرواح فقط، بل إنه يتجاوزه إلى معانٍ أكبر من الشوق، وأكثر تعبيرًا عن هذه المحبة، تتمثل في الطاعة والانصياع، فيأتي تعريفها في سياق هذا المعنى العميق، أنها بمعنى: إظهار الطاعة والانصياع لأرواح الأجداد، تقديرًا للبركات التي تمنحها لهم تلك الأرواح[٣]؛ لذا فإن النظرة الروحية للمحبة في الكونفوشيُوسيَّة تأخذ معنى الشوق والطاعة والانصياع للأرواح.

وأقارن هذا القسم من المحبة في الكونفوشيُوسيَّة بمفهوم المحبة في بالإسلام قبل الانتقال إلى القسم الثاني العملي، وأوجه المقارنة تتلخص في الآتي:

١- تربط الكونفوشيُوسيَّة جانب المحبة الداخلي النفسي الشعوري بالانسجام مع المجتمع، وهذا يعني أن بقاء المحبة في داخل النفس بقاء ضئيلًا غير كافٍ، فهي تنتقل مباشرة من النشأة داخل الشعور

---

(١) ينظر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، جفري بارندر، (ص: ٩١).

(٢) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (٢ /٧٥٣)، ما بعد الموت عند اليهودية، النصرانية، المجوسية، الهندوسية، البوذية، الكنفوشيوسية، د. مشاري سعيد المطرفي، (ص: ١٩٧).

(٣) ينظر: الكونفشيوسية في الصين (دراسة تحليلية نقدية)، د. عالية صالح القرني، (ص: ٣١٤).





إلى المجتمع الخارجي بشكل مباشر، بينما في الإسلام تأخذ بُعدًا بنائيًّا أكبر داخل الشعور؛ لذا فإن إشارة تعريفات الإسلام للمحبة بأنها: العلة الفاعلة لإدراك الملائم المحبوب المشتهى، تشير إلى نشأة الشعور الداخلي وبقائه حتى يتمكن من الإدراك الداخلي للمحبوب، وهذا يبين أن المحبة في الإسلام تأخذ بناءً داخليًّا أقوى وأرسخ منها في الكونفوشيُوسيَّة.

٢- ترى الكونفوشيُوسيَّة أن الجانب الروحي للمحبة يتمثل في إظهار الشوق والطاعة والانصياع لأرواح الأجداد، أمَّا الإسلام فإنه يحرم المحبة التي تجعل الإنسان ينصاع لروح غائبة ويقدم لها الطاعة، ويعتبر أن هذه المحبة لا تُصرَف إلا لله ﷻ؛ لأن الأرواح الغائبة لا تنفع ولا تضر.

وإذا ما أتينا لمقارنة القسم الثاني للمحبة العملية في الكونفوشيُوسيَّة بالمحبة في الإسلام، فإن المحبة في الكونفوشيُوسيَّة تأتي على شكل سلوك عملي أو أداة مجتمعية فنظرتهم للمحبة أنها: أداة لتنظيم سلوك الأفراد، وتحقيق التآلف بين الناس[1]، ويظهر هذا الأمر في سلوك كونفوشيوس، فقد كان مغرمًا بتحقيق المدينة الفاضلة[2]، ولعلي أبرز أهم نقاط المقارنة بين الإسلام والكونفوشيُوسيَّة في الجانب العملي من خلال:

١- تُعَد المدينة الفاضلة أحد أسباب اهتمام الكونفوشيُوسيَّة بالمحبة، حيث إنها أهم أداة لبناء مجتمع متماسك يحقق ذلك الهدف، بينما التعريفات في الإسلام ليس فيها أمرٌ كهذا، حيث إن تعريفات المحبة في الإسلام شاملة متزنة، والمدينة الفاضلة -في الكونفوشيُوسيَّة- يشوبها شيء من النظرة المثالية غير القابلة للتطبيق.

٢- تُعَبِّر الكونفوشيُوسيَّة عن المحبة بأنها: سلوك عملي، يتمثل في حسن المعاملة ورقة الحديث والأدب والخطاب مع الآخرين[3]، أَمَّا في الإسلام فيعتبر حسن المعاملة ورقة الحديث وغيرها من السلوكيات إنما هي نتيجة للمحبة وليست هي المحبة، فتعريفات المحبة في الإسلام تعامل المحبة كأمر مستقل عن حسن التعامل والرقة في الحديث وغيرها، ولا تفصلها عنها البتة بل تجعلها أحد نتائجها ومظاهرها.

سابعًا: الفلسفة المثالية:

إن الفكرة الرئيسية للفلسفة المثالية ترتكز على الروح الإنسانية كأهم عنصر في الحياة والطبيعة غير المادية للكون، وترى الفلسفة المثالية أن هذا الواقع روحي في طبيعته وليس فيزيائيًّا، أي: أن العالم ليس

---

(١) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (٢ /٧٤٩).

(٢) ينظر: المرجع السابق، (٢ /٧٥٣).

(٣) ينظر: الكونفشيوسية في الصين (دراسة تحليلية نقدية)، د. عالية صالح القرني، (ص: ٢٩٩).





ظاهرة طبيعية، وإنما هو من صنع العقل[١]؛ لذا فإن الفلسفة المثالية تدرس صورة الشيء وليس واقعه الفعلي المادي، كما ترى أن الواقع والعالم هو من صنع العقل وليس له وجود مادي، وتنظر للعالم والأحداث على أنها إرهاصات لتفاعلات عقلية وليس لتفاعلات مادية فيزيائية، وعلى هذا فإنها تنزع إلى الجانب الروحي لا إلى الجانب المادي.

وبمقارنة أظهر تعريفات الحب في الفلسفة المثالية التي تُبرز الجانب الروحي الداخلي للمحبة، وهو تعريف الفيلسوف (إيمانويل كانط)، الذي يرى أن الحب شعوري وجداني مرتبط بعاطفة الإشباع واللذة، وهو قضية إحساس لا قضية إرادة، ويعلل ذلك بأنه يمكنني أن أحب ليس لأنني أريد، وليس واجبي أن يلزمني بأن أحب، وبالتالي فواجب الحب لا معنى له[٢].

فالحب عنده مجرد شعور وجداني داخلي لا قضية إرادة منطلقة من واجب ملزم؛ لذلك رَبَطه بالعاطفة وإشباع اللذة الداخلية للإنسان.

ومن التعريفات كذلك، تعريف المحبة بأنها: الميل إلى إيجاد الرضا والسعادة في خيرٍ وكمال وسعادة إنسان آخر، أو الميل إلى دمج خير الآخرين بخيرنا الشخصي[٣]، كما ترى المثالية بأن هناك حب لله، ويتمثل في الحب العقلي، ويسمى (الحب العقلي لله)، ويوصف هذا الحب بأنه الخير الأسمى، وسبب التسمية؛ لأنه لا يتعلق بانفعال الحسد ولا بانفعال الغيرة ولا بالانفعالات الأخرى[٤]، كما يرى بعض المثاليين أنَّ الحب ذو طبيعة وسط بين الآلهة والبشر، وأن أعلى مراتبه الحب الروحي، وأدناها الحب الجسدي، ويعرف الحب العقلي بأنه: تزاوج عقلين راقيين بريء عن أي نزعة حسية، كحب الرجل للرجل، ففيه ترفع عن الحب الجسدي، وهو وحده الكفيل بقيام مشاركة بينهما طول الحياة[٥]، والتعريفات في الفلسفة المثالية تأخذ ألوانًا وأشكالًا مختلفة، بل تأخذ كذلك اتجاهات مختلفة؛ لذا سأركز في المقارنة على أبرز الاتجاهات، وبمقارنة تلك التعريفات مع تعريفات المحبة في الإسلام تظهر فُرُوقٌ أجملها في الآتي:

١- يغلب على نظرة الفلسفة المثالية للحب الجانب الروحي الداخلي، فهي ترى أن المحبة يتم بناؤها داخل المثال، وعلى هذا فهي باقية داخل هذا المثال غير موجودة في الواقع المادي العملي، بينما الإسلام يجمع في نظرته للمحبة بين الجانب الداخلي الشعوري والجانب الخارجي الواقعي؛ لذا فقد تأثرت التعريفات بتلك النظرة.

---

(١) ينظر: فلسفة التربية اتجاهاتها ومدارسها، د. محمد منير مرسي، (ص: ١٧٢).

(٢) ينظر: الإيروس والثقافة (فلسفة الحب والفن الأوروبي)، فياتشيسلاف شستاكوف، (ص: ١٩٤).

(٣) ينظر: المرجع السابق، (ص: ١٧٦).

(٤) ينظر: المرجع السابق، (ص: ١٧٣-١٧٤).

(٥) ينظر: الحب عند هيغل، د. منذر شباني وهانيا بهجت مهنا، (ص: ٤٣٧).





٢- الحب في المثالية شعوري وجداني مرتبط بعاطفة الإشباع واللذة، فهو قضية إحساس لا قضية إرادة، فالحب في هذه النظرة مجرد شعور وجداني داخلي لا قضية إرادة منطلقة من واجب ملزم، ونفي إلزام المحبة كواجب يدعو إلى العبادة هو أحد أوجه امتياز الإسلام عن الفلسفة المثالية، فالمحبة في الإسلام لها شروط وأحكام، كما أنها إلزام، فمحبة الله تقتضي الالتزام بالعبادة والعمل، ومحبة المؤمنين تقتضي التعاون على البر والتقوى والنصرة.

٣- تميل بعض التعريفات للمحبة في المثالية إلى إيجاد الرضا والسعادة لإنسان آخر، والسعي إلى دمج خير الآخرين بخيرنا الشخصي، وهذا أمر مغرق في المثالية وغير قابل للتطبيق، فهو يفتقد الواقعية التي لا تنفك عن نظرة الإسلام للمحبة، فقضية دمج الآخرين فينا أو دمج خيرهم ومحبتهم هي من الأمور غير الظاهرة في تعريفات الإسلام، حيث يعامل الإسلام كل فرد على حدة، ولا يسعى لدمج شيء من هذا؛ لأن إمكانية الدمج قد تكون متعذرة وغير واقعية، كما أن الإسلام لا يظهر في تعريفاته قضية الدمج والسعي لإسعاد الآخر وإرضائه، لأن إسعاد الآخرين لا بد أن يكون بتحقيق ما يريدون بغض النظر عن صحته الشرعية من عدمها، فمن قدّم محبةً على محبة الله في الإسلام، فإنه يرتكب أعظم المحرمات، بل قد يؤدي ذلك إلى خروجه من دائرة الإسلام، فلا محبة في الإسلام تعلو على محبة الله.

٤- يرى بعض المثاليين بأن الحب ذو طبيعة وسط بين الآلهة والبشر، وأن أعلى مراتبه الحب الروحي، وأدناها الحب الجسدي، أمَّا الإسلام فلا يقسم تلك التقسيمات، بل ينظر للمحبة على أنها ذات طبائع مختلفة، ولا يسعى للجمع بينها، فيقسمها على أنها محبة محمودة؛ كحب الله وحب الأعمال المقربة إلى الله وحب المؤمنين، ومحبة عامة جِبِلِّية مباحة؛ كحب الأبناء والأصدقاء وغيرهم، ومحبة مذمومة؛ كحب ما يغضب الله وحب ما يحرمه الإسلام.

ثامنًا: الفلسفة الواقعية:

تتجه الفلسفة الواقعية في تعريفاتها للمحبة للجانب الظاهري الخارجي الواقعي المحسوس، ويختلف الفلاسفة الواقعيون في نظرتهم للحب باتجاهات متعددة تظهر عليها الصبغة الواقعية كعامل مشترك، كما يشتركون في التقليل من أثر المثالية على المحبة من خلال وصفها بالداخل الشعوري، ويتجه بعضهم لرفض النظرة المثالية الداخلية للمحبة بشكل تام، ومن مظاهر تلك النظرة الواقعية للمحبة إظهارها على صورة وجدانيات عنيفة، فيتناولون المحبة كما يتناولون سائر الوجدانيات العنيفة عن قلب الإنسان وأحاسيسه





الخفية، ويؤمنون بأن للحب قدرة إبداعية خلاقة ينطوي عليها، فالحب عند أصحاب هذا التوجه لا يزول أبدًا، والحب الذي يزول ليس حبًّا[1].

وتظهر الواقعية بشكل جلي في تعريف الحب بأنه: مبدأ ديمقراطي رفيع، يساوي في الحقوق بين الطبقات والفئات، والرجال والنساء، وتظهر الواقعية في وصف الحب بأنه نداء حقيقي، يكرس الإنسان له حياته كلها، بل ويبلغ به الأمر إلى أن يضحي من أجل الحب[2]، فوصف الحب بالديمقراطية يوحي بإمكانية تداوله كما تُتَداول الأمور في الديمقراطية، ووصفه بأن الإنسان يسعى لتكريس نفسه للحب، بل قد يبلغ به الأمر أن يضحي من أجله، يشير إلى تجاوز الحب الأمور الشعورية الداخلية، وتمثله ظاهرًا في حياة الإنسان؛ لأن الإنسان يصعب أن يسعى ويضحي لشيء مجهول لا يحس به ويعيشه بشكل واقعي.

وقد تظهر الواقعية في الحب بالنظرة للحب من حيث هو معاناة وآلام[3]، وعلى هذه النظرة فالحب لا يبقى في داخل الشعور وقتًا طويلا، بل إنه ينزل إلى الواقع، ولكنه ينزل إلى الواقع على صورة ألم ومعاناة، والآلام والمعاناة من الأمور المحسوسة الملموسة المشاهدة التي يمكن أن ترى بالعين المجردة، أو على الأقل يمكن رؤية تعابير الإنسان على وجهه ووصفها بتعابير الآلام والمعاناة.

وعلى كلٍّ فإن مؤدى التوجه العام عند الفلاسفة الواقعيين هو إضفاء النزعة الواقعية العملية السلوكية المحسوسة على تعريفات المحبة، ومحاولة نزع الجانب الداخلي الشعوري الوجداني لفظًا ومعنى من التعريفات، وكما قلنا فإن الواقعية نشأت كردة فعل للمثالية؛ لذا فإن سلوكها هذا المسلك، ونهجها هذا المنهج ليس بغريب، حيث تبني فلسفتها ومنطلقاتها وأفكارها عليه.

وتتلخص نقاط المقارنة بين تعريفات المحبة في الفلسفة الواقعية وبين التعريفات في الإسلام، في الآتي:

١- تهمل الفلسفة الواقعية الجانب الداخلي الشعوري للمحبة، حيث تختلف درجات الإهمال عند الفلاسفة الواقعيين، فمنهم من يرى التقليل منه، ومنهم من يرى إنكاره تمامًا، فتكون المحبة عند المنكرين ناشئة من الخارج وليس من الداخل، أمَّا الإسلام فإنه ينظر للمحبة من هذه الجهة بنظرة متوازنة تقوم على اعتبار الجانبين.

٢- يصف بعض الفلاسفة الواقعيين الحب بأنه نداء حقيقي، يكرس الإنسان له حياته كلها، بل ويبلغ به الأمر إلى أن يضحي من أجل الحب، ولا شك أن الحب عندهم هو الحب الظاهري المحسوس، أمَّا الإسلام فيتعامل مع الحب بضوابط وأحكام لا بد من مراعاتها، فالحب لا بد أن يتم صرفه لله

---

(١) ينظر: الحب عند هيغل، د. منذر شباني وهانيا بهجت مهنا، (ص: ٤٣٧).

(٢) ينظر: الإيروس والثقافة (فلسفة الحب والفن الأوروبي)، فياتشيسلاف شستاكوف، (ص: ١٨٣).

(٣) ينظر: المرجع السابق، (ص: ٢٣٤).





ﷻ على هيئة التعظيم له، والعبادة والعمل بما أَمَر به، فيجمع بين المحبة الداخلية الشعوري القائمة على التعظيم لله، والمحبة العملية القائمة على العبادة والعمل له، ولا يقر الإسلام التضحية في الحب البشري، بل يحرم على الإنسان أن يلقي بنفسه للتهلكة من أجل شيء إلا لأجل نصرة دين الله.

٣- تشير تعريفات المحبة في الفلسفة الواقعيةُ إلى أن الحب لا يمكن حده بضوابط أو حدود، وقد استنتجت هذا الاستنتاج من وصفهم للحب بالديمقراطية، ووصفهم هذا يوحي بإمكانية تداوله كما تُتَداول الأمور في الديمقراطية، فهم يطلقون له عنان الحرية من غير شروط أو حدود، أَمَّا في الإسلام فإن المحبة تسير وَفق ضوابط لا بد أن يقوم بها الإنسان، ويحسن هنا بيان مبدأ تزكية النفس الموجود في الإسلام كأحد مظاهر ضبط جميع الانفعالات الإنسانية، ويتمثل ذلك في قوله تعالى عن النفس الإنسانية: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧ - ١٠].



المبحث الثاني: مقارنة مصادر المحبة بين الإسلام، والأديان، والفلسفات المعاصرة

أولًا: الإسلام:

مصادر المحبة في الإسلام أربعة، وهي الدِّين، والعقل، والفطرة، والعرف.

وعن تفاصيل وميزات استمداد المحبة من تلك المصادر: أبدأ بالمصدر الأول وهو الدين، فيستمد المسلمون المحبة من الدين من خلال ثلاثة مصادر، وهي: القرآن الكريم والسنة النبوية وإجماع سلف الأمة، ويتميز مصدرا القرآن الكريم والسنة النبوية بأنهما ثابتان بالسند وأصح الكتب في قضية الثبوت، وبكونهما منزهَيْنِ عن التحريف والتغيير.

ومن مميزات ورود المحبة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة: استخدام أساليب متعددة ومتنوعة في ذكرها، فتارة تأتي المحبة في سياق إثبات محبة الله لأقوام وأوصاف معينة، وتارة بنفي محبة الله لأوصاف وصفات معينة، وتارة لا تذكر المحبة نصًّا، وإنما ترد بذكر أحد مراتبها أو مرادفاتها، وتارة لا يعبَّرُ عن المحبة بوصفها هي، بل بذكر نقيض المحبة بألفاظ متعددة، مثل السُّخط والكُره(١)، وتعدُّد هذه الأساليب يشير إلى قيمة هذه المحبة، حيث وردت بهذا الكم من الذكر، وهذا التعدد في الأساليب والطرق، ومن المعلوم أن الوحي نزل مفرقا، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾ [الفرقان: ٣٢]، لأن "تعبيد الناس لله تعالى يحتاج إلى منهج متفرد ليتم اجتثاث ما فسد من عقائدهم، وترسخ من تشريعاتهم، ودرجوا عليه من سلوكهم... وقد نزل القرآن متدرجا في مرحلتين، المكية والمدنية، وفي كلتيهما تدرج في جملة من الأحكام"(٢)، فتعدد أساليب المحبة وتنوعها يجري في هذا السياق.

كما يعتبر إجماع سلف الأمة أحد المصادر التي يستقي منها المسلمون مسائلهم في المحبة، حيث يحمي السلف المحبة من الأفكار المنحرفة والمذاهب الهدَّامة، وكذلك في تمثلها في سلوكهم وتصرفاتهم، وما ذاك إلا امتثالًا لما تعلموه من كلام الله ﷻ وسنة نبيه مُحَمَّد ﷺ.

ويتميز العقل في الإسلام بدلالته على نوعين من المحبة، وهما: محبة الله لعباده، ومحبة العباد لله، وتوجيه ذلك أن كل صفة أثبتها الله لنفسه في القرآن الكريم قد دل السمع الصحيح والعقل الصريح على

---

(١) ينظر: حقيقة المحبة في العقيدة الإسلامية، رنا أحمد مُحَمَّد أبو حبيب، (ص: ١٣ – ١٥).

(٢) التدرج في التشريع، أ.د. عبد الله بن عثمان بن علي المنصوري، أ.د. عبد الحق عبد الدائم القاضي، مجلة كليات التربية، جامعة عدن، اليمن، العدد (١٣)، ٢٠١٢م، (ص: ٢٨٥).



إثباتها لله ﷻ، وبذلك يكون قد تواطأ عليها دليل السمع ودليل العقل معًا، ومن هنا تميز المنهج الإسلامي في التعامل مع العقل.

وترتبط الفطرة بالمحبة من وجهين، أولهما: وجود لفظ المحبة في تعريف الفطرة، فهي محبة الخير وإيثاره، كما أن المحبة تنوب أحيانًا عن لفظ الفطرة، وثانيهما: أن قبول الخير والإخلاص لله والتقرب إليه، تعتبر المحبة من أعظم الدوافع الفطرية الداخلية لتحقيقه والقيام به.

كما يظهر العرف في المحبة، في أن المحبة والإرادة في الإسلام ترتبطان بكل عمل وحركة؛ لذا فارتباطها بجميع الأعمال والحركات يجعلها داخل الشعور معروفة بشكل تلقائي لا إرادي، كما أن منشأ الأعمال التي يقوم بها المسلم من الطاعات والعبادات هو محبة الله ﷻ؛ لذا كان من المعروف داخل الذهن ربط كل عمل يقوم به الإنسان لله جل وعلا بالمحبة والتعظيم وعلو المنزلة لله ﷻ في قلب هذا العبد.

ولبيان مظاهر تميز مصادر المحبة في الإسلام، فإني أجملها في النقاط الآتية:

١- تعتبر ميزة الجمع بين الجانبين الداخلي الشعوري والظاهري العملي منطبقة على مصادر المحبة في الإسلام؛ لذا فإنه يجري عليها من الميزات ما تمّ ذكره في المبحث السابق في تعريفات المحبة، وهذا مظهر واحد لكنه يمتلك من التفاصيل بحجم ما ورد في المبحث السابق.

٢- غالبًا ما تكون مصادر الديانات تنزع إلى جانب مغرق في التوجه، فتارة تكون مغرقة في المثالية غير ممكنة التطبيق، وتارة تكون مغرقة في العملية التطبيقية غير القائمة على أساس داخلي شعوري، ولكن المصادر الإسلامية تحفظ التوازن بين الجانبين معًا.

٣- تمتاز مصادر المحبة في الإسلام بالواقعية، وتستمد واقعيتها وإمكانيتها بقبول العقل لتفاصيلها النظرية، وقبول إخراجها على الواقع على شكل سلوك عملي، فالدين هو المصدر الذي يربط الإنسان بخالقه لاشتماله على الوحي من الله، والتوجيه من النبي ﷺ، كما أن العقل هو من الأمور التي تمكن المسلم من استيعاب المحبة وتفاصيلها، وبالنظر للفطرة فإن أهميتها وواقعيتها تتجلى في انبعاث الشعور الداخلي ومنشئه، أما العرف فهو ما يستحسنه المرء من خلال البيئة المحيطة والوسط الذي يعيش فيه ويتربى بين جنباته.

٤- المقدرة على ضبط المحبة منذ نشأتها في الشعور وحتى خروجها إلى السلوك، ومَرَدّ ذلك هو احتواء تلك المصادر على توجيهات شاملة متزنة بإمكانها تحويل المحبة من مجرد أمر شعوري داخلي، إلى سلوك عملي تطبيقي يظهر للعيان والمشاهدة، ومصادر الديانات عادة ما تعجز عن القيام بهذا الدور، فتجد فراغًا واضحًا في طريق المحبة ومراحل تطورها، ومن شأن هذا الفراغ إحداث انقطاع



في التطور والتحول للمحبة، مما يبين أن ما يمكن بناؤه عليه بعده لا يمكن ربطه بما قبله؛ لتعذر الارتباط.

ثانيًا: اليهوديَّة:

تستمد اليهوديَّة المحبة من أربعة مصادر، وهي الدين، والعقل، والفطرة، والعرف، وإذا ما أتينا إلى مقارنة تلك المصادر بمصادر الإسلام، فإني سأقارن كل مصدر على حدة؛ لتكون نقاط المقارنة أكثر جلاء وأوضح -بإذن الله-.

فمن جهة الدين، فإن الكتب الدينية المقدسة متعددة في اليهوديَّة، ويعود هذا إلى عدة أسباب من أهمها: فكرة العقيدة الشفوية الحلولية التي تُضفي القداسة على كتابات الحاخامات الدينية واجتهاداتهم، وتنظر اليهوديَّة بالقداسة نفسها للمصدرين الإلهي والبشري، ويتمثل الوحي الإلهي في التوراة، أما البشري فيتمثل في التلمود[1]؛ لذا فجانب التعدد في الكتب الدينية عائد لإضفاء القدسية على كتابات الحاخامات واجتهاداتهم.

وبمقارنته في الإسلام فإن مصادر الدين في الإسلام تتمثل في الوحي الإلهي بالدرجة الأولى، فالقرآن هو كلام الله ﷻ، والسنة النبوية هي من وحي الله ﷻ إلى نبيه ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ – ٤]، أما إجماع السلف الصالح فإنه بكل الأحوال لا يخرج عن قول الله وقول رسوله ﷺ، ولو خرج عنهما فلا يعتبر إجماعًا ولا يعتد به.

أما من جهة العقل، فإن الشخصية اليهوديَّة تطغى عليها النظرة المادية للقيم والأخلاق والمثل والسلوك[2]، والنظرة المادية تنزع إلى الجانب العقلي وما يراه مناسبًا، وهنا يدخل العقل كمصدر أصيل بجانب المصدر الديني، أمَّا الإسلام فإنه لا يقدم العقل على النقل، بل يعتبر الاجتهاد العقلي المخالف للكتاب والسنة من الهوى، قال تعالى منتقدًا من يقدم عقله على الكتاب والسنة: ﴿أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣]؛ لذلك بلغ اليهود مبلغًا خطيرًا في تحريف العقيدة وآيات الله وشرائعه، قال تعالى: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا﴾ [النساء ٥٠]، والتحريف إنما يكون من العقل، وهو يبين مدى أثره على تحريف أوامر الله[3]، كما أن هذا التحريف يستلزم إعمال العقل لصياغة هذا التحريف، وهذا يفسر التناقض والتعدد والتطور في تاريخ

(١) ينظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د. عبد الوهاب المسيري، (٥/ ٨٣).

(٢) ينظر: الجانب المادي في الشخصية اليهودية، آلاء مُحَمَّد عصام مصباح عشا، (ص: ١٣٣)

(٣) ينظر: المرجع السابق، (ص: ١٤٢).



اليهوديَّة[١]، الذي منشؤه الركون إلى العقل، أمَّا الإسلام فإنه لا يتبدل ولا يتغير، ومرجع هذا الثبات هو الاعتماد على كلام الله وسنة رسوله ﷺ كمصدر أصيل لا يتقدم عليه العقل، بل العقل هو المفتقر إليهما.

أما الفطرة فإن اليهود يستعملونها كأحد المصادر التي يستدلون بها على المحبة ومفهومها وماهيتها، فيعرفون المحبة في بعض جوانبها بأنها: ظاهرة تمثل قوة مجربة عفوية[٢]، وتظهر الفطرة هنا في اشتمال التعريف للفظ (عفوية)، وهو لفظ قريب جدا من كونه مفطورًا عليه الإنسان، أمَّا الإسلام فإنه لا ينسب الفطرة إلى العفوية، بل إن الله هو من يفطر الناس على التوحيد، قال تعالى مبينًا أن الفطرة هي التوحيد: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠].

أما المصدر الرابع وهو العرف، فإن اليهوديَّة تجعله يدور حول الحياة الاجتماعية وإحاطتها بمفهوم المحبة، ويجعلون المحبة تتجلى في أحد صورها في أساس حياة جماعة اجتماعية خالصة، فيعرفونها بأنها: الولاء نحو الجيران وقبولهم كإخوة وأخوات والاعتراف بهم على هذا الأساس، وهذا الأساس مختص بالتشريع الاجتماعي الذي يهتم -على نحو خاص- بحقوق الغرباء والفقراء والأيتام[٣]، فالأعراف والتقاليد المجتمعية التي يسنّها المجتمع هي مظهر المحبة، أمَّا الإسلام فإنه لا يجعل العُرف وحده هو من يسن أعراف وتقاليد المجتمع بما فيها المحبة، بل إن إقامة المجتمع على وفق ما يريده الله وعلى هدي نبيه ﷺ هو المقَدَّم في هذا الشأن، أما العرف فهو إذا جاء متابعًا لكلام الله وسنة نبيه ﷺ ولم يخالفهما فإنه يعتد به ويحتكم إليه، أما إذا خالفهما فإنه لا يُنظر إليه ولا يُعتد به.

ثالثًا: النصرانيَّة:

تستمد النصرانيَّة المحبة من أربعة مصادر، وهي الدين والعقل والفطرة والعرف، وسيتم مقارنة كل مصدر منها بالإسلام على حدة.

أما الدين، فأن النصرانيَّة تستمد المحبة من مصدرين أساسيين، وهما:

١- الكتاب المقدس، ويشتمل على العهد القديم والعهد الجديد[٤]، ويحتوي العهد الجديد على سبعة وعشرين سفرا، منها ما يسمى بالأناجيل الأربعة، وهي: إنجيل (متى، ومرقص، ولوقا، ويوحنا)[٥].

---

(١) ينظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د. عبد الوهاب المسيري، (٥/ ٨٣).

(٢) ينظر: القاموس الموسوعي للعهد الجديد، فرلين د.فيربروج، (ص: ٦).

(٣) ينظر: المرجع السابق، (ص: ٦).

(٤) ينظر: دراسات في اليهودية والنصرانية وأديان الهند، د. مُحَمَّد ضياء الأعظمي، (ص: ٣٦٠).

(٥) ينظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د. سعود بن عبد العزيز الخلف، (ص: ١٣٤).





٢- المجامع النصرانيَّة، وهي هيئات شورية في الكنيسة تبحث في الأمور المتعلقة بالديانة النصرانيَّة وأحوال الكنائس[١].

وبمقارنة تلك المصادر بالإسلام، فإن الإسلام يكتفي بالقرآن الكريم والسنة النبوية كمصادر إلهية، وهما يتسمان بالوضوح وعدم الغموض، أما العهد الجديد في النصرانيَّة فإن احتواءه على سبعة وعشرين سفرًا يعد أحد المؤشرات على كثرته وتشعب مواضيعه مما يؤدي إلى عدم الوضوح، ويحدث صعوبة في الإحاطة بالأفكار والمعتقدات الواردة فيه.

كما أن تسمية كل إنجيل باسم أحد الأشخاص الذين يعتقد النصارى صلاحهم، يشير إلى مظهر التحريف وعدم نسبة الكلام إلى الله، وأنه منسوب للبشر، بخلاف القرآن الكريم فإنه كلام الله لا كلام البشر.

أما مصدر النصرانيَّة الثاني وهو العقل، فإن النصارى لا بد أن يعملوه في شأن المحبة، وأول سبب لذلك هو التحريف الذي طال ديانتهم، مما يجعل العقل الذي حرف هو أحد المصادر، وثانيهما أن النصراني في سعيه لتحقيق المحبة في حياته، إنما هو يسعى للاقتداء بالله، ويرجو أن يبلغ مبلغ الكمال في التشبه به، وذلك الاقتداء الذي يؤدي بالإنسان إلى أن يرتقي فوق بشريته ويشابه الله في صفاته، ليصبح على مثال الله، إنما يتم استمداده من العقل[٢]؛ لذا فلا بد له من إعمال عقله والبحث عن كل ما يسبب التشبه بالله للوصول لمراده من المحبة؛ لأن المنزلة المراد الوصول إليها ليس لها وَصْفَة إلهية عندهم، أمَّا الإسلام فإنه لا يحتاج لإعمال العقل في هذا الجانب، وذلك لأن الدين الإسلامي لم يَنَلْه التحريف ولم يطلْه عقل المحرفين، فسقط أول احتياج للعقل في التحريف، وكذلك من أسباب عدم احتياج الإسلام لإعمال العقل في هذا الجانب هو أن المسلم لا يسعى في محبته للتشبه بالله، بل يحب الله محبة تعظيم تدعوه إلى طلب الثواب منه بالعبادة العمل، والخوف من عقابه وعذابه بالإقلاع عن المعاصي.

كما يلجأ النصارى للعقل في المحبة؛ لأنه ليس من السهولة بمكان الحصول على تعريف اصطلاحي للمحبة اتفق عليه النصارى، ومَرَدّ ذلك أنهم ينظرون للمحبة على أنها سلوك أكثر من كونها جانبًا نظريًّا يمكن وصفه[٣]؛ لذا فدخول العقل وإعماله مجال خصب فيها، والإسلام غني عن هذا الإعمال؛ لأن التعريفات المختصة بالمحبة واضحة جلية، جامعة لجميع الجوانب الداخلية الشعورية والظاهرية السلوكية.

---

(١) ينظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د. سعود بن عبد العزيز الخلف، (ص: ١٧٨).

(٢) ينظر: صفة المحبة الإلهية في النصرانية، مفهومها ولوازم تفسيرها، وموقف الإسلام منها، رفعة دحيم الدوسري، (ص: ٣٧ - ٣٨).

(٣) ينظر: درجات المحبة المسيحية والكينوسيس، د. رؤوف إبراهيم، (ص: ٦).





وتظهر الفطرة في النصرانيَّة كمصدر ثالث للمحبة في التوجه العام للديانة النصرانيَّة إلى الجانب المثالي الذي يتجاهل الواقعية في أغلب جوانبه، حيث لا يصح -في المسيحية- شطر الطاقة الإنسانية الداخلية إلى اتجاهين متعاكسين، اتجاه السماء واتجاه الأرض[1]، وإنما يكون الاتجاه بشكل كلي إلى السماء، مما يجعل الجانب الروحي هو الصبغة العامة على القيم والأخلاق والأفكار النصرانيَّة.

فالتوجه الروحي الداخلي النفسي، هو ما يمكن وصفه بالنموذج المعبّر عن الفطرة عند النصارى، فهم يرون المحبة فطرة خالصة من الله، وعلى هذا فلا بد أن تكون المحبة بين المخلوقين مشابهة لمحبة الله ﷻ، أمَّا الإسلام فإنه يرى أن الفطرة هي التوحيد لله ﷻ، وتقوم على تعظيم الله، وليست قائمة على السعي لمشابهة الله؛ لأن السعي للمشابهة يعني إمكانية الوصول، وحين يصل الإنسان إلى أمر يسعى إليه فإنه يصير بعد الوصول إليه ليس أمرًا ذا عظمة في نفسه؛ لأنه شابهه وصار مثله، فالغاية من التشبه تنفي التعظيم، وهذا يظهر التقابل والتضاد في النظرة للفطرة بين الإسلام والنصرانيَّة، فالفطرة في الإسلام قائمة على التعظيم، أما الفطرة في النصرانيَّة فغايتها نفي التعظيم.

كما أن الفطرة في الإسلام لا تؤخذ من قضية الإغراق في المثالية والسعي للمشابهة لله ﷻ، فالفطرة يتم استمدادها من خلق الله للإنسان على التوحيد، ومن التوازن الحادث بين النظرة الداخلية والخارجية للمحبة.

وبالنظر للعرف الذي يمثل المصدر الرابع للمحبة في النصرانيَّة، فإن انطلاقه يكون من تلمس حاجات الآخرين، وتحديدها بناء على العرف الذي يسود في المجتمع الذي يعيش فيه، أمَّا الإسلام فإن ضابط إعماله للعرف كمصدر للمحبة هو عدم مخالفته لشرع الله، كما تجعل النصرانيَّة بعضًا من تحديدات الحاجات ومقادير المساعدة المعززة للمحبة ونوعها وكيفيتها إلى الشخص المعني بالحاجة، أمَّا الإسلام فيستمد تحديد جزء منها إلى أوامر الله، ومثال ذلك الزكاة، فهي تُصرف بمقدار معين، وفق ضوابط معينة، وتختص بأموال مخصوصة محددة، كما تصرف لفئات معينة في المجتمع، فالإسلام لا يجعل عرف المجتمع والشخص المعني بالحاجة هما المقياس، بل إن المقياس محدد في كلام الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ.

رابعًا: الهندوسيَّة:

تستمد الهندوسيَّة المحبة من أربعة مصادر، وهي الدين والعقل والفطرة والعرف، فأما الدين، فإن الهندوس لا يعتمدون على مصدر ديني مقدس واحد يرجعون إليه، فهم يؤمنون بألوهية الله وبغيره من الآلهة، ويمتد التأليه عندهم إلى أن يصل إلى القُوى الطبيعية كذلك؛ لذلك افترقت كلمتهم في عد المصادر الأساسية، فكل فرقة من فرقهم لها كتب خاصة بها؛ لذا فلديهم عدد هائل من الكتب، ومن صفات تلك

(١) ينظر: الإسلام بين الشرق والغرب، علي عزت بيجوفيتش، (ص: ٢٧٤).





الكتب أن لغتها ليست مفهومة واضحة، وإنما تظهر عليها الغرابة في المعاني وحتى الألفاظ؛ لذا فهي عسيرة الفهم، أما الكتاب والسنة في الإسلام فهما واضحا المعاني وسهلان على الأفهام، وهما بلسان عربي مبين، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾ [الشعراء: ١٩٢ – ١٩٥]، ومما بلغته الكتب المقدسة في الهندوسيَّة من العسر أنهم اضطروا لتأليف كتب كثيرة لشرحها، وأخرى لاختصار تلك الشروح، وكلها مقدسة عندهم.

وأهم تلك الكتب المقدسة، ما يسمى (الفيدا)، وهو ليس اسم كتاب مؤلف على الأبواب والفصول، وإنما هو مجموعة من الأجزاء المنتشرة من تعليمات الزهاد والنساك في قرون ما قبل الميلاد[١]، والملاحظ أنه ليس من قول إلهي وإنما من أقوال البشر، وهنا يمتاز الإسلام عن سائر الأديان الوَضْعيَّة التي تعتمد على أقوال البشر؛ فإنَّ الإسلام يعتمد على كلام ووحي الله تعالى.

كما يظهر أثر العقل في الهندوسيَّة في شرائعها وأخلاقها –ومنها المحبة– من خلال اعتبار أن الهندوسيَّة عبارة عن مجموعة من العقائد والعادات والتقاليد التي تشكلت عبر مسيرة طويلة من القرن الخامس عشر قبل الميلاد إلى وقتنا الحاضر[٢]، والعقل هو المنشأ الأبرز لمثل هذه التطورات التي صارت إليها الديانة الهندوسيَّة؛ لأن هذا التَّشكل والتَّطور ليس من وحي إلهي أو مصدر شرعي، وإنما هو من تطور الأفكار وتجدد الأحوال وتطورها، أمَّا الإسلام فإن العقل لا يجري فيه كما يجري في الهندوسيَّة، بل إن العقل لا مجال له في المحبة إلا بالضوابط الموضوعة له، إذ الكتاب الكريم والسُّنَّة المطهرة شاملان لجميع مناحي المحبة وجوانبها المتعددة.

أما عن الفطرة ودورها في المحبة في الهندوسيَّة، فإنها تظهر في سعي الروح الدنيا للاندماج في الروح العُليا، وهو سعي نحو الروح التي خَلَقت الناس وفطرتهم على الكيفية التي خرجوا بها على الدنيا، فهو سعي نحو الفطرة في الهندوسيَّة، وهذا التوجه في الاندماج غير موجود في الإسلام، فإن المحبة في الإسلام لله قائمة على التعظيم القلبي له سبحانه، ودليلها العمل والعبادة، وليس للاندماج فيها أيّ مظهر؛ لذا فإن الهندوسيَّة تعتبر الحلول الكامل للروح الدنيا في الروح العليا، هو كناية عن الحلول في الله –تعالى الله عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا–.

---

(١) ينظر: دراسات في اليهودية والنصرانية وأديان الهند، للدكتور مُحَّد ضياء الأعظمي، (ص: ٥٣٣ – ٥٣٤).

(٢) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (٢ /٧٢٤).





وكل هذه المعتقدات الفاسدة عن الفطرة في الهندوسيَّة ناشئة عن عقيدة النرفانا، والتي تعني: الحلول الكامل للروح في الروح العليا، ويمثلها الهندوس كمثل حفنة ملح تُرمى في البحر فتذوب في المياه التي جاءت منها ولا يمكن أن تنفصل عنها، كذلك تذوب الروح في الروح العليا[١]، وعلى هذا فإن عقيدة الحلول التي وجهت المحبة في الهندوسيَّة إلى مثل هذا الاتجاه ليست من الإسلام في شيء.

وإذا ما أتينا لمقارنة العرف في الهندوسيَّة بالإسلام، فإنه يمكن ربط شعائر وعقائد وأخلاق الديانة الهندوسيَّة بالعرف من خلال تعدد الآلهة الذي تنتهجه الهندوسيَّة، والناظر في أن الهندوسيَّة ديانة تضم القيم الروحية والخلقية إلى جانب المبادئ القانونية والتنظيمية، وتتخذ عدة آلهة بحسب الأعمال المتعلقة بها، فلكل منطقة إله، ولكل عمل أو ظاهرة إله[٢]، يظهر له أن الجانب المجتمعي هو أحد مسببات تعدد الآلهة؛ لأن كل منطقة تتخذ إلهًا يتوافق مع مكوناتها وأعرافها وتقاليدها وحاجاتها، فالعرف هنا صار أحد مصادر الأخلاق، وكذلك صار مصدرًا للمحبة، وبمقارنة التوجه في مصدرية العرف الهندوسي للمحبة بمصدريته في الإسلام، فإن الإسلام لا يجعل للعرف مجالًا في سَنِّ العقائد والتشريعات الإلهية، بل إنها في الإسلام مستمَدَّة من الله ﷻ، والعُرف يدخل كمصدر للمحبة من مداخل توجيهية تحديدية فقط، فهو يوجه بعض أنواع المحبة ويتعامل معها، ويحدد بعض الأنماط، أما الأصل في صياغة المحبة وسن ضوابطها فهي من الله ﷻ؛ لذا فإن الإسلام يمتاز بإنزال العرف منزلته، بخلاف الهندوسيَّة التي تجعله مصدرًا للأخلاق وحتى للعقائد والشرائع.

خامسًا: الزرادشتيَّة:

تستمد الزرادشتيَّة المحبة من أربعة مصادر، وهي الدين والعقل والفطرة والعرف.

فإذا ما أتينا للمصدر الأول وهو الدين، فإنه مبني على مصدر كتاب قديم مقدس عند الزرادشتيَّة، واسمه (آفيستا)[٣]، يعتقدون بأنه أُنزل عن طريق الوحي، وهو المصدر الأول للزرادشتية، ثم توالت بعد ذلك الشروح التي دونت في فترات لاحقة[٤]، ويظهر احتياج الزرادشتيَّة لشروحٍ لهذا المصدر أنه صعب اللغة عسير الفهم، كما اعتبر الزرادشتيَّة تلك الشروح من الكتب المقدسة عندهم، وبالمقارنة بالإسلام فإن كتاب الله هو المقدس، وأنزله الله على نبيه مُحَمَّد ﷺ، وحفظه من التحريف والتبديل، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، فالحفظ من التحريف، وسلامة اللغة وسهولتها، وثبوت الوحي والنزول من السماء، هو مما يمتاز به مصدر الإسلام عن مصدر الزرادشتيَّة.

---

(١) ينظر: الباجافادجيتا (الكتاب الهندي المقدس)، (ص: ٣٩).

(٢) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (٢ /٧٢٤).

(٣) ينظر: الموجز في المذاهب والأديان، الأب صبري المقدسي، (١ /٥٩).

(٤) ينظر: مفهوم الألوهية في الأديان الزرادشتية والهندوسية والبوذية (دراسة مقارنة)، ريبوار كريم الشميراني، (ص: ٢٧).





أما مصدر العقل عند الزرادشتيَّة، فإنه يدخل في نظرتهم للأخلاق والشرائع، فيزعمون أنهم يعلِّمون التسامح والرحمة، ويشجعون بعضهم على العلم واستعمال العقل والمنطق والقناعة والتفكير بالحياة ومصير الانسان[1]، واستعمال العقل مدخله أن مجرد تفكيرهم بالمصير والجنة والنار والعلم، إنما يكون عن طريق استعمال العقل؛ لأنهم لم يلجؤوا للتفكير إلا لقصور المصدر الإلهي المزعوم عن تبيينه لهم، أمَّا الإسلام فإن المصير والجنة والنار ثابتة في كتاب الله لا مجال للعقل أن يعمل فيها، ويورد القرآن الكريم صورًا لهذا المصير وبعض الصور للجنة والنار، وهذا يشير إلى احتوائه لها، وهو امتياز عن القصور الذي يلحق بمصدر الزرادشتيَّة الإلهي المزعوم، مما دعاهم لإعمال العقل في مثل هذه الأمور.

وتظهر الفطرة كأحد مصادر المحبة في الزرادشتيَّة من خلال وصف المحبة بأمور غير قابلة للتطبيق، وفيها إكراه للنفس على أمر غير مقبول، وذلك أن الزرادشتيَّة تقول إنه على الإنسان واجبات ثلاثة، وهي أن يجعل العدو صديقًا، وأن يجعل الخبيث طيبًا، وأن يجعل الجاهل عالِمًا[2]، وهذا يعد إغراقًا في تصفية القلب من موازين الدنيا، والاتجاه إلى الاعتبارات العليا، وإجبارًا لفطر النفس على ما لا يمكن أن تطيق، أمَّا الإسلام فإنه لا يكلف النفس إلى ما لا تطيق، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فالفطرة في الإسلام تتسق مع ما تطيقه النفس، وليست إجبارًا للنفس على محبة كل شيء حتى الأعداء وغيرهم.

أما المصدر الرابع للمحبة في الزرادشتيَّة وهو العرف، فله تأثير على زرادشت الذي يزعم الزرادشتيَّة اتباعه، حيث قام بالتعديل على الأفكار التي أخذها من سابقيه كلَّها بطريقة خاصة به، فقد عمل من أجل العدالة، ومن أجل الوفاق الاجتماعي، ومعارضة الأعمال المدمرة التي يقوم بها الغزاة، باعتقاده أن السلام والحق يتمثل في الحياة الريفية المستقرة[3]، ويظهر من هذا أن الزرادشتيَّة تتخذ المحبة لمكاسب اجتماعية عرفية أكبر من كونها مظهرًا تقديسيًا إلهيًا، أمَّا الإسلام فليست الغاية في المحبة هي السيطرة على الأعراف الاجتماعية من خلال خلق الألفة بين الناس، بل هي في البداية محبة لله وتعظيم له وعمل وعبادة له، ومِن ثَمَّ فهي سبيل للألفة بين الناس ونشر الخير، وغايتها تحقيق عبادة الله.

سادسًا: الكونفوشيُوسيَّة:

تستمد الكونفوشيُوسيَّة المحبة كما هي العادة الجارية عند الأديان الوَضْعيَّة من أربعة مصادر، وهي الدين والعقل والفطرة والعرف، أما المصادر الدينية، فإن الكونفوشيُوسيَّة بشكل عام تستمد عقائدها

(١) ينظر: الموجز في المذاهب والأديان، الأب صبري المقدسي، (١ /٥٦).

(٢) ينظر: قصة الحضارة، ويليام جيمس ديورانت، (٢/٤٣٢).

(٣) ينظر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، جفري بارندر، (ص: ٩١)





وشرائعها وأخلاقها من مجموعتين من المصادر، الأولى: هي الكتب الخمسة القديمة، وهي الكتب التي قام كونفوشيوس ذاته بنقلها عن كتب الأقدمين، أما الثانية فهي الكتب الأربعة التي ألفها كونفوشيوس، وقد دَوَّن أتباعُه فيها أقوالَه مع التفسير تارة والتعليق أُخرى، وهي تمثل فلسفة كونفوشيوس ذاته(١)، كما قام كونفوشيوس بدراسة مجموعة من السجلات التي تتعلق بأسرة تشو الغربية، وغيرها من كتبهم، محاولا المحافظة على بقايا العصر الذهبي، واعتبرها سلطته المرجعية، واستخدمها ككتاب مقدس(٢)، وكتبهم المقدسة هذه هي أحد مصادر المحبة والأخلاق.

وعن مقارنتها بالإسلام، فإن كثرة الكتب في الكونفوشيُوسيَّة دلالة على التغير والتبدل المستمر الطارئ، بخلاف الإسلام فإن القرآن الكريم والسنة النبوية غير قابلة للتحديث؛ لأنها ثابتة ثبوتًا قطعيًّا متواترًا بالأسانيد.

كما أن اعتبار كونفوشيوس لعقائد الأولين المنحرفة وحرصه عليها، هو مما ينبذه الإسلام، حيث يقول تعالى ذامًّا المتمسكين بمنهج مَن قبلهم بغض النظر عن صحته من عدمها: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]، فالإسلام لا يعتد في مصادره بنهج الأولين، بل بما ثبت عن رب العالمين.

أما عن اعتبار الكونفوشيُوسيَّة للعقل كمصدر للمحبة، هو أن كونفوشيوس دعا إلى إحياء الطقوس والعادات والتقاليد الدينية التي ورثها الصينيون عن أجدادهم، وأضاف إليها جانبًا من فلسفته وآرائه في الأخلاق والمعاملات والسلوك القويم(٣)، وإضافته هذه هي إعماله للعقل فيما ورثه من الطقوس والعادات الدينية القديمة، وهو امتداد لمنهجه السابق في اعتماد مصادر الديانة.

أمَّا الإسلام فإنه لا يجعل للعقل اعتبارًا إذا كان سَيَدُلُّ على مثل ما ذهب إليه في الكونفوشيُوسيَّة من اتباع الأقدمين وإحياء عقيدتهم بصرف النظر عن موافقتها لمراد الله، فلا طاعة في الإسلام لمخلوق في معصية الخالق.

وتظهر الفطرة كأحد مصادر المحبة في الكونفشيوسية من خلال بعض تعليمات كونفوشيوس التي تدل عليها الفطرة، ومنها طاعة الولد لوالده والخضوع له، وطاعة الأخ الأصغر لأخيه الأكبر، وطاعة

---

(١) ينظر: الكونفشيوسية في الصين (دراسة تحليلية نقدية)، د. عالية صالح القرني، (ص: ٣٠٣ – ٣٠٩)، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (٢ /٧٥٢).

(٢) ينظر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، جفري بارندر، (ص: ٢٣٨ – ٢٣٩).

(٣) ينظر: ما بعد الموت عند اليهودية، النصرانية، المجوسية، الهندوسية، البوذية، الكنفوشيوسية، د. مشاري سعيد المطرفي، (ص: ١٩٧).



الحاكم والانقياد إليه وغيرها[1]، وهذه التعليمات مفطورة في قلب كل إنسان، ويتميز الإسلام في هذا المصدر، بأن الفطرة التي يستمدها من المحبة غالبًا ما تكون متعلقة بمحبة الله؛ لأن الفطرة في الإسلام هي على الحنيفية والتوحيد، بخلاف الكونفوشيُوسيَّة التي يغلب عليها الطابع الاجتماعي الظاهري، ويظهر الخلل في الكونفوشيُوسيَّة في بعض الألفاظ المخالفة، مثل خضوع الولد لوالده، والخضوع في الإسلام لا يكون إلا لله، وهذه فطرة في العبد ألا يخضع إلا لخالقه؛ لذا فإن توجه الكونفوشيُوسيَّة للجانب الاجتماعي أوقعهم في مثل هذا.

ويظهر العرف كمصدر للمحبة في أن كونفوشيوس يداوم على تأدية الشعائر الدينية، ويتوجه في عباداته إلى الإله الأعظم أو إله السماء، ويصلي صامتًا، ويعتقد أن الصلاة ليست إلا وسيلة لتنظيم سلوك الأفراد، ويعتبر أن الدّين أداة لتحقيق التآلف بين الناس[2]؛ لذا فهو يستخدم الدين ويكيفه لتحقيق المحبة والتآلف بين الناس، فأصبح التآلف بين الناس هو الغاية، والدين والصلاة إنما هي وسائل لتحقيق تلك الغاية، وهنا يتبين أن العرف المجتمعي السائد هو أحد المرتكزات التي يبني عليها كونفوشيوس أسس المحبة عنده، وهذا الأمر يختلف عن تناول الإسلام، فالصلاة والشعائر الدينية لا بد فيها من الإخلاص لله، والأصل في وجوبها على الناس هو الامتثال لأمر الله، وليس لأمر مجتمعي، بل إن الأمور المتحققة منها في الجوانب المجتمعية إنما هي من الأهداف الثانوية وليس الرئيسية، وهذا مما يمتاز به الإسلام عن الكونفوشيُوسيَّة في الجانب العرفي للمحبة.

سابعًا: الفلسفات المثالية:

تختلف الفلسفات المثالية في مصادرها التي تستمد منها المحبة عن الأديان السابقة، فمن خلال البحث في مفهومها استنتجت نوعين من المصادر التي يمكن اعتبارها في هذا السياق، وسأقوم بذكرهما مع مقارنة كل مصدر بالإسلام:

المصدر الأول: يعتبر الفيلسوف الذي ينتمي إلى الفلسفة المثالية هو أول مصدر يمكن أن نتعرف على المحبة منه، فأقواله وتعريفاته وتوجهاته هي التي تحدد هذا المسار؛ لأن الفلسفة المثالية لا تعتد بأي مصدر ديني مقدس، بل هي نتاج عقول مفكريها وفلاسفتها، فهم الذين وضعوا أسس المحبة، أمَّا في الإسلام فإن هذا الأمر غير وارد، فلا اعتماد على عقول الرجال في تقرير الأمور المختصة بالعقائد، فالله ﷻ أنزل إلينا كتابه وأمرنا بالاحتكام إليه والعمل بمقتضاه ومقتضى سنة نبيه ﷺ كمصادر أساسية ننطلق منها، وهذا لا يلغي دور العقل في الإسلام، فالعقل معمول به ولكن وفق ضوابط شرع الله وسنة رسوله

---

(١) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (٢ /٧٥٣ – ٧٥٤)، ما بعد الموت عند اليهودية، النصرانية، المجوسية، الهندوسية، البوذية، الكنفوشيوسية، د. مشاري سعيد المطرفي، (ص: ١٩٧ – ١٩٨).

(٢) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (٢ /٧٤٩).



ﷺ، أما الفلسفة المثالية فالمحبة تمّ صياغتها ووضع أسسها مِن قِبل الفلاسفة الذين لا يحدون أنفسهم بحدود أو مصدر معتبر، إنما تتحكم فيهم أذواقهم وعقولهم وأهواؤهم.

المصدر الثاني: يعتبر المثال الذهني الداخلي والروح الإنسانية هما المصدر الثاني الذي تُستَقى منه المحبة في الفلسفة المثالية، والمثال غالبا ما يكون صورة الشيء أو الفعل في منتهى الكمال(١)، ومصدر المحبة مرتكز على الروح الإنسانية كأهم عنصر في الحياة والطبيعة غير المادية للكون، وهي أحد مصادر المحبة الأساسية.

ودليل اعتبارهم للمثال والروح كمصدر للمحبة، هو أن المثالية ترى أن هذا الواقع روحي في طبيعته وليس فيزيائيًّا، أي: أن العالَم ليس ظاهرة طبيعية وإنما هو من صنع العقل والمثال(٢)، فالفلسفة المثالية تدرس صورة الشيء وليس واقعه الفعلي المادي، باعتبار أن صورته هي المصدر الحقيقي له، أمَّا الإسلام فإنه يدرس صورة الشيء وواقعه الفعلي على حد سواء، كما أن الفلسفة المثالية تنزع إلى الجانب الروحي لا إلى الجانب المادي في المحبة، أمَّا الإسلام فإنه لا ينزع لجانب دون الآخر وإنما يوازن بين الجانبين، والفلسفة المثالية ترى أن الواقع والعالَم هو من صنع العقل وليس له وجود مادي، فتنفي المصدر المادي للمحبة، أمَّا الإسلام فإنه يرى العالم بالعقل والفطرة ويتوسط في هذه النظرة، ولا ينفي العقل والفطرة كمصدرين للمحبة، كما ترى الفلسفة المثالية أن العالم والأحداث هي إرهاصات لتفاعلات عقلية وليس لتفاعلات مادية فيزيائية، والمحبة عندهم تسير في هذا الجانب، أمَّا الإسلام فينظر لهذا الأمر بشيء من الشمولية واعتبار الأمرين معًا.

ثامنًا: الفلسفات الواقعية:

تستمد الفلسفات الواقعية المحبة من مصدرين اثنين، وسأقوم بذكرهما، مع مقارنة كل واحد منهما بالإسلام:

المصدر الأول: الفلاسفة الذي ينتمون إلى الفلسفة الواقعية هم المصادر الرئيسة التي تقوم المحبة عليها في الفلسفة الواقعية، وبما أن الفلسفة الواقعية تسير في نفس طريق نظيرتها المثالية في قضية عدم الإيمان بمصدر مقدس يكون هو المنطلق الذي يمكن فهم المحبة منه كمصدر إلهي، فلزاما عليها أن تستمده من مصادر أرضية تتمثل في عقول الفلاسفة الواقعيين.

أمَّا في الإسلام فإنه يمتاز بأنه جعل للإنسان ولعقله حدودًا يفكر فيها، ولا شك أن الإنسان لا بد أن يُذعن لمصدرٍ إلهي غيبي، لأن الدنيا مليئة بالأسرار التي لا يمكن فك عقدها وألغازها إلا مِن قِبل خالقها؛ لذا فلا بد من أن يكون هناك كتاب من كلام الله تكون فيه منجاة الناس ودلالتهم على الحق

---

(١) ينظر: الفلسفة المثالية (قراءة جديدة لنشأتها وتطورها وغاياتها)، د. يوسف حامد الشين، (ص: ١٩).

(٢) ينظر: فلسفة التربية اتجاهاتها ومدارسها، د. محمد منير مرسي، (ص: ١٧٢).





والأمر الصواب، ولا بد أن يكون لهذا الكتاب حفظ من التغيير والتبديل والتحريف، وهو ما ينطبق على القرآن الكريم.

كما أن هناك أمر يمتاز به الإسلام في مصادره التي يأخذ منها المحبة ومنهجها وضوابطها عن الفلسفات الواقعية والمثالية، وهو أن الفلسفات تسعى لحل كل أمر مِن قِبل جهد الإنسان، وتسعى لحل جميع ألغاز الحياة والكون بعقل الإنسان، وهذا ينافي أمر التسليم لله، الذي هو من أهم الأمور في الإسلام، وهو المنجاة للإنسان في الوصول لمراده، قال تعالى في شأن ذلك: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢].

فالتسليم لله واتباع هديه -من كلامه المنزل وكلام نبيه ﷺ- هو الذي يجلي الحزن ويذهب الشتات والضياع الذي يعيشه أهلُ هذه الفلسفات.

المصدر الثاني: تستمد الفلسفات المحبة من الواقع والوجود، والواقع المقصود في الفلسفات الواقعية بمعنى الموجود حقيقة في الطبيعة والإنسان، أو المنسوب إلى الواقع، أو ما حدث بالفعل مطابقًا للواقع[(١)]، وهو مذهب يجعل الاعتبار الأول للواقع وظاهر الطبيعة والحياة، ونزعة تعتمد على الحس، والحقائق الملموسة، في الحكم على الأشياء وتقديرها[(٢)].

وبناء عليه فالفلسفة الواقعية تقدم الواقع الملموس الظاهري على الشعور الداخلي، وتعتبر هذا الواقع هو مصدر المحبة، أمَّا الإسلام فإنه لا ينفي شيئًا من الجانبين، ولا يقدم أحدهما على الآخر بل يعتبرهما اعتبارًا وفق ضوابطه ومنازله.

كما تستمد الفلسفة الواقعية المحبة من الحس وظاهر الطبيعة والحياة فقط، أمَّا الإسلام فلا يقتصر على ذلك، كما تحكم الفلسفة الواقعية على المحبة من خلال الحقائق الملموسة فقط، وتهتم الواقعية بمطابقة الأحداث الفعلية للواقع المشاهد، وتعتبر الوجود الحسي الملموس في الطبيعة والإنسان هو الأصل الذي تُبنى عليه المحبة، أمَّا الإسلام فإنه لا يقتصر على هذا الجانب، بل إن اقتصار الفلسفة الواقعية على الحس والوجود فقط هو جانب نقص في مصادرها، والإسلام يمتاز بالشمولية، فلا يقتصر بالمحبة على الجانب الحسي فقط، بل يجمعه مع الجانب الشعوري، ويخلق بين هذين الجمعين توازنًا من شأنه أن يضع المحبة في موقعها ومكانتها الصحيحة.

---

(١) ينظر: المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا، (٢ /٥٥٢).

(٢) ينظر: منزلة الإنسان ووجوده في المذاهب الفكرية المعاصرة (دراسة نقدية في ضوء الإسلام)، مُحَمَّد عطا مُحَمَّد أبو سمعان، (ص: ٨٢).



المبحث الثالث: مقارنة أسس المحبة بين الإسلام، والأديان، والفلسفات المعاصرة

أولًا: الإسلام:

تقوم المحبة في الإسلام على ضوابط ومحددات مستمدَّة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وتأخذ المحبة قوتها ومكانتها لأنها تتعلق بأعظم الأمور التي يقوم عليها أساس الدين الإسلامي، فأول مظاهر هذه المكانة المستمدة من الأسس هو أنها تتعلق بالله ﷻ، فقد أثبتها الله لنفسه، وأنها من صفاته ﷻ، وأثبت ﷻ أنه يحب عباده المؤمنين، وأمر عباده المؤمنين بأن يحبوه ﷻ محبة تليق به.

وقد جعل الله ﷻ هذه المحبة مقدمة على كل محبة، ولا يجوز بأي حال تقديم أي محبة عليها، ولكيلا تكون محبة العباد لله مجرد أقوال ودعاوى فقد جعل الله ﷻ هناك مقياسًا وأساسًا تنتقل فيه هذه المحبة من مرحلة القول واليقين القلبي إلى مرحلة العمل السلوكي، فربطها ﷻ بالعمل والعبادة له سبحانه، فانتقلت المحبة على هذا الأساس من الجانب الشعوري الداخلي إلى الجانب العملي السلوكي.

كما أمرهم ﷻ بمحبة رسوله ﷺ محبة فوق محبة النفس، وذاك أنه ﷺ هو الذي جاء بالهدى من عند الله ﷻ، وبه هدى الله سبحانه الناس، وأخرجهم من الظلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]، ولا تقف المحبة للنبي ﷺ عند الجانب الشعوري الوجداني فقط، بل إن الله ﷻ أوجب علينا اتباعه ﷺ، وتصديقه فيما أخبر به عن ربه ﷻ، وأن نعمل بما جاءنا به من الأوامر والأعمال، وأن ننتهي ونهجر ما نهانا عنه ﷺ، فانتقلت المحبة على هذا الأساس من الجانب الشعوري الداخلي إلى الجانب العملي الظاهري، وهو شأن المحبة في الإسلام في سعيها للجمع بين الجانبين في المحبة الداخلي والخارجي.

كما أن المحبة تنتقل إلى الجانب الاجتماعي، وتأخذ مكانة متميزة تقوم على أساس متين، فتظهر في مظهرها الاجتماعي بوجوب المحبة بين المؤمنين، ووجوب التآلف بينهم، وهذا الوجوب لم يأت من قبل أفراد المسلمين وحرصهم على التماسك، بل هو من الله ﷻ ورسوله ﷺ، ولم يقف الأمر على الإيجاب دون ربط هذا الإيجاب بالثواب والعقاب، بل وارتبطت هذه المحبة الواجبة بالإيمان، وصارت أكبرَ علاماته ودلالاته، وهذا الربط يظهر متانة هذا الأساس في قلوب المؤمنين، واهتمامهم به، وسعيهم لتحقيقه.

والملاحِظ لهذا الجانب يرى أن الإسلام لم ينفك في خلق التوازن بين الجانب الداخلي الشعوري والجانب الخارجي والجمع بينهما، وبالتأمل في عمق الجانب الاجتماعي يظهر له الجانبان في جملة من المظاهر والمحددات، فالجانب الداخلي الشعوري القلبي هو ربط الله ﷻ ورسوله ﷺ للمحبة بين المؤمنين بالإيمان وكماله ونقصانه، فمن أحب المؤمن في الله فهو في سبيل بلوغ درجاتٍ أعلى في منازل الإيمان،

وكفى بهذا الجانب قوة ومتانة، لأن الجانب الإيماني الذي يقر في القلب هو من أعظم الأمور الجالبة للمحبة الراسخة، وأما الجانب الظاهري الخارجي فيظهر في مظاهر كثيرة حث عليها الإسلام، كالحث على العفو والصفح والتسامح بين المؤمنين، فقد قال تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشورى: ٤٠]، وتحريم الظلم الذي من شأنه -أي: الظلم- أن يذهب المحبة ويمزق أواصر التآلف، فقد قال تعالى ناهيا عنه: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ٥٧]، وغيره من المظاهر الدالة على الجانب العملي الظاهري في المحبة الاجتماعية في المجتمع المسلم، وهذا من تميز الإسلام وشموليته في جانب المحبة.

وقد قسمتُ أسسَ المحبة في الإسلام إلى خمسة أسس، وهي:

الأساس الأول: إثبات صفة المحبة لله ﷻ.

الأساس الثاني: وجوب تقديم محبة الله على كل شيء.

الأساس الثالث: ربط محبة الله بالعبادة والعمل.

الأساس الرابع: وجوب محبة الرسول ﷺ فوق محبة النفس.

الأساس الخامس: تعظيم شأن المحبة بين المؤمنين.

أما الأساس الأول: فهو مما يتميز به الإسلام، حيث إن أهل السنة والجماعة يثبتون صفات الله ﷻ إثباتًا حقيقيًّا من غير تكييف ولا تعطيل، ولا تشبيه ولا تمثيل، والإيمان بالله وأسمائه وصفاته ركن من أركان الإيمان بالله ﷻ، دلَّنا على ذلك المولى سبحانه، فقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وأرشدنا إليه رسول الله ﷺ فقال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ»[1]، وأقر أهل السنة والجماعة بأن الله ﷻ موصوف بالمحبة حقيقة، وأن المحبة من صفات الله الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف[2]، وقد وصف الله ﷻ نفسه بأنه يُحِب، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار، والشروط التي يتعارفها الناس بينهم، وإذا قال: مائة إلا واحدة أو ثنتين، الحديث رقم: (٢٧٣٦)، (٣/ ١٩٨)، وفي كتاب الدعوات، باب: لله مائة اسم غير واحد، الحديث رقم: (٦٤١٠)، (٨/ ٨٧)، وفي كتاب التوحيد، باب إن لله مائة اسم إلا واحدا، الحديث رقم: (٧٣٩٢)، (٩/ ١١٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، الحديث رقم: (٢٦٧٧)، (٤/ ٢٠٦٢).

(٢) ينظر: محبة الله عند أهل السنة والجماعة ومخالفيهم والرد عليهم، مريم بنت علي الحوشاني، (ص: ٥٥ – ٥٦).

بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة ٥٤]، ووصف نفسه بأنه يحب عباده المؤمنين ويحبونه، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وقوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف:٤]، وكل هذا الإثبات إنما يجري في تعظيم شأن المحبة، وتميزها بحيث إنها مثبتة لله العظيم ﷻ.

أما الأساس الثاني: فإنه يُظهر معنى تقديم محبة الله على كل شيء، فأبرز علامات حب العبد لربه وتقديم تلك المحبة على كل شيء، هو أن يقدم ما يحبه الله ﷻ على ما تحبُّه نفسه، حتى وإن خالف ذلك هواه، وكذلك أن يكون بغضه تبعًا لما يبغضه الله ﷻ حتى وإن كان هذا الْمُبغَضُ مما تميل له نفسه وتريده، وأن تكون موالاته ومعاداته وفقًا لموالاة الله ومعاداته ﷻ، فيوالي من والاه الله، ويعادي من عاداه الله، ولا يتحقق أساس تقديم محبة الله على كل شيء إلا بانطباق هذه الشروط كاملة، إذ لا يمكن تصور أن المسلم يقدم محبة الله ﷻ على كل شيء إذا فقد أحد هذه العلامات والشروط[1].

وهذا من تميز الإسلام في ترتيبه للأولويات، حيث إنه من غير الممكن أن يستقيم أمر الدين دون أن يتم تقديم أمر الله على كل شيء، كما أن أعظم مظاهر محبة الله هو تقديم أمره ومحبته على كل شيء.

أما الأساس الثالث: فهو أن دليل المحبة هي العبادة والعمل لله ﷻ وطاعته، وهذا يخرج المحبة من مجرد الدعاوى والأقوال إلى جانب العمل والتبتل، فالعبودية لله تعالى لها شأن عظيم في الإسلام؛ لذا فقد جعلها الله وصفًا لأكمل خلقه وأقربهم إليه منزلة، فقال عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ﴾ [النساء: ١٧٢]، ومما يدلل على أهميتها أنها أول كلمة افتتح بها نبي الله عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كلامه حين تكلم في المهد، فقال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾ [مريم: ٣٠]، فجعل عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ غايته ونسبه هو العبودية لله تعالى، ومما يجلي منزلة العبودية، قوله تعالى عن الملائكة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩﴾ [الأعراف: ٢٠٦]، كما أن وصف الله تعالى لنبينا محمد ﷺ بوصف العبودية في أشرف

(١) ينظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، (٢/ ٤٢٤).



مقاماته وأكمل حالاته وهو الإسراء، هو دليل على أهميتها ومكانتها، فقال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ [سورة الإسراء: ١][(١)]، وهذا كله يبين امتياز أساس العبودية في الإسلام كونه أحد مظاهر ودلائل محبة الله ﷻ، وانتقالها من الأقوال والتنظير إلى الأفعال والأعمال؛ لذا فقد كانت ديدن كل الأنبياء، بل لم ينفكوا عنها في كل حال لعلمهم بأنه هي دليل محبة الله ﷻ.

أما الأساس الرابع: فهو محبة النبي ﷺ، ومحبة النبي ﷺ لها شروط وأسس وأركان، فيجب محبته فوق محبة النفس، فقد قال تعالى: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، وفي هذا الآية دليل على أن من لم يكن النبي ﷺ أولى به من نفسه فإنه لا يدخل في دائرة المؤمنين.

وتتضمن محبة النبي ﷺ، أن يكون الرسول ﷺ أولى به من نفسه، وأحب إليه منها، ولا يحصل له اسم الإيمان إلا بذلك[(٢)]؛ لذا صار حب الرسول ﷺ أولى من حب النفس كمالًا للإيمان، حيث إن المسلم لا بد أن يجاهد نفسه لكي يصل إلى هذه المرتبة، كما أن هذه المحبة تتضمن الانقياد والطاعة لما جاء به رسول الله ﷺ، والرضا والتسليم بكل ذلك، وعدم الجزع والتسخط مما جاء به، والرضا بحكمه ﷺ، والتسليم لأمره، وإيثاره على ما سواه[(٣)]، ومصدر امتياز هذه المحبة الأساسية في الإسلام هو ترسيخها في القلب ترسيخًا قويًّا من شأنه أن يجعلها تظهر للعَلَن والظاهر على شكل سلوك عملي تطبيقي.

أما الأساس الخامس: فهو تعظيم شأن المحبة بين المؤمنين، والسبب في ذلك أنها تحدث أثرًا عظيمًا في المجتمع والتزامه بدينه؛ لذا فقد أوجب الله على المؤمنين بقاءهم عليها والمحافظة عليها، والقيام بحقوقها، ورأب تصدعها، فقد قال تعالى في ذلك: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠][(٤)]، ومن شأن هذه المحبة أن تحافظ على دين الله، حيث إن بقاء الأخوة فيها وجَعْلها هي الرابط الأساسي يجعل من أمر بقاء الدين والحفاظ على أسسه وكيانه أمرًا حتميًّا، كما تؤدي إلى انتفاء جميع الروابط الأخرى غير رابط المحبة في الله، وهذا يعني صفاء هذه المحبة وخلوصها لله ﷻ، كما أن الله ﷻ هو من أمر بهذه المحبة وحثَّ عليها، بل وامتن على عباده المؤمنين بها، وأنه سبحانه جعلها سبب الألفة بينهم في قوله تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣]، كما أنها سبب للقضاء على

(١) ينظر: محبة الله عند أهل السنة والجماعة ومخالفيهم والرد عليهم، مريم بنت علي الحوشاني، (ص: ٢٤٥).

(٢) ينظر: الرسالة التبوكية = زاد المهاجر إلى ربه، ابن القيم، (ص: ٢٩).

(٣) ينظر: المرجع السابق، (ص: ٢٩).

(٤) ينظر: المحبة في السنة النبوية (دراسة موضوعية)، مُحَمَّد بن شحته البراوي، (ص: ٦٤).



جميع المشاكل والمشاحنات التي قد تحدث بين المسلمين أكثر من أي سبب آخر، حيث قرن الله الأخوة بين المؤمنين بالإصلاح بينهم، فقال تعالى في ذلك: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].

وكل هذا الامتيازات للمحبة بين المؤمنين تظهر تميز الإسلام في سَنِّ الضوابط والشروط والمحددات والأسس التي جعلت من المحبة أمرًا فاعلًا متوجهًا لجهته الصحيحة المرادة، فليست المحبة في الإسلام قابعة في الذهن والشعور آخذة الوضعية السلبية غير الممكنة الخروج إلى الظاهر، وليست الأمر العملي الصرف غير النابع من الشعور الداخلي المتسم بالدوافع والفاعلية.

ثانيًا: اليهوديَّة:

بالنظر إلى أسس المحبة في اليهوديَّة ومقارنتها بأسس المحبة في الإسلام، فإن الأسس العقائدية للمحبة في اليهوديَّة تدور حول ما يسمى بالثالوث الحلولي(١) عند اليهود، وأركان هذا الثالوث هي: الإله والشعب والأرض، ونظر بعض اليهود للإله كإله قومي خاص بالشعب الإسرائيلي وحده، ويكون لكل شعب من الشعوب الأخرى غير شعب إسرائيل إله خاص بهم، كما يصفون الإله في هذه الحالة بصفات البشر المختلفة(٢)، أَمَّا في الإسلام فلا مجال في أن الله ﷻ إله خاص بقوم دون قوم بل هو إله العالمين، كما تقوم المحبة لله ﷻ في الإسلام على أساس التعظيم ونفي تشبيه الله بصفات البشر، وتأتي المحبة الإلهية في هذا الجانب كأكبر دليل على تميز أسس محبة الله في الإسلام عن اليهوديَّة حيث تقوم المحبة على أساس التعظيم لله وليس تشبيهه بالبشر.

فاليهود يرون أن الإلزام في المحبة مقتبس من التشبه بالله، فالمظهر الأعلى للمحبة عندهم يكون بالسير في طريق الله والتشبه به(٣)، أَمَّا الإسلام فيرى أن لله ﷻ متفرد بصفاته عن المخلوقين.

أما عن نظرة بعض اليهود إلى فكرة الإله القومي الخاص ببني إسرائيل، فإن هذه النظرة تؤثر بشكل حتمي على كيفية التعامل مع الشعوب الأخرى التي لا تنتمي لبني إسرائيل، ولهذا فإن أثر هذه النظرة باديًا على اليهود في نبذهم للتسامح مع الآخرين من مبدأ التقليل منهم لكون إلههم مختلف، وأنهم على هذا غير متساوين في الخلقة والتبعية لإله واحد، أَمَّا الإسلام فإنه يرى أن الله ﷻ هو إله الأولين والآخرين والناس

---

(١) يعتقد اليهود بأن هناك وحدة مقدسة قائمة بين الأرض والشعب لحلول الإله فيهما وتوحده معهما، وتسمى الثالوث الإلهي، ينظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د. عبد الوهاب المسيري، (٥/ ٧٨).

(٢) ينظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د. عبد الوهاب المسيري، (٥/ ٦٥ – ٦٦)، الأسس الأخلاقية في العهد القديم مع مقارنتها بالقرآن الكريم، د. ريمة شريف الصياد، (ص: ٣٣).

(٣) ينظر: الأسس الأخلاقية في العهد القديم مع مقارنتها بالقرآن الكريم، د. ريمة شريف الصياد، (ص: ١٥١).





أجمعين، وأرسل رسوله محمدًا ﷺ للناس أجمعين، قال تعالى في ذلك: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وبالنظر لجوانب المحبة عند اليهود فإنهم يربطونها غالبا بالجزاء الدنيوي ويضعف ارتباطها بالجزاء الأخروي، فتميل الجزاءات عند اليهود إلى الجزاء الدنيوي، أكثر منها للجزاء الأخروي، وذاك أنه يندر ذكر المعاد والجزاء بعد الموت في كتبهم(١)، وهذا في نظري هو الجانب المادي للأسس اليهوديَّة للمحبة، فالاهتمام بالجانب الدنيوي هو اهتمام بالواقع والمحبة العملية الظاهرية ومظاهرها وشواهدها على أرض الواقع، وضعف الاهتمام بالجانب الأخروي هو من الخلل والنقص الحاصل في أسس المحبة عندهم، فالجانب الداخلي الشعوري القلبي للمحبة ليس جديرًا بالدراسة في اليهوديَّة، أمَّا الإسلام فإنه يهتم بكلا الجانبين اهتمامًا شاملًا جامعًا لهما، محققًا التوازن في الجمع بينهما، فالمحبة القلبية في الإسلام يجب صرفها أولًا لله وعدم تقديم أي محبة على محبة الله، وهي محبة قائمة على التعظيم لا التشبيه والمشابهة، كما أن هذه المحبة لا بد أن يكون لها أثر في أرض الواقع، متمثلا في العبادة والعمل لله، وكذلك محبة النبي ﷺ ومحبة المؤمنين، فإنها تبدأ بتنقية الجانب الداخلي القلبي ثم لا بد أن تظهر للخارج على شكل أعمال ومظاهر يتم القيام بها.

ثالثًا: النصرانيَّة:

تتبع النصرانيَّة جملة من الأسس والقواعد للمحبة، وعن هذه الأسس ومقارنتها بالإسلام، فإن النصرانيَّة ترى تغليب جانب الرجاء على جانب الخوف بذريعة أن (الله محبة)، مما أحدث خللًا في الانضباط السلوكي والانفلات الأخلاقي في المجتمع النصراني(٢)، أمَّا الإسلام فإنه لا يغلب جانب الرجاء على جانب الخوف، بل يتعامل معهما في ضوء التوازن الداخلي للإنسان، ومن شواهد ذلك قوله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٨]، والآية تبين التوازن في الجانبين.

كما يكيف النصارى محبة الله ﷻ ويغرقون في تفاصيل تلك الكيفية، ووصفوها بأنها محبة مجانية مضحية فادية، وشبهوا محبة الله بمحبة خلقه(٣)، أمَّا الإسلام فإنه ينزه محبة الله عن التشبيه والتكييف، وذاك أنه يجعل من أسس المحبة أن محبة الله قائمة على التعظيم، ويتجه المفهوم النصراني إلى أن محبتهم مع الله قائمة على أساس علاقات القرابة والصلة البشرية، وقائمة على كونهم أبناء الله، فهو يحبهم محبة أبوية، وهم

(١) ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، (١/ ١٥٥).

(٢) ينظر: صفة المحبة الإلهية في النصرانية، مفهومها، ولوازم تفسيرها، وموقف الإسلام منها، رفعة دحيم ناصر الدوسري، (ص: ٢).

(٣) ينظر: صفة المحبة الإلهية في النصرانية، مفهومها، ولوازم تفسيرها، وموقف الإسلام منها، رفعة دحيم ناصر الدوسري، (ص: ١١٧).





يحبونه للسبب ذاته[١]، والإسلام من خلال أسسه في المحبة وأسسه العامة لا يؤمن بمثل هذه البنوة والقرابة العرقية أو القومية، بل إنَّ من أسس المحبة في الإسلام أن العبادة والعمل هما دليل المحبة، وهما مقياسها كذلك، فالزيادة في العبادة والعمل هي زيادة في محبة الله، وليس للقرابة والبنوة أي طريق أو مسلك في المحبة، وعلى هذا فإن محبة الله في النصرانيَّة تقوم على التعيين لا على العمل والاتصاف بصفات معينة، فالله ﷻ تتجه محبته لبعض الأعيان والأشخاص دون ارتباط هذه المحبة بالإتيان بعمل أو خلق يحبه الله، أما المحبة في الإسلام فإنها تتجه إلى الأعمال والأوصاف والأخلاق لذاتها وللأعيان المتصفين بها.

وقد رأيت أن المحبة في النصرانيَّة دعوى مجردة مفتوحة غير محدودة بحدود أو ضوابط، فلا يعرف لها أخلاقيات مرتبطة بها، ولا سلوكيات لازمة لها، ويتم ربط المحبة بكل شيء يمكن الاستشهاد به عليها، وأخذها كالذريعة لكل أمر يراد صبغه بالشرعية، ومن المتناقضات في المحبة وحملها على كل اتجاه حتى لو كان متناقضًا، أن من كان اتجاهه أخلاقيًّا ملأها بالأخلاقيات من غير ضابط أو حد، ومن كان راغبًا في الأمور غير الأخلاقية حملها عليها[٢]، بخلاف المحبة في الإسلام، فإن الأسس التي تمّ وضعها لها، جعلتها واضحة المعالم، لها أسبابها الموصلة لها، ولوازمها المتعلقة بها، وشروطها اللازمة معها.

ويرى النصارى أن من أسس المحبة أن تكون مضحية مؤثرة، وينشرون القصص التي تشير بالتضحية بالنفس والمال لأجل الآخرين، وهذه نظرة مغرقة في المثالية، وفيه تكليف للنفس بما لا تطيق، وهذه طبيعة الفكر الإنساني إذا أغرق في المثالية خرج عن الواقع وصادَمَه، بل وصادم الفطرة الإنسانية[٣]، واعتقادهم أن المسيح مات مصلوبًا، بأنه صلب فداء للبشر لتخليصهم من خطيئة أبيهم آدم عليه السلام[٤]، أما المحبة في الإسلام فإنها لا تنزع إلى المثالية المغرقة، بل هي واقعية ممكنة التطبيق، فالإسلام لا يطلب محبة تقدم على النفس إلا محبة الله ورسوله، وهذه تستطيعها النفوس المؤمنة حقًّا، أما النصرانيَّة فهي تطلب أكثر من ذلك، وعلى هذا فإن الإسلام يمتاز في أسسه عن النصرانيَّة بأنه يتعامل مع المحبة بواقعية غير مغرقة في المثالية، لكي تكون المحبة ممكنة التطبيق سهلة سلسة على النفس.

---

(١) ينظر: المرجع السابق، (ص: ١١٨).

(٢) ينظر: المرجع السابق، (ص: ١٢٣– ١٢٤).

(٣) ينظر: صفة المحبة الإلهية في النصرانية، مفهومها، ولوازم تفسيرها، وموقف الإسلام منها، رفعة دحيم ناصر الدوسري، (ص: ١٢٦).

(٤) ينظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د. سعود بن عبد العزيز الخلف، (ص: ٢٢٥)، كفارة المسيح، عوض سمعان، (ص: ١٩ – ٢١).



رابعًا: الهندوسيَّة:

تسيطر التعددية الإلهية وعقيدة تناسخ الأرواح على جزء كبير من أسس المحبة في الهندوسيَّة، حيث يعتقد الهندوس أنَّ لكل طبيعة نافعة أو ضارة إلهًا يُعبد، كالماء والهواء والأنهار والجبال وغيرها، وهي آلهة كثيرة يتقربون إليها بالعبادة والقرابين(١)، وأثر تلك التعددية الإلهية من شأنه أن يحدث اختلالًا في النفس من حيث الوصول إلى مصدر يمكن من خلال تعليماته تأسيس المحبة ومعرفة ضوابطها وحدودها، مما يورث ضعف اليقين والالتزام، واختلال الاعتقاد القلبي المستمد من الثقة الداخلية بالمعتقد، أمَّا الإسلام فإنه يقابل التعددية الإلهية بأعظم أمر وهو التوحيد لله ﷻ، وجعل كتاب الله وسنة رسوله ﷺ هما المصدر الذي تطمئن إليه النفس وتنطلق منه، كما أن التعددية الإلهية تضعف محبة الإله في النفس، بسبب تعددية صرف المحبة لتعدد الآلهة، بخلاف الإسلام الذي يصرف المحبة لإله واحد هو الله ﷻ.

كما تؤثر عقيدة تناسخ الأرواح والجزاء في الهندوسيَّة على المحبة، فالروح -كما تعتقد الهندوسيَّة- إذا خرجت من الجسم لا تزال لها أهواء وشهوات مرتبطة بالعالم المادي لم تتحقق بعد(٢)، وكذلك لاحظوا أن الظالم قد يموت دون أن يقتص منه، والمحسن قد يموت دون أن يحسن إليه؛ لذلك لجأوا إلى القول بتناسخ الأرواح ليقع الجزاء في الحياة إذا لم يتم في الحياة الحاضرة(٣)، وهذا له أثر في الالتزام الأخلاقي والالتزام في المحبة كذلك، فالنفس التي تم نسخ الروح لها يتم أخذها والقصاص منها بجريرة غيرها، وعلى هذا فالتناسخ في الأرواح يحدث أثرًا كبيرًا على الإنسان؛ لأنه قد يكون نسخة وليس أصلًا، أمَّا الإسلام فإنه لا يؤمن بالتناسخ ويؤكد القرآن الكريم على أنَّ النفس لا تؤاخذ بجريرة غيرها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وقال في موضع آخر: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨].

كما تسيطر النظرة التشاؤمية على المحبة عند الهندوس، وهنا يضعف الحافز وتكون الغاية غير صلبة؛ مما يضعف الإيمان بها وتمسك القلب بها وانضباط المحبة خلالها، فالمحبة في الهندوسيَّة يتم التعامل معها بانكماش وفرار وانسحاب كما يتم مع الأخلاق عمومًا(٤)، فتسيطر النظرة الحذرة للمحبة وأحاسيسها على المشهد العام، فقد جاء في نصوص الكتاب المقدس (الباجافادجيتا) عن المحبة: «الحب والكره توجههما الأحاسيس نحو أهدافها، لا تكن تحت تسلط هذين الاثنين، فكلاهما يعدان من مكامنه»(٥)، أمَّا الإسلام

---

(١) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (٢ /٧٢٦).

(٢) ينظر: ثقافة الهند وجهاتها الروحية والأخلاقية والاجتماعية، البروفيسور أتربا، (ص: ٤٢)، أديان الهند الكبرى (الهندوسية، الجينية، البوذية)، د. أحمد شلبي، (ص: ٦١)، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، د. مُحَمَّد ضياء الرحمن الأعظمي، (ص: ٦٢٠).

(٣) ينظر: أديان الهند الكبرى (الهندوسية، الجينية، البوذية)، د. أحمد شلبي، (ص: ٦٠).

(٤) ينظر: بدايات الفلسفة الأخلاقية، د. مُحَمَّد عبد الرحمن مرحبا، (ص: ٧٩).

(٥) الباجافادجيتا (الكتاب الهندي المقدس)، (ص: ٤٥).

فإنه على العكس تماما، فهو يتعامل مع المحبة بإيجابية كبيرة، تتمثل في وصف الله ﷻ بالمحبة في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، وغيرها من الآيات المثبتة لمحبة الله، وهناك مظاهر أخرى كثيرة تبين تعامل الإسلام مع المحبة بإيجابية، كالدعوة لمحبة النبي ﷺ، والدعوة لمحبة المؤمنين، وغيرها مما اشتمل عليه مبحث أسس المحبة في الإسلام.

خامسًا: الزرادشتيَّة:

تتمحور أسس المحبة في الزرادشتيَّة حول الواحدية الثنوية والمعاد وخروج الروح والجزاء، أما الواحدية الثنوية فتدور حول الإله الواحد المطلق، الذي يخلق إلهين، يختار أحدهما الخير والنور واسمه (أهورامزدا)، ويختار الثاني الشرّ والظلام واسمه (أهريمان)، ولهذا تسمى هذه الديانة بالوحدانية الثنوية[1]، فالواحدية الثنوية هي في نظري تعددية، وإن زعموا أنها توحيد، والتعددية الإلهية تؤثر على المحبة بجملة من التأثيرات، ذكرتها في الهندوسيَّة، كما أن تنصيب الزرادشتيَّة إلها للشر يعظم شأن الشر، قد تصل لإنزاله منزلة عظيمة قد توصل ببعض الناس لعبادة هذا الإله، أمَّا الإسلام فإنه يؤمن بالتوحيد وعبادة الله وحدة لا شريك له، فقد تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء ٢٢]، وهذا فيه إنكار لما ذهبت إليه الزرادشتيَّة من وجود إلهين –حتى آلت لعبادة آلهة متعددة –؛ لذا فإن التوحيد في الإسلام كأساس للمحبة يجعلها أكثر انضباطًا ووضوحًا لانصرافها لإله واحد، كما يجعلها منصرفة لإله متصف بالكمال مستحق للعبادة، بخلاف الزرادشتيَّة التي تقيم للشر إلهًا.

أما المعاد وخروج الروح في الزرادشتيَّة، فرحلة صعود الروح للسماء لا تبدأ على الفور؛ لأن في عقيدتهم انفصال الروح عن الجسد ومغادرته للبدن تعقبه سلسلة من الإجراءات حتى تتحرر الروح نهائيًّا من عبودية الآثار المادية ومن كل سلطان الدنيا، ويستمر هذا التحرر ثلاثة أيام بلياليهن حيث تبقى الروح بجوار رأس الميت قبل الدفن[2]، والانفصال الزمني الحادث بين الحياة الدنيا والآخرة يؤثر في النظرة الجدية للمعاد والجزاء لوجود التراخي وانتفاء المباشرة، ويجري التراخي كذلك على التزام المرء بالأخلاق في الدنيا والجدية في السعي لتحقيقها، وهذا ينطبق كذلك على المحبة، حيث تضعف الجدية في تصفية الحب واتباع قوانينه، أَمَّا في الإسلام فإنه لا تراخٍ في المعاد، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٧]، ومباشرة الجزاء والاستعجال في دفن الميت من شأنها خلق الجدية في الالتزام بجميع أوامر الله والانضباط بضوابطها، ومنها المحبة.

---

(١) ينظر: الموجز في المذاهب والأديان، الأب صبري المقدسي، (١ /٥٥).

(٢) ينظر: زرادشت والزرادشتية، د. الشفيع الماحي أحمد، (ص: ٤٣ – ٤٤).



ويذهب الزرادشتيون إلى أن محبة الآلهة هي الدافع الأساسي للعدالة، فهي مَن دفعت زرادشت للتغيير والتعديل في إرث سابقيه، فحبه لله دفعه للعمل من أجل العدالة، والوفاق الاجتماعي ومعارضة الأعمال المدمرة التي يقوم بها الغزاة(١)، أمَّا الإسلام فإن محبة الله هي الدافع الأول لعبادته وتوحيده والإخلاص له، بينما الزرادشتيَّة دفعتهم محبة الله أولا إلى العدالة بدل أن تدفعهم إلى العمل والتوحيد ودعوة الناس لتوحيد الله، وفي نظري أن هذا هو سبب انفتاح مفهوم المحبة عندهم وعدم حده بحدود، فهم يزعمون أنَّ ديانتهم تعلم التسامح والرحمة، وصار لهم دور كبير في الثقافة والحضارة العالمية من خلال نشر بذور المحبة والرحمة والسلام في العالم(٢)، وهذا يشير إلى أن المحبة دعوى مفتوحة غير منضبطة، مُغْفلة للجانب العقدي الديني، وفيها اختزال لحافز وغاية المحبة الإلهية بالجانب المجتمعي وإهمال الجانب الديني، أمَّا الإسلام فإنه يتصف بالشمولية وعدم الاختزال والاقتصار على جانب دون آخر، فمحبة الله تبدأ في الجانب الداخلي القلبي الوجداني، ثم تنتقل إلى الجانب العملي السلوكي متمثلة بالطاعة، ثم إلى صرف المحبة إلى من يستحق كمحبة المؤمن لأخيه، وتعد المحبة لله من أكبر الدوافع لدعوة الناس إلى عبادته وتوحيده، وليست كما يذهب له الزرادشتيَّة بأنها دافع لنشر المحبة والسلام بين العالم بدعوى مفتوحة غير منضبطة، فالإسلام يمتاز في هذا الجانب عن الزرادشتيَّة بالشمولية والتوازن والانضباط.

سادسًا: الكونفوشيُوسيَّة:

تسيطر نظرة الكونفوشيُوسيَّة للإله والملائكة وتأليه الأرواح على أسس المحبة عندهم، فهم يعتقدون بالإله الأعظم أو إله السماء، ويعتقدون بأن للأرض إله، وهو إله الأرض، ويعبده عامة الصينيين، ويعتقدون أنَّ الشمس والقمر، والكواكب، والسحاب، والجبال، لكل منها إله، ويقدسون الملائكة ويقدمون إليها القرابين، ويقدسون أرواح أجدادهم الأقدمين، ويعتقدون ببقاء الأرواح، بل يوجد في كل بيت معبد لأرواح الأموات ولآلهة المنزل(٣)، وهذا من شأنه أن يُحدث اضطرابًا في صرف المحبة الإلهية، حيث إن صرفها لآلهة متعددة يسبب عدم توازن في تحديد منزلة ومحبة كل إله، أَمَّا في الإسلام فإنه لا يجوز صرف المحبة الإلهية إلا لله وحده، وهي محبة قائمة على التعظيم؛ لأن تعدد تقديس ذوات كثيرة وآلهة متعددة –كما هو الأمر في الكونفوشيُوسيَّة– من شأنه أن يؤدي إلى تشتت جانب المحبة الإلهية وذهاب انضباطها وعدم استقرارها.

---

(١) ينظر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، جفري بارندر، (ص: ٩١).

(٢) ينظر: الموجز في المذاهب والأديان، الأب صبري المقدسي، (١ /٥٦).

(٣) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (٢ /٧٥٢ – ٧٥٣).





كما يستعمل الكونفوشيوسيون المحبة كمبرر لعبادة أرواح الأجداد، فهم يعبرون بتلك العبادة عن الحب والشوق الذي يكنه الأبناء نحو الآباء، تقديرا للبركات التي تمنحها هذه الأرواح لأحفادها[1]، أمَّا الإسلام فإنه ينهى عن أي مظهر يتم صرفه بشكل عملي لتلك الأرواح، فهي أرواح ميتة لا تنفع ولا تضر، وقد نبه الله تعالى على حرمة هذا الأمر وشناعته، فقال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣]، فلا مجال في الإسلام إلى اعتبار المحبة كمبرر لعبادة هذه الأرواح أو العكس، لأنه مفضٍ إلى الشرك.

كما يظهر على الكونفوشيُوسيَّة في تعاملها مع المحبة الاهتمام بالجانب الاجتماعي من أجل بناء المجتمع وزيادة الألفة بين أفراده، وتقدم في هذا الجانب المصلحة الاجتماعية على الجانب الديني المرتبط بانبثاق المحبة وضوابطها من الإله، فالأخلاق المجتمعية هي محور الفلسفة وأساس الدين، وتهدف إلى انصياع النفس وخضوعها للقوانين الاجتماعية بشكل تلقائي[2]، وهذا جانب اجتماعي صِرف، أمَّا الإسلام فإنه يعتبر أكبر حافز للأخلاق والمحبة هو أنها طاعة لله، وليست ظاهرة اجتماعية فقط؛ لذا اهتمَّ كونفوشيوس بالجانب الإنساني أكثر من غيره من الجوانب[3]، واهتمامه هذا غلب بلا شك على حساب الجانب الإلهي المنبثق من الوحي، مما يجعل النظرة قاصرة على العقل الإنساني، والعقل الإنساني يعتريه قصور عن المصادر الإلهية، أمَّا في الإسلام فإن النقل مقدّم على العقل، وانطلاق كل أمر وخلق لا بد أن يكون وفق كتاب الله وأوامره.

وتتجه المحبة في الكونفوشيُوسيَّة إلى شيء من عدم الواقعية، فقد كان كونفوشيوس مغرمًا بالسعي لتحقيق المدينة الفاضلة التي يدعو إليها، وهي مدينة مثالية[4]، والسعي إلى المدينة الفاضلة الخالية من الأخطاء والثغرات يصطدم بالواقع دائمًا، حيث يبحث صاحبه عن مخارج يسد بها الثغرات التي أحدثها هذا الاصطدام، مما يورث عدم انضباط في الأخلاق، وهذا ينطبق على المحبة على الخصوص، أمَّا الإسلام فإنه لا يسعى لمثل هذه المدينة المزعومة، بل يتعامل مع النفس الإنسانية بأنها تخطئ وتقع في الغلط، ولكن فتح باب التوبة لها وأمرها بها، فقد قال تعالى في شأن التوبة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [التحريم: ٨]، والتوبة والرجوع عن الذنب هو من مظاهر الواقعية التي يتعامل بها الإسلام مع النفس، كما أن التوبة تعيد التوازن الأخلاقي في نفس التائب،

(١) ينظر: الكونفشيوسية في الصين (دراسة تحليلية نقدية)، د. عالية صالح القربي، (ص: ٣١٤).

(٢) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (٢ /٧٥٣).

(٣) ينظر: الكونفشيوسية في الصين (دراسة تحليلية نقدية)، د. عالية صالح القربي، (ص: ٣٠١).

(٤) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (٢ /٧٥٣).





فيكون أثر هذا التوازن على المجتمع عامة، وليس الهدف المدينة الفاضلة الخالية من الثغرات القائمة على المثالية.

سابعًا: الفلسفات المثالية:

تقوم أسس المحبة في الفلسفات عمومًا بحسب الهدف الذي تسعى إليه كل فلسفة؛ لأن الفلسفة تعرف بأنها الحكمة، وتعرف أيضا بأنها رؤية الحقيقة(١)، ومن خلال هذا المفهوم أستطيع القول بأن الفلسفة تبحث عن الهدف من وجود المحبة، كما تسعى للوصول إلى معرفة من أين وجدت المحبة، وما هي حقيقتها، فهل هي تُستَقى من الداخل الشعوري أم من الواقع الظاهري الخارجي.

مما سبق استعراضه في مفهوم المحبة في المثالية، تبين أن الأسس التي تقوم عليها المثالية تنطبق على كل شيء تقوم الفلسفة بدراسته، ومنها المحبة، فالفلسفة المثالية تدرس صورة الشيء وليس واقعه الفعلي المادي، وبتطبيق هذا الأساس على المحبة فإن الفلسفة المثالية تدرس المحبة من داخل الإنسان، وتحديدًا بصورة المحبة داخل الذهن، وما هو المثال الذي تتشكل عليه، أمَّا الإسلام فإنه يشمل جميع الجوانب المحيطة بالمحبة ولا يقتصر على الجانب الذهني الداخلي فقط، كما تسيطر النزعة الروحية على المحبة في الفلسفة المثالية، بينما الإسلام يعتبر المحبة الروحية جزءًا واحدًا من أجزاء المحبة المتعددة، فمنها الروحي والسلوكي والعملي وغيره، كما ترى الفلسفة المثالية أن المحبة من صنع العقل فقط، وليس لها وجود مادي، وهذه نظرة يعتريها النقص، فالإسلام يرى أن المحبة لا يقتصر صنعها من العقل فقط، بل إن جميع المؤثرات الداخلية الخارجية لها دور في صناعة المحبة، كما تنكر الفلسفات المثالية التفاعلات الفيزيائية المادية للمحبة، بينما يثبت الإسلام وجود المحبة في الواقع الفعلي المادي المحسوس.

كما تُولي الفلسفة المثالية اهتمامها إلى الأنشطة العقلية والقدرة على الأحكام الخلقية والجمالية والانضباط الذاتي فقط(٢)، ولا تجعل للواقع أي دور في هذا، بمعنى أن المحبة والجمال وغيرها من الصفات والأخلاق، ترتبط كليًّا بالعقل، وهو من يحكم عليها، وليس لغيره قدرة على إنتاجها وإدراكها وتقييمها وتقويمها، بينما الإسلام يجعل للعقل دورًا مهمًّا في الإدراك والحكم بالتقييم أو التقويم، ولكنه لا يقتصر عليه فقط، بل إن الواقع والعمل والسلوك له أثر كذلك، فالواقع والعمل هو أحد الدلائل على حجم المحبة وطريقتها وكيفيتها والحكم عليها؛ لذا فإن الأسس الإسلامية للمحبة تمتاز بالشمولية للجانبين وعدم الاقتصار على جانب واحد، كما يمتاز المنهج الإسلامي في أسس المحبة بالتوازن بين الجانبين العقلي والواقعي.

---

(١) ينظر: الفلسفة المثالية (قراءة جديدة لنشأتها وتطورها وغاياتها)، د. يوسف حامد الشين، (ص: ٣٢٧).

(٢) ينظر: فلسفة التربية اتجاهاتها ومدارسها، د. مُحَمَّد منير مرسي، (ص: ١٧٣).



تعتبر الفلسفات المثالية السعي نحو المثل الأعلى هو أحد ركائزها الأساسية؛ لذا فالمحبة التحمت في هذا السياق العام، فيشتمل مفهوم الحب على السعي الدائم نحو المثل الأعلى الحقيقي، وحالة العشق الدائم[١]، وهذا السعي للمثل الأعلى يفسر جنوح المثالية إلى محبة الروحية العقلية الداخلية، حيث لا يمكن تطبيق هدفها والوصول له إلا في ذهن الإنسان، وحتى في الذهن لا يمكن الوصول إليه، ولكنهم اتجهوا للذهن لقدرته الداخلية الخافية التي يمكن الاقتناع بإمكانية وصولها لهذا الهدف، أمَّا الإسلام فإنه لا ينظر للمحبة على هذا الأساس؛ لأن هذا الأساس غير ممكن التطبيق، بل هو غير ذي جدوى، فإن استطاعة الإنسان الوصول بالمحبة إلى المثل الأعلى فيه هدم لمبدأ عظيم في الإسلام، ألا وهو التعظيم لله، الموجب لمحبته محبة خاصة فوق النفس، ومتى ما كان بإمكان الإنسان مساواة الله في محبته -تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا- انتفى التعظيم له، وذاك أن الإنسان لا يمكن أن يعظم أحدًا مساوٍ له في المرتبة.

وعلى هذا فإن الإسلام يمتاز في أسسه التي صاغها للمحبة بأنها تثبت عظمة الله، ولا تسعى لأي أمر من شأنه التقليل من تلك العظمة، وذاك الاتجاه الإسلامي يقف في المقابلة والمعاكسة للتوجه المثالي الساعي للمثل الأعلى.

ويعد ربط المحبة بالشعور النفسي الداخلي هو أحد الأسس المثالية للمحبة[٢]، وترى كذلك أن المحبة تتولد أو تتغير بمفعول علل نفسية تتصل بتصورات النفس وإرادتها، وبمختلف التجارب الوجودية التي تؤثر في جسم الإنسان[٣]، وعلى هذا فإن ابتداء المحبة يكون من الشعور النفسي، وهي أمر داخلي في داخل الإنسان وروحه، أمَّا الإسلام فإنه يمتاز بجعل النفس هي أحد المؤثرات على الحب، ولكنها ليست المؤثر الوحيد، ويمتاز الإسلام بهذه النظرة الواسعة للمحبة عن المثالية التي تجعل المحبة متصلة بتصورات النفس وإرادتها فقط، كما تجعل المثالية الرغبة في الشيء هي الدافع الوحيد للمحبة[٤]، والرغبة هي دافع داخلي يبقى في شعور الإنسان، أمَّا الإسلام فإنه لا ينفي الرغبة كأحد الدوافع القوية للمحبة، ولكنه لا يقتصر عليها، بل إن الواقع الخارجي الظاهري المشاهد هو كذلك من الدوافع المعتبرة في الإسلام، وهو من مظاهر تفوق النظرة الإسلامية لأسس المحبة المتسمة بالشمول والتوازن.

---

(١) ينظر: الإيروس والثقافة (فلسفة الحب والفن الأوروبي)، فياتشيسلاف شستاكوف، (ص: ٢٠٢).

(٢) ينظر: انفعالات النفس، رينيه ديكارت، (ص: ٥٥).

(٣) ينظر: في معاني الحب وأنواعه عند ديكارت، سفيان سعد الله، (ص: ٤٧).

(٤) ينظر: انفعالات النفس، رينيه ديكارت، (ص: ٥٦ -٥٧).

ثامنًا: الفلسفة الواقعية:

تؤسس الفلسفة الواقعية المحبة بناء على المنطلقات الأساسية التي تنطلق منها الواقعية بمظهرها العام، بمعنى أنها تعامل المحبة كمظهر موجود في الطبيعة أو منسوب إلى الواقع، أو الأحداث التي تعبر عن المحبة بأفعال مشاهدة على أرض الواقع(١)، ولا تعترف الواقعية إلا بالمحبة التي تعتمد على الحس، والحقائق الملموسة، وتحكم عليها من خلال الوقائع والأحداث(٢)، وعلى هذا فالفلسفة الواقعية تحكم على وجود المحبة من الواقع الملموس الظاهري، أمَّا الإسلام فإنه لا يجعل الواقع الملموس هو الحكم الوحيد على وجود المحبة، بل إن المحبة معتبرة في الإسلام حتى في صورتها الذهنية القلبية الداخلية، وهو ما يمتاز به الإسلام في شموليته عن الفلسفة الواقعية أحادية النظرة، حيث تقتصر على الحس وظاهر الطبيعة والحياة، ومن ضمن المقارنات التي يمكن بيان تميز الإسلام عن الفلسفة الواقعية من خلالها، هو أن الفلسفة الواقعية تجعل من أسس نظرتها للمحبة أنها تحكم عليها وعلى وجودها ومقدارها من خلال الحقائق الملموسة، وتتجاهل أي أمر داخلي شعوري وجداني، ولا تعتبره حكمًا على وجود المحبة، أمَّا الإسلام فإنه لا يتجاهل المحبة بحجة أنه ليس لها وجود في الواقع الملموس، بل إن المحبة الإلهية تنبع من الداخل أولًا بتعظيم الله والإيمان به، ثم تنتقل إلى الخارج كمظهر سلوكي عملي.

ويذهب بعض الفلاسفة الواقعيين إلى إثبات وجود المحبة كمظهر خارجي محسوس بأنها تأتي على صورة آلام ومعاناة يمكن مشاهدتها؛ لذا فهم يرون أن المحبة الحسية الجسدية هي سبب المصائب البشرية(٣)، وتصويرهم لطبيعة الحب بالمعاناة والألم، هو من إرهاصات أسسهم التي وضعوها للمحبة، حيث إن أي مظهر يمكن مشاهدته قد يمكن نسبته إلى الانفعالات الداخلية لبيان صحة نظريتهم الواقعية، وإلا فكيف نفسر تصويرهم للمحبة بالآلام، أمَّا الإسلام فإنه لا ينظر للمحبة بهذه النظرة السلبية، بل إن الأسس التي وضعها للمحبة تمنع بكل الوجوه أن تصل المحبة إلى درجة الآلام والمعاناة، ومتى ما انضبط الإنسان بضوابط الإسلام في المحبة فإن المحبة ستَظهر بجانبها الإيجابي الصحيح البعيد عن التشاؤم والسلبية.

ويربط بعض الفلاسفة الواقعيين المحبة بمظهر خارجي كصورة تتمثل فيه، ألا وهو الجنس، ويرون أن الحب غريزة في الإنسان، ويتمثل في صورته الواقعية الظاهرية على صورة الجنس(٤)، فالإنسان يمتثل لنزعاته الغريزية تحت أي ظرف وضغط، فتجده يريد الحب وينشد اللذة ويتحاشى الألم حتى وهو يتعرض إلى ضغط

---

(١) ينظر: المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا، (٢/ ٥٥٢).

(٢) ينظر: منزلة الإنسان ووجوده في المذاهب الفكرية المعاصرة (دراسة نقدية في ضوء الإسلام)، مُحَمَّد عطا مُحَمَّد أبو سمعان، (ص: ٨٢).

(٣) ينظر: الإيروس والثقافة (فلسفة الحب والفن الأوروبي)، فياتشيسلاف شستاكوف، (ص: ٢٣٤).

(٤) ينظر: الحب والحرب والحضارة والموت، سيجموند فرويد، (ص: ٧٧).



الظروف الاقتصادية[١]، ويظهر على الإنسان التقلب في الانفعالات، فتارة يحب ما كان يكره، وتارة يكره ما كان يحب، وسبب هذا التقلب يعود إلى عاملين:

الأول (داخلي): وهو عامل الرغبة الجنسية التي تتفجر إلى الحب بأوسع معانيه، فيساهم في تحويل الأنانية الفردية الداخلية إلى حب اجتماعي.

الثاني (خارجي): وهو القائم على التنشئة، حيث يتم تنشئة الحب فِينَا، ودفعنا لاحترام مطالب بيئاتنا الثقافية، ثم تأتي الحضارة لتطور هذه التنشئة، فتجبر كل إنسان متحضر على التخلي عن العامل الداخلي المتمثل في الرغبات الغريزية وإشباعها[٢]، وهذا هو مسلك الواقعية في نفي المحبة الداخلية وإثبات وبقاء المظهر الخارجي المحسوس.

أمَّا الإسلام فإنه لا يمكن أن يقصر المحبة على شيء واحد فقط، بل المحبة تظهر في الخارج على صور متعددة لا يمكن حصرها، وتتعدد كذلك أنماط المحبة، ولا تقتصر على نمط واحد، فالعبادة والعمل اللذان ينتسبان إلى النمط الديني هما أحد مظاهر المحبة، والميل للمحبوب هو كذلك أحد مظاهرها، وغيره من الأنماط والمظاهر المختلفة التي لا يغفلها الإسلام، وعلى هذا فإن الميزة الموجودة في الإسلام من هذا المظهر هي التعددية والنظرة الشمولية لمظاهر الحب وعدم الاقتصار على مظاهر محددة، بعكس الفلسفة الواقعية التي تحصرها تارة بالآلام والمعاناة وتارة بالجنس وغيره.

---

(١) ينظر: المرجع السابق، (ص: ٦).

(٢) ينظر: المرجع السابق، (ص: ١٧-١٨-١٩).





الباب الثاني

مكانة المحبة في الإسلام، والأديان، والفلسفات المعاصرة.

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: مكانة المحبة في الإسلام.

الفصل الثاني: مكانة المحبة في الأديان المحرفة والوضعية.

الفصل الثالث: مكانة المحبة في الفلسفات المعاصرة.

الفصل الرابع: مقارنة مكانة المحبة بين الإسلام، والأديان، والفلسفات المعاصرة.



الباب الثاني: مكانة المحبة في الإسلام، والأديان، والفلسفات المعاصرة

يتطرق هذا الباب لبيان مكانة المحبة في الإسلام والأديان والفلسفات المعاصرة، ثم بعد بيان مكانتها في كل دين وفلسفة يتم المقارنة بين الإسلام والأديان والفلسفات المعاصرة، وعليه فإن أساس إبراز مكانة المحبة سيكون قائما على أساس ما يمكن مقارنته بالإسلام، ولأجل هذا الغرض، فإن التطرق لمكانة المحبة سيكون عن طريق إبراز المظاهر والجوانب التي ينظر لها الدين أو الفلسفة المقصودة للمحبة بجميع جوانبها العامة، وسيكون للبعد الداخلي القلبي الشعوري الوجداني، والبعد الخارجي الظاهري العملي التطبيقي المحسوس، النصيب الأظهر في هذه المظاهر، حيث إنه أبرز ما يمكن أن يجلي الشمولية والثبات والتكامل في النظرة للمحبة، وقد قسمت الباب إلى أربعة فصول، تحت كل فصل عدة مباحث، وسيكون تقسيمها التالي:

الفصل الأول: مكانة المحبة في الإسلام، وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مكانة المحبة في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: مكانة المحبة في السنة النبوية.

المبحث الثالث: مكانة المحبة في الفكر الإسلامي.

الفصل الثاني: مكانة المحبة في الأديان المحرفة والوضعية، وتحته مبحثان:

المبحث الأول: مكانة المحبة في اليهوديَّة، والنصرانيَّة.

المبحث الثاني: مكانة المحبة في الأديان الوَضْعيَّة.

الفصل الثالث: مكانة المحبة في الفلسفات المعاصرة، وتحته مبحثان:

المبحث الأول: مكانة المحبة في الفلسفات المثالية.

المبحث الثاني: مكانة المحبة في الفلسفات الواقعية.

الفصل الرابع: مقارنة مكانة المحبة بين الإسلام، والأديان، والفلسفات المعاصرة،

وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مكانة المحبة بين الثبات، والإطلاق.

المبحث الثاني: مكانة المحبة بين النسبية، والتطور.

المبحث الثالث: مكانة المحبة بين الشمول، والخصوصية.





الفصل الأول: مكانة المحبة في الإسلام

يُوِلِي الإسلام للمحبة مكانة كبيرة ظاهرة في المصادر المتمثلة بالكتاب والسنة، وتظهر المكانة من خلال نصوص كثيرة متعددة في طيات هذه المصادر، وتَرِدُ النصوص على عدة أشكال وصور ومتوجهة إلى عدة معانٍ وجهات، فمحبة الله حاضرة بشكل كبير يجعلها في مصافِّ الأمور التقريرية العقدية التي لا بد مِن كل مَن ينتمي إلى دين الإسلام الاعتقاد بها قلبًا وقولًا وعملًا، وكذلك محبة النبي ﷺ، ومحبة عباد الله المؤمنين؛ لذا فقد ظهر هذا الأمر على المسلمين بشتى أشكاله وصوره في حياتهم وأفعالهم واعتقاداتهم ومختلف توجهاتهم ومعايشهم، فالفكر الإسلامي هو خير مثال يجلي الأثر الذي تغلغل في نفوس المسلمين، ولم يتوقف الأثر على الأمور النفسية القلبية الداخلية بل تجاوزها إلى الأمور التعبدية العملية الظاهرية، وسنعمد في هذا الفصل إلى بيان مكانة المحبة في المصادر الإسلامية متمثلة بالقرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ، كما سأبين أثرها كذلك في الفكر الإسلامي، ويندرج تحت هذا الفصل ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مكانة المحبة في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: مكانة المحبة في السنة النبوية.

المبحث الثالث: مكانة المحبة في الفكر الإسلامي.





المبحث الأول: مكانة المحبة في القرآن الكريم

أولى القرآن الكريم المحبةَ مكانة خاصة، واهتم بها اهتمامًا ظاهرًا، وحين البحث عن هذه المكانة وهذا الاهتمام، يتجلى للباحث عند استعراض كتاب الله عددٌ كبيرٌ من الآيات التي تشير لها بشكل خاص، والمتعمق قليلًا في هذا الشأن يتجلى له تعدد معاني الحب في القرآن، فالقرآن لم يكتفِ بذكر المحبة بلفظها، بل عبَّر عنها بمعانٍ أخرى، وتظهر المكانة في صورة أعمق إذا اطلعت على إثبات اللهِ ﷻ لمحبتِه في القرآن الكريم، وقد ذكر الله البيان الواضح للطرق الموصلة لمحبته، والمطلع على شأن المحبة في القرآن ومكانتها، لا يخفى عليه ربط المحبة بالإيمان فيه، والإيمان شأنه عظيم في الإسلام، وربط المحبة به يبين مكانتها العظيمة، وبما أن المحبة تنشأ في الشعور والوجدان الداخلي، فقد بيَّن القرآن المظاهر العملية للمحبة، كما بيَّن القرآن الكريم ضوابط المحبة وحدودها وطرق المحافظة عليها من الانحراف عن الطريق المستقيم، وكذا بيَّن القرآن المنهج الصحيح في المحبة، ونبذ كل منهج من شأنه تقويضها وحرفها عن مسارها.

وقد قسمت هذا المبحث إلى ثمانية مظاهر تبين مكانة هذه المحبة في كتاب الله، وهذه المظاهر الثمانية مظاهر قد رتبتها كما جاء في المقدمة أعلاه، واجتهدت في جعل هذا الترتيب يبدو متسلسلًا مترابطًا مؤديًا للغرض منه، وهو بيان مكانة المحبة في القرآن الكريم، والمظاهر هي:

أولًا: كثرة مواضع المحبة في القرآن الكريم.

ثانيًا: تعدد معاني الحب في القرآن الكريم.

ثالثًا: إثباتُ اللهِ ﷻ محبتَه في القرآن الكريم.

رابعًا: بيان القرآن للطُّرُق الموصلة لمحبة الله.

خامسًا: ربط المحبة بالإيمان في القرآن الكريم.

سادسًا: بيان القرآن للمظاهر العملية لمحبة الله.

سابعًا: بيان القرآن للمنهج الصحيح في المحبة.

أولًا: كثرة مواضع المحبة في القرآن الكريم:

من دلائل مكانة الشيء: كثرة ذكره وحضوره، وإذا ما قلَّبنا صفحات القرآن الكريم وجدناه يذكر المحبة في كثير من المواضع المتعددة التي تبين حضورها المتكرر فيه، فهذه المواضع التي وردت فيها المحبة هنا تتجاوز الثمانين موضعًا، ومما يزيد من مكانتها في كتاب الله أنها تأتي بأساليب متنوعة بين إثبات محبة الله ﷻ إثباتًا عامًّا، وإثبات محبة الله ﷻ لصفات معينة وأعمال محددة، وكذلك قد تأتي في صورة نفي محبة الله





ﷺ عن صفات وأفعال سيئة[١]، وقد جعلت هذا الأمر أوَّلَ أمرٍ أستفتح به بيان مكانة المحبة في القرآن الكريم لعدة أهداف أهدف إليها، وهي:

١- المقصد الرئيس المراد بيانه هو كثرة ورود مواضع المحبة في القرآن الكريم، والمتمعن في أهمية المصدرية للقرآن الكريم في الإسلام، وكيف أنه يحتل المكانة الأولى بين المصادر، يستشعر أهمية أي أمر يذكره ممتدحًا له ومُثْنِيًا عليه هذا الكتاب العظيم، ولو في موضع واحد فقط، فما بالك إذا كان في أكثر من موضع.

٢- إذا تقرر الأمر الأول، فإنا ننتقل لأمر آخر يبين المكانة بشكل أكثر وضوحًا، فالعدد الذي وردت فيه المحبة في القرآن ليس عددًا قليلًا أو متوسطًا، بل يتجاوز الثمانين، والأمر الذي يجد له مكانًا في كتاب الله بهذا العدد لهو أمر جدير بالاهتمام من قبل الإنسان، ومن المعلوم أن التكرار منهج شرعي يكون في جملة من الأوامر الشرعية، ومن أظهرها: أذكار الصباح والمساء، والتي تتكرر كل يوم مرتين، فإنها بسبب كثرة تكرارها تقرر في قلب المسلم مقاصد شرعية مختلفة، منها أنها "دلت على إثبات الأسماء والصفات لله عز وجل... ونفي ما لا يليق به عز وجل من الصفات"[٢]، وهذا يبين أهمية التكرار في تقرير العقيدة في قلب المسلم.

ثانيًا: تعدد معاني الحب في القرآن الكريم:

ومن مكانة المحبة في القرآن الكريم، أنها تأتي على عدة أوجه ومعانٍ، فتارة تأتي (المحبة) نائبة عن لفظ ومعنى آخر، وتارة يأتي اللفظ الآخر نائبا عنها، وتارة تجتمع هي مع لفظ آخر في آية واحدة بقصد التأكيد والبيان لمعناها، وخلال استعراض تلك المعاني، ظهر لي أن مِن أبرزها وأوضحها أربعة، وهي: الإيثار والقلة والنفع والاختيار[٣].

فإذا ما استعرضنا الوجه الأول، والذي يشير إلى معنى الإيثار، فيظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢]، ومعنى أحببت هنا أي: آثرت حب الخير؛ لأن كل من أحب شيئًا فقد آثره[٤]، ومن الربط القرآني بين المعنيين (المحبة والإيثار) هو جمعهما في آية واحدة، فقد قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا

---

(١) ينظر: محبة الله عند أهل السنة والجماعة ومخالفيهم والرد عليهم، مريم بنت علي الحوشاني، (ص: ٥٨).

(٢) مسائل الربوبية والألوهية والأسماء والصفات الواردة في أذكار الصباح والمساء، أ.د. نادر بن بهار بن متعب العتيبي، مجلة البحوث والدراسات الشرعية، ٢٠١٥م، (ص: ٤٦).

(٣) ينظر: الحب والبغض في القرآن الكريم، مها يوسف جار الله الجار الله، رسالة ماجستير، قسم التفسير وعلوم القرآن، جامعة الكويت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، (ص: ٣٥ - ٣٧)، أشير إلى أن معنى الاختيار زيادة من عندي، وليس من المرجع.

(٤) ينظر: فتح القدير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، (٤/٤٩٥).





﴿يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩]، ومما وردت فيه المحبة نائبة عن معنى الإيثار، قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًاۚ﴾[إبراهيم: ٣]، والمقصود بالاستحباب في الآية، أي: يقدمونها ويؤثرونها عليها[١]، وهذا ربط بين معنيين، جاءت المحبة فيه نائبة ومعبرة عن لفظ الإيثار.

وتأتي المحبة كذلك بمعنى الاختيار، فقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِۚ...﴾ [التوبة: ٢٣]، واستحبوا في الآية تعني: اختاروا على وجه الرضا والمحبة[٢]، ومنها كذلك وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْأٓخِرَةِ ...﴾ [النحل: ١٠٧]، وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت:١٧].

ويأتي الحب بمعنى القِلَّة في قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨]، والمقصود أنهم يطعمون هؤلاء الثلاثة الأصناف الطعام على حبه لديهم وقلته عندهم[٣]، ولعلي أظهر معنًى بدا لي، وهذا المعنى يظهر سبب التعبير بالحب عن القلة، وهو في الوقت نفسه يبين مكانة المحبة وشأنها في النفوس، وهو أن القليل والنادر دائمًا ما يكون قريبًا إلى النفس محبوبًا لها، فتجد النفس لا تفرط فيه، وتريد الاحتفاظ فيه، فالممتلكات النادرة التي يحصل عليها الإنسان، يندر أن يفرط فيها، بل يعرضها ويتباهى بها، كأن يضعها في معرض للنوادر، وقد تصل قيمتها المادية لمبالغ كبيرة، ولكنه يصعب أن يوافق على بيعها، ومرد ذلك قلة إمكانية وجودها عند غيره.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: مُحَمَّد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، (٤٠٩/٤).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، (ص: ٣٣٢).

(٣) ينظر: فتح القدير، الشوكاني، (٤١٩/٥).





وتأتي المحبة كذلك بمعنى النفع، في قوله تعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ١٣]، وقد رد الأصفهاني المحبة في الآية إلى النفع، وذكر أن مقصود المحبة في الآية هو محبة للنفع، كمحبة شيء ينتفع به[(١)]، ولتجلية حلول معنى المحبة محل النفع، هو أنهم يرون نفع الأخرى لذلك أحبُّوها وفضلوها.

وتعدد هذه المعاني للحب في كتاب الله تشير لمكانته كلفظ يشمل تلك المعاني المختلفة، ولفظ يُستَعاض به عن معانٍ أخرى، مما يبين اختياره ليحل محل غيره من الألفاظ، واختيار ألفاظ أخرى تعبر عنه.

ثالثًا: إثباتُ اللهِ ﷻ محبته في القرآن الكريم:

أثبت الله ﷻ محبته لعباده ومحبة عباده له في القرآن الكريم، وهذا مما يجلي مكانة المحبة أن يبينها الله ﷻ في كتابه الكريم، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وعلاوة على ذلك، وبيانا لمكانة المحبة في القرآن، بين ﷻ الصفات التي يحبها في عباده المؤمنين في ثنايا القرآن الكريم، وهي ثمان صفات، وأصحابها هم: المتقون، والمحسنون، والصابرون، والتوابون، والمتطهرون، والمتوكلون، والمقسطون، والمقاتلون في سبيل الله[(٢)]، أما عن المواضع التي وردت فيهم، فسأذكر بعضها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]، وغيرها من الآيات التي تثبت أن الله يحب صفاتا معينة، ويشير القرآن الكريم إلى أن محبة الله ﷻ خاصة بذوي الأعمال العظيمة التي تفوق في قيمتها ومنزلة العاملين بها ما سواها من جنسها، وأن هذه الأوصاف التي بينها الله في كتابه هي أمهات الأخلاق ومنابع الفضائل النفيسة، ولها من السمو عما يشاركها في أصل معناها ما يجعلها جديرة بالحب الذي هو فوق مجرد القبول والرضا[(٣)].

---

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، لبنان، (ص: ١٠٥).

(٢) ينظر: محبة الله عند أهل السنة والجماعة ومخالفيهم والرد عليهم، مريم بنت علي الحوشاني، (ص: ٥٨ -٦٢)، الحب والبغض في القرآن الكريم، مها يوسف جار الله الجار الله، (ص: ٨٩).

(٣) ينظر: الحب والبغض في القرآن الكريم، مها يوسف جار الله الجار الله، (ص: ٩١).





كما بين ﷺ جملة من الصفات التي لا يحبها، وهي تسع صفات، وأصحابها هم: المفسدون والظالمون والكافرون والمعتدون والخائنون والمسرفون والمتكبرون المختالون والفرحون والجاهرون بالسوء[1]، أما عن المواضع التي وردت فيهم، فسأذكر بعضها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ٩٠]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ٥٧]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨]، وغيرها من الآيات الدالة على عدم محبة الله لبعض الصفات، فقد نفى الله ﷻ حبه عن ذوي الصفات السيئة التي من شأنها أن تشيع الضرر في نفس صاحبها وعلى أسرته وعلى المجتمع المحيط به، وحتى يصرف الله ﷻ عباده عن هذه الصفات المشينة، حتى يسير الخلق على وفق المنهج الذي رسمه الله لهم في كتابه العزيز[2]، وهنا تظهر مكانة المحبة في أن الله ﷻ أثبتها له في كتابه، كما أن الله ﷻ بين الأصناف والأعمال التي يحبها، والأعمال والأصناف التي لا يحبها، وما ذاك إلا لمكانتها في كتاب الله.

رابعًا: بيان القرآن للطرق الموصلة لمحبة الله:

بيَّن القرآن الكريم الأبواب الموصلة لمحبة الله ﷻ في مواطن كثيرة، وهذا البيان يجري في إنزال القرآن الكريم للمحبة منزلة كبيرة ومهمة، ومن تلك الطرق -على سبيل المثال- محبة العبد لله، فهي من أوسع الأبواب الموصلة إلى محبة الله تعالى للعباد، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، فمحبة الله تعالى ومحبة رسوله باب واسع يصل العبد من خلاله إلى محبة الله تعالى له[3]، وقد استنبط ابن تيمية رحمه الله بابًا موصلًا داخل هذه الآية، فذكر أن الله بيَّن أن المشركين الذين يتخذون من دون الله أندادًا -وإن كانوا يحبونهم كما يحبون الله- فالذين آمنوا أشد حبًّا لله منهم لله ولأوثانهم؛ لأن المؤمنين أعلم بالله والحب يتبع العلم[4]، والمؤمن الذي يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، لا بد أن يكون ما أحبه الله ورسوله أحب إليه مما لم يحبه الله

---

(١) ينظر: محبة الله عند أهل السنة والجماعة ومخالفيهم والرد عليهم، مريم بنت علي الحوشاني، (ص: ٦٣ -٦٥)، الحب والبغض في القرآن الكريم، مها يوسف جار الله الجار الله، (ص: ١٧١).

(٢) ينظر: الحب والبغض في القرآن الكريم، مها يوسف جار الله الجار الله، (ص: ١٧٣).

(٣) ينظر: مفهوم صفة المحبة لله تعالى، د. عبد الرعود، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، الأردن، المجلد العاشر، العدد الثاني، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م، (ص: ١٧٣).

(٤) ينظر: أمراض القلوب وشفاؤها، ابن تيمية، (ص: ٦٣).





ورسوله، وأن يبغض ما يبغضه ورسوله، فلا يكون ذلك البغيض أحب إليه من محبوب الله ورسوله[1]، والمتأمل في هذه الآية، يجد جملة من الأمور المهمة أجملها فيما يلي:

١- أن في الآية امتداحا لمن أحب الله محبة خالصة لا يشاركها معه أحد، وكلما كانت المحبة أخلص صار العبد أقرب من الله ﷻ؛ لذلك فإن الله ذم الكافرين لتعظيمهم محبة أخرى مع محبة الله.

٢- أن محبة الله –وما يلزمها من اتباع عملي لهذه المحبة–، هي من أوسع الأبواب التي تجلب محبة الله ﷻ للعبد، وذكر القرآن لمثل هذا فيه بيان لأحد أعظم الأسباب الجالبة لتلك المحبة التي يسعى لها كل مسلم.

٣- أن الآية تنطوي على مضامين عميقة تتبع تلك الأسباب الجالبة لمحبة الله، فمنها ما ذكره ابن تيمية رحمه الله من أن العلم هو من الأبواب التي توصل العبد لهذه المحبة العظيمة، واستنباطه رحمه الله في أن المحبة تتبع العلم، هو من جملة تلك المضامين العميقة داخل هذه الآية.

٤- ومن مضامين الآية كذلك، أن من يَزْدَدْ حبُّه لله ولرسوله ﷺ تَزْدَدْ معه بشكل تلقائي الأمور التي يحبها الله ورسوله، ويَزْدَدْ كذلك بغضه لما يبغضه الله ورسوله، وهنا يظهر معنى عميق يبين أحد الأسباب الموصلة لمحبة الله، ألا وهو إتيان ما أحبه الله ورسوله، واجتناب ما أبغضه الله ورسوله، وهذا يعد من لوازم محبة الله ورسوله، وبابا موصلا للعبد لكي ينال محبة الله.

٥- الناظر في عظم دلالات هذه الآية، وعمق مضامينها، وتعلقها في أمر المحبة، يدرك حجم اهتمام القرآن الكريم بهذه الصفة العظيمة، وهذا يجلي مكانتها ومنزلتها في القرآن الكريم.

خامسًا: ربط المحبة بالإيمان في القرآن الكريم:

ربط الله ﷻ المحبة بالإيمان في كتابه العزيز، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤]، فربط الله ﷻ المحبة بالإيمان في هذه الآية، ووجه الربط أن دافع الإنسان في إتيان ما يكرهه الله ويبغضه يكون من عدة أوجه، مترابطة مع بعضها، وهي:

١- إما أن يأتيها الإنسان لضعف في إيمانه أو نقص في كماله.

٢- إما لضعف في محبته لله ورسوله، ويزيد الضعف وينقص على حسب درجة وقوعه في المكروهات.

٣- وقد يأتيها الإنسان بسبب ضعف محبته لما يحبه الله ورسوله، وضعف بغضه لما يبغضه الله ورسوله.

---

(١) ينظر: قاعدة في المحبة، ابن تيمية، (ص: ١٠٣).





٤- وقد يكون دافع إتيانه لها قوة محبته لتلك المكروهات التي غلبت عليه شهوته ففعلها.

وأيا كان السبب في إتيان الإنسان لما يكرهه الله ﷻ ورسوله ﷺ، فإن الإنسان إذا وقع في المكروهات ولديه أصل الإيمان صحيح، وأصل محبته لله ورسوله موجود ومستقر، فإنه يصحب ذلك الوقوع كره وبغض لذلك الفعل، فيكون مع قيامه بالفعل يستصحب الخوف من عقاب الله، ويرجو أن يخلصه الله من عقابها، إما بتوبة أو إحسان أو عفو أو غير ذلك(١)، وهنا يظهر الربط جليًّا بين المحبة والإيمان في هذه الآية.

سادسًا: بيان القرآن للمظاهر العملية لمحبة الله:

للمكانة الكبيرة التي تحملها المحبة في القرآن، فقد جاء القرآن مبينا للمنهج الذي من خلاله يترجم المسلم ويدلل على محبته لله ﷻ، فقد قال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ﴾ [آل عمران: ٣١]، أشار ابن كثير رحمه الله(٢) إلى أن الآية تشمل المنهج الذي ينبغي أن يلتزمه كل من ادعى محبة الله، فالمنهج هو الالتزام بالشريعة الإسلامية والطريقة المحمدية، وهذا المنهج يشمل الأقوال والأفعال والأحوال، فمن تمسك بهذا المنهج فقد التزم المنهج، ومن ادعى محبة الله وخالف هذا المنهج فقد كذب في دعواه(٣)، ومظاهر مكانة المحبة في القرآن الكريم -في هذا الشأن- تظهر في الآتي:

١- اهتمام القرآن الكريم بشأن محبة العباد لله ﷻ وعدم تركها عُرضة للاختراع والابتداع.

٢- تحديد المنهج السليم للمحبة التي يصرفها العبد لله من خلال القرآن الكريم، الذي يعد المصدر الأول للمسلمين.

٣- إظهار الجانب العملي لمحبة العباد لربهم من خلال منهج عملي واضح المعالم غير متَّسم بالغموض وغير خاضع للتحريف.

٤- إبراز أهمية القول والفعل والعمل كمقياس ودلالة على محبة الله ﷻ، وعدم إبقاء تلك المحبة حبيسة في الشعور والذهن، مما يبين الأثر السلوكي للمحبة على المسلم.

---

(١) ينظر: قاعدة في المحبة، ابن تيمية، (ص: ١٠٤).

(٢) هو الحافظ المؤرخ الفقيه أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصروي ثم الدمشقي، ولد في قرية من أعمال بُصرى الشام سنة سبعمائة أو بعدها بيسير. له تصانيف كثيرة منها: «البداية والنهاية»، و«طبقات الفقهاء الشافعيين»، و«تفسير القرآن العظيم»، مات في شعبان سنة أربع وسبعين وسبع مائة. ينظر: الدرر الكامنة، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، صيدر أباد/ الهند، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م، (١/ ٤٤٥)، والأعلام، الزركلي، (١/ ٣٢٠).

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٢/٢٦).





٥- إظهار ارتباط القرآن الكريم بالسنة النبوية وتوافقهما كمصدريّ تشريع للدين الإسلامي من خلال المحبة.

سابعًا: بيان القرآن للمنهج الصحيح في المحبة:

يورد القرآن الكريم في غير ما موضع، المناهج الصحيحة التي تستقيم بها المحبة، وتبلغ بها المحبة موقعها ومكانها السليم، وقد تتبعت تلك المناهج فوجدتها تدور على أمر مهم جوهري، وقد جمعتها في هذا الأمر؛ لأنه من الأمور الظاهرة التي يمكن قياسها والعمل بها بيسر وسهولة، ويمكن للمسلم قياس محبته وسلامتها من خلاله، ألا وهو (الاتباع)، فالأصل أن من أحب شيئًا تبعه أو اتّبعه -إذا كان هذا الشيء داعيًا لنفسه-، ويظهر ذلك المنهج في مواضع متعددة من القرآن الكريم، منها:

١- نهي الله ﷻ عن اتباع الكافرين ونصرتهم وموالاتهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾ [المائدة: ٥١].

يبين الله ﷻ أن اليهود والنصارى بعضهم أولياء بعض، ولكنه بين في مواضع أخرى أن ولاية بعضهم لبعض زائفة، والسبب في أن ولايتهم لبعضهم زائفة وغير حقيقية أنها ليست خالصة ولا نقية، ومرد هذا كله أنها لا تستند على أساس صحيح، وأصح الأسس هو دين الإسلام[١]، فاتباع دين الإسلام هو المنهج الصحيح الذي تقوم عليه المحبة، لكيلا نقع فيما وقع فيه اليهود والنصارى من عدم خلوص المحبة ونقائها بينهم.

٢- الأمر بجعل المحبة والموالاة الصادقة للمؤمنين دون الكافرين، حتى لو كان هذا الكافر صديقًا مقربًا أو ذا قرابة، قال تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ [آل عمران: ٢٨].

قوله: ﴿لَّا يَتَّخِذِ﴾، فيه النهي للمؤمنين عن موالاة الكفار لسبب من الأسباب، وقوله: ﴿مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ﴾، أي: متجاوزين المؤمنين إلى الكافرين تجاوز استقلال عنهم، أو تجاوز اشتراك معهم ومساواة[٢]، وهذا الأمر من ضوابط منهج المحبة التي نص عليها القرآن الكريم.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت – لبنان، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥ م، (٤١٢/١).

(٢) ينظر: فتح القدير، الشوكاني، (٣٨٠/١).





٣- الأمر باتباع طريق الإسلام وشرائعه التي شرعها الله، والنهي عن اتباع أي شريعة تنبع من أهواء غير المسلمين؛ لأنها مباينة لما ينبغي أن تكون عليه المحبة، قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨].

تشير الآية إلى أن الله شرع لنا شريعة كاملة، تدعو إلى كل خير، وتنهى عن كل شر، والواجب هو اتباعها، فإن في اتباعها السعادة الأبدية والصلاح والفلاح، ولا بد من الحذر من الوقوع في اتباع أهل الأهواء، وهم الذين تكون أهواؤهم غير تابعة للعلم ولا ماشية خلفه، وصفتهم أنهم كل من خالف شريعة الرسول ﷺ في هواه وإرادته، فإنه من أهواء الذين لا يعلمون، وأهل الأهواء لا ينفعون الإنسان عند الله فيحصلوا له الخير -مثلًا-، أو يدفعوا عنه الشر إن اتبعهم على أهوائهم، واتباعهم لا يصلح بتاتا للمسلم؛ لأن المسلم مباين لهم بشريعته واتباعه لله ﷻ[١]، والمسلم متى ما اتبع شريعة الله وسلم لها أمره، خلُصَت محبته، واستقام هواه، وصلحت نيته، وقاده كل ذلك إلى التزام المنهج الصحيح للمحبة.

وهذه الدلائل القرآنية الثلاثة، ترسم منهجًا واضحًا صريحًا لا مرية فيه، ولا يشوبه أيّ غموض يمكن أن يسيطر على مَن أراد قياس قدر محبته لله ورسوله، كون المحبة أمرًا ينطلق من الشعور الداخلي، ولا بد من منهج عملي سلوكي يمكن قياسها به، فمن عظم هذه المحبة ومكانتها في القرآن الكريم، هو بيانه للمنهج العملي القويم لها.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، (ص: ٧٧٧).





المبحث الثاني: مكانة المحبة في السنة النبوية

تُولِي السنةُ النبويةُ المحبةَ منزلةً وذكرًا خاصًّا يجلِّي عظيمَ مكانتِها، وأهميتها الكبيرة، ومن خلال الاطلاع وجمع ما وقفتُ عليه من الإشارات إلى مكانة المحبة في سنة رسول الله ﷺ، وجدتُ أن المكانة تتجلى في أول صورها من خلال إثبات محبة الله لعباده، ومحبة العباد لله، كما أن المحبة التي تكون من الله للعبد هي غاية الْمُنَى للعباد، فلم يَتْرُكِ اللهُ هذه المحبةَ دون بيان علاماتها وأماراتها، كما أن من يحب الله حق محبته من العباد يصل به الله إلى تمني لقاء الله، فجاءت السُّنة مبينةً فضلَ محبة لقاء الله، والمحبة -كما ذكرتُ في مرادفاتها- يمكن التعبير عنها والإشارة إليها بمعنى آخر، وهذا من مكانتها وتعدد المصطلحات في بيانها ووصفها، كما جاءت السُّنة مبينة لثمرات محبة الله، ومبينة لفضل محبة الله للمؤمن، وقد ذكرت السنة صفات يحبها الله ﷻ ترغيبًا في التزامها وامتثالها، كما شددت السُّنة على أمر مهم في المحبة، وهو وجوب المحبة بين المسلمين، وذكرت فضل المحبة بين المؤمنين، وآثارها، ورتبت عليها أمورًا عظيمة يحسن بالمؤمن الانتباه لها.

وقد قسَّمت المبحث إلى تسع قضايا، أجملت فيها مكانة المحبة في السنة، وهي:

أولًا: إثبات محبة الله لعباده، ومحبة العباد لله.

ثانيًا: بيان محبة الله وعلاماتها.

ثالثًا: بيان فضل محبة لقاء الله.

رابعًا: الإشارة إلى خُلَّة النبي ﷺ.

خامسًا: بيان ثمرات محبة الله.

سادسًا: بيان فضل محبة الله للمؤمن.

سابعًا: ذكر صفات يحبها الله.

ثامنًا: وجوب المحبة بين المسلمين.

تاسعًا: فضل المحبة بين المؤمنين.



أولًا: إثبات محبة الله لعباده، ومحبة العباد لله:

دلَّت السُّنَّة النبوية المطهرة على إثبات محبة الله لعباده المؤمنين، ومحبتهم له، ومما ورد في ذلك: ما رواه أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ ...»(١).

وهذا الإثبات الذي تضَمَّن السنة النبوية –مدار مبحثنا–، يشير إلى أن السنة تأتي في مسار بقية مصادر الإسلام للمحبة –القرآن الكريم، والعقل، والفطرة، والإجماع– مدللة على إثباتها، وسائرة معها في الطريق نفسه، مما يظهر إيلاء السنة النبوية للمحبة مكانة تسير في المقصد العام للإسلام، حيث يوليها مكانة كبرى، وهذا الاهتمام وتلك المكانة إنما كانت لأثر هذه المحبة إذا اسقرت في مكانها الصحيح في عقل المسلم.

قال ابن عثيمين رحمه الله في رده على من أنكر إثبات المحبة بين الخالق والمخلوق: «إذا قلتم –يعني المبتدعة–: إن العقل لا يدل على إثبات المحبة بين الخالق والمخلوق، فإن السمع دل عليه بأجلى دليل، وأوضح بيان»(٢).

وسوف أستخرج من هذا النص جملة من الفوائد في بيان إثبات المحبة بين الخالق والمخلوق:

١- اعتبار السمع كدليل أقوى من العقل في إثبات الغيبيات، مما يعني قضية التسليم لأمر الله، وإنزال العقل مكانه المناسب، وعدم التجاوز به إلى خارج حدوده ومقدرته.

٢- اعتبار النقل في الإسلام اعتبارًا أوليًّا سابقًا لغيره من المصادر، والنقل يشمل القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وهنا تتضح مكانة المحبة في السنة حيث أولتها اهتمامًا واضحًا.

٣- قوله رحمه الله عن المحبة بين الخالق والمخلوق أنَّ السمع قد دل عليها (بأجلى دليل)، يُستَوحى منه الوضوح التام الذي يظهر على نصوص الكتاب والسنة في شأن محبة الله وإثباتها، وهذا الوضوح يجعل المسلم لا يجد ريبًا في إثبات هذا المعنى الغيبي، وهذا الوضوح الذي رسخ في ذهن المسلم – مع أنَّ المحبة أمر شعوري يحتاج التدليل عليه بالسلوك– يبين مدى إعطاء النقل –الكتاب والسنة– أمر المحبة مكانة خاصة بقصد جعلها واضحة راسخة في الذهن لا يعتريها غموض.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب التواضع، الحديث رقم: (٦٥٠٢)، (٨/ ١٠٥).

(٢) شرح العقيدة الواسطية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، (١/٢٤٧).



ثانيًا: بيان محبة الله، وعلاماتها:

اهتمت السنة النبوية بشأن محبة الله للعبد، وجاءت مبينة لعلامات هذه المحبة التي تعد من أشرف أنواع المحبة التي يسعى إليها المسلم، فعن أبي هريرة ﵁، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ، قَالَ فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: فَيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ»(١).

والمتأمل في هذا الحديث يمكنه الربط بينه وبين مكانة المحبة في أن الله ﷻ إذا أحب شخصًا نادى جبريل، وجبريل أشرف الملائكة، كما أن محمدًا ﷺ أشرف البشر، وأمر أهل السماء أن يحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض، فيصير مقبولًا لدى الناس، محبوبًا إليهم، فإن هذا من علامات محبة الله تعالى للعبد(٢)، ويمكن إيضاح أوجه مكانة المحبة فيه بالآتي:

١- جاء الحديث لإثبات محبة الله تعالى للعبد وبيانها، فالإثبات والبيان هما أساس اعتبار المكانة.

٢- تظهر الدرجة الثانية للمكانة في هذا الحديث أنه أبان الجانب الحسي المشاهد لعلامات محبة الله للعبد، حيث إن ذلك يمكن مشاهدته في محبة الناس لهذا العبد، وظهور القبول له بين الناس.

٣- يبين الحديث أن المحبة والقبول لا يقتصران على أهل الأرض فحسب، بل إن أهل السماء يحبونه أيضًا، ويطرح له القبول بينهم، وهذا في سياق مكانة المحبة.

٤- حينما يحبُّ الله العبد، ينادي أشرف الملائكة جبريل، ولا ينادي ملكًا في منزلةٍ أقلَّ من جبريل، وهذا يأتي في سياق بيان شرف ومكانة المحبة.

٥- اقترانُ ذِكر البغض مع المحبة، يشير لمكانتها وحث الإسلام على التزامها والتحذير مما يخالفها ويبعد عنها، فذكر الخلق السيء مقابل الخلق الحسن المضادِّ له، من شأنه ترسيخ القيمة الكبيرة لخيرية ومكانة الخلق المندوب إليه، ويبين مدى ترغيب الإسلام به.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، الحديث رقم: (٣٢٠٩) (٤/ ١١١)، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أحب الله عبدا حببه لعباده، الحديث رقم: (٢٦٣٧)، (٤/ ٢٠٣٠).

(٢) ينظر: شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٦هـ، (٣/ ٢٧١).





ثالثًا: بيان فضل محبة لقاء الله:

لم تقف السنة عند بيان محبة الله وفضلها وعلاماتها وثمراتها، ومحبة المؤمنين بعضهم بعضا ووجوبها وصفتها وفضلها وبيان دورها في المجتمعات، بل شمل هذا البيان وهذا الاهتمام أمور الآخرة، فعن عبادة بن الصامت ﵁[(١)]، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ» قَالَتْ عَائِشَةُ أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ: إِنَّا لَنَكْرَهُ المَوْتَ، قَالَ: «لَيْسَ ذَاكِ، وَلَكِنَّ المُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ المَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ»[(٢)].

وقد ذكر ابن القيم ؒ أن هذا الحديث يأتي في سياق قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ﴾ [العنكبوت: ٥]، وفيه أن الله ﷻ لما علم شدة شوق أوليائه إلى لقائه، وأن قلوبهم لا تهتدي دون لقائه، ضرب لهم أجلًا وموعدًا للقائه، فتسكن نفوسهم بهذا الوعد لهذا اللقاء المنتظر، ويشير ؒ كذلك إلى معنى عميق يبين أثر ذلك الشوق منهم، وأثر ذلك الوعد من الله لهم، أنه يتحقق لهم أطيب العيش -في الدنيا- وألذّه على الإطلاق، وذاك العيش وتلك اللذة هي عيش المحبين المشتاقين المستأنسين، فحياتهم هي الحياة الطيبة الحقيقية، ولا حياة للقلب أطيب ولا أنعم ولا أهنأ منها، وهي الحياة الطيبة في قوله تعالى: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ﴾ [النحل: ٩٧][(٣)].

ولعلي أُجْمل مظاهر مكانة المحبة في هذا الحديث في عدة نقاط:

١- ذِكر الله أنَّ لقاءه عباده الذين يشتاقون للقائه آتٍ ومتحقق، والله ﷻ لا يبين حدوث أمر إلا لمنزلة هذا الأمر عنده ﷻ، ولأثر ذلك الأمر في نفوس الناس.

٢- المتأمل في وعد الله لمن يرجو لقاءه بأن لقاءه آتٍ، يرى تخصيص الوعد لمن كان يرجو لقاء الله، فيتبادر سؤال في الذهن، أليس لقاء الله آتٍ لكل الخلق سواء من كان يرجو هذا اللقاء أو من

---

(١) هو عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن قيس بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي، أبو الوليد. روى عن النبي ﷺ كثيرا. وروى عنه: أبو أمامة، وأنس، وجابر، وغيرهم. شهد بدرا. وكان أحد النقباء بالعقبة، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبي مرثد الغنوي، وشهد المشاهد كلها بعد بدر. وشهد فتح مصر. وهو أول من ولى قضاء فلسطين. وكان فقيها عالما ممن جمع القرآن في عهد النبي ﷺ. ومات بالرملة سنة أربع وثلاثين. وقيل: عاش إلى سنة خمس وأربعين. ينظر: الاستيعاب (٢/ ٨٠٧)، والإصابة (٣/ ٥٠٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، الحديث رقم: (٦٥٠٧)، (٨/ ١٠٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، الحديث رقم: (٢٦٨٣)، (٤/ ٢٠٦٥) من حديث عبادة بن الصامت ﵁.

(٣) ينظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، ابن القيم، (ص: ١٨٣ – ١٨٤).





كان لا يرجوه؟ إذا كانت الإجابة بـ (نعم)، فلِمَ ورد التخصيص للراجين دون غيرهم مع شمولهم به، والجواب -في نظري- أن الله إنما ساق الحديث على سياق البُشرى للراجين بأنه سيحقق لهم ما رجوه وأمَّلوه منه ﷻ، أما غير الراجين فلا تشملهم البشرى؛ لأن مصدر الاشتياق لم يظهر منهم ولم يتملَّك قلوبهم، لذلك فليسوا مشمولين بالبُشرى التي هي سياق الحديث. والله أعلم.

٣- لما تقرر أن الحديث فيه بشارة للمحبين للقاء الله، تجلت مكانة تلك المحبة، فالتجلي يكون في أدق صوره في بيان استجابة الله ﷻ لمحبتهم وشوقهم للقائه بأن بشرهم بتحقق ما أحبوه.

٤- من الأثر لهذه البشارة من الله ﷻ لعباده، أن من أحب لقاء الله، وأيقن أن هذا اللقاء سيأتي بوعد الله له، فإن حياته في الدنيا تطيب، وفرحته تزداد، ولذة العيش تعلو، ونكد الحياة ومصائبها تهون في نظره، ويبدأ ينظر للحياة الدنيا نظرة متوازنة لا تتجاوز قدرها الذي قدره الله لها، ومرد ذلك انتظاره لذلك الوعد ويقينه به، فالانتظار مع الشوق واللذة للوعد هي أحد مظاهر طيب العيش.

رابعًا: الإشارة إلى خُلة النبي ﷺ:

ومما يبرز مكانة المحبة في سنة الرسول ﷺ، هو أنه ﷺ يشير إليها بمعنى آخر من معانيها ومرادفاتها، وقد خُصِّصَ في البحث مطلب مستقل للمترادفات في الفصل الأول من الباب الأول، وهو المطلب الثاني، وذكرت مِن بين مرادفات المحبة (الخُلة)، وعند استعراض سنة رسول الله ﷺ، يظهر استعمال مرادفة الخلة في غير ما موضع، منها ما جاء عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه[1] قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس، وهو يقول: «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»[2]، وقوله ﷺ إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، معنى (أبرأ) أي: أمتنع من هذا وأنكره، والخليل هو المنقطع إليه، وقيل المختص بشيء دون غيره، وقيل هو مشتق من الخَلة بفتح الخاء وهي الحاجة، وقيل من الخُلة

(١) هو جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي العلقي، يكنى أبا عبد الله، له صحبة، ينسب تارة إلى أبيه وتارة إلى جده، ويقال: جندب بن خالد بن سفيان. روى عن: النبي ﷺ، وعن حذيفة بن اليمان. روى عنه: الأسود بن قيس، وأنس بن سيرين، والحسن البصري. ويقال له: جندب الخير. نزل الكوفة والبصرة. وله: عدة أحاديث. وبقي إلى حدود سنة سبعين. ينظر: تهذيب الكمال (٥/ ١٣٧)، سير أعلام النبلاء (٣/ ١٧٤)، الإصابة (١/ ٦١٣).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها، والنهي عن اتخاذ القبور مساجد، الحديث رقم: (٥٣٢)، (١/ ٣٧٧).





بضم الخاء وهي تخلل المودة في القلب[1]، وهنا يظهر جملة من الأمور في شأن المحبة ومكانتها من خلال معاني الحديث، أذكر منها:

١- أظهر الحديث أن الله ﷻ جعَل محمدًا ﷺ في منزلة الخلة، ويشاركه في هذه المنزلة نبي الله إبراهيم عليه السلام، وقد جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]، وهذا يبرز مكانة النبي ﷺ ومكانة إبراهيم عليه السلام عند الله ﷻ، فالرسل يتفاضلون في المنزلة، قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾[البقرة: ٢٥٣].

٢- من عظم منزلة الخلة في الإسلام، شدد النبي ﷺ على ألا يغلو فيه أحد بسبب وصوله إلى هذه المنزلة عند الله ﷻ، وخشية النبي ﷺ في أن يتخذ الناس قبره مسجدًا بعد ذِكره لمنزلته عند الله، يبين مكانتها ومنزلتها في قلوبهم، ولا شك أن هذه المنزلة زرعها الإسلام في قلوبهم من خلال تعاليمه ونصوصه.

٣- عدم اتخاذ النبي ﷺ خليلًا له في الأرض، واكتفاؤه ﷺ بخلة الله له، يظهر المعنى الأسمى الذي بلغته الخلة في قلبه ﷺ، وهذا عين المكانة وعلو المنزلة.

خامسًا: بيان ثمرات محبة الله:

من شواهد تبوُّءِ المحبة لمكانة كبيرة في سنة رسول الله ﷺ: حديثُ أبي هريرة رضي الله عنه، حيث قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ»[2].

فهذا الحديث فيه ترغيب في حب أولياء الرحمن، والاعتراف بفضلهم، والتحذير من بغضهم ومعاداتهم، كما يتبين للمطالع في معانيه أن عواطف الحب والبغض لها أهميتها في نظر الإسلام، وأنه يحاسب على البغض كما يثيب على الحب، لكنه لا يحاسب على البغض أو يكون مسيئًا إلا إذا استجاب لتلك العاطفة أما إذا قاومها واستعاذ بالله منها، وقصد بمقاومتها وجه الله، فإنه يكون محسنًا ويثاب على ذلك[3].

---

(١) ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، (١٣/٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب التواضع، الحديث رقم: (٦٥٠٢)، (٨/ ١٠٥).

(٣) ينظر: منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، حمزة محمد قاسم، راجعه: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق - سوريا، مكتبة المؤيد، الطائف، المملكة العربية السعودية، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، (٩٦/١).





والإشارة إلى وجوب محبة الصالحين الذين هم أولياء الله تزداد وضوحًا، وتكتمل بيانًا في التحذير من ضدها، فمن عاداهم فإن الله ﷻ يؤذنه بحرب منه ﷻ، وإيذان الحرب من الله على أمر إنما يشير إلى عظم أمره، ولنتعمق في استخراج مكانة دقيقة للمحبة داخل هذه المكانة، فإن المحبة كما هو معلوم تكون نشأتها داخل الشعور، ومبدؤها من القلب، ومن داخل الإنسان، ومع كون ذلك المنشأ الذي لا يمكن رؤيته في أوائل بزوغه -مالم يتحول إلى سلوك عملي، فإن الله جعل له اعتبارًا عظيمًا، وجعل لضده وهو (البغض) أشد الاعتبار، ويظهر ذلك في إيذان الحرب عليه.

وقوله سبحانه وتعالى: «فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها»، يعني أن العبد الذي أحبه الله، يكون الله ﷻ مسددًا له في هذه الأعضاء الأربعة؛ يسدده في سمعه فلا يسمع إلا ما يرضي الله، كذلك أيضًا يسدده في بصره، فلا ينظر إلا إلى ما يحب الله النظر إليه، ولا ينظر إلى المحرم، ويسدده في يده؛ فلا يعمل بيده إلا ما يرضي الله، وكذلك في رجله؛ فلا يمشي إلا إلى ما يرضي الله؛ لأن الله يسدده، فلا يسعى إلا إلى ما فيه الخير، وليس المعنى أن الله يكون السمع نفسه، والبصر نفسه، واليد نفسها، والرجل نفسها -حاشا لله- فهذا محال، فإن هذه أعضاء وأبعاض لشخص مخلوق لا يمكن أن تكون هي الخالق[1].

وهذا الوارد في هذا الحديث من أعظم ثمرات محبة الله للعبد التي وردت في سنة النبي ﷺ، فإذا صار العبد مسدَّدًا في سمعه وبصره ويده ورجله، فإنه أحرى ألا يقع في الحرام، وأجدر أن يكون سعيه للخير ولمرضاة الله وطاعته أسرع وأكثر إخلاصًا، كما أن تسليمه لله في كل أموره هو أحد لوازم تلك المحبة وذلك التسديد، فنسأل الله أن يبلغنا تلك المنزلة، ويعيننا على طاعته إنه ولي ذلك والقادر عليه.

سادسًا: بيان فضل محبة الله للمؤمن:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه[2] أنَّ النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ لَيَحْمِي عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ الدُّنْيَا وَهُوَ يُحِبُّهُ كَمَا تَحْمُونَ مَرِيضَكُمُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ تَخَافُونَ عَلَيْهِ»[3]، ومعنى أن الله يحمي عبده المؤمن من الدنيا، أي:

(١) ينظر: شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح العثيمين، (٦٢/٢) بتصرف يسير.

(٢) هو سعد بن مالك بن سنان أبو سعيد الخدري الأنصاري، مشهور بكنيته، من مشهوري الصحابة وفضلائهم، وهو من المكثرين من الرواية، روى عن النبي ﷺ، وعن أبيه، وأخيه لأمه قتادة بن النعمان، وأبي بكر، وعمر، وعثمان رضى الله عنهم، وروى عنه جابر بن عبد الله، وابن عباس، وأنس، وابن عمر، وسعيد بن المسيب، وأبو سلمة، ويحيى بن عمارة، وغيرهم. وأول مشاهده الخندق، وغزا مع رسول الله ﷺ اثنتي عشرة غزوة، وتوفي سنة أربع وسبعين يوم الجمعة، ودفن بالبقيع. ينظر: الاستيعاب (٢/ ٦٠٢)، أسد الغابة (٦/ ١٣٨)، الإصابة (٣/ ٦٥).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م، الحديث رقم: (٧٤٦٥)، (٤/ ٢٣١)، وصححه.





يمنعه منها ويقيه أن يتلوث بدنسها، كما يحمي المريض أهله الطعام لئلا يزيد مرضه بتناوله[1]، وهذه الحماية التي يجعلها الله لعبده المؤمن من الوقوع في دنس الدنيا ولوثتها، بتوفيقه للعمل الصالح، وتجنيبه ما سواه من دنس الدنيا، سببها هو محبة الله له، وما نال هذه المحبة إلا بإيمانه وعمله الصالح.

وعن قتادةَ بنِ النُّعمان ﷺ[2] قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا حَمَاهُ الدُّنْيَا كَمَا يَظَلُّ أَحَدُكُمْ يَحْمِي سَقِيمَهُ الماءَ»[3]، وقوله (حماه الدنيا)، أي: منعه منها ووقاه من أن يتلوث بزهرتها؛ كيلا يمرض قلبه بداء محبة الدنيا وممارستها، كما يحمي أحدكم سقيمه المستسقي الماء كيلا يزيد مرض جسده بشربه[4]، وهذا من تمام رعاية الله للمؤمن، إذ لم يحمه من مصائب الدنيا -التي يُظن أن من لم يصب فيها هو المغبون في نظر الناس-، بل حماه من زهرتها والتوسع فيها، فجمع قلبه على العمل الصالح، والسعي للآخرة، والبحث عن مرضات الله، دون مرضات وشهوات نفسه.

وهذان الحديثان إنما يشيران إلى فضل محبة الله للعبد المؤمن وما ينتج عن هذه المحبة، فلو تأملنا في أن الله لم يذكر حمايته لعبده من الفقر أو غيره من مصائب الدنيا التي تعرض للنفس فتكرهها، بل حماه من التوسع في الدنيا والنظر إلى زهرتها بنظرة المستشرف الراغب الساعي الباذل على تحصيلها، ولعلي أبين ما توصلت إليه من معنى لأثر هذه المحبة من الله للعبد في صرفه عن الدنيا وزهرتها، فأقول وبالله التوفيق: إن حماية الله للعبد من الافتتان بزهرة الدنيا وزخرفها أخير وأفضل وأصلح للعبد من أن يحميه الله من مصائب الدنيا كالفقر وغيره من أصناف الابتلاء الدنيوي، وذلك أن العبد لو حماه الله من تلك المصائب ولم يحمه من الوقوع في الدنيا وزخرفها، وحدث له ووقع فيها، فإنه يناله من الشقاء والعنت والتشرف في تحصيل هذا الزخرف والزينة التي تتبدى له منها، كما أنه مهما بذل وسعى لتحصيله فلن يحصله؛ لأنه زخرف صوري، كل من ظن أنه بلغه خرج له زخرف أعلى وزينة أكمل -في نظره-، فيسعى لتحصيلها ملتهيا عما هو فيه من الزخرف والزينة، بل لو لم يحصل هذا الزخرف الذي بدا له مؤخرًا، فإن الزينة والزخرف الذي هو عليها الآن تصبح جحيمًا في نظره؛ لأنه لم يحصِّل ما هو أعلى منها، فلله الحكمة في عدم جعل عبده المؤمن

---

(١) ينظر: التيسير بشرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي المناوي، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، (١/٢٦١).

(٢) هو قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر بن سواد بن ظفر الأوسي ثم الظفري، أخو أبي سعيد الخدري لأمه، صحابي مشهور، يكنى أبا عمرو. وقيل: أبو عمر، شهد بدرا والمشاهد كلها. وكان قتادة من فضلاء الصحابة، وكانت معه راية بني ظفر يوم الفتح. روى عن النبي ﷺ، وروى عنه: أخوه أبو سعيد الخدري، وابنه عمر بن قتادة، ومحمود ابن لبيد، وآخرون. مات في خلافة عمر فصلى عليه ونزل في قبره، وعاش خمسا وستين سنة. ينظر: الاستيعاب (٣/ ١٢٧٤)، أسد الغابة (٤/ ٣٧٠)، الإصابة (٥/ ٣١٧).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الطب باب ما جاء في الحمية، الحديث رقم: (٢٠٣٦)، (٤/ ٣٨١)، والحاكم في المستدرك، الحديث رقم: (٧٤٦٤)، (٤/ ٢٣٠)، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(٤) ينظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، (١٠/٣٣١٦)





يسعى لتحصيل هذا، ولعل حماية الله سبحانه وتعالى لعبده من هذا الباب الذي لا منتهى له، ولا مناص من تزيين الشيطان فيه مهما بلغ الإنسان في زخرف دنياه، هو مما يبين مكانة هذه المحبة ومنزلتها العظيمة التي تؤدي بالعبد إلى مثل هذا التوفيق، والله أعلم.

سابعًا: ذكر صفات يحبها الله:

من مظاهر مكانة المحبة في سنة رسول الله ﷺ، أن وصف أوصافًا لعباده يحبها ﷻ، ولعلي أقتصر على ذكر خمس صفاتٍ أكتفي بها في بيان تلك المحبة ومكانتها:

١- الصفة الأولى التي يحبها الله ﷻ في عباده: التقوى، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ، الْغَنِيَّ، الْخَفِيَّ»[(١)].

٢، ٣- الحلم والأناة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَاةُ»[(٢)].

٤- الرفق، فعن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ»[(٣)].

٥- الزهد في الدنيا، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ»[(٤)].

فهذه الأوصاف الخمسة من الأوصاف التي جاءت السنة بذكر محبة الله ﷻ لها، ومحبة أهلها المتصفين بها، وهذا مما يبيّن مكانة المحبة في سنة رسول الله ﷺ.

ثامنًا: وجوب المحبة بين المسلمين:

أوجبت السنة النبوية المحبة بين المؤمنين في غير ما موضع، بل ونزعت وصف الإيمان ممن لم يلتزم المحبة بينه وبين أخيه المؤمن، ومن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»[(٥)]، والمتأمل في هذا الحديث يجده يسير في سياق بيان مكانة المحبة، وتحديد توجهها وطريقتها وكيفيتها في أن

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، الحديث رقم: (٢٩٦٥)، (٤/ ٢٢٧٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله، وشرائع الدين، الحديث رقم: (١٧)، (١/ ٤٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، باب: كيف يرد على أهل الذمة السلام، الحديث رقم: (٦٢٥٦)، (٨/ ٥٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم، الحديث رقم: (٢١٦٥)، (٤/ ١٧٠٦).

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب الزهد في الدنيا، الحديث رقم: (٤١٠٢)، (٢/ ١٣٧٣)، والحاكم في المستدرك، الحديث رقم: (٧٨٧٣)، (٤/ ٣٤٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (٢/ ٦٢٤).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبة المؤمنين من الإيمان، وأن إفشاء السلام سبب لحصولها، الحديث رقم: (٥٤)، (١/ ٧٤).





الإنسان ينبغي له أن يكون حبه لله وفي الله، فيجب على الإنسان أن يسعى لكل سبب يوجب المودة والمحبة بين المسلمين؛ وليس من المعقول ولا من العادة أن يتعاون الإنسان مع شخص لا يحبه، ولا يمكن التعاون على الخير والبر والتقوى إلا بالمحبة، ولهذا كانت المحبة في الله من كمال الإيمان[1]؛ لذا فإن ربط التعاون على البر والتقوى الذي أمر الله به في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢] هو ربط بليغ وعميق، فليس من العادة أن يتم التعاون واتحاد الهدف بين شخصين إلا بمحبة تنشأ بينهما تكون دافعًا ورابطًا لهذا التعاون والاتحاد في الهدف والوجهة، والبر والتقوى هما من أعظم الأهداف التي يمكن أن يسعى إليها المؤمن، ولا يمكن تحقيق هذين المطلبين على أكمل وجه إلا بتعاون وتعاضد ينشأ بين اثنين أو جماعة تسعى لتحقيق هذين المطلبين الربانيين، والتعاون في أمر عظيم كهذين يحتاج مقومات أكبر من غيره من الأعمال، فالمحبة هي أشد مقوم يدفع لتحقيق التوجهات في مثل هذا؛ لذا أوجبها الله ﷻ على عباده في كتابه الكريم وسنة رسوله ﷺ، وتبرز في هذا الإيجاب معاني ومكانة المحبة وأثرها في تحقيق المؤمنين لمراد الله.

تاسعًا: فضل المحبة بين المؤمنين:

أَنْزَلت السنة النبوية المحبة بين المؤمنين منزلة كبيرة، ولعل هذه المنزلة تنطلق من دورها وفعاليتها داخل المجتمعات، فهي أكبر الروابط التي يمكن أن تجعل ذلك المجتمع متماسكًا ومتواصلًا، ويتجلى ذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ، عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ»[2].

ولعلي استخلص ما يمكن استخلاصه من هذا الحديث في شأن ربطه بمكانة المحبة ومنزلتها في السنة النبوية في النقاط الآتية:

١- دلَّ هذا الحديث على فضيلة زيارة الإخوان في الله ﷻ وبيان منزلتها ومكانتها.

٢- فُضِّلت المحبة بين المؤمنين في الله؛ لأنها تجمع الطيب من قلب الإنسان بالطيب من قصده، فالطيب من قلب الإنسان هو محبة الأخ المسلم، والطيب من قصده هو عدم الاكتفاء بهذه المحبة فحسب، بل يتبعها القصد الطيب في الزيارة والتواصل، والرؤية بالعين، فهنا جمع بين المحبة في الروح والشعور، والمحبة في الواقع والحس والمشاهدة.

---

(١) ينظر: شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، (٣/٢٦٥ -٢٦٦).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر، والصلة، والآداب، باب في فضل الحب في الله، الحديث رقم: (٢٥٦٧)، (٤/ ١٩٨٨).





٣- من أعظم ثمار تلك المحبة أنها لا تخلو من ذكر الله وحمده، فيذَكِّر كل منهما الآخر ويقويه، وديمومة كل منهما ببقاء من يعينه على سلوك طريق الآخرة، ويحثه عليها ويؤنسه في وحدة سفره[١].

٤- الزيارة لها فوائد متعددة، فمع هذا الأجر العظيم، فهي تؤلف القلوب، وتجمع الناس، وتذكر الناسي، وتنبه الغافل، وتعلم الجاهل، وفيها مصالح كثيرة يعرفها من جربها.

(١) ينظر: الإفصاح عن معاني الصحاح، يحيى بن محمد بن هبيرة، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، ١٤١٧هـ، (١٤٣/٨).





المبحث الثالث: مكانة المحبة في الفكر الإسلامي

في المبحثين السابقين، عرضت مكانة المحبة في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وبينت تميزهما في بيان مكانتها، والمتأمل في تلك المكانة يجد أنها تسير وفقًا للمنهج الإسلامي العام، والذي سبق استعراضه في مبحث أسس المحبة في الإسلام، فالإسلام وضع للمحبة أسسًا تعزز بقاءها وتحافظ على وجودها، وهذه الأسس تبعث في نفس المسلم تصورًا عميقًا لهذه المحبة، وتولد شعورًا كبيرًا بأهميتها ودراستها وسبر أغوارها، كما أن مِن تميز الإسلام أن المحبة لا تبقى في الشعور دون الواقع، بل هي تنطلق من الشعور وتنزل للواقع والسلوك العملي، مما ينتج لها آثارًا مشاهدة ملاحظة.

وتبرز مكانة المحبة في الفكر الإسلامي، في الآتي:

أولًا: إثبات محبة الله دون تكييف، أو تشبيه، أو تعطيل.

ثانيًا: ربط محبة الله بكمال التوحيد والعبادة.

ثالثًا: سبر المحبة، ووضعها في أنواع ومراتب.

رابعًا: النظرة الجمالية اللغوية لألفاظ المحبة.

خامسًا: ربط المحبة بالواقع المحسوس.

سادسًا: ربط المحبة بمعانٍ أخرى.

سابعًا: كثرة وصف المحبة، وحدودها في الفكر الإسلامي.



أولًا: إثبات محبة الله دون تكييف، أو تشبيه، أو تعطيل:

أقرَّ أهل السنة بجميع صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة، فقد ذكر ابن عبد البر رحمه الله أن أهل السنة مجمعون ومتفقون على الإقرار بها كلها، والإيمان بها، وأشار إلى أنهم يحملونها على الحقيقة، دون تكييف شيء منها، ولا يحدون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع من الجهمية والمعتزلة والخوارج فهؤلاء كلهم ينكرونها ولا يحملون شيئًا منها على الحقيقة، بل ويزعمون أن من أقر بهذه الصفات مشبِّه(١).

وإثبات أهل السنة والجماعة لصفات الله ﷻ ومن ضمنها المحبة، لا يستلزم منه التشبيه بالمخلوق، بل إن من جعل مجرد الإثبات يستلزم التشبيه، قاده هذا الاعتقاد إلى النفي والتعطيل، ولهذا قال الطحاوي رحمه الله(٢): «ومن لم يتوق النفي والتشبيه زل، ولم يصب التنزيه»(٣).

قال الألباني رحمه الله معلقًا على كلام الطحاوي: «وذلك لأن نفاة الصفات والرؤية من المعتزلة وغيرهم، إنما ينفونها تنزيها لله تعالى بزعمهم عن التشبيه، وهذا زلل وزيغ وضلال، إذ كيف يكون ذلك تنزيها وهو ينفي عن الله صفات الكمال ومنها الرؤية، إذ المعدوم هو الذي لا يُرى، فالكمال في إثبات الرؤية الثابتة في الكتاب والسنة، والمشبهة إنما زلوا لغلوهم في إثبات الصفات وتشبيه الخالق بالمخلوق ﷻ، والحق بين هؤلاء وهؤلاء، إثبات بدون تشبيه، وتنزيه بدون تعطيل، وما أحسن ما قيل: المعطل يعبد عدمًا، والمجسم يعبد صنمًا»(٤).

وهذا الاتفاق على مثل هذا الأمر العظيم يظهر مكانة تلك المحبة بينهم، فإذا حصل اتفاق بين أهل السنة والجماعة على مثل هذا، فإنه يشير إلى استشعارهم لأهميته ومكانته، ووجوب وقوفهم في وجه كل من شذَّ عن هذا، ومجرد الإجماع على أمر يبين عِظَم مكانته عندهم، وحرصهم على الإجماع فيه لأنه يخص عقيدتهم.

ثانيًا: ربط محبة الله بكمال التوحيد والعبادة:

من أعظم الأمور التي تُبرز مكانة المحبة، هو ربطها بأمرين عظيمين، هما (التوحيد والعبادة)، فقد أشار ابن تيمية رحمه الله إلى أن العبادة تتضمن كمال الحب ونهايته، كما أنها تتضمن كمال الذل ونهايته؛

---

(١) ينظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، يوسف بن عبد الله بن عبد البر، (٧/ ١٤٥).

(٢) هو أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك الأزدي أبو جعفر الطحاوي، الفقيه الحنفي؛ ولد سنة تسع وثلاثين ومائتين، صنف كتبًا مفيدة منها: «أحكام القرآن»، و«اختلاف العلماء»، و«معاني الآثار»، وغير ذلك. وتوفي سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة. ينظر: وفيات الأعيان (١/ ٧١)، وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٧).

(٣) تخريج العقيدة الطحاوية، أحمد بن محمد بن سلامة المعروف بالطحاوي، شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ، (ص: ٤٤).

(٤) تخريج العقيدة الطحاوية، الألباني، (ص: ٤٤).

فالمحبوب الذي لا يعظَّم ولا يذَلُّ له لا يكون معبودا، والمعظَّم الذي لا يحَب لا يكون معبودا؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِۗ﴾ [البقرة: ١٦٥] فهنا يبين سبحانه أن المشركين بربهم الذين يتخذون من دون الله أندادًا وإن كانوا يحبونهم كما يحبون الله، فالذين آمنوا أشد حبًّا لله منهم لأوثانهم؛ ومرد ذلك أن الحب يتبع العلم، والمؤمنون أعلم بالله، كما أن المؤمنين صرفوا جميع حبهم لله وحده، وأولئك أشركوا بينه وبين الأنداد في الحب، وجعلوا بعض حبهم لغيره(١)، ومن هنا يتبين كمال محبة المؤمنين لله على محبة المشركين له من وجهين:

الأول: أن المؤمنين أعلم بالله من المشركين، وذاك أنهم لم يشركوا معه أحدا، ومجرد عبادتهم لواحد، فإنه يشير لمعرفتهم الكاملة به، بخلاف من يعبد معه غيره، فإنه لا شك جاهل بالله ﷻ، والمحبة من الصفات التي تكبر كلما ازداد المرء علمًا بمحبوبه.

الثاني: أن المؤمنين صرفوا جميع محبتهم لله دون أن يشركوا معه أحدا من الأوثان والنُّظراء، أما المشركون فقد أحبوا أوثانهم مع الله، وهنا لا بد أن تكون محبتهم لله ناقصة لإشراك غيره معه.

وأصل المحبة المحمودة: عبادة الله وحده، إذ العبادة متضمنة لغاية الحب بغاية الذل، والمحبة لَمّا كانت جنسًا لأنواع متفاوتة في القدر والوصف كان أغلب ما يذكر منها في حق الله ما يختص به ويليق به مثل العبادة والإنابة ونحوهما، حيث إن العبادة لا تصلح إلا لله وحده وكذلك الإنابة(٢)؛ لذا فالمسلم كلما ازداد عبادة لله وتوحيدًا له، كان ذلك دليلًا على محبته لله، فالعبادة هي معيار محبة المسلم لله ﷻ، وهذه النظرة تجلي مكانة المحبة في الفكر الإسلامي حيث تم ربطها بأمرين عظيمين، وهما (التوحيد والعبادة).

ثالثًا: سبر المحبة، ووضعها في أنواع ومراتب:

ما انفك الفكر الإسلامي في دراسة المحبة والتعمق في معانيها وأشكالها وصورها، حتى رتَّب لها مراتب وأنواعًا، وخلال البحث والتقصي تبين أن تلك المراتب والأنواع تساهم كثيرا في تجلية معناها وإطارها العام، وبالنظر والبحث والجمع في المؤلفات التي تميزت في التطرق للمحبة في الفكر الإسلامي، رأيت أنه تم تقسيمها إلى ثلاثة أنواع:

أولًا: المحبة الطبيعية: وقد عرَّفَها ابن القيم رحمه الله بأنها: «ميل الإنسان إلى ما يلائم طبعه، كمحبة العطشان للماء، والجائع للطعام، ومحبة النوم والزوجة والولد، فتلك لا تذم إلا إذا ألهت عن ذكر الله، وشغلت عن محبته»(٣)، وقد عدَّ ابن تيمية رحمه الله بعضا من هذه المحبوبات الطبيعية بأنها من المحبة المحمودة

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (١٠/ ٥٦).

(٢) ينظر: قاعدة في المحبة، ابن تيمية، (ص: ١٠).

(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، ابن القيم، (ص: ١٩٠).



كمحبة الطعام والشراب والنساء؛ لأنها مما يصلح به حال بني آدم، ولولا ذلك لما استقامت نفس الأنساب ولا وجدت الذرية، وقد اشترط رحمه الله بأنها تكون محمودة في حال العدل والقصد فيها[1]، كما قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ٩]، وقال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧].

ثانيًا: المحبة النافعة: وهي محبة الله، ومحبة ما يحبه الله، والحب لله وفيه[2]، وهذه المحبة هي المحمودة «وهي التي تجلب لصاحبها ما ينفعه»[3]، ويندرج تحت هذه المحبة حب النبي ﷺ، وصحابته رضوان الله عليهم، ومحبة المؤمنين.

ثالثًا: المحبة الضارة: وهي: «المحبة مع الله، ومحبة ما يبغضه الله تعالى، ومحبة ما تقطع محبته عن محبة الله تعالى أو تنقصها»[4]، وهذه المحبة هي التي تجلب لصاحبها الشقاء[5]، ويندرج تحت هذه المحبة أنواع كثيرة، كالشرك بالله، وحب المعاصي، وغيره مما لا يحبه الله.

وقد أشار إلى هذا التقسيم -ضمنا- ابن تيمية رحمه الله، فقال: «وقد تذكر المحبة المطلقة ولكن تقع فيها الشركة، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]؛ ولهذا كان هذا الحب أعظم الأقسام المذمومة في المحبة، كما أن حب الله أعظم الأنواع المحمودة»[6]، وأمام هذا التقسيم أقف جملة من الوقفات:

١- اتساق هذا التقسيم مع مراد الله ورسوله ﷺ، وعدم اتخاذه منحى آخر غير المراد، وقد اطلعت على كثير من التراث الفكري الإسلامي الذي حدث فيه انحراف للمحبة عن مسارها—خصوصا محبة الله-، فمنهم من أولها بغيرها، ومنهم من عطلها.

٢- يتميز هذا التقسيم بالجمع بين النظرية والتطبيق، وإمكانية تحصيلها، وعدم النزوع إلى المثالية في النظرة الموغلة في الروحية الداخلية، أو النزوع إلى الواقع بشكل كبير يغفل الوجود لهذه المحبة في الشعور والوجدان الداخلي، وهذه التقسيمات تجمع بين الأمرين، وهذا الأمر يظهر استشعار المفكرين الإسلاميين تلك المكانة للمحبة، حيث لم يقتصروا على جانب يمنع من تحصيل المحبة وتطبيقها، بل حرصوا على إنزالها للواقع، للأثر الذي تحدثه، ولمكانتها بين أفراد المجتمع المسلم.

---

(١) ينظر: قاعدة في المحبة، ابن تيمية، (ص: ١٧).

(٢) ينظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، ابن القيم، (ص: ١٩٠).

(٣) قاعدة في المحبة، ابن تيمية، (ص: ١٦).

(٤) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن القيم، (٢/ ١٤٠).

(٥) ينظر: قاعدة في المحبة، ابن تيمية، (ص: ١٦).

(٦) المرجع السابق، (ص: ١٠ - ١١).





٣- يفيد التقسيم أنَّ النوع الأول من المحبة (المحبة الطبيعية)، قد يدخل في المحبة المحمودة إذا عدَل فيه الإنسان وقصد فيه وجه الله وأخلصه لله، وهذا من ميزة الإسلام، حيث إن العادات إذا استصحب فيها الإنسان النية انقلبت إلى عبادات، وهذا من النظرة الإيجابية التي تميز الفكر الإسلامي عن الديانات المحرفة أو الأديان والمذاهب الوضعية التي اتسمت نظرتها إما بالسلبية المفرطة كالهندوسيَّة ونظرتها، أو السلبية التي تحد من أثر المحبة العملي السلوكي، مما يورث انفلاتا سلوكيًّا وأخلاقيًّا كما يظهر في الفكر النصراني، أو النظرة المادية النفعية البحتة كما يصوره الفكر اليهودي(١)، وهذا من حرص الإسلام على إصباغ جميع أعماله المعتادة صفة العبودية إذا اقترنت بالإخلاص والمتابعة، وكل هذا أظهر أثره في فكر المسلم، مما أنتج هذه النظرة المتفاعلة بالشكل الإيجابي مع المحبة، حتى صارت المحبة تحتل مكانة كبيرة في نفس المسلم العامي، فضلا عن المفكر الذي يسبر الأغوار.

رابعًا: النظرة الجمالية اللغوية لألفاظ المحبة:

لم تغب النظرة الجمالية في المعنى اللغوي للمحبة عند المفكرين الإسلاميين، فعلماء اللغة وضعوا لمعناها حرفين مناسبين للمسمى غاية المناسبة، والحرفان هما (حب)، فالحاء التي هي من أقصى الحلق، والباء الشفوية التي هي نهايته، فهناك ابتداء في أول نطقه من أقصى الحلق، متمثلا في حرف (الحاء)، يقابله تماما انتهاء في النطق، متمثلا في حرف (الباء)، فللحاء الابتداء، وللباء الانتهاء، وهذا شأن المحبة وتعلقها بالمحبوب، فإن ابتداءها منه وانتهاءها إليه، كما أعطوا الحُب حركة الضم التي هي أشد الحركات وأقواها، مطابقة لشدة حركة مسماه وقوتها، وأعطوا الحِب وهو المحبوب، حركة الكسر لخفتها عن الضمة، وخفة المحبوب، وخفة ذكره على قلوبهم وألسنتهم(٢)، وهذه المعاني التي تصور لنا ألفاظ الحب بصورة جميلة بديعة قلَّ نظيرها في غير الإسلام، تبين بشكل مباشر ونظرة أولية الكم الكبير الذي أولاه المسلمون للمحبة، حيث لم يكتفوا بالبحث والتنقيب عن أنواعها ومراتبها، بل تجاوزوا ذلك إلى استقصاء ما يمكن استقصاؤه من إعجاز ألفاظها، وغزارة معانيها، وعلاقة تلك الألفاظ بالمعاني علاقة ملموسة ممكنة القياس، كقياسهم لمخارج حرفي المحبة (الحاء والباء)، فلا يمكن أن ينكر أحد مخرج الحاء لأنه يمكنه قياسه وتحسسُّه، فإذا نطق الحاء وجد أنها تخرج من أقصى الحلق، كذلك الباء فإنها تبدو لكل من يعاين شفتيه أثناء نطقها بأنها تخرج منها، والحاء تُعد أقصى الحلق، وأقصى الحلق هو مكان الابتداء الذي تخرج منه الحروف؛ لذا فموقع أول حرف في الحب هو أول مكان يمكن أن ينطق الإنسان منه الحرف، كما أن الشفتين هما آخر مكان يمكن أن تخرج منهما الحروف، وهما مكان آخر حرف في لفظ (حب)، فعلى هذا استعمل العلماء اللفظ لبيان بداية المحبة ونهايتها، فهي تبدأ من المحبوب، وتنتهي إليه، كما تبدأ حروفها بأول المخارج، وتنتهي في آخره،

---

(١) وقد تم استعراض تلك المذاهب وبيان نظرتها في الباب الأول.

(٢) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، (٣/١١ - ١٢).





وهذا الاستنتاج يمكنه بيان وتجلية معنى الحب في الذهن، كذا فعلو في لفظ (الحب) الذي يمكن أن تأتي (الحاء) فيه إما مضمومة أو مكسورة، وعلى كل حركة ينطبق المعنى -سواء مضمومة أو مكسورة-، كما تتوافق شدة الحركة مع المعنى، وهذا كله يبين مكانة المحبة عند أهل الفكر الإسلامي، ويجلي اهتمامهم بها.

خامسًا: ربط المحبة بالواقع المحسوس:

تنشأ المحبة داخل الشعور في شكلها الأوَّلي المبدئي، وتختلف الأديان والمذاهب في إنزالها للواقع، لإيمانها بالأثر الذي تحدثه في المجتمعات، وقد تم بيان اهتمام الإسلام بإظهار المحبة للواقع المحسوس، كي يرى الإنسان أثرها ويميزها تمييزًا ذهنيًّا، يجعل صورتها واضحة غير مختلطة بغيرها من الصفات الأخرى، وقد اهتم الفكر الإسلامي بهذا الأمر، ومن خلال التتبع والرصد والبحث في المحبة تبين لي أن أمر ربطها بالواقع المحسوس هو أمر في غاية الصعوبة، ومما يبين إخفاق بعض الأديان -المحرفة-، والأديان والمذاهب الوضعية والفلسفات في أمر إنزالها للواقع المشاهد المحسوس، وهو من الأمور التي تميز بها الإسلام بشكل ظاهر، ولعل هذا الامتياز وهذا الظهور والوضوح لتلك المعاني الصعبة، جعل الفكر الإسلامي يطرق هذا الموضوع بشكل يمتاز عن غيره من الأفكار في الأديان الأخرى، وممن برع في ربطها بالواقع المحسوس: الإمام ابن تيمية رحمه الله، وسوف أعرض -مستعينًا بالله- هذا النموذج من الربط محاولًا إبداء صورته بشكل شامل، ولننطلق ابتداء من تعريفه للمحبة، فهو يرى أنَّ المحبة هي: «العلة الفاعلة لإدراك الملائم المحبوب المشتهى، واللذة والسرور هي الغاية»[1]، وقد علل تعريفه بأن الواقع يشهد بأن كل محبة وبغضة يتبعها لذة وألم، وموقع كل واحدة منهما يكون في نيل المحبوب لذة، وفراقه يكون فيه ألم، وهذا خاص بمن يحب شيئًا ويتمنى إدراكه، أما عامة المكروهات التي تعرض للإنسان في حياته، فإن موقع اللذة والألم فيها يكون في أمرين، فالأول: في نيل المكروه، وهنا يتبدى الألم هو المصاحب لتلك الحالة، أما الثاني: فهو في العافية من هذا المكروه، فإن العافية منه يكون فيها لذة، فاللذة إذا تكون بعد إدراك المشتهى، والمحبة تدعو إلى إدراكه، ولكي يكتمل المعنى فقد قام رحمه الله باستقصاء اللذة التي تصاحب المحبة، وقسمها تقسيمًا شاملًا لأجناسها، فتوصل إلى أن أجناس اللذة في الدنيا ثلاثة أجناس:

١- اللذة الحسية: وهي التي تكون بالجسد، كالأكل والنكاح ونحوهما مما يكون بإحساس الجسد.

٢- اللذة الوهمية: وهي التي تحدث فيما يتخيله ويتوهمه الإنسان بنفسه ونفس غيره، كالمدح له والتعظيم له والطاعة له، فإن ذلك لذيذ محبوب له.

٣- اللذة العقلية: وهي التي تكون فيما يعلمه المرء بقلبه وروحه وبعقله كذلك، كالتذاذه بذكر الله ومعرفته ومعرفة الحق.

---

(١) قاعدة في المحبة، ابن تيمية، (ص: ٦٠).



وهذا في شأن أجناس اللذة، فكيف تكون أجناس الألم؟ أجاب رحمه الله عن تلك الأجناس بطريقة بديعة، فحصر أجناس الألم في فوات اللذات الثلاث المذكورة، ففوات الأكل والشرب يؤلمه وأكل ما يضره يؤلمه، وهذا الألم الجسدي، وكذلك فوات الكرامة بحيث لا يكون له قدر عند أحد ولا منزلة يؤلمه، وهذا الألم الوهمي، وكذلك القلب يتألم بعدم غذائه بالعلم الحق، وذكر الله تارة، والتغذي بالضد وهو ذكر الباطل واعتقاده أخرى(١).

وهذا الربط بين هذه النظرة الحسية الواقعية التي يحسُّها كل إنسان، ولا يستطيع إنكارها وبين مكانة المحبة في الفكر الإسلامي، إنما جاء التوصل إليه بعد سبر وتأمل واستظهار مقاصد الشارع من المحبة، ودراستها، ومتابعة سيرها حتى أمكن الاستدلال عليها، إما بالمشاهدة بالعين المجردة، أو الشعور المصاحب الذي تحسُّه نفس المحب بشكل واضح بين، وهذا يجلي مكانة المحبة في الفكر الإسلامي، ويظهر مدى الاهتمام في الرصد والمتابعة لنشأتها وسيرها ومنهج الإسلام فيها.

سادسًا: ربط المحبة بمعانٍ أخرى:

رَبَط كثير من مفكري الإسلام المحبة بالميل(٢)، ومن هؤلاء: (الراغب الأصفهاني)، حيث عرَّف المحبة بأنها: «ميل النفس إلى ما تراه وتظنه خيرًا»(٣)، ولمعرفة طبيعة تلك العلاق بين المعنيين، فسأعرض حديثه حولها عرضًا موجزًا، فقد قسَّم هذا الميل الذي تميل النفس به إلى قسمين:

الأول: ميل طبيعي: ويحدث هذا النوع في الإنسان وفي الحيوان، وقد أشار إلى أن هذا النوع قد يكون في الجمادات، ومثل له بالألفة التي تحدث بين الحديد وحجر المغناطيس.

والثاني: ميل اختياري: ويحدث هذا النوع في الإنسان فقط، وفسَّر الميل الذي يحدث بين الحيوانات أنه ألفة، وليس من قبيل الميل الاختياري، كما قسَّم هذا الميل الاختياري إلى أربعة أقسام:

الأول: الميل الذي يكون بدافع الشهوة.

والثاني: ما يكون سببه المنفعة والانتفاع بين الطرفين، ومثَلُ ذلك الميل ما يكون بين التجار وأصحاب الصناعة، وكذلك الذي يحدث بين أصحاب المذاهب.

والثالث: مركب من النوعين الأول والثاني، فالمائل الأول: دافعه من الميل هو النفع والمنفعة من الذي مالت نفسه إليه، والثاني: تدفعه الشهوة للذي مال إليه.

---

(١) ينظر: قاعدة في المحبة، ابن تيمية، (ص: ٦٠ – ٦١).

(٢) ويتبن هذا الربط في الباب الأول في مبحث تعريف المحبة في الإسلام، حيث عرَّفها أكثر من عالم بالميل.

(٣) الذريعة إلى مكارم الشريعة، الأصفهاني، (ص: ٢٥٦).

والرابع: هو ذلك الميل الذي يكون للفضيلة، كمحبة المتعلم للعالم، ولا شك أن هذا الميل هو بسبب تقدير المتعلم للعلم الذي يحمله هذا العالم؛ لذا صارت الفضيلة هي الجامع بين المائل والذي مِيل إليه، لذا رأى الأصفهاني أن هذه المحبة باقية على مرور الأوقات، وهي المحبة الوحيدة الباقية المستثناة من كل الأنواع المذكورة، وقد استند إلى قوله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة الزخرف: ٦٧][(١)].

والآية التي استشهد بها الراغب تفسر المعنى الأسمى والأبقى للمحبة، حيث إن النوع الأول والثاني والثالث تزول محبتهم بمجرد زوال السبب، وهو (الشهوة، والانتفاع)، بل قد تنقلب هذه المحبة والميل في الأضرب الثلاثة إلى عداوة وخصومة؛ لذا كان النوع الرابع وهو المحبة للفضيلة هو الذي لا يزول، ويكون المتحابون في هذا النوع من الذين بقيت محبتهم إلى يوم القيامة، ولا تزول هذه المحبة وهذا الرابط لأي سبب كان؛ لأن الله ذكر أن المتقين الذين كانت محبتهم في الدنيا للتقوى هم الوحيدون الذين تم استثناؤهم وبقاء محبتهم إلى يوم القيامة، أما غيرهم فمحبتهم زائلة، والمقصود المحبة العامة وليست محبة الله إذ لا يستلزم من هذا التعريف تشبيه محبة الله بمحبة المخلوق؛ لأن الله منزه عن محبة الشهوة والمنفعة.

وربط المحبة بالميل، وتفصيل ذلك الربط وتحليله، يشير إلى مكانة المحبة في جملة من الأمور:

١- ربط المحبة بلفظ آخر يبين المكانة التي يوليها الفكر الإسلامي للمحبة، حيث لم يكتف باستبانة معناها العام، بل توسَّع في التعرف على مرادفاتها للوصول إلى إبانة أكبر.

٢- لم يُكْتَفى بربط المحبة بمعنى مرادف والوقوف عند ذلك، بل جاء التفصيل بالمعنى المرادف بناء على هذا الربط، مع كون المعنى المرادف له تعريف ومعنى قائم بنفسه، ولكن لما للمحبة من مكانة، ولما في الفكر الإسلامي من حراك يهدف إلى تجلية ذلك المعنى وإيضاحه بأوضح صوره، تم بيان المعنى المرادف بناء على المحبة وكيفية ربطه بها.

٣- المتأمل في تقسيم وأنواع الميل، يرى تقسيمًا دقيقًا، كما يرى داخل التقسيم تقسيمات أخرى، وهذا مراعاة لتجدد المعاني داخل المعنى، وإزالة الإشكالات الذهنية التي قد تلحق بالقارئ حين مطالعته، فكانت تلك التقسيمات بمثابة بغية الوصول إلى المعنى المراد بأوضح صوره النهائية.

٤- حرص الفكر الإسلامي على عدم الاكتفاء بتعريف المعنى بصورتها الشعورية الداخلية في الذهن، بل هناك توجه ملاحظ لربط المحبة بالواقع المحسوس المشاهد، وهذا -كما ذكرت سابقًا-، من

(١) ينظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة، الأصفهاني، (ص: ٢٥٦).



الأمور التي تشقُّ بمن أراد الوصول إلى ذلك؛ لذا فالمكانة تتجلى في التغلب على هذا الشاق، وبذل الجهد والوُسع في الوصول إلى هذه البغية عسيرة المنال.

ومن المعاني التي رُبطت بها المحبة (الرضا)، وقد ذهب إلى هذا المعنى الكَفَوِي رحمه الله، فقد عرَّف المحبة بأنها تعني: إفراط الرضا، والرضا الذي يقصده في تعريفه على قسمين:

الأول: الرضا الذي يكون لكل مكلَّف، وهو ما لا بد منه في الإيمان، وهو الرضا على كل ما يرد من قبل الله والتسليم له، وألَّا يستصحبه اعتراض على حكم وتقدير الله.

الثاني: الرضا الذي لا يناله إلا أرباب المقامات، وهو أن يصحب الرضا ابتهاج القلب وسروره بما قضى الله وقدَّر[١].

والنوع الثاني إنما اختُصَّ به أصحابه كونهم لم يكتفوا بالتسليم لما يرد من الله فقط، بل صاحب ذلك التسليم ابتهاج القلب وفرَحه بما قضى الله سبحانه وتعالى وقدَّر، ولعل النوع الثاني هم من ينطبق عليهم التعريف أكثر من النوع الأول، حيث إنهم مِن فرَط محبتهم لله سبحانه وتعالى صاحَبَ الابتهاج والسرور رضاهم وتسليمهم، وبما أن الكَفَوي رحمه الله عرَّف المحبة بإفراط الرضا فهو أقرب لأصحاب هذا النوع.

سابعًا: كثرة وصف المحبة، وحدودها في الفكر الإسلامي:

مما يجلي مكانة المحبة في الفكر الإسلامي، هو كثرة وصفها وحدِّها وبيان حقيقتها، وممن أظهر هذا الجانب من الاهتمام: الإمام ابن القيم رحمه الله، فقد ساق جملة من الأقوال التي تصف المحبة وتبين حقيقتها، ومما ساقه في وصفها أنها: إيثار المحبوب على جميع المصحوب، وقيل إن المحبة تعني: استيلاء ذكر المحبوب على قلب المحب، وقيل هي: حفظ الحدود فليس بصادق من ادعى محبة من لم يحفظ حدوده، ومما وُصِفت به المحبة أنها: قيام المحب بكل ما يحبه من المحبوب، ومما ذكره أيضا في وصفها: أنها سكون بلا اضطراب، واضطراب بلا سكون، فيضطرب القلب فلا يسكن إلا إلى محبوبه، فيضطرب شوقًا إليه ويسكن عنده، وهذا معنى قول بعضهم هي حركة القلب على الدوام إلى المحبوب وسكونه عنده[٢].

وقد أشار ابن القيم رحمه الله إلى أن جملة هذه الحدود والأوصاف التي تصف معنى المحبة لا تخرج عن ستة أمور، وهي: أسبابها وموجباتها، وعلاماتها وشواهدها، وثمراتها وأحكامها، حيث يدور حديثهم ورسومهم وحدودهم لها حول هذه الستة، وأرجع سبب توسع المتكلمين عن المحبة إنما يعود لحال ومقام كلٍّ

---

(١) ينظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي، (ص: ٤٧٨).

(٢) ينظر: روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ابن القيم، (ص: ١٦ - ١٧).





متحدث، ومدى امتلاكه للعبارة، وكثرة إشاراته وتفصيلاته حول هذا المصطلح، كما أن اختلاف المتكلمين في المحبة إنما يعود أيضا إلى مدى إدراك كل متحدث للمحبة[١].

وهنا تبرز مكانة المحبة في الكم الكبير من تلك الحدود المذكورة حول المحبة، كما تظهر مكانتها في كثرة المتكلمين في وصفها وحدِّها.

وقد أشار ابن القيم رحمه الله في معرض حديثه السابق إلى مدى إدراك كل متكلم عن المحبة، وهذا يشير إلى أن الإدراك للمحبة أمر تتمايز فيه أفهام المفكرين والمدركين، وما ذاك إلا لأن معناها يحتاج إلى جهد كبير في التبين فيه للوصول إلى درجة إدراك تمكّن الواصف من وصف يجمع بين المعنى الشعوري الذي يعقب نشأتها، وبين الأمر الواقعي الحسي الذي تنتهي صورتها فيه.

---

(١) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، (٣/ ١١).





الفصل الثاني: مكانة المحبة في الأديان

المبحث الأول: مكانة المحبة في اليهوديَّة، والنصرانيَّة

عند الحديث عن مكانة المحبة في الأديان السماوية، فإن الحديث يكون منطلقًا من معتقد تلك الديانات.

والباحث عن مكانة المحبة في اليهوديَّة والنصرانيَّة لا يمكنه أن يغفل انطلاق تلك الديانتين من النظرة السماوية للأخلاق وكافة الصفات التي تصطبغ بها عقائدهم، وتتشكل عليها تصرفاتهم.

وجانب النظرة الإلهية التي تنشأ عنها تلك المعتقدات، وتتشكل منها الأفكار العامة للديانة، هو جانب مؤثر في كثير من عقائد الديانة الأصلية غير المحرفة، كما أنه يعتبر أحد المسوغات والذرائع التي سعى لاتخاذها كل من كان له بغية في تحريف تلك الديانة، والمحبة هي من تلك الأشياء التي اتخذها محرفو الديانات ذريعة للوصول إلى التحريف، كما اتخذوها سبيلًا يستطيعون به تبرير تلك المعتقدات التي لا يقبلها العقل.

وقد قسمت المبحث إلى مطلبين، هما:

المطلب الأول: مكانة المحبة في اليهوديَّة.

المطلب الثاني: مكانة المحبة في النصرانيَّة.

وسأقوم مستعينًا بالله ببيان تلك الجوانب المبينة لمكانة المحبة في كلا الديانتين، من خلال البحث والرصد للمظاهر التي تجلي تلك المكانة وذلك المعنى.





المطلب الأول: مكانة المحبة في اليهوديَّة

تحتل المحبة مكانة كبيرة عند اليهود، وتستمد المحبة تلك المكانة من حجم التأثير الذي طغى على التفكير اليهودي، ولكي أكون أكثر دقة في إيضاح المقصود، فإن مكانة المحبة قد بلغت من التأثير الشيء الكبير حتى تغلغلت في عقيدة اليهود، فانطلقت الآثار من تلك العقائد انطلاقًا تجاوزها إلى مستويات أكبر تأثيرًا وأكثر عمقًا، وهذا غير مستغرب، فما يعتقدُه الإنسان من معتقدات راسخة في قلبه، يكون له الأثر الكبير فيما سواه، فيصبح يرى العالم من خلال هذا المعتقد، وينطلق فكره وذهنه من تلك التحيزات العقدية، وأكبر المظاهر التي يمكن أن تحكم على مِلَّة من الْمِلَل أنها صارت أثرًا عقديًّا هو نظرتهم للإله، فنظرتهم للإله تعطي إيحاء مباشرًا عن توجههم إليه، هل هو توجه روحي أم مادي، وكذلك معتقدهم في نظرة الإله لهم، فإنها تؤثر في كافة شؤونهم حتى يبلغ تأثيرها أن تكون جميع السلوكيات المنبثقة من تلك الأفكار خاضعة لهذا المعيار، وهذا ما سنلمسه من خلال دراسة نظرة اليهود لمكانة الإله عندهم، ومكانتهم عنده.

وستكون النقاط الثلاث التي تبرز مكانة المحبة في اليهوديَّة على النحو الآتي:

أولًا: المحبة الإلهية.

ثانيًا: الشخصية المادية اليهوديَّة.

ثالثًا: بروتوكولات حكماء آل صهيون.

وسأقوم مستعينًا بالله بربط تلك النقاط بمكانة المحبة وأثرها عليه، منطلقًا من تلك المراحل الثلاث المتتالية.

أولًا: المحبة الإلهية:

يرى اليهود أنهم شعب مختار ومقدس من قبل الرب، وتتفاوت هذه النظرة في كتبهم، فتأتي تارة معتدلة، فترى أن الشعب يستحق التقديس في حال تمسكه بوصايا الرب وأحكامه، وبالتالي فهو لا يستحق التقديس بدون ذلك، وتأتي تارة مغالية تفسر التقديس على أنه انحسار للمسؤولية، فالشعب مقدس على كل حال، سواء عصى أو أطاع، ولا تكتفي المغالاة في هذه النظرة بهذا، بل يرى أصحابها أن الرب هو من ألزم نفسه بهذا التقديس لا الشعب[1].

ولكي نربط نظرة (التقديس) لأنفسهم والحكم على نظرة الله لهم بمكانة المحبة، فلا بد من التعمق فيها وتحليل أبعادها واستخلاص جوانب المكانة فيها، وسيكون الربط في ثلاثة محاور:

---

(١) ينظر: الأسس الأخلاقية في العهد القديم مع مقارنتها بالقرآن الكريم، الدكتورة ريمة شريف الصياد، (ص: ٧٥).





المحور الأول: منهم من يرى أن محبة الإله لهم تكون في حال تمسكهم بوصاياه وأحكامه، وهذه المحبة تعني التقديس، ومع ربط المحبة بالتمسك بالوصايا والأحكام، فإن المحبة لم تقف عند المحبة التي تقتضي التذلل من العبد لله، وكذلك لا تقتضي المحبة محبة التعظيم، وقد استنتجت هذا من كونهم بتحقيق هذا الشرط -وهو التمسك بالوصايا والأحكام- يصلون إلى نظرة التقديس لأنفسهم، والتقديس يعني العلو، والعلو هو نقيض التذلل، وعلى هذا فإن مكانة المحبة هنا تم المغالاة فيها حتى أوصلوها للتقديس والعلو لأنفسهم، مما يناقض معنى التذلل للمحبوب.

المحور الثاني: منهم من يرى أن محبة الله لهم واستحقاقهم التقديس قائم على كل حال، سواء أطاعوا والتزموا، أو عصوا وعاندوا، وهذا المحور يتبين فيه شيء من الزيادة في التقديس لأنفسهم، واتجاه المحبة الإلهية لهم إلى التقديس والعلو أكثر من المحور السابق، وهنا يقل معنى التذلل للمحبوب بشكل أكثر وضوحًا.

المحور الثالث: تذهب طائفة منهم إلى أن الرب هو مَن ألزم نفسه بمحبتهم وتقديسهم، وليسوا هم من طلب أو سعى لذلك، وعلى هذه النظرة فإن معنى التذلل للمحبوب والخشوع له والتضرع إليه يكون في أقل صوره، فالذي تأتيه المنح من غيره دون طلب منه، ويرى أن غيره يعظمه ويجله ويكبره، فإنه قد يصل إلى أعلى درجات العلو على المتذلل له، وهنا تنعكس الصورة، فيصير الله ﷻ هو المبتدئ بالحب لهم تعالى الله عن ذلك.

والخلاصة من تلك المحاور الثلاث، أن مكانة محبة الله لهم -بزعمهم- مكانة عالية تصل إلى حد التقديس، بل تتجاوز إلى حد أن الله هو من يبتدئ تلك المحبة دون شروط أو اتباع للوصايا والأحكام، وتكون مكانة المحبة الإلهية عندهم تنزع إلى المغالاة والتعالي.

ثانيًا: الشخصية المادية اليهوديَّة:

يطغى على الشخصية اليهوديَّة النظرة المادية للقيم والأخلاق والمثل والسلوك[1]، وهذه النظرة المادية تُحدِث أثرا كبيرا في مكانة المحبة في قلب أي إنسان، فالذي يعامل الناس بأخلاق وقيم يغلب عليها نظرة (المنفعة) والانتفاع لنفسه، فإنه يرى الأمور أمامه بهذا الميزان، وتظهر تلك الأخلاق والقيم على شكل سلوك عملي، ينتج عنه سلوكٌ ينزع إلى الإيمان بالأشياء المحسوسة الملموسة، غير مكتفٍ بالأشياء المعنوية الروحية.

والذي يميل إلى النزعة الحسية الملموسة في التعامل مع الأمور، وتطغى سلوكياته المادية على معظم جوانب حياته، وتهيمن الفكرة المادية على تصوراته، فإن هذا يدفعه إلى الهروب من قضية البعث والحساب، واليهود نزعوا إلى هذا، فالبعث والحساب عندهم ضعيف في طرحه وتعاملهم معه، وهذا يظهر بوضوح مدى

---

(١) ينظر: الجانب المادي في الشخصية اليهودية، آلاء محمد عصام مصباح عشا، (ص: ١٣٣).



ما بلغه استحكام المادية في قلوبهم إلى درجة الافتقار الكامل -غير الجزئي- بجميع أدوات التعامل معه، مما يثبت حقيقة عجز الفكر اليهودي عن فهم التصورات العقدية -ومنها البعث والحساب- بغير أدوات الحس المباشر[١]، وهذه نتيجة مباشرة حتمية للنظرة المادية الحسية التي لا تؤمن إلا بالمحسوسات وتغلب جانب المنفعة الشخصية.

وعلى هذا فإن ما سبق تقريره من النظرة اليهوديَّة المادية، يظهر أن الدوافع التي تدفعهم للتعامل مع الحياة هي دوافع مادية، فيبحث الإنسان داخل هذه الدوافع عن الأخلاق والقيم والطرق التي تحقق له مبتغاه. ولتجلية هذا المعنى، فإنه يحسن ذكر أثر النظرة المناقضة للنظرة المادية لتتبين مكانة المحبة في اليهوديَّة بشكل أكثر دقة، فالنظرة المناقضة تنطلق من أن الإنسان يتذكر أن هذه الحياة الدنيا فانية، وأن هناك بعثا وحسابا، وأن الإنسان سيتخلى عن متع الحياة الدنيا يوما ما؛ لذا فإن شغفه تجاه الدنيا يكون أقل من غيره ممن لا يرى هذه النظرة، واليهود استحكمت عليهم النظرة المناقضة، فصاروا يقيسون كل شيء بناء عليها، وبناء على الحس المباشر، فقَصُرَت أذهانهم عن استيعاب وفهم التصورات العقدية، والإيمان باليوم الآخر والجزاء والحساب؛ لذا فالدافع للمحبة يخضع للجانب المادي الحسي المباشر.

لذا فإن مكانة المحبة عند اليهود في التعامل والأخلاق والقيم والسلوك تتمحور حول (المادية والنفعية)، فكلما صار الأمر أنفع للإنسان بشكل مادي محسوس ملموس فهو الأكثر محبة من غيره، وكلما قلَّت مظنة النفع المادي من أمر ما، فإن المحبة له تكون أقل، وتنعدم المحبة في حال كانت المنفعة المادية المحسوسة منعدمة، وعلى هذا يُقاس كل تعامل سواء كان مع الأمور والمعاني المجردة، أو مع الأفراد داخل المجتمع، أو مع الأحداث التي يدور رحاها في المجتمع، إلى غير ذلك.

ثالثًا: بروتوكولات حكماء آل صهيون:

تعتبر بروتوكولات حكماء آل صهيون أحد المصادر اليهوديَّة التي تُظهر جانبًا من مكانة المحبة عند اليهود، وهي وثائق ومحاضرات ألقاها زعيم صهيوني على مجموعة من الصهاينة ليستأنسوا بها، ويسيروا عليها في إخضاعهم للعالم والسيطرة عليه[٢]، ومن هنا تبرز أحد جوانب المكانة للمحبة في الديانة اليهوديَّة، ألا وهو جانب محبة السيطرة على العالم وإخضاعه لهم، والمتمعن في هذا الهدف يرى ارتباطه بمظاهر مكانة المحبة المذكورة في النقطتين السابقتين، حيث تتلاقى تلك المكانة في النظرة التقديسية لليهود، فهم يرون أن مكانة محبة الله لهم تصل لمرحلة التقديس، مما أورثهم نظرة العلو عن الآخرين، وعلى هذا فإن مسألة بحثهم

---

(١) ينظر: المرجع السابق، (ص: ١٣١).

(٢) ينظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د. سعود بن عبد العزيز الخلف، (ص: ١٠٥).



عن السيطرة على العالم مسألة لا بد واردة وحادثة، فمنشأ تلك البروتوكولات يسير في تعزيز تلك المكانة، وتعزيز تلك النظرة التي نشأت من المحبة.

وتتجلى آثار تلك البروتوكولات في وصول اليهود إلى الاعتقاد بتلك المكانة الموروثة من المحبة التي صنعوها لأنفسهم، وزعموا أن الله يقصدها، في ظروف تدوين تلك البروتوكولات، فالذي يظهر أن هذه الوثائق (البروتوكولات) عرضت على زعماء الصهاينة في المؤتمر الذي عقد في مدينة بازل في سويسرا سنة (١٨٩٧م)، وبالنظر للعدد الذي حضر المؤتمر والذي يُعتَقد أنه نحو ثلاثمائة من أعتى الصهاينة، وتلك الأعداد ليست اجتهادات فردية، وإنما منظمة تسير وفق خطط ترعاها جمعيات يهودية، فالثلاثمئة هؤلاء يمثلون خمسين جمعية يهودية، ولا يُعرف لهذه الوثائق كاتب محدد أو معين[١]، فهذه الظروف التي تم تدوين تلك البروتوكولات والوثائق فيها، تظهر تشبع الشخصية اليهوديَّة بمكانة المحبة المغالية في نفوسهم، والظاهرة على سلوكهم.

ولكي أكون أكثر دقة، فإني أعرج إلى الغرض الرئيس والمحدد من تلك البروتوكولات وأحاول ربطه بمكانة المحبة، فالغرض هو: إطلاع الصهاينة -أفرادا وجماعات- على الخطة التي يستعبدون بها العالم، ثم كيف يحكمونه إذا وقع تحت سيطرتهم[٢]، وبتحليل هذين الأمرين المغرقين في النظرة المادية اليهوديَّة، نرى أن السعي لرسم خطة تمكنهم من السيطرة على العالم -وهو الأمر الأول في الغرض- يخفي خلفه منزلة وقَرَت في قلوبهم، تتلخص في إنزال الإنسان اليهودي لنفسه مكانة تخوله التفكير في السيطرة على العالم، حيث إن الجانب الإنساني قد يستنكف التفكير في السيطرة على غيره، وجعله تحت سيطرته وخاضعًا له، فالجانب المادي الحسي النفعي هو الذي يطغى في هذا الإطار.

وبالنظر للأمر الثاني، وهو كيفية التحكم بالعالم إذا خضع للسيطرة، فهو يبين الثقة الكاملة والبعد التخطيطي لليهود، ويظهر نظرة شاملة لأبعاد الأهداف اليهوديَّة والأطماع التي يسعون لتحقيقها، حيث لم يكتفوا بالتخطيط لكيفية إخضاع العالم فحسب، بل تجاوز ذلك إلى الثقة من تحقيق ذلك الهدف، وطرح كيفية التحكم فيه بعد إخضاعه والسيطرة عليه، والمثير للاستغراب أن ذلك حدث في نفس الاجتماع.

لذا فإني لا أبالغ حين أستنتج أن مغالاة اليهود في مكانة المحبة التي أنزلوها لأنفسهم، بلغت حدًّا كبيرًا مكنهم من الانتقال في التفكير إلى الجانب المادي الحسي الملموس الصِّرف، وإغفال الجانب الروحي المعنوي الذي يظهر معنى أخلاقيًّا وقيميًّا مختلفًا، كجوانب التضحية والإيثار وغيرها.

---

(١) ينظر: المرجع السابق، (ص: ١٠٥).

(٢) ينظر: المرجع السابق، (ص: ١٠٥).





كما تعد هذه البروتوكولات من صنع البشر، وفي الوقت نفسه تعتبر أحد مصادر اليهود الرئيسية في المحبة، والمحبة إذا كان مصدَرَها إنسانٌ اصطبغت بأهوائه، وتأثرت بتحيزاته، فينزل تلك المحبة مكانة غير منضبطة بضابط إلهي، وإنما ضابط فردي خاضع لأهواء النفس ومرادها.





المطلب الثاني: مكانة المحبة في النصرانيَّة

يولي النصارى المحبة أهمية كبيرة في دينهم، ولا غرابة في هذا إذا علمنا أنهم يجعلون المحبة ذريعة لبعض معتقداتهم التي أحدثوها في دينهم، ولا تقف مكانة المحبة عند هذا الجانب، بل إنهم يجعلونها أساسًا لجملة من عقائدهم وأفكارهم، وبناء على هذا فإن المحبة لها أثر كبير في العقيدة النصرانيَّة في شتى مجالاتها، وتأثرت الديانة النصرانيَّة كثيرًا بالاعتقاد بمحبة الله لهم، فأولوها جانبًا كبيرًا وصنعوا حولها مختلف الروايات والأساطير إمعانًا في النظرة الاعتقادية لمحبته لهم، وكما ذكرنا فالديانات التي تنزع إلى الجانب الإنساني وتعتقد في الإله أنه يمكن التشبه به، وأنه يتجسد في صورة الناس ويحل بهم، لا بد لها أن تجعل مكانة الروح في دينها أوسع من مكان المادة والحس والعالم الخارجي، فتنزع لا محالة إلى الوجدان والعاطفة والروح الداخلية الإنسانية؛ لذا فإنه من المهم بمكان دراسة قضية التجسد الإلهي وعلو المكانة الروحية في الديانة النصرانيَّة، لأنهما إحدى مظاهر تلك المكانة، ويعقب تلك المكانة إذا بلغت في النفس السعي إلى التشبه بالإله، والبحث عن الترقي إلى حد بغية الوصول إلى أعلى درجات الكمال في المحبة، وهو ما سعت إليه النصرانيَّة وحثت عليه.

وهذا السعي الحثيث لا بد من تشكله على صورة سلوك يظهر على الإنسان في تعاملاته، يكون وسيلة إلى إشباع رغبة هذا السعي وتلك الرغبة، ويعقب هذا السلوك تجرد من الذات، وسعي إلى حرمانها من شهواتها ورغباتها، وحثها على البذل للآخرين والعطاء لهم دون انتظار رد الجميل.

ولتجلية تلك المعاني، وربطها بمكانة المحبة في النصرانيَّة، فقد قسمت المطلب إلى خمس نقاط، وهي:

أولًا: قيام كثير من العقائد على المحبة.

ثانيًا: التجسد الإلهي.

ثالثًا: علو مكانة المحبة الروحية.

رابعًا: التشبه بحب الله.

خامسًا: التجرد من الذات.

وسأقوم بعدُ بيان تلك النقاط وربطها بمكانة المحبة، ببيان أثر تلك المكانة للمحبة على السلوك عند النصارى، وكيف تشكل ذلك السلوك بعد تبلور تلك المعتقدات في ذهن النصارى.

أولًا: قيام كثير من العقائد على المحبة:

لصفة المحبة مكانة بالغة في الديانة النصرانيَّة، فهي من الأسس التي قامت عليها كثير من العقائد، أو بالأصح هي من أعظم الذرائع لتفسير هذه العقائد، وهنا تتبين تلك المكانة، من حيث تعلقها بالعقائد، وليس هذا فحسب، بل بكثير منها، فعقيدة الفداء تنطلق من المحبة، وإلهية المسيح عليه السلام وبنوته لله تعالى





تعد أحد المظاهر للمحبة، والتي نشأ عنها الانحراف التام في الإلهية والقول بالتثليث وكذلك الزعم بالخطيئة الأولى للبشرية[١]، وعلى هذا فإن المحبة ساهمت بشكل ظاهر في تشكيل كثير من عقائد النصارى.

وبناء عليه، فإن المحبة تستمد مكانتها الكبرى في كونها أحد أكبر المؤثرات على العقيدة في النصرانيَّة، فهذه المعتقدات (عقيدة الفداء، وإلهية المسيح، وبنوته لله، والتثليث، والخطيئة الأولى) استخدم النصارى المحبة فيها كإحدى الذرائع التي تسوغ لهم اعتناق تلك الأفكار.

والمتأمل في هذه العقائد النصرانيَّة، يعلم مكانتها عند النصارى، وأن دين النصارى قائم عليها، وإذا علِم المسوغات التي وضعها النصارى من أجل جعل هذه العقائد مستساغة للعقل، وظهر له أن المحبة هي إحدى تلك المبررات التي يزعمون بصحة تلك العقائد فيها، بل إن المحبة تتعدى إلى أبعد من ذلك، فهي تُعَدُّ من الأسس التي قامت عليها تلك العقائد، إذا علم هذا يتضح له مكانة المحبة التي أولوها لها.

ثانيًا: التجسد الإلهي:

يدعي النصارى أن التجسد الإلهي هو البرهان الأساسي والجوهري لمحبة الله لهم، ويزعمون أن الله جاء إليهم وما زال يأتي في شخص الرب يسوع، ليتغلب على خوفهم ويقطع كل ما يسيطر عليهم، ويستعيد بشريتهم الجريحة والمشوهة -بزعمهم-[٢]، والناظر في هذا الأمر، يستظهر كيف صارت المحبة ذريعة لعقيدة التجسد الإلهي في النصرانيَّة.

فمحبة الله للنصارى -على زعمهم- دعته إلى أن يسعى إلى أن يجعلهم يتغلبون على خوفهم، وقطع الطريق على كل المخاوف التي من المحتمل أن تسيطر عليهم، ويعينهم في استعادة بشريتهم المجروحة.

لذا فإنهم يعتقدون أن هذا الحب من الله، والسعي لإعانتهم، دعاه إلى التجسد الإلهي، وهو التجسد في صورة المسيح، وما ذاك التجسد إلا لتحقيق تلك الأغراض التي يريد أن يحققها لهم، وهذا كله من دافع محبته لهم -تعالى الله عمَّا يقولون عُلوًّا كبيرًا-.

ثالثًا: علو مكانة المحبة الروحية:

يولي النصارى الروح مكانة كبيرة، بعكس اليهود الذين ينزعون إلى المادة والعالم الخارجي، فالمادية اليهوديَّة (أو الوضعية) هي التي أثرت على العمق الإنساني ولفتته خلال التاريخ اليهودي إلى العالم، وساهمت بشكل كبير إلى توجيه الإنسان إلى الاهتمام بالواقع الخارجي، أما النصرانيَّة، فإنها تأتي على النقيض، وفي مقابل النظرة اليهوديَّة، فقد ساهمت في توجيه الإنسان إلى الالتفات إلى الروح، وتأتي

---

(١) ينظر: صفة المحبة الإلهية في النصرانية، مفهومها ولوازم تفسيرها، وموقف الإسلام منها، (ص: ٢).

(٢) ينظر: درجات المحبة المسيحية والكينوسيس، د. رؤوف إبراهيم، (ص: ٥).





النصرانيَّة كردة فعل للنزعة المادية الواقعية للعالم الخارجي، فالواقعية الصريحة (للعهد القديم) لا يمكن التغلب عليها إلا بمثالية حاسمة من (العهد الجديد)، ولهذا لا يصح في النصرانيَّة شطر الطاقة الإنسانية إلى اتجاهين متعاكسين، اتجاه السماء واتجاه الأرض[١].

وعلى هذا فإن الاتجاه اليهودي الذي ينزع للمادية والنفعية والواقعية وتغليب النظرة إلى العالم الخارجي، هو أكثر ما يمكن أن يبين النظرة الروحية للنصرانية، فبضدها تُعَرَف الأشياء.

وهذه النظرة الروحية أثرت بشكل كبير على المحبة في النصرانيَّة، فاليهود كما ذكرنا يرون أن المحبة قائمة على النفعية والمحسوسات، مغفلة الجوانب الروحية والمعنوية، أما النصرانيَّة فبعكسها تمامًا، فهي قائمة على الروحية والإنسانية، متغلبة على الجوانب المادية النفعية.

لذا فإن هذه النظرة أثرت على النصرانيَّة بشكل عام، فصاروا يتشبهون بمحبة الله، وفي هذا نزعة إلى الروحية والعمق الداخلي الوجداني، كما يتجردون من ذواتهم، وفي هذا نبذ للمادية والنفعية والمحسوسات، وكلا النظرتين تدعم التوجه الروحي والمكانة الوجدانية للمحبة بأعلى صورها، وهذا ما سأبينه في بقية نقاط المحبة في النصرانيَّة إن شاء الله.

رابعًا: التشبه بحب الله:

من مظاهر مكانة المحبة في النصرانيَّة، هو أنهم يسعون في محبتهم إلى التشبه بمحبة الله ﷻ، فالمحبة في النصرانيَّة بين البشر تسير على نمط حب الله للبشر كما عبر عنه العهد الجديد[٢]، وهذا التشبه إنما يجلي مكانة المحبة في جملة من الأمور:

١- أن السعي من النصارى إلى التشبه بالله، دعاهم إلى التشبه بمحبته، وهذا يبين أنهم يولون المحبة مكانة كبيرة بسيرهم على مثل هذا النمط.

والسعي إلى التشبه بالله إنما قصده الترقي في الأخلاق والتزام كمال الأمور، حتى يتم الوصول إلى الكمال الأسمى، والرقي بتلك الأخلاق إلى مكانة تشابه مكانة الله -تعالى الله عمَّا يقولون عُلوًّا كبيرًا-.

٢- السعي إلى الترقي في المحبة عند النصارى يجعل عليهم لزامًا أن يسلكوا جانب العمل؛ لأن العمل هو أحد أهم طرق تزكية النفس والترقي في الخلق.

---

(١) ينظر: الإسلام بين الشرق والغرب، علي عزت بيجوفيتش، (ص: ٢٧٤).

(٢) ينظر: المحبة لمخالف الملة (قراءة في الكتب المقدسة: اليهودية، المسيحية، الإسلامية)، د. جمال الحسيني أبو فرحة، (ص: ٢٥).





وبناء على ذلك، فالسلوك العملي للمحبة عند النصارى هو التضحية والبذل والعطاء دون انتظار للأخذ؛ لأن المحبة في المسيحية بين البشر تسير على نمط حب الله للبشر كما عبر عنه العهد الجديد؛ لذا فإن العهد الجديد يقسم المحبة إلى قسمين متلازمين: محبة الله ومحبة الناس، ومحبة الناس في العهد الجديد حتى للكافر، ويرسم العهد الجديد القدوة لها ويأمر بها[1].

وشاهد أن المحبة سلوك عملي في العهد الجديد: «يا أولادي، لا نحب بالكلام ولا باللسان، بل بالعمل والحق»[2].

وما دعت إليه النصوص من السلوك العملي الذي ينزع إلى العطاء بمحبة دون انتظار أخذ الرد والجزاء، هو أحد أساليبهم في الترقي بمفهوم المحبة إلى حد مشابهة الله ﷻ؛ ولذا فإن مكانة المحبة عندهم تظهر في مثل هذه الجوانب وهذه المعتقدات وتلك النصوص، ولكن الجانب العملي للمحبة بهذه الصورة غير ممكن التطبيق؛ لأنه مثالي وتنظيري أكثر من كونه واقعيًّا يمكن تطبيقه.

خامسًا: التجرد من الذات:

انطلاقًا من المعنى السابق، الذي يظهر المحبة كسلوك عملي قائم على البذل والعطاء والتضحية دون انتظار الأخذ والجزاء، فإنه يظهر معنى آخر أكثر عمقًا في تجلية مكانة المحبة عند النصارى.

فالمطلع على تعريفات المحبة عند النصارى يرى أنه ليس من السهولة بمكان الحصول على تعريف اصطلاحي اتفق عليه النصارى، وعندهم فيها اختلاف متشعب، ويظهر التشعب في جوانب كثيرة، أبرزها ألفاظه ومصطلحاته، ومرد ذلك الاختلاف والتشعب، أنهم ينظرون للمحبة على أنها سلوك أكثر من كونها جانبًا نظريًّا يمكن وصفه، فالمحبة المسيحية ليست درسًا نظريًّا يقدم في شكل محاضرات ومعلومات تحفظها وتجيب عليه بنجاح، وإنما هي حياة وعمل وتجرد من الذات[3].

فهي تنزع إلى التجريد من الذات، والبذل والعطاء للآخرين، والبعد عن حظوظ النفس وشهواتها ومبتغاها، وهذا في سبيل تحقيق الوصول إلى الكمال الأسمى، والمحبة العليا، والتشبه بمحبة الله ﷻ، وهذا التجرد من الذات قد يتعذر تطبيقه على الواقع ويصعب تطبيقه؛ لذا فإن الجانب الروحي التنظيري يظل هو السمة للمحبة عند النصارى.

---

(١) ينظر: المحبة لمخالف الملة (قراءة في الكتب المقدسة: اليهودية، المسيحية، الإسلامية)، د. جمال الحسيني أبو فرحة، (ص: ٣٩).

(٢) رسالة يوحنا الرسول الأولى (٢٣: ٢٠ – ٢١).

(٣) ينظر: درجات المحبة المسيحية والكينوسيس، د. رؤوف إبراهيم، (ص: ٦).





لذا فإنهم في سعيهم لتحقيق هذا، أنزلوا المحبة منزلة أنها تتم الغرض من الوصايا العشر وكافة شرائع العهد القديم، فقد جاء في التفسير التطبيقي: «ليست شرائع الله حملا في عددها أو في تفصيلها، بل يمكن تلخيصها في قاعدتين بسيطتين للحياة: المحبة لله والمحبة للآخرين. وهما في العهد القديم، فعندما تحب وتهتم بالآخرين اهتمامك بنفسك فإنك تتمم الغرض من الوصايا العشر وسائر شرائع العهد القديم»[(١)].

والمتمعن فيما يحصل للمتمثل للمحبة في النصرانيَّة من إكمال للشريعة وتحقيق للوصايا، يظهر له مكانتها عندهم وعنايتهم بها، وهذا الاهتمام وتلك المكانة جعلتهم يسعون إلى الترقي بها والوصول إلى التشبه بالله -تعالى الله عمَّا يقولون عُلوًّا كبيرًا-.

ولربط مكانة المحبة في النصرانيَّة بالتعريف الإجرائي المختار في البحث، فإن المحبة عند النصارى هي: رغبة عاطفية، وسلوك عملي، يتمثل في العطاء والبذل والتضحية دون انتظار الجزاء، بغية الاقتداء بمحبة الله، وبلوغ أعلى درجات الكمال.

والتعريف يعبر عن نقاط المكانة التي أشرتُ إليها، فالاقتداء بمحبة الله والتشبه به ﷻ بغية الوصول إلى أعلى درجات الكمال في المحبة، يفسر اتجاه النصرانيَّة إلى البذل والتضحية والعطاء دون انتظار الجزاء تشبهًا بالله -تعالى الله عمَّا يقولون عُلوًّا كبيرًا-.

ويظهر التعريف المكانة الروحية للمحبة في وصفه لها أنها رغبة عاطفية، فالرغبة تعني وجود دافعية كبيرة للقيام بهذا الأمر، وإذا تحركت الدافعية من أمر عاطفي وجداني داخلي روحي فإنها تكون أبلغ؛ لذا فإن المعتقدات تنطلق من الداخل وهو الوجدان والعاطفة، فإذا تملكت تلك المعتقدات الوجدان والعاطفة بلغت مبلغًا كبيرًا في التأثير على سلوك الإنسان.

والسلوك العملي الذي طغى على المحبة النصرانيَّة، يبين معنى التجرد من الذات والرغبات والانغماس في البحث عما يقدمه الإنسان للآخرين، فتصير المحبة بعد هذه الأفكار المستمدة من المعتقدات سلوكًا عمليًّا يظهر على أفعال الإنسان المتمثل به، بغية الترقي والوصول إلى أعلى درجات الكمال في المحبة.

---

(١) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، شركة ماستر ميديا، (ص: ٢٠٢٨).





المبحث الثاني: مكانة المحبة في الأديان الوَضْعيَّة

اهتمت الأديان الوَضْعيَّة بشأن المحبة اهتمامًا يمكن رصده في مفاصل كل ديانة على حدة، فهناك من الديانات من تحدث عندها ازدواجية في النظرة للمحبة من خلال إنزالها مكانة إيجابية متفائلة تدعو إلى تعزيزها والحث عليها، وهناك من يجعل المحبة الإلهية هي الجانب الإيجابي المحض الذي تحث عليه، والمحبة البشرية هي الجانب السلبي المتشائم الذي تسعى إلى نبذه والتحرر منه، وهناك من يصرف ذلك الحذر والتحرر من المحبة إذا كانت في إطار اللذة والشهوة.

وكما سبق تقريره في الباب الأول من أن الأديان الوَضْعيَّة المراد دراستها هي ثلاثة أديان، وهي:

أولًا: الهندوسيَّة.

ثانيًا: الزرادشتيَّة.

ثالثًا: الكونفوشيُوسيَّة.

وسيتم بحول الله بيان منزلة ومكانة المحبة في كل ديانة، من خلال رصد مكامن المحبة، ومواقعها في الأسس والمعتقدات، والأفكار والمناهج، التي تنهجها كل ديانة في سبيل تحقيق مبتغاها.

أولًا: الهندوسيَّة:

تُعَدُّ الهندوسيَّة ديانة تجمع جملة من التقاليد المجتمعية التي كانت عند أهل الهند، وتجمع كذلك عاداتهم وأخلاقهم وصور حياتهم، وأطلق على الهندوسيَّة لفظ (البرهمية)، وقد كان ابتداء إطلاق ذلك اللفظ من القرن الثامن قبل الميلاد نسبة إلى براهمة، وهو القوة العظيمة السحرية الكامنة، التي تطلب كثيرًا من العبادات، كقراءة الأدعية وإنشاد الأناشيد وتقديم القرابين[(١)]، جاء في الكتاب المقدس بيانا لأهمية القرابين ودورها في محو الخطايا "كأولئك عارفون بالقربان، وبالقربان فإن خطاياهم تمحق"[(٢)].

لذا فإن جملة العادات والتقاليد والأخلاق ومختلف صور الحياة، والتطورات التاريخية التي اعترت الهندوسيَّة في مختلف جوانبها، تظهر المكانة العقدية وارتباطها بالأخلاق في الهندوسيَّة، إذ إن التطور الحادث -خصوصا في شأن البرهمية- يظهر الجانب العقدي المرتبط بالطقوس الدينية عندهم كالسحر وغيره، كما أن تَكُوُّن الهندوسيَّة من خليط المجتمع الهندي يجعل الجانب الأخلاقي حاضرًا داخل جنباتها.

ومما يشهد على ذلك: أن كلمة (براهمة) أصبحت علمًا على رجال الدين، ومن قوة تأثير الجانب العقدي على الهندوسيَّة، فإن رجال الدين الذين تم إطلاق هذا اللفظ عليهم، يعتقد الهندوس أنهم يتصلون

---

(١) ينظر: أديان الهند الكبرى (الهندوسية، الجينية، البوذية)، د. أحمد شلبي، (ص: ٣٧).

(٢) الباجادفيتا (الكتاب الهندوسي المقدس)، شاكوانتالا راوا شاستري، (ص: ٥٣).





في طبائعهم بالعنصر الإلهي، وعلى هذا السبب فقد كانت مكانتهم عند الهندوس أنهم كانوا كهنة الأمة، ولا تجوز الذبائح إلا في حضرتهم وعلى أيديهم[١]، بل إنهم يصبحون آلهة، فقد جاء في الكتاب المقدس عنهم "إن النساك وحدهم يصلون إلى صفاء براهما ويصبحون براهما"[٢].

وبناء عليه فإن هؤلاء الكهنة لهم الدور التنظيري التقريري في الهندوسيَّة، إذ يخول لهم ذلك أنهم يتصلون بالعنصر الإلهي، وهذا الاعتقاد وحدَه كافٍ لجعل الهندوس يستجلبون أفكارهم ومعتقداتهم من هؤلاء الكهنة.

وهذه المعتقدات المسلسلة والمتطورة أنتجت أمرًا متعلقًا بمكانة المحبة في الهندوسيَّة، وهو أن التطور والتغير في العقيدة مرهون بهؤلاء الكهنة، ومن خلال الاطلاع على جانب المحبة الإلهية التي حدثت في الهندوسيَّة، ظهر لي استنتاج في شأن مكانة المحبة المتعلقة بأمر الآلهة:

وهو أن من عبادات الهندوسيَّة الصلاة، وهي عند الهندوسيَّة بمعنى العبادة، وتأتي هذه الصلاة عند الهندوس على نوعين، الأول: ياك أو يجيا، والثاني: (بوجا) وهو التسبيح والتمجيد للآلهة، وتقديم القرابين لهم، أما النوع الأول (ياك أو يجيا) فهم يقومون فيه بإشعال النار في مكان معين، ويقرؤون أناشيد خاصة من (الفيدات) وغيرها لاستجلاب حب الآلهة وطلب الكفارة للذنوب[٣]، جاء في الكتاب المقدس: "لأولئك المتكرسين بثبات ويتعبدون بحب، أمنحهم ذلك الاتحاد مع الفهم حيث يستطيعون الاتصال بي"[٤]، وعلى هذا تتبين المكانة التي أولتها الهندوسيَّة للمحبة تجاه الآلهة.

فإثبات الهندوسيَّة لحب الآلهة يعتبر أهم أمر يمكن وضعه في جانب مكانة المحبة عندهم، ومما يزيد المكانة في نفوسهم، هو أن هذه المحبة والوصول لها لا يكون إلا بجهد يتطلب عبادة وأناشيد وتذللا وخضوعًا، وهذا الاجتهاد -في نظري- هو مناط تحقق محبة الآلهة لهم، فمتى كان هذا الاجتهاد أكثر جهدًا وخضوعًا وتذللًا كانت المحبة أسرع استجلابًا وحضورًا؛ لذا كان استجلاب المحبة أمرًا ذا أهمية بالغة في الهندوسيَّة.

ويشهد على ذلك التذلل والخضوع المفضي إلى استجلاب المحبة في الهندوسيَّة: أحد أمثلة التصوف الهندي، وهو (راما كريشنا)، وهو رجل هندوسي ينهج هذا النهج، وهو من الذين يقدسون الماء والتراب والحيوان، وهذا التقديس ليس بمستنكر في الديانة الهندوسيَّة، بل إنه يعد من أعظم نساك الهند حيث كان

(١) ينظر: أديان العالم الكبرى، حبيب سعيد، دار الشرق والغرب، مصر، الطبعة الثانية، (ص: ٢٦)، أديان الهند الكبرى (الهندوسية، الجينية، البوذية)، د. أحمد شلبي، (ص: ٣٧).

(٢) الباجادفيتا (الكتاب الهندوسي المقدس)، (ص: ٦٠).

(٣) ينظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، د. مُحَمَّد ضياء الرحمن الأعظمي، (ص: ٦٠٣).

(٤) الباجادفيتا (الكتاب الهندوسي المقدس)، (ص: ٩٠).





لحياته أثر كبير في تغلغل السمو الروحي أعماق القلوب، حيث قيل فيه: أنه تتويج لجهود آلاف السنين في سبيل ترقية الحياة الباطنية لمئات الملايين من الهنود، إذ كان هذا الرجل المنعش الوحيد للهند الحديثة[١]، والوصف الذي وُصِفَ به هذا الناسك الهندوسي والجلبة التي حدثت حوله، كفيلة ببيان معنى الخضوع للآلهة، وهذا يجري في سياق استجلاب محبتها، حيث يُمْتَدَحُ كل من نهج التصوف والتذلل والانقطاع للآلهة، وقد جاء في الكتاب المقدس أن من شروط الوصول للإله: هجر الحب والكراهية: "للوصول إلى الكمال وإلى براهمان ... تعلم مني ذلك باختصار، المنضبط بالفهم التقي، والكابح جماح اللذات بالثبات، والهاجر للصوت وغيره من الأغراض الحسية، والهاجر للحب والكراهية"[٢].

وهذه الأمثلة وما تحويه من مكامن داخل بواطن الأحداث، تفضي إلى رصد المكانة التي أولتها الهندوسيَّة للمحبة، وخصوصًا في الجانب الإلهي التقديسي، والذي تسعى الهندوسيَّة إلى جلبه وامتداح الترقي في طلبه والتذلل في سبيله.

ويظهر في بواطن الهندوسيَّة نظرة سلبية للمحبة -وهي النظرة الغالبة وليست الوحيدة-، حيث يصفون المحبة في بعض الأحيان بالمحبة بالطبيعة، ويزعمون أن المبعث الأساسي للمحبة هو أنها تنبعث من الطبيعة، وعلى هذا فالمحبة عندهم في هذا السياق السلبي: شعور ينبعث من أسلوب الطبيعة، وتستعملها الأحاسيس في تحقيق غاياتها، ويتوجب قهرها ومواجهتها وعدم الخضوع لسيطرتها[٣]، والنظرة السلبية للمحبة في هذا الجانب ظاهرة، فأول مظاهر السلبية فيها أن الطبيعة هي المبعث الذي تنشأ منه المحبة وليست النفس الإنسانية أو الشعور الداخلي أو الفطرة، وثاني مظاهر السلبية: أن المحبة إذا نشأت من الطبيعة فإنها تجري في الأحاسيس من أجل تحقيق غاياتها، وهذه نظرة تجعل المكانة التي تصطبغ على المحبة مكانة سلبية غير النظرة الأولى التي تولي المحبة مكانة كبيرة تسعى من خلالها لاستجلاب حب الآلهة.

وامتدادًا للمكانة السلبية التي تعد أحد التوجهات الهندوسيَّة للمحبة، أنهم يصفون المحبة داخل الذهن بأنها الرغبة، فيجعلون معناها أنها: أحد الرغبات الذهنية المسيطرة على القلب، والتي ينبغي التحرر من سيطرتها والتخلص منها، للدخول في التنسك والوصول لمنزلة القديسية[٤]، والمظهر السلبي الذي يتجلى في هذه النظرة: أنهم ينظرون للمحبة كونها أحد موانع الوصول لمنزلة القديسية.

---

(١) مفهوم التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي، محمود يوسف الشوبكي، مجلة الجامعة الإسلامية، السعودية، المجلد العاشر، العدد الثاني، (ص: ٢٩ – ٣٠).

(٢) الباجادفيتا (الكتاب الهندوسي المقدس)، (ص: ١٣٩).

(٣) ينظر: الباجافا دجيتا (الكتاب الهندي المقدس)، (ص: ٤٥– ٤٨).

(٤) ينظر: الباجافاد جيتا (الكتاب الهندي المقدس)، (ص: ٣٦).



وقد جاء في النصوص المقدسة الهندوسيَّة مما يبين أن التحرر من الحب من لوازم الوصول للمنزلة القديسية: «تحدث الرب قائلا: حين يهجر المرء جميع الرغبات التي تدخل للذهن يابارثا، ويكتفي من نفسه وحدها لنفسه، عندها يدعى رجل متنسك للحكمة، من لا يشغل الحزن ذهنه ولا يشتاق للمتع، من هو حر من الحب، الخوف والغضب، ذلك الذي بعقلية الورع يسمى قديسًا»[١].

وهذا التناقض الحادث في النظرة للمحبة في الهندوسيَّة، حيث تارة ينزلونها منزلة عالية يسعون من خلالها لجلب حب الآلهة، وتارة ينظرون لها بسلبية وتشاؤم، يجعلني أفسِّرُ أنهم يحثون على المحبة الإلهية، ويحذرون من المحبة البشرية، وهذا ما يظهر من خلال ما أوردته من الحديث عن المحبة عندهم.

وقد كان للنظرة السلبية والتشاؤمية شأن كبير في الهندوسيَّة كان له الأثر البالغ في مكانة المحبة عندهم، إذ نشأ عندهم عقيدة (النرفانا)، كرد فعل لتلك السلبية والتشاؤمية.

والنرفانا تعني: الانفجار، وتفسر كذلك بأنها الحلول الكامل للروح في الروح العليا -وذلك حسب رأي المدرسة الفيدية-، ويشبه ذلك الحلول بأنه كمثل حفنة ملح ترمى في البحر فتذوب في المياه التي جاءت منها، ولا يمكن أن تنفصل عنها كذلك تذوب الروح في الروح العليا[٢].

وقد غلبت نزعة التشاؤم في الحياة على الفلسفات الهندية، فاحتاج علماؤهم إلى عقيدة (النرفانا) للتخلص من هذا التشاؤم، ويسعون من خلالها إلى (النجاة)، والنجاة تتمثل في حالة الروح التي بقيت صالحة في دورات تناسخية متعاقبة، واستمرار صلاحها خلال تلك الدورات خولها إلى أنها لم تعد تحتاج إلى تناسخ جديد، فيحصل له النرفانا (النجاة)، فتتحد الروح بالخالق[٣]، وارتباطها بالمحبة في هذا الجانب واضح، حيث إن استجلاب حب الآلهة يجلب الصلاح، واستمرار الصلاح يجلب للنفس النرفانا، وعلى هذا فالنرفانا أحد مظاهر مكانة المحبة في الهندوسيَّة، حيث يسعون للتخلص من التشاؤم والسلبية من خلالها.

ولا شك أن عقيدة (النرفانا) -وإن كان لها جانب أخلاقي في الكف عن الشرور والآثام-، إلا أن لها جانبًا سيئًا للغاية، حيث حملت الهندوسي على التوقف عن فعل الخير والاستمتاع بالطيبات، بل وحملته على تعذيب نفسه وتحميلها المشاق والمصاعب، وهذه سلبية إذا قام بها الفرد الواحد عُدَّ مخالفًا للفطرة مصادمًا للعقل، فكيف إذا قامت بها أمة تعد بالملايين، لا شك أنه سيكتنف حياتهم الخلل والاضطراب، والنرفانا هي أعلى درجات وأسمى غايات كل هندوسي، ولا يصل أحد إلى هذه المرتبة إلا بعد أن يقضي

---

(١) المرجع السابق، (ص: ٣٦).

(٢) ينظر: المرجع السابق، (ص: ٣٩).

(٣) دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، (ص: ٦٣٠).



على جميع شهواته الحيوانية ورغباته المادية والجسدية ويكون في النهاية في مرتبة (لا شيء أريده)[١]، وتبرز فيها من خلال هذا السياق جانب الاختلاف في النظرة لمكانة المحبة في الهندوسيَّة.

فالمتأمل في هجر المرء للملذات والابتعاد عنها والتحرر منها، يتبين النظرة السلبية للمحبة وسعي الهندوسيَّة للتحرر والتحذير منها، وهذا التحرر من المحبة يجري على كل شهوات ومتع الدنيا، وتحققه مع استمرار الهندوسي في الصلاة والعبادة والتقرب إلى الآلهة بالأناشيد وغيرها، يستجلب حب الآلهة للإنسان، فيكون المآل هو الحلول والاتحاد فيه، وهذا يفسر المكانة والمنزلة العالية للمحبة في الهندوسيَّة.

وأظهر نص وقفت عليه في كتابهم المقدس يبين مكانة المحبة عندهم، أنهم يعتبرون المحبة أحد محركات الكون، فقد جاء فيه: "بعدل يتحرك الكون، بالفرح والحب، بمجدك يا هرشيكيشا"[٢].

ولربط المكانتين (الإيجابية والسلبية) للهندوسية في التعريف الإجرائي المختار للمحبة عندهم، فإن المحبة عند الهندوسيَّة هي: شعور داخلي تُولده الطبيعة، ويتمثل في شكل رغبة ذهنية، تستعملها الأحاسيس لتحقيق غاياتها، يهدف إلى التأثير السلبي على الأعمال الحسية، ويعد الجنس أحد مظاهره العملية.

وبالتحليل لألفاظ التعريف، فإن النظرة الغالبة على الهندوسيَّة هي النظرة السلبية للمحبة، فلفظ (التأثير السلبي) هو أبرز ما يجلي تلك المكانة السلبية التي أنزلتها الهندوسيَّة للمحبة، كما أن استعمال المحبة من قِبَلِ الأحاسيس بغرض تحقيق غاياتها يعتبر كذلك سياقًا يشير إلى النظرة السلبية لها، فهي في هذه الحال أداة يتم استعمالها وتوجيهها دون حول أو قوة لها، كما أنها فاقدة للتأثير، بل هي التي تتعرض له، وتعجز أمامه من الحفاظ على نفسها، فمن باب أولى أنها غير قادرة على إحداثه.

ثانيًا: الزرادشتيَّة:

تقدم الزرادشتيَّة نفسها على أنها تحب الأمور الخيرة، وهي ديانة آرية فارسية قديمة، منسوبة إلى مؤسسها سبيتاما زرادشت، وهي من الديانات التي تزعم أنها تحب الحق وتقدس الصدق، وتتمحور وتتمركز حول الإله الواحد الكبير المطلق، وهو: أهورامزدا[٣]، وقد توصف بأنها: «ضرب من الإصلاح للديانة الوثنية الفارسية، وترمي إلى تنمية الحصاد، والرفق بالحيوانات المستأنسة»[٤].

---

(١) ينظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، د. مُحَّد ضياء الرحمن الأعظمي، (ص: ٦٣١)، ما بعد الموت عند اليهودية، النصرانية، المجوسية، الهندوسية، البوذية، الكنفوشيوسية، د. مشاري سعيد المطرفي، (ص: ١٧٣ – ١٧٤).

(٢) الباجادفيتا (الكتاب الهندوسي المقدس)، (ص: ١٠٢).

(٣) ينظر: الموجز في المذاهب والأديان، الأب صبري المقدسي، (١ /٥٥)، مفهوم الألوهية في الأديان الزرادشتية والهندوسية والبوذية (دراسة مقارنة)، ريبوار كريم الشميراني، (ص: ٦٥).

(٤) مفهوم الألوهية في الأديان الزرادشتية والهندوسية والبوذية (دراسة مقارنة)، ريبوار كريم الشميراني، (ص: ٦٥).





وكلا الوصفين للديانة مشتملة على تقديم نفسها على أنها تحب الحق والخير، وتسعى للمحبة الواسعة الشاملة، ووصفها بمحبة الحق يشير لمكانته في ديانتهم، كما أن الرفق بالحيوان هو مما يجري في هذا السياق.

ويجري في المنزلة والمكانة نفسها التي تقيمها الزرادشتيَّة للمحبة عقيدة الإلهين، إله الخير وإله الشر، وكيف أن المحبة التي تصرف لإله الخير هي من أسس الزرادشتيَّة، مع كون الديانة آلت لعبادة آلهة متعددة.

فالزرادشتيَّة تعتقد أن إله الخير هو إله الرحمة والحكمة والخالق لكل شيء حسن في العالم، ولكن هذا الخالق -في نظرها- لا يخلق إلا الأمور الخيرة فقط؛ لذا فهو غير مسؤول عن الشرّ الموجود في العالم، وعند البحث عن المسؤول عن الشر الموجود في العالم، فإنه من صنع إله الشر أهريمان، ويزعم الزرادشتيون أن هذا لا يعني وجود أكثر من إله، ويفسرون ذلك بأن العالم مُنقسم إلى عالم النور وعالم الظلمة، عالم الخير وعالم الشر، عالم الفوق وعالم التحت، وأن هناك صراعًا أبديًا بينهما، ينتهي هذا الصراع بفوز النور على الظلمة، والخير على الشر، وفوز (أهورمزدا) وأعوانه وملائكته على(أهريمان) وأعوانه وشياطينه[1]، وهذا الانتصار يجعل الإله المنتصر هو الإله الباقي، فيصير الإله الموجود إلهًا واحدًا وهو إله الخير، مع كون الإلهية عندهم آلت لآلهة متعددة.

وعلى هذا المعتقد فإن المحبة ينبغي صرفها لهذا الإله -إله الخير-؛ لأن الإنسان لا بد أن يحب الخير والحق والصدق ويقدسه؛ لذا فهو ينتصر لإله الخير ويحبه، وهنا تظهر مكانة المحبة في السياق الإلهي.

وتظهر مكانة المحبة كذلك في التصاقها بحياة مؤسس الزرادشتيَّة، فاشتمال الروايات المروية عن مؤسسهم بأنها كانت ممزوجة بعاطفة الحب تشير إلى هذا المعنى، ومن ذلك أنهم يرون أن التقوى لا مفر منها ولا محيص عن رصدها في طيات حياته، وهذه التقوى حملت الحكايات التي تُروى عنه بعاطفة الحب، وقد كانت تلك العاطفة تبدو ظاهرة في ترنيماته التي تنسب إليه، وتسمى تلك الترنيمات (جاثا)، ومع كونها يصعب ترجمتها وفهمها بعمق عندهم، إلا أن الحماسة والحب لله كانت أمورًا ظاهرة في تلك الترنيمات[2].

وبتحليل تلك النظرة عند الزرادشتيَّة، والتعمق في مكانة المحبة داخل مضامينها، فإن مظاهر مكانة المحبة تظهر في جملة من النقاط:

١- ارتباط الحب في مفاصل الزرادشتيَّة من أسسها التي قامت عليها، وامتدادا بالعاطفة الممزوجة بالحب داخل روايات مؤسسها.

---

(١) ينظر: الموجز في المذاهب والأديان، الأب صبري المقدسي، (١/ ٦٠).

(٢) ينظر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، مشرف التحرير: جفري بارندر، (ص: ٩٠).





٢- اشتمال المنهج العام في أسس ومعتقدات الزرادشتيَّة للحماس والحب للآلهة، ويقدمها الزرادشتيون كأحد مميزات ديانتهم.

٣- الناظر في الاستنتاجين السابقين، يتبين له مقدار اهتمام الزرادشتيَّة بالحب، حيث تقدس الحق وتحبه، بحيث لا يكفي التقديس دون إشعال عاطفة الحب للخير، واتصاف حكايات وروايات المؤسس للزرادشتية بالحب وامتيازه بها -في نظرهم-، وعلى هذا فالمحبة تكمن في مفاصل كثيرة داخل الديانة الزرادشتيَّة، وداخل تفاصيل حياة وألفاظ مؤسسها.

كما أن زرادشت قضى حياته في نشر رسالته، والعمل على تعليم شعبه التعاليم الأخلاقية بحسب الكتاب الموحى إليه من قبل أهورامازدا (آفيستا)، والذي نزل عليه بلغة بيّنة قريبة إلى عامة الناس[1]، والحرص على تعليم الزرادشتيين للأخلاق والمنبثقة من توجيهات الكتاب الذي يزعمون أنه نزل عليه، وبتلك الترنيمات التي تكون مفعمة بالحب، يتبين موقع الحب عند المؤسس زرادشت، حيث إن قضاء الحياة في تعليم الناس والحرص على ذلك، واتباع الكتاب المقدس، ونشر الترانيم المفعمة بالحب يشير إلى ذلك.

ومن مكانة المحبة عند الزرادشتيَّة: تضمينُهم للمحبة في بعض الأصول التي تقوم عليها ديانتهم، فهناك أركان ستة للإيمان الزرادشتي تتمثل في:

١- التوحيد.

٢- الإيمان بنبّوة زرادشت.

٣- العمل الحسن، والقول الجيّد، والنية الصالحة.

٤- الرُّوح.

٥- الثواب، والعقاب.

٦- المعاد، والقيامة[2].

(١) ينظر: الموجز في المذاهب والأديان، الأب صبري المقدسي، (١ /٥٩).

(٢) ينظر: الموجز في المذاهب والأديان، الأب صبري المقدسي، (١/٧٤).





ولبيان ارتباط المحبة في بعض تلك الأركان، فإني أستنتج منها بعض النقاط التي تجلي ذلك:

١- أوضحُ ركنٍ من هذه الأركان يمكن ربطه بالمحبة: هو العمل الحسن والقول الجيد والنية الصالحة، فإن تضمن تلك الأركان للمحبة ظاهر؛ لأن المحبة تنشأ من خلال تطبيق أمور متعددة، منها الثلاثة أمور المذكورة.

٢- بالنظر إلى الركن الأول وهو التوحيد، وربطه مع جملة ما ذُكر من أن الزرادشتيَّة تنظر للإله بنظرة الحماس والحب، فإن المحبة بسبب هذا الاعتقاد تكون أحد الأمور المهمة المندرجة تحت هذا الركن؛ لذا فإني اعتبرته في المرتبة الثانية بالدلالة على مكانة المحبة عند الزرادشتيَّة من خلال الأركان الستة للإيمان الزرادشتي، والمتأمل في أن الديانة آلت لعبادة آلهة متعددة يعلم أن التوحيد الذي يزعمونه مجرد دعوى زائفة.

٣- يأتي في المرتبة الثالثة ركنان مشتملان للمحبة، ومبينان لمكانتها، وهما الثواب والعقاب، والمعاد والقيامة، فإن المحبة إذا كانت من أسس المعتقد الزرادشتي في كونها أحد أسس محبة الحق والخير وأحد الأمور التي ينظر بها الزرادشتي للإله، فإنها تكون مناطًا للثواب والعقاب، إذ يكون تحقيقُها والاهتمامُ بها في مكانها سببًا لحصول الثواب، وعدم تحقيقها وإهمالها سببًا للعقاب، وكذلك يجري ركن المعاد والقيامة ذلك المجرى.

ولربط مكانة المحبة بالتعريف الإجرائي للمحبة في الزرادشتيَّة، فإن المحبة في الزرادشتيَّة هي: شعور داخلي، يعبر عن الإيمان بالله، منفتح على الأرواح الطاهرة، يهدف إلى استلهام القوة من روح خارجية، وتقبل الآخرين بعلاتهم، وتحقيق السلام، ويتجسد في سلوك عملي محسوس في التعامل مع الآخرين، والعمل من أجل العدالة والوفاق الاجتماعي.

وتظهر علاقة التعريف بمكانة المحبة، أن التعريف يشير إلى أن المحبة أحد الأمور التي يتم التعبير عن الإيمان بالله من خلالها؛ لذا فإن الزرادشتيَّة تجعل مكانةً لإله الخير الذي ينتصر على إله الشر في اعتقادهم، فيكون الحب لله والتعبير عنه هو المظهر الذي يصور هذه المكانة، ويظهر كذلك في اشتمال التوحيد الذي ترمي إليه الزرادشتيَّة للمحبة وعدم انفصالها عنه؛ لذا فإن هذا الالتحام بينهما تعبير عن تلك المكانة.

كما أن التعريف يشير إلى تقبل الآخرين بعلاتهم، وتفوح منه رائحة التسامح وحسن التعامل مع الآخرين، وهو يبين المكانة التي توليها الزرادشتيَّة للمحبة من خلال الأركان الستة التي يقوم عليها الإيمان في الزرادشتيَّة، فالأركان الستة تشتمل على العمل الحسن والقول الجيّد والنية الصالحة، وهو أحد التعبيرات التي تنزع إلى الجانب السلوكي العملي، وتعبر في الوقت نفسه عن المحبة، وبمجرد وجودها داخل أركان الإيمان فهو المظهر الأكبر لمكانتها.





وهـذا التعامـل الحسـن والقـول الجيـد، يفسـر اشـتمال التعريـف علـى سـعي الزرادشـتيَّة إلى الوفـاق الاجتماعي، من خلال تحقيق مبدأ العدالة.

ثالثًا: الكونفوشيُوسيَّة:

قـام كونفوشـيوس بدراسـة كتـاب (الوثائـق التاريخية)، وهـي مجموعـة مـن السـجلات الـتي تتعلـق بأسـرة تشـو الغربية، وكتاب (الأغاني) الذي يحتوي على ترانيم شعائرية لملوك أسرة تشـو الأول، ونظر إليهـا كبقـايا العصـر الـذهبي، فكانـت سياسـته اسـترجاع سياسـات ملـوك أسـرة تشـو الأول، واعتبرهـا سـلطته المرجعيـة، واسـتخدمها ككتـاب مقـدس، وقـام بتأويـل لغتهـا العتيقـة تأويـلًا معاصـرًا، فأنشـأ منهـا مـذهبًا أخلاقيًّـا، واجتماعيًّا، وهذه الكتابات تتعلق في مجملها بالعرافة، ويسيطر عليها السحر واللاأخلاقية[1].

والمتأمـل في المـنهج الـذي سـلكه كونفوشـيوس في بنـاء الديانـة مـن تلـك المصـادر، يسـتنتج جملـة مـن المظاهر التي يمكن إدراجها تحت مكانة المحبة في الكونفوشيُوسيَّة، وهي:

١- تسـتمد المحبـة مكانتهـا مـن اسـتناد كونفوشـيوس إلى تأسـيس مـنهج الديانـة علـى التـاريخ، وهـو أنـه يعتبر أسرة (تشو) وطريقة حياتها وسلوكها أسسًا رصينة يمكن بناء الكونفوشيُوسيَّة عليهـا، والسـلوك الذي يستمده من تلك الحقبة لا شك أنه يحوي المحبة؛ ولذا فإن مكانتها توازي مكانة من استقى منهم تلك الأفكار والمعتقدات والسلوكيات.

٢- المكانة التي يوليها للأمم السابقة، والتي دعته لاستمداد جملة السياسات والأفكار والمعتقدات التي تقـوم عليهـا الديانـة، تبـين جانبًـا عميقًـا تـزداد علاقتـه بالمحبـة ومكانتهـا كلمـا ازددنـا عمقًـا فيـه، فـإن تقديسـه للسـابقين ناشـئ مـن حبـه لهـم، ويـزداد حبـه لهـم إذا مـا اسـتوضـحنا مقـدار بنائـه للكونفوشيوسية على تقاليدهم ومعتقداتهم، فمنشأ ذلك هو المحبة لهم ولكل سلوك سلكوه في سَنّ تقاليدهم، وهنا تظهر المحبة في قلب كونفوشيوس، وتتجلى مكانتها في الديانة ككل.

٣- تعـد دافعيـة كونفوشـيوس إلى إحيـاء بقـايا السـابقين واتجـاههم نحـوهم وظهـور حبـه لهـم ولأفكـارهم ومعتقـداتهم، أمـرًا حقيقًّـا بالبحـث عـن السـبب الـذي دفعـه لـذلك، وقـد يكـون اعتبـاره لعصـرهم بأنـه العصـر الـذهبي، وأن كـل مـا تركـوه هـو مـن بقـايا العصـر الـذهبي، قـد يكـون هـذا الظـن هـو المـبرر لتلـك الدافعيـة، وهـو الـذي يُذهِـب الغرابـة عـن ذلـك التوجـه، وهـذا يظهـر مقـدار محبتـه وتقديسـه للعصـر الـذهبي المزعـوم، ممـا يجعـل هـذا الحـب ينتقـل إلى أتباعـه ونفـوس معتنقـي الديانـة، وهـذا يبـين مكانـة المحبة في الكونفوشيُوسيَّة.

---

(١) ينظر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، مشرف التحرير: جفري بارندر، (ص: ٢٣٨ – ٢٣٩).





ومن مظاهر مكانة المحبة عند الكونفوشيُوسيَّة: أنها تَظهر في أشكال مختلفة ومتنوعة في شتى مجالات الأخلاق داخل مفاصل الحياة والتعاملات بين الأفراد، وأذكر من تلك المجالات:

١- أن مكانة المحبة تبرز في دعوة الكونفوشيُوسيَّة إلى الاهتمام بطاعة الوالد، وعدم الاكتفاء بالطاعة، بل إن الأمر يتجاوز إلى الخضوع له، وهذا يشير إلى غرس محبته في نفوس أبنائه.

٢- تمتد تلك الطاعة من طاعة الأب إلى طاعة الأخ الأصغر لأخيه الأكبر، فهذه الطاعة شددت عليها الكونفوشيُوسيَّة تشديدًا مهمًّا.

٣- تظهر مكانة المحبة في تجاوز الكونفوشيُوسيَّة الأسرة القائمة على الأب والأخ، وتتعدى إلى أمر مهم في دينهم، وهو أمر الصداقة، فلا بد أن تؤدي الصداقة إلى الإخلاص، وهو إخلاص الصديق لأصدقائه والتشديد على ذلك، وهذا أمر لصيق بالمحبة.

٤- ومن أشكال المحبة التي تبرز مكانتها: الحث على عدم جرح الآخرين بالكلام أثناء محادثتهم، وحسن الإصغاء لهم، وهذا من شأنه تعزيز المحبة وروح الألفة الذي تدعو إليه الكونفوشيُوسيَّة.

٥- من الأشكال والمظاهر التي اهتمت بها الكونفوشيُوسيَّة مما له علاقة بمكانة المحبة عندهم: أن تكون أقوال المرء على قدر أفعاله، وأستنتج منه أنه حث على نبذ الاختلاف الذي يحدث بين الناس ويشتت المحبة بينهم، فالالتزام بالقول والوعد من شأنه زيادة الألفة والمحبة ونبذ الخلاف الذي يضعف المحبة في أي مجتمع.

٦- وتمتد مكانة المحبة التي تظهرها الكونفوشيُوسيَّة إلى الجانب العملي السلوكي القائم على المصالح والبحث عن المصلحة الشخصية، فتسعى لإدخال المحبة والمحافظة عليها وعدم هدمها من خلال هذا المسلك؛ لذا فهي تدعو إلى البعد عن المحسوبية في الوساطة أو المحاباة في أي أمر، وتجعل العدل مقدمًا على كل تحيز لأي شخص، والمقصد من هذا نبذ العداوة الناشئة عن الظلم والمحاباة[1].

وكل تلك الأشكال التي تدخل في جميع مفاصل الحياة للناس وتعاملاتهم، وذلك الاهتمام الملحوظ من الكونفوشيُوسيَّة في تنظيمها، إنما يدفع إلى المحافظة على المحبة والألفة بين أفراد المجتمع، مما يعني مكانة المحبة في داخل أخلاقيات تلك الديانة.

---

(١) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (٢/ ٧٥٣ – ٧٥٤)، ما بعد الموت عند اليهودية، النصرانية، المجوسية، الهندوسية، البوذية، الكنفوشيوسية، د. مشاري سعيد المطرفي، (ص: ١٩٧ – ١٩٨).





وتظهر مكانة المحبة في النظرة التي توليها الكونفوشيُوسيَّة لها، فيما ذكرت في مبحث تعريف المحبة أن النظرة تجاه المحبة تنقسم لقسمين:

الأول: النظرة للمحبة على أنها أمر شعوري وجداني نفسي.

الثاني: النظرة للمحبة على أنها سلوك عملي مجتمعي، أو أداة تستعمل لتسيير المجتمع وانتظامه.

وتظهر المكانة في هذا التقسيم أنها تتجاوز الجانب الشعوري الوجداني إلى الجانب السلوكي العملي التوجيهي، وهذا ظاهر من جملة ما سقتُه من توجيهاتهم للناس وللحاكم، والدخول في كثير من تفاصيل حياتهم والسعي لتنظيمها على أساس المحبة.

وهذا الاتجاه الواضح للجانب السلوكي العملي للمحبة في الكونفوشيُوسيَّة يظهر في التعريف الإجرائي المختار للمحبة الكونفوشيُوسيَّة في البحث، حيث جاء التعريف للمحبة أنها: شعور وجداني نفسي، وسلوك عملي اجتماعي، يؤدي إلى انسجام المرء مع مجتمعه، والخضوع لقوانينه بشكل تلقائي، للوصول إلى مدينة فاضلة، وتتمثل في الانصياع لأرواح الأجداد تقديرًا لهم، والطاعة والانقياد للحاكم، والطاعة للآباء واحترام الأكبر سنًّا، والإخلاص في الصداقة، واحترام الموروثات والمحافظة عليها.



الفصل الثالث: مكانة المحبة في الفلسفات المعاصرة

المبحث الأول: مكانة المحبة في الفلسفات المثالية

تختلف وجهة نظر الفلاسفة المثاليين للمحبة، فكل منهم ينظر لها حسب منهجه الذي ينتهجه في النظر إلى الأخلاق والميل والإرادة وغيرها مما له ارتباط بالمحبة بشكل مباشر أو غير مباشر، ولعلي في هذا المبحث أرصد المظاهر التي تجري في سياق مكانة المحبة.

والاختلاف الذي ينشأ بسبب النظرة الخاصة بالفيلسوف المختلفة عن غيره من الفلاسفة، ترجح إمكانية حدوث التقابل في النظرة للمحبة من قبل الفلاسفة المثاليين وغيرهم؛ لذا فإن المكانة قد يتم رصدها عند فيلسوف من جانب إيجابي، بينما تكون المحبة ذاتها في التوجه نفسه عند فيلسوف آخر في مكانة سلبية، وتكون مظاهر تلك السلبية بسبب ربطه ببعض ما ينبذ من الأمور والمعاني والانفعالات وغيرها.

وبعد البحث والرصد لمظاهر مكانة المحبة في الفلسفة المثالية، وضعتها على شكل نقاط تبين تلك المكانة، وتتلخص النقاط في الآتي:

أولًا: إطلاق لفظ (القدسية) على الحب.

ثانيًا: استقلالية المحبة عن العِلل النفسية.

ثالثًا: توليد المحبة من كل الأشياء.

رابعًا: تقارب انفعال الحب من انفعال الكراهية.

خامسًا: قوة تأثير الحب.

سادسًا: ارتباط المحبة بالميل، والإرادة الخيِّرة.

سابعًا: علاقة المحبة بالزواج، وتشكيل المجتمع.

ثامنًا: النظرة الساخرة للمحبة.

تاسعًا: دور حب الذات في إنتاج المحبة للآخرين.

عاشرًا: وصف الحب بالمثل الأعلى.

وسأقوم -مستعينًا بالله- بربط مكانة المحبة في الفلسفة المثالية بالمفهوم العام لها عندهم، معرجًا على التعريف الإجرائي المختار في البحث، وربطه بالمكانة.



كما أن من الأهمية بمكان بيان العلاقة بين ما توصلتُ إليه من نقاط تعبر عن مكانة المحبة في الفلسفة المثالية، وبين ما تقوم عليه الفلسفة المثالية بشكل عام؛ لذا فقد بينت هذه العلاقة في آخر المبحث.

أولًا: إطلاق لفظ (القدسية) على الحب:

اختصت فلسفة الرومانسيين وأدبهم بأنهما يحملان تصورًا خاصًّا عن الحب يعرف باسم: «الحب الرومانسي»، وعند التأمل في هذا الحب الموسوم بالرومانسي فإنه يوصف بأنه حب مثالي سامٍ، وخالد، ومن هذا الوصف تبدأ المكانة التي تنظر للحب بالنظرة العليا، فإن هذه النظرة للحب أثرت على الأدباء والشعراء الذين ينزعون إلى هذا التوجه الرومانسي، حيث خلق الأدب والشعر الرومانسي قدسية حقيقية للحب[1]، وبالنظر لإطلاق هذا اللفظ على الحب، فإني أستنتج أنه تم الوصول إلى الاعتقاد بقدسية الحب من خلال مراحل.

وقد يتعذر وصف تلك المراحل بالتحديد؛ لأن ذلك يتطلب رصدًا تاريخيًّا قد يخرج عن إطار المقصود من بيان هذا المبحث، ولكن من خلال بيان أن الحب يوصف عند الرومانسيين بأنه يمتلك صفات السمو والخلود، فهذه مرحلة أدنى من مرحلة القدسية، ولكنها تعتبر طريقًا يفسح المجال إلى الوصول إليها.

ويظهر وصول الحب لمرحلة القدسية والتعظيم، في أنه تم خلق تلك المرحلة من خلال الأدباء والشعراء، فوصفهم للحب الذي يسير على وفق رؤيتهم له جعلهم يصفونه بذلك؛ لذا فإن الوصول بالنظرة للحب إلى تلك المرحلة يجعل وضعها في مقدمة مظاهر المكانة أمرًا لازمًا، إذ أن التعظيم لشيء هو أكبر دلالة على مكانته عند الإنسان.

ثانيًا: استقلالية المحبة عن العِلل النفسية:

من مظاهر مكانة المحبة في الفلسفة المثالية، أن الحب مستقل بنفسه عند بعض الفلاسفة، ومن الفلاسفة الذين يذهبون إلى هذا الرأي: الفيلسوف ديكارت، حيث يرى أن الحب ليس إلا أثرا لعلة، والعلة هي (الجسم)، ولكن قد يتولد الحب أو يتغير بمفعول علل نفسية، ولا بد لهذه العلل أن تكون متصلة بتصورات النفس وإرادتها وبمختلف التجارب والتصورات الأخرى التي من شأنها أن يكون لها أثر في جسم الإنسان، وتبعًا لذلك يفصل ديكارت بين انفعال الحب وعلته الجسمية، وبين الحب العقلي وعلته النفسية،

---

(١) ينظر: الإيروس والثقافة (فلسفة الحب والفن الأوروبي)، فياتشيسلاف شستاكوف، (ص: ١٩٨).





غير أن الفصل بين العلل المتنوعة المؤثرة في الجسم والحب قد يكون عسيرًا[1]، وعلى هذا فإن مكانة الحب في نظرة ديكارت تنحى منحى الاستقلال والقيام بذاتها.

ويأتي في المرتبة الثانية من مظاهر مكانة المحبة في نظرة ديكارت للحب: الفصل بين الحب وبين علته الجسمية، فحتى انفعال الحب يمتلك شيئًا من الاستقلال عنده، وهنا يمكن رصد مكانة المحبة من خلال هذا الفصل وتلك الاستقلالية.

ثالثًا: توليد المحبة من كل الأشياء:

يستمد ديكارت ارتباط المحبة بكل الأشياء إلى تنوع الحب بتنوع ارتباطه بالمعاني والمواضيع والأشياء، وعلى سبيل المثال إذا تتبعنا هذا الارتباط فإننا نجد أن هناك حب المال، وحب الخمر، وحب المرأة، وحب الأطفال، وغيرها من الأمور التي يمكن ارتباط الحب بها، وعلى هذا الربط الذي يربط به ديكارت الحب بكل معنى وموضوع وشيء، فإننا يمكن أن نقول وباختصار: كل شيء يمكن أن يولد الحب، وكل شيء له ارتباط بالحب، وكل أمر يرتبط فيه الحب يعد من أنواع الحب، ولا يمكن التمييز بين هذه الأنواع إلا بقوة الانفعال والتأثير الذي يحدثه، ومن وجهة النظر هذه يمكن التمييز بين الأنواع الثلاثة التالية للحب، وهي: التعلق والصداقة والتبجيل[2].

وبناء على هذه النظرة التي يقول بها الفيلسوف ديكارت، يمكن أن تتلخص المكانة للمحبة من خلالها في الآتي:

١- أن كل شيء من شأنه أن يتولد منه الحب، وهذا يعني ارتباطه بكل الأشياء.

٢- أن ارتباط الحب بكل الأشياء يجعل له حضورًا ممكنًا في كل مفاصل الحياة.

٣- أن انفعال الحب من شأنه أن يكون مقياسًا للفصل والتمييز بين الأشياء والمواضيع التي يرتبط بها، فقوته ومستواها لهما الأثر الكبير في هذا التمييز والفصل.

وعلى هذا فإن مكانة الحب يمكن أن تستمد من تلك الأمور مجتمعة، فارتباطه بكل شيء، وإمكانية توليده من كل شيء، يعني كثرة حضوره ووجوده وحدوثه.

رابعًا: تقارب انفعال الحب من انفعال الكراهية:

يذهب بعض الفلاسفة المثاليين إلى أن هناك تشابهًا بين انفعال الحب والكراهية والغيرة، ومن هؤلاء الفلاسفة الذين يذهبون إلى هذا الاتجاه الفيلسوف (سبينوزا).

---

(١) ينظر: في معاني الحب وأنواعه عند ديكارت، سفيان سعد الله، (ص: ٤٧).

(٢) ينظر: الإيروس والثقافة (فلسفة الحب والفن الأوروبي)، فياتشيسلاف شستاكوف، (ص: ١٧١-١٧٢).





وعند التأمل في نظرته للحب من هذا الجانب يتبين أنه يرى أن الحب مثله مثل الكراهية، وهذا التماثل بينهما إنما يكون في كونهما يوصفان جميعًا بالانفعال، وهذا الانفعال يتسم بالقوة، وعلاوة على ذلك، فهذان الانفعالان يرتبط أحدهما بالآخر، بصورة وثيقة.

ومن ضمن الأدلة التي يستند إليها سبينوزا وغيره ممن يتوجه إلى هذا التوجه: أنه وليس من قبيل المصادفة أن يتحول الحب بسرعة إلى كراهية، فقد يتولد الحب في ذهن الإنسان تجاه شيء أو أمر أو موضوع معين، وبعد فترة تحل الكراهية مكان الحب في ذهن الإنسان؛ لذا فإن هذا التحول والتبدل والتقابل الحادث في ذهن الإنسان تجاه الانفعالين من أهم الدوافع التي دفعت أصحاب هذا الاتجاه في تبنيه.

أما الانفعال الآخر المرافق للحب، فهو الغيرة، وحسب قول سبينوزا فإن الغيرة «ليست شيئا آخر سوى تردد في النفس، ناشئ عن الحب والكراهية معًا، وترافقه فكرة الشخص موضوع الغيرة، وهذه الكراهية، للشيء الذي نحبه، تكون أكبر كلما كانت اللذة، التي يحصل عليها الغيور من حبه المتبادل مع الشيء المحبوب أكبر»(١).

وفي نظري أن هذا التوجه تجاه المحبة بهذه الطريقة وهذا القياس يُعتَبَر من المكانة السلبية للمحبة، وقد استنتجت سلبية هذه النظرة من خلال:

١- تشبيه الحب بالكراهية وأنه مماثل له، والمعلوم أن الحب والكراهية متضادان وغير مجتمعين، والسلبية تأتي من كون الحب من المعاني السامية الخالدة لدى بعض الفلاسفة المثاليين، ولا يمكن ربطه إلا بالأمور المستحسنة السامية، والكراهية ليست من تلك الأمور والمعاني التي تبلغ مبلغ السمو والعلو؛ لذا فإن هذا أحد مظاهر إنزال الحب مكانة سلبية.

٢- التبرير بتماثل الحب مع الكراهية في قضية إمكانية انقلاب النظرة بينهما في ذهن الإنسان حيث يمكن انقلاب الحب إلى كراهية والعكس، هو من المبررات التي تعكس الإرادة التي يمتلكها أصحاب هذا الرأي في النظرة السلبية للحب؛ لأن الحب ردة فعل ناشئة عن فعل مقابل، والكراهية كذلك، فإذا تغير الفعل تغيرت ردة الفعل تبعًا لذلك، وهذا لا يعني التماثل بين الانفعالين.

٣- يبرر أصحاب هذا التوجه الذي يقول بأن الحب والكراهية انفعالان متماثلان بارتباطهما بالغيرة، فالذي يغار -في نظرهم- يكون منبع غيرته من الحب والكراهية معًا، ولكن ذهابهم إلى القول بالمماثلة بين الانفعالين بمجرد هذا الارتباط فيه نظر، فالغيرة -في نظري- تنشأ عن الحب أولا، ثم

---

(١) ينظر: الإيروس والثقافة (فلسفة الحب والفن الأوروبي)، فياتشيسلاف شستاكوف، (ص: ١٧٣).





يعقبها الكراهية، وعلى هذا فهناك انفصال بين الانفعالين، والانفصال من شأنه أن يظهر عدم التماثل بينهما.

وعلى هذا فإن كل ما تم إيراده يبين المكانة السلبية تجاه المحبة عند بعض الفلاسفة المثاليين من خلال ربط المحبة ببعض المعاني المنبوذة.

خامسًا: قوة تأثير الحب:

تظهر مكانة المحبة في نظرة الفلاسفة المثاليين بكونه أحد الانفعالات القوية التي تصدر من الإنسان، وتتجلى تلك النظرة والقوة التي تنبع من المحبة من خلال حدوثها من الخيال.

والمتأمل في هذا الأمر يستمد تلك القوة والمكانة للمحبة من الطغيان الذي تحدثه في داخل الإنسان، وهذا الطغيان قد يحدث من التوهم دون الوجود على أرض الواقع، ولعل هذه النظرة تعزز التوجه العام الذي طغى على الفلسفة المثالية.

فالفلسفة المثالية كما هو مبين في الباب الأول تؤمن بالمثال الموجود في الذهن وأن له الغلبة والقوة على الأشياء المحسوسة الموجود على أرض الواقع، وعلى هذا فإن النظرة لقوة انفعال الحب وتأثيره تلتقي مع هذه النظرة العامة، ويعزز بعضهما بعضا.

ومن شواهد هذه النظرة عند الفلاسفة المثاليين: ما ذهب إليه الفيلسوف سبينوزا حيث يقول: «من تخيل هلاك ما يحب كان حزينًا، ومن تخيله محفوظًا كان مسرورًا»[(١)]، والحب في هذه الحالة يتلبس بالإنسان بمجرد التخيل حتى لو كان أثره في أرض الواقع ضعيفًا أو معدومًا، ومن هنا يتم استمداد قوة وتأثير الحب، حيث إنه أوجد لنفسه مكانًا بمجرد التخيل.

ولا تقف القوة والتأثير للحب عند هذا المستوى فحسب، بل تتجاوز إلى أن من تخيل أن من يحب يشعر بالفرح أو الحزن، شعر هو الآخر بالفرح أو الحزن، وتكون شدة هذين الانفعالين لدى العاشق بقدر ما تكون عليه لدى المعشوق[(٢)]، فالمحبوب يكون سببًا في نشوء الفرح والحزن عند من يحب، ويبلغ مستوى الفرح والحزن عند المحبوب، ومن يحبه المستوى نفسه، وذات القدر، وكل هذا الربط وتلك القوة والتأثير تشير إلى المكانة التي يوليها أصحاب هذه النظرة للحب.

ويستمر تأثير الحب وقوته عند أهل هذا المنحى، فيرون أننا إذا تخيلنا أن شخصًا ما يفرح بالشيء الذي نحب، شعرنا نحوه بالحب، وعلى العكس، إذا تخيلناه يحزنه، شعرنا نحوه بالكره[(٣)]، وهذا مستوى أعلى

---

(١) علم الأخلاق، باروخ سبينوزا، (ص: ١٦٧).

(٢) ينظر: المرجع السابق، (ص: ١٦٨).

(٣) ينظر: المرجع السابق، (ص: ١٦٩).





من المستوى الأول الذي يشير لطغيان الحب على الشعور بمجرد التخيل، فالحب هنا يكون له سلطة أقوى وتأثير أكبر من خلال جعله مقياسًا لحبنا للناس وكرهنا لهم.

وقد استنتجتُ من خلال ما تم سوقه من مبررات أصحاب هذا التوجه ازدواجية في النظرة لمكانة المحبة، فهناك نظرة إيجابية من جهة، وهناك من الجهة الأخرى نظرة سلبية.

فالإيجابية تتمثل في كون الحب يمتلك تأثيرًا كبيرًا طاغيًا على الوجدان والشعور، متجاوزًا إلى التأثيرات والعلاقات بين المحبوب ومن يحبه، بالغًا مستوى أعلى يمكنه من أن يكون سلطانًا يشكل محبة الناس.

والسلبية تتمثل في ربط الحب بالكراهية أو أي معنى يفتقد من العلو والسمو في نفس الإنسان ما يمتلكه الحب، فالربط بين شيئين يعني تماثلهما أو بدرجة أقل يعني تقاربهما، وهذا التقارب بين شيئين ومعنيين متضادين كالحب والكراهية، هو في نظري إنزال المحبة درجة أقل مما ينبغي أن تكون عليه.

سادسًا: ارتباط المحبة بالميل، والإرادة الخيِّرة:

يربط بعض الفلاسفة المثاليين المحبة بالميل والإرادة الخيرة، ولا شك أن هذا الربط يُظهر جانبًا من مكانته التي ترتبط بأهم الجوانب الإنسانية الحاضرة بشكل مستمر مع الإنسان.

وممن يبين هذا الربط: الفيلسوف إيمانويل كانط، حيث إن الإنسان من وجهة نظره يملك بالطبيعة ثلاثة ميول أساسية:

١- الميل الحيواني، وهذا الميل يشتمل على الرغبة في حب البقاء، واستمرار النوع والحياة مع الأخرين.

وهنا يظهر الربط بين الحب والميل، فاشتماله لحب البقاء واستمرار الحياة مع الآخرين يجعل هذا الربط وثيقًا، وهذا أحد جوانب مكانة المحبة بارتباطه بهذا النوع من الميل.

٢- الميل الإنساني، وهذا الميل يشتمل بصفة خاصة على الرغبة في المساواة مع الآخرين أو التفوق عليهم، وهذا الجانب هو الذي يصنع الحضارة والثقافة.

وهنا نرى استمرار ربطه للمحبة بالميل، ولكن هذا النوع ومعه النوع الأول يعتبران توجها سلبيين من الفيلسوف إيمانويل كانت حيث سيأتي ربطه للنوعين بالشر.

٣- الميل لبناء الشخصية، وهذا الميل يشتمل على الإرادة الخيرة والكمال الخلقي.

ويظهر هذا النوع المحبة بمكانة ظاهرة عن ربطها بالميل فقط، فهو هنا يربطها بالإرادة الخيرة والحسنة، وهذا أحد مظاهر مكانة المحبة الإيجابية لدى إيمانويل كانط.

أما بالنسبة لجانب الخير والشر في الطبيعة الإنسانية، فمن خلال تحليل «كانط» لهذه الطبيعة فإنه يرى أن الميل الحيواني والإنساني هما مبعث الشر في الطبيعة الإنسانية، أما الميل الذي يشمل الإرادة الخيرة





فهو الذي يمثل الجانب الخير في الإنسان[١]، وعلى هذه الرؤية التي يذهب إليها فإنه ينظر للمحبة بنظرة ازدواجية، فتارة يجعلها في مكانة سلبية بربطها بالميل الحيواني والإنساني اللذان يرتبطان ببعث الشر في الطبيعة الإنسانية، وتارة يجعلها في مكانة إيجابية بربطها بالميل الذي يشمل الإرادة الخيرة.

أما عن جانب النظرة الخيرة عند كانط، فإنه يرى أنها تشكل جانبًا هامًّا من جوانب فلسفته المثالية، فهو يعدها الدعامة الأساسية لكل (أخلاقية)، باعتبارها الشيء الوحيد الذي يمكن أن يكون خيرًا في ذاته، كونها لا تستمد خيريتها من المقاصد التي تحققها أو الغايات التي تعمل من أجلها، بل من باطن ذاتها باعتبارها الشرط الضروري الكافي لكل أخلاقية[٢].

واقتصار نظرة كانط على مجرد الفكرة الجيدة والنية الطيبة وتقوقع الخير داخل الإنسان وتعذره في الخارج، أو عدم الاهتمام بنتائج وغايات العمل، يعتبر محل نقد للفلسفة المثالية، فالإسلام يهتم بالنية الطيبة والحسنة كاشتراط نية الصيام من الليل وعدم الاكتفاء بها، بل لا بد من تطبيق الصيام والإمساك عن المفطرات الحسية والمعنوية عمليًّا، كما أن الإسلام لم يغفل جانب الحكمة من الصيام وهي التقوى قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٨٣]، وكذلك المحبة فالظاهر من نظرة كانط في هذا النحو أنها أفكار ومشاعر داخلية بغض النظر عن خروجها عمليًّا في السلوك، وعدم الاهتمام بأثرها على المجتمع.

سابعًا: علاقة المحبة بالزواج، وتشكيل المجتمع:

تظهر مكانة المحبة ببيان علاقتها بالزواج واستمرار الحياة الإنسانية، وتكمن المكانة في أن الزواج يعني الاستمرارية في الحياة، واستمرارية الحياة قد تكون في هذه الحالة إحدى نتائج المحبة.

ويبرز هذا المعنى في الفلسفة المثالية عند الفيلسوف (هيغل)، فهو في توجهه لصياغة مفهوم المحبة يجعل هذا المفهوم ضمن سياق أنه اكتشاف الإنسان لنفسه وللآخر، وميل للاتحاد به، من حيث إنه هو شعور الفرد بأنه متحد مع الآخر.

وينفي هيغل مقولة أن العشق كافٍ لإقامة الزواج وحده، ولكن العشق عنده مهم للزواج لكنه لا يمكن القول بأنه يكفي لإقامته، وسبب ذهابه لهذا الرأي: أنه يرى أن الميل والرغبة يجب أن يرادفهما

(١) ينظر: المثالية الكانتية وأبعادها التربوية (دراسة في فلسفة التربية)، د. صابر جيدوري، مجلة جامعة دمشق، المجلد السابع والعشرون، العدد الأول والثاني، ٢٠١١م، (ص: ٤٥٧ -٤٥٨).

(٢) ينظر: مشكلات فلسفية (المشكلة الخلقية)، د. زكريا إبراهيم، دار مصر للطباعة، مصر، (ص: ١٦٥)، المثالية الكانتية وأبعادها التربوية (دراسة في فلسفة التربية)، د. صابر جيدوري، (ص: ٤٦١-٤٦٢).





الوجدان، وهذا يتطلب أن يكون هناك إرادة لتنمو هذه الرغبة إلى صلة عقد، وعند هذا المستوى من العلو تبلغ فكرة الحب أوجها وذروتها باعتبار الزواج استمرار الحياة الإنسانية.

ومن خلال الزواج يتشكل كل شيء يقوم عليه المجتمع، فمن خلاله تتشكل الأسرة، والأسرة ليست التطور الوحيد الذي يمكن الوقوف عند حده، بل إن هذه الأسرة تنمو وتتطور لتشكل مجتمعًا، وهذا المجتمع إنما يكون مجتمعًا متماسكًا على مستوى عالٍ من الروابط القوية التي اتحدت في ظل قوة واحدة ذات هيمنة وسيادة، وكل هذا التطور والنمو يصل إلى أوجه وأعلى مراحل صوره في تشكيل ما يسمى بالدولة[١]، والراصد لذلك التطور الحادث في منشأ النظرة عند (هيغل) يجد العلاقة القوية بين الحب والزواج وأثرهما الفاعل في تشكيل المجتمعات وإقامة الدول.

وامتدادًا لنظرة (هيغل) هذه، فإن الحب بصفة عامة عنده هو: شعور الفرد بأنه متحد مع آخر[٢]، ولعله يذهب إلى أن الزواج هو الصورة العليا للحب من خلال رؤيته لمفهوم الحب، وعلاقة الاتحاد -الذي فسر فيه الحب- بالزواج والأسرة الواحدة.

ويظهر التعريف هذا في أوجه صورة في الزواج، ففي الزواج يلغي الشخصان شخصيتها المستقلة ويصبحان شيئًا واحدًا، والواقع أن الأسرة ينبغي أن ينظر إليها كلها على أنها كائن واحد لا يكون أعضاؤه شخصيات مستقلة ما داموا لم ينفصلوا وينتشروا في العالم ليؤسسوا عن طريق الزواج أسرة جديدة؛ ولهذا السبب نجد أن زواج أشخاص من دم واحد -كالإخوة مثلا- زواج غير أخلاقي؛ لأن ماهية الزواج تكمن في أن شخصين مستقلين، يلغيان استقلالهما، وحينما يصبح ذلك مستحيلًا، كما هو الحال في أعضاء الأسرة الواحدة على اعتبار أنهم ليسوا أشخاصًا مستقلين، فإن فكرة الزواج لا يمكن أن تتحقق[٣]، وهذا التوجه منه يعزز مكانة المحبة الأصلية، حيث يعتبر أن الزواج إنما يحدث حينما تبلغ المحبة أوجها وذروتها.

ويوجه (هيغل) نقدًا لاذعًا للحب الرومانسي، وهو الذي لا يكون الزواج فيه هو الصيغة الإلزامية والوجودية لاتحاد الرجل والمرأة، فيقول: «إن مراسم عقد الزواج هي أمر لا لزوم له، وهي عبارة عن ناحية شكلية، كان من الممكن الاستغناء عنها؛ نظرًا لأن الحب هو الجوهري»، ويرى (هيغل) أن الزواج هو أساس الحب وليس الحب أساس الزواج[٤]، وتظهر مكانة المحبة عند (هيغل) في الأسس التي وضعها له، فأهم الأسس للحب عنده هي:

---

(١) ينظر: الحب عند هيغل، د. منذر شباني وهانيا بهجت مهنا، (ص: ٤٣٥).

(٢) ينظر: فلسفة الروح (هيجل)، ولتر ستيس، (٢ /٩٥).

(٣) ينظر: فلسفة الروح (هيجل)، ولتر ستيس، (٢ /٩٥-٩٦).

(٤) ينظر: الإيروس والثقافة (فلسفة الحب والفن الأوروبي)، فياتشيسلاف شستاكوف، (ص: ١٩٦).





١- أن الحب اتحاد بين غايتين.

٢- نفيه أن الحب نزوة أو شهوة.

٣- وصفه الحب بأنه (اكتمال ومشاركة) باعتباره وعيًا لِذَات أخرى، وباعتباره نداء للاتحاد بها.

٤- في الزواج تبلغ فكرة الحب أوجها واكتمالها.

٥- للحب إرادتان، جزئية وكلية، فالجزئية هي الجانب العاطفي بين الرجل والمرأة، ولا يتحقق للحب كليته حتى يندمج مع الإرادة الكلية وهي الرغبة في تكوين أسرة والاستعداد للاتحاد في شخصية واحدة والتنازل عن الأنانية.

٦- يشدد على أنه لا بد من الإنسان قبل الزواج أن يكون مستعدًا للتنازل عن الأنانية؛ لأنه سيتحد مع زوجه في شخصية واحدة.

٧- يقوم الحب عنده على أساسين، الأول: المشاركة، الثاني: الاتحاد مع الآخر[1].

وكل ما ذهب إليه (هيغل) من مفهوم الاتحاد والزواج وتشكيل المجتمع والدولة، إنما منشؤه ومبدؤه هو الحب، فالحب يأخذ مكانة كبيرة وتأثيرًا عميقًا من خلال هذه النظرة.

ثامنًا: النظرة الساخرة للمحبة:

يظهر توجهٌ عند بعض الفلاسفة المثاليين إلى النظر إلى المحبة بنظرة العين الساخرة، وقد يظهر هذا التوجه في كثير من صوره في روايات الفلاسفة المثاليين لقصص الحب، فهم يضفون على محتوى تلك القصص معاني تقترب بشكل كبير من السخرية.

ويتضح هذا حينما يصف الفيلسوف (كروتشه)[2] حب (أوجو فوسكولو)[3] -وهو شاعر وناقد قصصي إيطالي- للكونتيس آريز، حيث كان له معها مغامرات، ويتساءل ما هو هذا الحب؟ وأي امرأة هذه المرأة؟ حيث كانت تلك المرأة دنياه، حتى أخذته حرارة الإعجاب أن يريد جعلها آلهة خالدة، ويبين

---

(١) ينظر: الحب عند هيغل، د. منذر شباني وهانيا بهجت مهنا، (ص: ٤٣٧).

(٢) هو بنديتو كروتشه فيلسوف ومؤرخ وناقد إيطالي، ولد ٢٥ فبراير ١٨٦٦م، كان مهتما بالسياسة وانتخب في مجلس الشيوخ، كما كان متأثرًا بشكل واضح بمعلميه الفيلسوف هيغل وفيكو، وله العديد من الأعمال الأدبية والفلسفية منها: «فلسفة الروح»، و«التاريخ كفكر وكفعل»، و«نظرية علم التاريخ وتاريخه». وتوفي في نابولي في ٢٢ نوفمبر ١٩٥٢م. ينظر: معجم الفلاسفة (ص: ٥٢١).

(٣) هو أوغو فوسكولو، شاعر وناقد وكاتب قصصي إيطالي. ولد في زانت في الجزر الأيونية القريبة من ساحل اليونان الغربي عام ١٧٧٨م، وتوفي في تُرنام غرين القريبة من لندن عام ١٨٢٧م. ينظر: موقع الموسوعة العربية: http://arab-ency.com.sy/detail/٨٨٩٤.





أن هناك رغبة قوية جعلت (فوسكولو) يحل هذا الحب إلى هذا المستوى (بإنزال محبوبته منزلة الآلهة والخلود)، وهذه الرغبة صورت محبوبته في ذهنه بتلك الصور التي سمحت له بوصفها في صورة غنائية.

ويبين (كروتشه) في سياق القصة أن (فوسكولو) كان يرجع إلى صوابه أحيانا من هذا الحب ويبصر الحقيقة، فيتساءل ماذا أراد في الواقع؟ وبأي امرأة تغنّى؟ فيهزأ أحيانا بها، ويسخر أحيانا من نفسه، وما كان له أن يمر بحالة التبصر هذه لولا أن فكره كان أكثر سذاجة[1]، ووصفه بأن المحب إذا رجع إلى صوابه يكتشف بأن الحالة التي كان عليها من الحب هي حالة ساذجة، يبين النظرة السلبية التي تسخر من الحب.

وبالتعمق والتحليل في تلك الرواية للفيلسوف كروتشه، فإني أستنتج من نظرته للحب في ثنايا القصة جملة من الأمور:

١- اعتباره أن حالة غير منطقية تعتري الإنسان؛ لذا فهي تكون في عالم آخر غير واقعي.

٢- تنقُّل المحب من حالته الطبيعية إلى حالة تخيلية غير واقعية، وعلى هذا فليس عند (كروتشه) محبة طبيعية.

٣- الحب هو حالة غير اتزان حيث صور (فوسكولو) محبوبته بالآلهة، وذاك أنه يكون في مرحلة غير مرحلة الدنيا الواقعية التي نعيشها.

٤- النظرة المثالية للحب تؤدي لا محالة إلى الخلط بين المحبة الإلهية مع المحبة الطبيعية.

٥- النظرة السلبية إلى الحب العاطفي واعتباره (عبثًا) وخروجًا عن الحياة العملية.

٦- اعتبارُ التخلص من عاطفة الحب قمةَ التبصر والنزول للواقع العملي.

وهذه الاستنتاجات تجعل النظرة السلبية الساخرة من الحب أكثر وضوحًا وجلاءً، وهي تعبر عن إحدى مظاهر النظرة السلبية للمحبة عند الفلاسفة المثاليين.

تاسعًا: دور حب الذات في إنتاج المحبة للآخرين:

لحب الذات مكانة مرصودة داخل أفكار الفلاسفة المثاليين، ومشاهدة في توجيههم للدوافع التي من شأنها الإنتاج، والإنتاج المقصود غير محصور على الأشياء المادية، فكما نعرف أن الفلاسفة المثاليين لا ينزعون للمادية بل يقفون في سياق نفيها عند بعض الفلاسفة الذين يؤيدون منهج المثالية المطلقة القائمة على إلغاء المادة وتأثيرها، وإثبات المثل داخل الذهن فقط؛ لذا فإن أحد أوجه الإنتاج المقصودة في هذه النقطة، هي إنتاج الحب وصرفه للآخرين.

---

(١) ينظر: المجمل في فلسفة الفن، بندتو كروتشه، ترجمة: سامي الدروبي، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م، (ص: ٨١-٨٢-٨٣).





ويتجه الفيلسوف (أيريك فروم) إلى هذا الاتجاه على الخصوص، فهو يرى أن تأكيد حياةٍ تقوم على الحب في الرعاية والاحترام والمسؤولية والمعرفة، لها أكبر الأثر في زيادة قدرة الإنسان، ويربط إنتاج المحبة من قِبل ذات الفرد وصرفها للخارج بكون الفرد يبدأ من محبة نفسه، فكلما كان الفرد قادرًا على حب نفسه وتقديرها وإنزالها المكانة العالية السامية، فإن قدرته على إنتاج الحب تسير في نفس السياق، فتزداد هي أيضًا وتكون في خط متوازٍ مع حب الذات، وإذا استطاع الفرد ألا يحب سوى الآخرين فقط، فإنه لا يستطيع أن يحب على الإطلاق[(١)]، ونفيه لإنتاج المحبة من الشخص الذي لا يحب نفسه، وربطه الوثيق بها، يبين العلاقة التي تجمع بين حب الذات والدافعية والإنتاج في المحبة.

عاشرًا: وصف الحب بالمثل الأعلى:

يأتي مفهوم المحبة الشمولي في الفلسفات المثالية على أنها: قوة كونية شمولية، تجمع في كلٍّ واحد، الإنسان والطبيعة، والمثل الأعلى والواقع، والروحي والحسي، ويتمثل الحب في الأدب بطبيعته الروحية والمثالية، ويمكن أن يعبر عن نفسه في حب واقعي أرضي[(٢)]، ومع الواقعية الأرضية التي يجعلها بعض الفلاسفة المثاليين ممكنة إلا أن هذا لا يؤثر أبدًا على ربطهم الأصلي الذي يتجه لجعل الأخلاق مرتبطة بالمثل الأعلى.

ويشتمل مفهوم الحب عادة على السعي الدائم نحو الْمَثل الأعلى الحقيقي، وحالة العشق الدائم، والركوع الصوفي أمام المبدأ الأنثوي[(٣)]، وهنا يتبين من اشتمال الحب على السعي نحو المثل الأعلى ارتباطه به.

ويظهر بادئ ذي بدء اشتمال هذا التعريف على الجانبين (الروحي والواقعي)، ولكنه في الحقيقة ينزع إلى الجانب الروحي أكثر منه للواقعي؛ لأنه يرى أن الحب لا يتمثل في الواقع إلا من خلال الأدب، كما أن ألفاظه تنزع إلى الجانب الروحي، مثل (المثل الأعلى، العشق).

وكل هذه الجوانب الروحية المعنوية الداخلية تسير في إنزال المحبة مكانة توازي مكانة المثل الأعلى، حيث إنها تسعى للوصول إليه، فإذا افترضنا أنها وصلت إليه فإنها في هذه الحالة ملتحمة به، ولا يمكن انفكاكها وفصلها عنه؛ لأنها لم تصل إليه إلا من خلال سعيها لأن تتصف به.

ويعتبر بعض الفلاسفة المثاليين أنَّ الحب ذو طبيعة وسط بين الآلهة والبشر، وأن أعلى مراتبه: الحب الروحي، وأدناها: الحب الجسدي، ويعرف الحب العقلي بأنه: تزاوج عقلين راقيين بريء عن أي نزعة

---

(١) ينظر: فن الحب (بحث في طبيعة الحب وأشكاله)، أريك فروم، (ص: ٥٧).

(٢) ينظر: الإيروس والثقافة (فلسفة الحب والفن الأوروبي)، فياتشيسلاف شستاكوف، (ص: ١٩٨).

(٣) ينظر: المرجع السابق، (ص: ٢٠٢).





حسية، كحب الرجل للرجل، ففيه تَرَفُّع عن الحب الجسدي، وهو وحده الكفيل بقيام مشاركة بينهما طول الحياة[1].

والمتأمل في هذا الاعتبار يظهر له طغيان الجانب الروحي العقلي على الجانب المادي الجسدي؛ وذلك أنه يرى أن أعلى مراتب الحب: الحب الروحي. وأدناها: الجسدي.

فالحب الروحي مرتبط بالآلهة وبعيد كل البعد عن الحب البشري، وعلى هذا فإن اتصافه بالآلهة هو أحد مظاهر مكانته عند المثاليين.

ربط مكانة الحب بالتعريف الإجرائي للمحبة في الفلسفات المثالية:

تظهر مكانة المحبة في الفلسفة المثالية من خلال التعريف الإجرائي لها، فألفاظ التعريف تدل دلالة ظاهرة على وجود الألفاظ التي تنظر للحب بالقدسية الروحية؛ لذا كان من مكانته عندهم إطلاق لفظ (القدسية) عليه.

كما أن وصف الحب في التعريف بالذاتية يبين استقلاليته عن العلل النفسية الأخرى وأنه قائم بنفسه، ويظهر كذلك من خلال التعريف قضية توليد المحبة من كل الأشياء، كونه ينتج من وتجاه كل شيء تقريبا، كما أن وجود الحب الجسدي في التعريف يتم توجيهه في الفلسفة المثالية إلى تقارب انفعال الحب من انفعال الكراهية.

ويشير وصف الحب بأنه (قوة) إلى أحد جوانب المكانة التي يصفون الحب بها.

كما أن ذهاب الحب باتجاهات مختلفة ومنها الاتجاهات الخيِّرة والحسنة، يبين ارتباط المحبة بالميل والإرادة الخيِّرة، ويفيد لفظ (الاتحاد) أنَّ مكانة الحب يمكن استخلاصها من علاقته بالزواج وتشكيل المجتمع، ويشير كذلك إلى دور الحب الذاتي في إنتاج المحبة للآخرين.

كما يظهر من خلال التعريف أن التعبير عن الحب قد يكون من قِبَل الأدب والشعر، وهو ما يبرر النظرة الساخرة للمحبة التي جاءت من خلال الأدب الروائي وغيره من أصناف العلوم التي قد تنظر للمحبة من هذه الزاوية.

كما أن وصف الحب بالمثل الأعلى يعتبر أحد مظاهر مكانة المحبة المتمثلة في التعريف الإجرائي المختار في هذا البحث.

---

(١) ينظر: الحب عند هيغل، د. منذر شباني وهاني بهجت مهنا، (ص: ٤٣٧).





العلاقة بين مكانة المحبة، ومفهوم المثالية:

تتمثل العلاقة بين مكانة المحبة في الفلسفة المثالية، وبين مفهوم الفلسفة المثالية العامة في جملة من النقاط، ومنها:

١- جعل لفظ المثل الأعلى كأحد مظاهر مكانة المحبة في الفلسفة المثالية، والمثل الأعلى كما سبق ذكره في الفلسفة المثالية يعني النموذج أو صورة الشيء في منتهى الكمال، والمثل الأعلى في المحبة هو كمال العاطفة أو أسماها وأعلى مراتبها؛ لذا فإن الفلسفة المثالية تولي المحبة مكانة من هذا الجانب لأنها تسعى وتلتحم بهذا المثل الأعلى، كما تم اشتقاق الفلسفة المثالية من النموذج والمثال، الذي يكون صورة الشيء في منتهى الكمال، وهو ما ذُكر في المكانة بأنها يتم استمدادها من وصف شعور المحبة بأنه موجه تجاه شيء معين لاعتقاد فضله وخيريته.

٢- كما يظهر ارتباط مكانة المحبة بالذاتية، وأنها إذا تحققت فإن ما سواها يمكن تحقيقه بناء عليها، وهذه إحدى سمات الفلسفة المثالية التي ترتكز على الروح الداخلية للإنسان، والذاتية داخل الذهن.

ومما يجلي علاقة مكانة المحبة بمفهوم الفلسفة المثالية، أن الفلسفة المثالية ترى أن العالم ليس ظاهرة طبيعية، وإنما هو من صنع العقل، وهو ما برز في الألفاظ التي تشير إلى التفاعلات العقلية الداخلية مثل: (قوة، ذاتية، إنتاج داخلي)، وغيرها من الألفاظ.

٣- ومما يمكن أن نربط به المكانة بالفلسفة المثالية: أنَّ الفلسفة المثالية تعامل الروح باعتبارها الأساسَ في الواقع الذي نعيشه؛ لذلك اشتملت المكانة على التحام الأمور المادية بالجوانب الروحية، مثل: الزواج والنظرة التي يمكن جعلها أحد مظاهر مكانة المحبة، ومثل أن الحب هو أساس تشكيل المجتمع، والأساس الذي من أجله تشكلت الدولة.





المبحث الثاني: مكانة المحبة في الفلسفات الواقعية

تولي الفلسفة الواقعية المحبة مكانة مختلفة عن تلك المكانة في الفلسفة المثالية، ويظهر الاختلاف بالتقابل الذي حدث بين نظرة المثالية العامة، وبين النظرة الواقعية، إذ أن الفلسفة المثالية تحاول أن تجعل المحبة باقية في الذهن غير منفصلة عنه، وتُرجع كل مسببات التأثير في المحبة إلى الأمور الداخلية الشعورية النفسية، بينما تقابلها الفلسفة الواقعية النظرة للمحبة من خلال تقديم المحبة كمظهر خارجي محسوس يمكن رؤيته ومعاينته بالعين المجردة، بل إنه يمكن صنعه بشكل اختياري إرادي، كما تبرز اشتقاق المحبة من واقعنا المادي المحسوس.

ومن خلال الرصد والبحث عن مكانة المحبة في الفلسفة الواقعية، خلصتُ إلى أن مكانة المحبة يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

أولًا: تقديم المحبة كمظهر خارجي.

ثانيًا: تصوير المحبة بالرسومات، والأشكال.

ثالثًا: معاكسة النظرة المثالية للمحبة.

رابعًا: استقلالية المحبة، وقيامها بنفسها.

خامسًا: أثر المحبة على حركة الإنسان.

سادسًا: دور المحبة في صنع الأفكار.

سابعًا: اشتقاق المحبة من الواقع المحسوس.

ثامنًا: مراعاة المحبة الواقعية.

تاسعًا: تعدد اتجاهات دراسة المحبة.

عاشرًا: قيام بعض الفلسفات الواقعية على الحب.

الحادي عشر: اعتبار المحبة مركزًا لكل الأشياء.

الثاني عشر: ربط الحب بمراحل تطور المعاني.

الثالث عشر: دور المحبة في بناء المجتمع.

وسأقوم -مستعينًا بالله- ببيان كل نقطة وعلاقتها بالمكانة.





أولًا: تقديم المحبة كمظهر خارجي:

إن من أبرز الأسس التي تؤمن بها المدرسة الواقعية وتجعلها أساسًا تقوم عليه كثير من الأفكار والتوجهات التي تنتسب إليها هو الإيمان بالوجود في الخارج؛ لذا فهي تقدم وجود الأشياء في الخارج على تصور الذهن لها، فلا يتوقف وجود هذه الأشياء على إدراك العقل لها فحسب، بل على ما يحيط بها من أشياء، وانتمائها لبعضها، ووجودها في الطبيعة، أو الكون[1]، وعلى هذا الأساس الواقعي، فإن مكانة المحبة يمكن استنتاج موقعها من هذا التوجه من خلال الآتي:

١- لا تقتصر المحبة في المدرسة الواقعية على مرحلة النشأة داخل الشعور والوجدان فقط، بل هي تنزل إلى الواقع بشكل كبير جدا، وهذا المنطق نابع من الرؤية العامة للفلسفة الواقعية التي تؤمن بالخارج والوجود أكثر من الداخل.

٢- إن من يتطرف في المدرسة الواقعية ويتبنى توجهاتها بشكل مغرق في الواقعية والوجود يذهب إلى أن نشأة المحبة قد تكون من الخارج والواقع والأشياء وليس من الداخل والشعور، وعلى هذه النظرة فإن الشعور والوجدان هما مرحلة متأخرة من مراحل تكون المحبة.

٣- تعظيم أثر الأشياء التي تحيط بالإنسان في الخارج، وجعل تأثيرها هو الأصل في تشكل ذهن الإنسان وانفعالاته ودوافعه؛ لذا فإذا أجرينا هذا التصور على المحبة فإن النتيجة ستتوجه إلى إبراز مكانة الأشياء المحيطة بالإنسان في التأثير على المحبة ونشأتها وتوجهاتها.

وبناء عليه فإن مكانة المحبة في الفلسفة الواقعية بناء على هذه النظرة الأساسية في أفكار الواقعية تتجلى في وجودها في الخارج، وتبين كذلك أثر الأشياء المحيطة بالإنسان على الصفات التي تصدر من الإنسان كالمحبة وغيرها، بل وتلعب دورًا كبيرًا في تشكيل تلك الصفات وتكونها في الذهن.

ثانيًا: تصوير المحبة بالرسومات، والأشكال (الفن التشكيلي):

تتباهى الفلسفة الواقعية بأنها جعلت المحبة في موقع يليق بها، وهذا الموقع هو الخارج المحسوس المشاهد، وتحاول الواقعية تصوير المحبة في الخارج بأوسع معاني الواقعية المحسوسة المشاهدة، وقد بلغت هدفها من خلال المحبة.

والمتأمل في سعي الفلسفة الواقعية لجعل المحبة أحد الصفات والمعاني التي تتباهى بتفوقها بها على الفلسفة المثالية، هو أنهم أغرقوا في تحييد المحبة لنظرتهم، فلم يكتفوا بظهورها في الواقع على شكل سلوك

---

(١) ينظر: منزلة الإنسان ووجوده في المذاهب الفكرية المعاصرة (دراسة نقدية في ضوء الإسلام)، محمد عطا محمد أبو سمعان، (ص: ٨٢)، الموسوعة العربية الميسرة، محمد شفيق غربال، (ص: ١٩٤٠).





عملي مشاهد، بل جعلوا هذا الواقع يظهر على شكل محسوس ملموس يمكن تحسسه ولمسه باليد، بل هو يتعدى إلى ذلك فهو من صنع يد الإنسان.

وتظهر مراحل هذا التباهي في المحبة في المدرسة الفنية الواقعية، فقد نشأت المدرسة الواقعية الفنية أواسط القرن التاسع عشر، حيث ظهرت في الفن الأوروبي على شكل مدرسة جديدة في الرسم، ومؤسسها غوستاف كوربي[١]، حيث أصبحت الحياة اليومية والواقع الحياتي والنماذج الواقعية في ظروف واقعية هي مواضيع هذه المدرسة، وعبرت هذه المدرسة عن الحب من خلال الرسومات الجنسية، وسعت هذه المدرسة إلى إلغاء النزعة المثالية والاتجاه إلى الواقعية الصارمة من خلال رسم الجسم العاري للمرأة، وقد اتجه بعض هؤلاء الفنانين الواقعيين إلى الحب من خلال حب (الإيروس) كرسم اللوحات التي تحتوي على مواضيع ورسوم كلاسيكية -غير واقعية- ومعالجتها بطريقة فنية واقعية، وكذلك صور بعضهم الآلهة في رسوماته[٢]، وهذا الإغراق في تصوير المحبة وجعلها مثالًا للواقعية الصارمة، واستعمالها كمبرر محسوس تجاه إلغاء المثالية تمامًا، يظهر مكانة المحبة في الفلسفة الواقعية.

ولجعل الأمر أكثر بيانًا لمكانة المحبة في الفلسفة الواقعية، يمكن رصد مظاهر تلك المكانة من خلاله في جملة من الأمور، وهي:

١- نشوء المدرسة في قرون متأخرة، حيث إن الفلسفة المثالية كانت سائدة قبلها بوقت كبير، فكان نشوء المدرسة يعبر عن ردة فعل معاكسة تجاه المثالية، ويبين كذلك الرفض التام لبقاء المحبة في المثال الذهني.

٢- اتخذت المدرسة الفنية الواقعية سبيلًا لتثبيت أقدامها وتقديم حججها والوقوف في وجه الفلسفة المثالية من خلال الاتجاه للحياة اليومية، حيث أصبحت الحياة اليومية والواقع الحياتي والنماذج الواقعية في ظروف واقعية هي مواضيع هذه المدرسة، وهي تسعى من خلال هذا التوجه إلى إبراز المحبة داخل الحياة اليومية ورصدها على شكل صور ورسومات تعبر عن المواقف التي تحدث داخل مفاصل الحياة اليومية.

(١) هو جين ديسير غوستاف كوربيه، رسام فرنسي أسهم في تأسيس الحركة الواقعية في الفن، ولد سنة ١٨١٩م في أورنانس قرب بيسانسون. وتعاطف كوربيه مع الحركات الثورية التي كرست جهدها لإنهاء الملكية الفرنسية. وأصبح عضوًا في اللجنة الثورية التي حكمت المدينة لفترة قصيرة في ١٨٧١م، وبعد سقوط اللجنة سجن كوربيه، وعوقب لنشاطه السياسي، ونفي في عام ١٨٧٣م إلى سويسرا، مات سنة ١٨٧٧م. ينظر: الموسوعة العالمية (٢٠/ ١٨٣).

(٢) ينظر: الإيروس والثقافة (فلسفة الحب والفن الأوروبي)، فياتشيسلاف شستاكوف، (ص: ١١٩-١٢٠).





٣- التوجه لتصوير المحبة على شكل صور ورسومات تظهر جانبها الواقعي اليومي المعيش، يبين مكانة المحبة التي يوليها أصحاب هذه المدرسة لها، فهم يرونه أحد المظاهر التي يسقطون بها التصور الفلسفي المثالي الذي ينزع إلى بقاء المحبة في المثال والذهن.

٤- لا تنفك المدرسة الواقعية في تصوير المحبة في الحياة اليومية وربطها بالمحبة من خلال الجنس، فقد عبرت هذه المدرسة عن الحب من خلال الرسومات الجنسية، وهذا يفسر تبني الفيلسوف (فرويد) نظريةَ الجنسِ كدافع للمحبة على شكل صور واقعية محسوسة ملموسة مشاهدة.

ثالثًا: معاكسة النظرة المثالية للمحبة:

يتبين مظهر من مظاهر مكانة المحبة في الفلسفة الواقعية ببيان وقوفها المضاد للفلسفة المثالية، فالفلسفة الواقعية بشكل عام هي محاولة تهدف إلى تصوير الحياة الطبيعية بأوسع معانيها، وإظهارها في الخارج بآثارها وعللها ونشوئها وتكونها، وترفض أن ترفع الواقع إلى مستوى المثال، وهنا يكمن التقابل أو ردة الفعل التي جعلت الواقعية تنزع إلى الخارج، وتقف في وجه النظرة المثالية، وتكشف عن الشرور والآثام التي تكمن في النفس البشرية بصورة ظاهرة محسوسة[١]، ومن خلال هذا التقابل يتجلى مظهر من مظاهر مكانة المحبة في الواقعية، وسأبين هذا المظهر بمحاولة إبرازه على شكل سلسلة مرحلية، مبينًا فيها مكانة المحبة وموقعها بين المراحل، وتتلخص تلك المراحل في الآتي:

١- تبرز الفلسفة الواقعية المحبة بشكل يقف في الضد تمامًا للفلسفة المثالية، وتزعم أنها تنهج النهج الصحيح في إنزال المحبة مكانتها الصحيحة.

٢- تنتقد الفلسفة الواقعية مبادئ الفلسفة المثالية التي تجعل الواقع داخل الذهن في المثال، فهي ترفض أن ترفع الواقع إلى مستوى المثال، وتُبقي الواقع في أوسع صوره دون إدخاله في الذهن، بل إن الذهن يتشكل من هذا الواقع، وعليه فإن مكانة المحبة تكون في تشكلها في الخارج بأوسع الصور والمشاهدات والمحسوسات الخارجية، وتقدم الواقعية مكانة المحبة بهذه التصورات الخارجية.

٣- بما أن الفلسفة الواقعية تتبنى الرؤية الخارجية للأشياء، فهي حتمًا تكشف عن الشرور والآثام التي تكمن في النفس البشرية بصورة ظاهرة محسوسة، بعكس الفلسفة المثالية التي تُبقي الشرور داخل الذهن، وتجعل معظم مراحل تكون الشرور فيه.

٤- تبني الفلسفة الواقعية الشرور كصورة مشاهدة محسوسة، يجعلها حتمًا تتبنى الخير وجميع المعاني المجردة المختلفة كذلك، وعلى هذا فالمحبة يتم إنزالها في هذه المكانة.

---

(١) ينظر: منزلة الإنسان ووجوده في المذاهب الفكرية المعاصرة (دراسة نقدية في ضوء الإسلام)، مُحَمَّد عطا مُحَمَّد أبو سمعان، (ص: ٨٣)، دراسات في النقد الأدبي المعاصر، د. مُحَمَّد زكي، (ص: ١٧٧-١٧٩)، الموسوعة العربية الميسرة، مُحَمَّد شفيق غربال، (ص: ١٩٤٠).





رابعًا: استقلالية المحبة، وقيامها بنفسها:

تعد الاستقلالية أحد مظاهر مكانة المحبة التي يسعى إلى التدليل عليها أصحاب المدرسة الواقعية، حيث تنظر إلى القيم -ومنها المحبة- على أنها حقيقة موجودة في عالمنا المادي، وليست خيالًا أو تصورًا، وهنا يكمن النبذ الذي تنهجه الفلسفة الواقعية للنظرة المثالية القائمة على بقاء القيم داخل الخيال والشعور فقط.

واستمرارًا لهذه النظرة ترى الواقعية أن كل شيء فيه قيمته، فالقيم مستقلة عن الإنسان ومنبثقة من طبيعة الأشياء، ومرد هذه النظرة للأشياء: أن الأشياء في نظر الواقعيين حيادية، والمعنى الذي يفسرون به حيادية القيم، هو أنها ليست نافعة أو ضارة في حد ذاتها، والإنسان يستطيع أن يكتشف القيم باستخدام الأسلوب العلمي، والخطوات العلمية[(١)].

وعلى هذه النظرة الواقعية فإن المحبة تملك مكانة مستقلة عن الإنسان في المدرسة الواقعية، ولتحديد مظاهر هذه المكانة يمكن إجمال المظاهر الدالة عليها في الآتي:

١- التقليل من كون المحبة خيالًا أو تصورًا داخل الذهن، يبين مكانة المحبة وعمق تأثيرها، فالمحبة إذا ارتبطت بالخيال أو التصور ارتباطًا استراتيجيًّا -منه تنشأ وإليه تعود- يجعل أمر تبعيتها وعدم استقلاليتها وقيامها بنفسها في سياق التقليل من مكانتها.

٢- يزعم أرباب المدرسة الواقعية بأن المحبة إذا ارتبطت بالخيال والتصور كان أمر وجودها في عالمنا المادي أمرًا غير وارد الحدوث، مما يجعلهم يصفون تلك النظرة المثالية بأنها تتجه إلى نفي آثار المحبة، حيث إن هذه النظرة تؤدي إلى إلغاء أثرها في عالمنا المادي المحسوس.

٣- القول بإمكانية اكتشاف القيم باستخدام الأسلوب العلمي هو منهج واقعي يسير عليه أصحاب الفلسفة الواقعية، زاعمين أنهم يمتازون به عن الفلسفة المثالية، وعلى هذا فإنهم لا شك يقولون بأن القيم والصفات المجردة لا يمكن رصدها إذا نظرنا لها من خلال النظرة المثالية، فهي معدومة في واقعنا المادي المحسوس؛ لذا فهم يمتازون بأنهم يرصدون المحبة ونشأتها وآثارها بالخطوات العلمية والأسلوب العلمي الذي تقوم عليه مدرستهم وفلسفتهم.

٤- مجموع ما ذكرناه من النقاط التي تبين استعمال أصحاب الفلسفة الواقعية للمحبة كمظهر من المظاهر التي يستدلون بها على صحة ما يذهبون إليه من معتقدات فلسفية، يظهر مكانة المحبة في الفلسفة الواقعية، حيث يرون أنها إحدى الصفات التي تمثل البرهان والحجة لصحة أفكارهم.

---

(١) ينظر: القيم المتضمنة في مقرر التربية الإسلامية في المرحلة المتوسطة في ضوء إشكاليات ثورة الاتصالات بالمجتمع الكويتي، سالم يوسف الحسينان، (ص: ٣٥)، التربية وقضايا المجتمع المعاصر، حافظ فرج، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٣م، (ص: ٢٤٩).





خامسًا: أثر المحبة على حركة الإنسان:

انطلاقًا من المنهج الذي يذهب إليه أصحاب الفلسفة الواقعية القائم على النظرة المادية للقيم، فإن القيم تكتسب في المدرسة الواقعية قوة وأثرًا أكبر مما هي عليه في المثالية، فيرى أصحاب الفلسفة الواقعية أن القيم تعد معايير خلقية تحكم حركة الإنسان في عمومها، وهي نابعة من الواقع المعيش، والقول بأنها تحكم حركة الإنسان يعد مظهرًا من مظاهر المكانة التي تنزلها الفلسفة الواقعية للمحبة؛ لأنه يستنتج منها تحكم القيم والمؤثرات والصفات على حركة الإنسان، ويكون التأثير بتشكيل حركة الإنسان بناء عليها.

ومن ثَمَّ فهي متغيرة ونسبية ويمكن قياسها، ويرون أننا لو حددنا قيمًا كافية وشاملة ممثلة للناس، فإننا نستطيع أن نصل إلى مجموعة من القيم التي ينبغي ألا يخرج عنها الناس، وتكون هي القيم المطلقة، وللقيم عندهم سلم ثابت تحتل القيم العقلية والتجريبية الحسية أعلاه؛ وذلك لأنها تحقق نوعًا من التوافق(١).

وبناء على ذلك فإن النظرة الواقعية للقيم تتمثل في جملة من النقاط، يمكن إجمالها في الآتي:

١- القيم مطلقة ونسبية في آن واحد، بمعنى أنها ليست ثابتة دائمًا أو متغيرة دائمًا.

٢- أنها حقيقة موجودة في عالمنا المادي.

٣- أن مصدر القيم هو العقل، بمعنى أنه يمكن قياسها بالأسلوب العلمي، ولا يمكن أن تستمد من الحدس والإلهام.

٤- أنها معايير أخلاقية.

٥- للقيم سلم ثابت تحتل القيم العقلية والتجريبية الحسية أعلاه(٢)، وبناء عليه فإن هذه النقاط التي تمثل موقع القيم في الواقعية يمكن إجراؤها كذلك على المحبة.

وفي حال إسقاط هذه النقاط على المحبة تظهر المكانة التي تجعل المحبة في مكانة تجعلها تُحدِث آثارًا عميقة في الحركة الإنسانية، بل قد يذهب بعض أصحاب النظرة الموغلة في الواقعية بأن المحبة وغيرها من المؤثرات الناشئة من العقل هي من تشكل حركة الإنسان.

---

(١) ينظر: المعلم ورسالته في التربية الأخلاقية، مصطفى عبد القادر، جامعة عين شمس، ٢٠٠٠م، (ص: ١٦٩)، القيم المتضمنة في مقرر التربية الإسلامية في المرحلة المتوسطة في ضوء إشكاليات ثورة الاتصالات بالمجتمع الكويتي، سالم يوسف الحسينان، (ص: ٣٦).

(٢) ينظر: القيم المتضمنة في مقرر التربية الإسلامية في المرحلة المتوسطة في ضوء إشكاليات ثورة الاتصالات بالمجتمع الكويتي، سالم يوسف الحسينان، (ص: ٣٦)، القيم في العملية التربوية، ضياء زاهر، (ص: ١٣).





سادسًا: دور المحبة في صنع الأفكار:

يتجه بعض أصحاب الاتجاه الواقعي إلى دور المحبة في تسيير أفكار الإنسان والتأثير على غرائزه التي تشكل أساسًا لبناء تلك الأفكار.

ومن هؤلاء الفلاسفة الواقعيين الذين يرون هذا التوجه، الفيلسوف الفرنسي (إميل زولا)، فهو يرى أن الإنسان في جوهره حيوان تسيره غرائزه وحاجاته العضوية، وتأكيده على مبدأ العضوية والأعضاء يجعله يؤمن بأن كل شيء فيه يمكن تحليله.

وليست حياته الشعورية والفكرية والجسمية بمعزل عن هذا التحليل، فهو يرى أنها ترجع إلى إفرازات غددية، والإنسان يتخذ غرائزه الحيوانية أساسًا لأفكاره، وتقوم هذه الأفكار على الاهتمام بنقد المجتمع، وبحث مشكلاته بطريقة تحليلية عضوية.

ولا تغفل النظرة الواقعية التحليلية للمشكلات جوانب الشر والجريمة، بل هي تسير إلى التركيز على جوانب الشر والجريمة فيه، والميل إلى النزعات التشاؤمية، وجعل مهمة النقد مركزة في الكشف عن حقيقة الطبيعة كطبيعة بلا روح أو قيم؛ لذا كان بطل الرواية في الواقعية غالبًا هو الشهواني أو المادي الذي تسيره أهواؤه وغرائزه وشهواته[(١)].

وبناء على هذه النظرة التي تؤمن بتحليل كل شيء في الإنسان، وأن جوانب الخير والشر والنزعات الشهوانية ليست بمعزل عن هذا التحليل، يبين دور المحبة في صنع الأفكار ودور الفلاسفة الواقعيين في رصد المحبة وأثرها وظهورها بشكل واقعي يمكن رصده وتحليله.

وتنفي هذه النظرة جعل المحبة محصورة داخل الذهن، ومكتفية بالتشكل على صورة مثال داخلي شعوري؛ لأنها إذا كانت بهذه الصورة فيتعذر تحليلها ورصدها، كون الذهن يشكل صندوقًا أسود لا يمكن تجزئته وتحليله؛ لذا فإن رصد دور المحبة في صنع الأفكار في الفلسفة الواقعية هو مما يتباهى به أصحاب هذه النظرة والاتجاه.

سابعًا: اشتقاق المحبة من الواقع المحسوس:

يعتقد أنصار الاتجاه الواقعي أن القيم يتم الحصول عليها عن طريق الحواس والتجربة، والسبب الذي جعلهم ينحون هذا النحو أنهم يرون أنها مشتقة من الواقع المحسوس، وعلى هذا الاتجاه فإن القيم عندهم لا بد أن تكون متغيرة ونسبية.

---

(١) ينظر: الموسوعة الميسرة في المذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (٢/٨٧٧)، منزلة الإنسان ووجوده في المذاهب الفكرية المعاصرة (دراسة نقدية في ضوء الإسلام)، مُحَمَّد عطا مُحَمَّد أبو سمعان، (ص: ٨٥).





وما دام أنها متغيرة ونسبية فهي تحقق ارتفاعًا في بعض الأحوال والأشكال، وتكون في نسبتها مرتفعة وحاضرة، وفي بعض الأحوال تحقق انخفاضًا وتكون متواجدة بنسبة أقل، وعلى هذا فإن القيم لا بد تحتاج إلى مقياس يمكن من خلاله الحكم بوجودها وتأثيرها وقوته وانخفاضه.

ويذهب أصحاب هذا الاتجاه في قضية قياس القيم، إلى أنه يمكن قياسها عن طريق وسائل علمية وبحثية، ويعملون هذا المقياس في القيم كما يعملونه تجاه أي موضوع مادي قابل للبحث والدراسة في العلوم الطبيعية التطبيقية.

وتصبح القيم، بناء على هذا فعلًا اجتماعيًّا له ضوابطه ومقاييسه ومواقفه العلمية، ويحدث هذا الفعل الاجتماعي عندما يتفاعل الإنسان مع الواقع ومعطياته[١]، وهذا الاتجاه الذي تتجه إليه الفلسفة الواقعية يمكن إعماله على المحبة كذلك.

فتكون المحبة في هذه الحالة قد احتلت مكانة معينة يصف بها أصحاب الفلسفة الواقعية فلسفتهم، ويعملون عليها ضابطهم ومقاييسهم، فتبرز مكانتها في هذا الشأن من خلال الآتي:

١- أن المحبة ليست ثابتة ومكتفية بشكلها الذهني الموجود في المثال، وليست محكومة بقالب تصوري داخلي شعوري لا يمكِّنها من الارتفاع والانخفاض بناء على تأثيرات خارجية، بل هي عند أصحاب هذا التوجه الواقعي متغيرة نسبية.

٢- يكمن التغير الذي يحدث في المحبة وتتشكل على ضوئه من خلال تعرضها للمؤثرات الخارجية وقوة تأثير تلك المؤثرات عليها، وعدم بقائها محمية داخل النفس والذهن، حيث إن بقاءها داخله يجعله غير قابلة للتغير والتبدل.

٣- تتفاوت نسبة المحبة وقوتها وأشكالها بشكل تلقائي مستمد من بُعدها عن الجوانب الداخلية الكامنة في النفس؛ لذا فهي نسبية خاضعة للواقع المادي، فإذا كان هذا الواقع المادي وأحداثه وطبيعته تدفع في اتجاهها فإنها تكتسب الارتفاع والظهور، أما إذا كان الواقع لا يدفع في اتجاهها فإنه يحدث لها نوع من الضمور المتمثل في قلة الصور والأشكال والتفاعلات المرئية التي يمكن أن تعبر عنها، وتكون دليلًا عليها وصورة محسوسة مشاهدة تمثلها.

---

(١) ينظر: القيم المتضمنة في مقرر التربية الإسلامية في المرحلة المتوسطة في ضوء إشكاليات ثورة الاتصالات بالمجتمع الكويتي، سالم يوسف الحسينان، (ص: ٣٥).





٤- وبناء على حدوث التغير والنسبية للمحبة فإنها يمكن أن تقاس، فيذهب الواقعيون إلى أنه يمكن قياسها عن طريق وسائل علمية وبحثية، ويعملون هذا المقياس في القيم كما يعملونه تجاه أي موضوع مادي قابل للبحث والدراسة في العلوم الطبيعية التطبيقية.

٥- هذا الاتجاه الواقعي يبرز مكانة المحبة من خلال الإيمان بأنها يتم اشتقاقها من الواقع المحسوس، حيث إن هذا الاشتقاق نابع من حجم التأثير الذي يوليه أصحاب هذا الاتجاه للمؤثرات الخارجية على الداخل الإنساني، فيرون أن الداخل يتم اشتقاقه من الخارج.

ثامنًا: مراعاة المحبة الواقعية:

تنزع الفلسفة الواقعية إلى الإيمان بقوة المؤثرات الخارجية على الداخل الإنساني بشكل كبير؛ لذا فإن النظرة إلى النفس الداخلية بشكل وظيفي يجعلهم ينظرون لها بشيء من تقليص تلك الوظائف وحصر الأدوار بشكل يجعل منها أقل دورا وظيفيا من النظرة المثالية للنفس.

ويرى الفيلسوف الواقعي (فرويد) أن الوظيفة الطبيعية للنفس تنحصر في المطابقة الجيدة -في آن واحد- بينها وبين كل من حاجاتنا، والعالم الخارجي والواجبات الأخلاقية، وإذن لا تكون الذات طبيعية إلا إذا حَمَتْنَا من الأخطاء، وذلك بالكشف عن أفضل الوسائل وأقلها خطرًا للحصول على ما يشبع حاجاتنا مع مراعاة ما يقتضيه العالم الخارجي والواجبات الأخلاقية في الوقت نفسه، فالحالة الطبيعة في الجملة هي نوع من التكيف لا السلوك الآلي، غير أنه تكيف يتغير دون انقطاع، ويدعونا إلى التفكير فيما أطلق عليه اسم (إدراك الواقع)[١]، وبالنظر إلى حصر دور النفس على خلق التوازن، وعلاقة النفس بالمحبة، فإني أستنتج من النظرة الفرويدية هذه مكانة المحبة من اتجاه محدد، فهو يشير في نظرته هذه إلى مراعاة الجانب الواقعي للمحبة، وحصر دورها النفسي في وظائف محددة، فالمحبة هي الصورة الظاهرية والشكل الخارجي الذي ينبع من الواجبات الأخلاقية التي ظهرت كسلوك في العالم الخارجي.

ولا يغفل فرويد الأدوار النفسية الداخلية للمحبة، فهو يعطيها الجانب النفسي كمرحلة ومؤثر في سيرها وتوجيهها للعالم الخارجي، ولكن هذا الدور ينحصر في كونه كالمنظم الأخلاقي الذي تمر من خلاله المحبة مرور الكرام، والأثر الذي تحدثه النفس في المحبة خلال هذا المرور إنما هو دور ثانوي غير رئيسي، ويتمثل في كونها تُحدث توازنًا بين شكلها الخارجي ووظيفتها النفسية.

---

(١) ينظر: اتجاهات الفلسفة المعاصرة، إميل بربيه، ترجمة: د. محمود قاسم، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، مصر، ١٩٩٨م، (ص: ص: ٤٨).



تاسعًا: تعدد اتجاهات دراسة المحبة:

بما أن المحبة في الفلسفة الواقعية تذهب إلى الإيمان بالصور والأشكال الخارجية المحسوسة المعبرة عن المحبة، فإن تعدد تلك الأشكال يُحدِث تعددًا في الاتجاهات وتنوُّعا في الدراسات التي يتم تحليل المحبة من خلالها.

ومن ذلك اتجاه بعض الفلاسفة الواقعيين لاعتبار الجنس كأحد الصور الظاهرية للمحبة، فقد أصبح الجنس، في الغرب، مادة للبحوث في اتجاهات كثيرة من العلم، وبخاصة التحليل النفسي.

ومن المعروف أن الفرويدية كانت النظرية الأكثر تأثيرًا، والتي ساهمت بالقسط الأكبر في دراسة سيكولوجية النزعة الجنسية.

وقد بقيت الفرويدية النظرية الرائدة في علم الجنس الغربي، طيلة عقود طويلة، حيث كان فرويد يستخدم أحيانا، مفهوم «الحب»، لكن كانت مادة بحثه نزعة الإنسان الجنسية.

وقد جاءت مبادئ نظريته، إلى حد كبير، بمثابة تعميم لممارسته السريرية الإكلينيكية، ونتيجة ملاحظاته للنزعة الجنسية عند الأطفال، ودراسة مختلف أشكال الشذوذ الجنسي، وقد شكلت هذه الخبرة العلمية كلها أساس نظرية (فرويد)[1]، ولا غرابة في اتجاه الفيلسوف (فرويد) إلى الدراسة السريرية في مواضيع ترتبط بالمحبة كموضوع الجنس، ودراسة آثاره ودوافعه، فهذا هو نهج الفلسفة الواقعية التي اتجهت إلى تحليل كل شيء حتى لو كان من المعاني المجردة بطريقة عضوية تشابه تشريح الإنسان وأعضائه.

وتظهر مكانة المحبة في هذا السياق في تعدد اتجاهات دراسة المحبة بشكل واضح عند الفلاسفة الواقعيين، حتى أضحت ليست بمعزل عن التشريح الإكلينيكي السريري المشابه لتشريح الإنسان العضوي.

ويظهر جانب آخر من مظاهر مكانة المحبة في الفلسفة الواقعية، حيث تستعمل المحبة كدلالة على معانٍ أخرى، فقد كان فرويد يستخدم أحيانا، مفهوم «الحب»، لكن مادة بحثه كانت نزعة الإنسان الجنسية[2]، مما يجعل اللفظ المقصود في المحبة أوسع من أن يقتصر على مفهومه الذهني المثالي.

عاشرًا: قيام بعض الفلسفات الواقعية على الحب:

تظهر مكانة المحبة في بعض اتجاهات الفلسفة الواقعية في كون الفلسفة نفسها تقوم على المحبة، ومن هذه الفلسفات ما ذهب إليه الفيلسوف (فرويد)، حيث يقيم فلسفته في الحياة على مقولتين أو دعامتين، ويجعل على عرش العالم إلهين، يسمى أحدهما: (إيروس)، وهو إله الطاقة التي تنفخ فيه الحياة وتحفظها عليه

---

(١) ينظر: الإيروس والثقافة (فلسفة الحب والفن الأوروبي)، فياتشيسلاف شستاكوف، (ص: ٢٧٠).

(٢) الإيروس والثقافة (فلسفة الحب والفن الأوروبي)، فياتشيسلاف شستاكوف، (ص: ٢٧٠).



وتجمع بين الناس وتربط بينهم برباط الحب فتتكون الأسر فالمجتمعات الكبيرة فالإنسانية بعامتها، والآخر: (أنانكيه)، إله الضرورة التي تشد الناس إلى العمل، فيكون الاجتماع والتعاون والبناء والإنتاج والامتلاك.

ولسوف نلحظ أن (أنانكيه) هذا هو إله ماركس، أو الضرورة أو الدوافع الاقتصادية التي قال بها والتي تفعل فعلها في الإنتاج الفكري والفني والخلقي للإنسان.

وقد يصوغ (فرويد) نظريته بطريقة أخرى فيطلق على (إيروس) مبدأ اللذة، وعلى (أنانكيه) مبدأ الواقع، ويقول إنهما مبدعان يحكمان الإنسان من قديم الزمان، وسوف يحكمانه إلى ما شاء الله(١)، ومكانة المحبة التي بنا عليها (فرويد) فلسفته كأساس تقوم عليه يظهر المكانة الكبيرة للمحبة في مفاصل تلك الفلسفة.

الحادي عشر: اعتبار المحبة مركزًا لكل الأشياء:

يولي بعض الفلاسفة الواقعيين المحبة دورًا كبيرًا في وصفها بأنها مركز لكل الأشياء، وتستمد مركزيتها من خلال قوة تأثيرها على مختلف المشاعر، فهي تحتل دورًا فعالًا مركزيًّا في تخفيف الألم وجلب السعادة، وينظرون للحب كإحدى الطرق التي يمكننا أن نخفف فيها من الألم، ولا يقف موقفهم عند الشعور فحسب، بل يعتبرون المحبة من الطرق التي نحاول أن نعيش الحياة بها كفنٍّ، فيمسك الفرد بالعالم والواقع ويصر عليهما ويرتبط بهما بروابط عاطفية.

ويجعل أصحاب هذه النظرة الحب مركزًا لكل الأشياء، فيمكن أن نستجلب السعادة من خلال حبنا للآخرين وحب الآخرين لنا، فالحب الجنسي مثلًا يمنحنا الإحساس بلذة طاغية؛ لذا فهو من مسببات السعادة الأصيلة(٢)، والسعادة الأصيلة تعني تحققها بمعناها الواسع غير المحصور.

وامتدادًا لمركزية الحب، يرى (فرويد) أن الإنسان وجد من تجربته أن الحب الجنسي أو التناسلي يمنحه أعلى درجات الإشباع، حتى صار معنى السعادة مرادفًا لمعنى الحب الجنسي، فصار يبحث عن السعادة عن طريق تحقيق العلاقات الجنسية، وجعل تحصيل اللذة الجنسية مناط حياته، فأصبح بحبه الجنسي يعتمد على مصدر خارجي وهو الشخص الآخر (المحبوب)، فأصبح المحبوب يشكل خطرًا عليه، ويعرضه لآلام شديدة في حال تنكره له أو فقده له أو خيانته له؛ لذا حذر الحكماء من مغبة الحب والانسياق وراءه(٣)، وهو هنا يحذر من كون الحب مرتبطًا بالآخرين، وأنه يسيطر على الإنسان بدل أن يسيطر الإنسان عليه.

---

(١) الحب والحرب والحضارة والموت، سيجموند فرويد، (ص: ٥).

(٢) ينظر: الحب والحرب والحضارة والموت، سيجموند فرويد، (ص: ٥٢ -٥٣).

(٣) ينظر: المرجع السابق، (ص: ٦٦-٦٧).





وهذا استمرار وتأكيد للنظرة الواقعية للمحبة التي تراه يتم استمداده من الخارج بمؤثرات خارجية قوية، واعتبارهم للحب بأنه مركز لكل الأشياء يدلل على قيمة ومكانة المحبة من وجهة نظر الفلاسفة الواقعيين.

الثاني عشر: ربط الحب بمراحل تطور المعاني:

يربط بعض الفلاسفة المحبة كثيرًا بكونها إحدى المراحل التي تمر بها المعاني والانفعالات، فهي بهذه النظرة تثبت مكانتها وقوة تأثيرها في شتى مجالات حياة الإنسان.

وإذا تعمقنا في مراحل تطور الشهوة عند الفيلسوف الواقعي (ستندال)، فإن ذلك التطور يتكون من سبع مراحل، وهي:

أولًا: الإعجاب.

ثانيًا: تصور اللذة التي يمكن أن يمنحها الحب.

ثالثًا: الأمل.

رابعًا: ولادة الحب.

خامسًا: البلورة.

سادسًا: الشك.

سابعًا: البلورة الثانية[(١)].

والناظر لمثل هذا التطور يجد أن المحبة تظهر في بعض أطوار تطوره؛ لذا فإنها بهذا الحضور تمتلك قوة التأثير على تشكل كثير من المعاني، وهذا يبين مكانتها.

الثالث عشر: دور المحبة في بناء المجتمع:

يعتبر بعض من ينحى بفلسفته تجاه الواقعية المحبة بأنها تحتل مكانة كبيرة في بناء المجتمعات، وتشكيلها، وتحقيق السعادة بين أفراد المجتمع.

وممن يتجه لهذا الفيلسوف الواقعي (فرويد)، حيث يقول: «وعندما تبلغ العلاقة الغرامية ذروتها لا يكون بها أي متسع لاهتمام آخر بالعالم المحيط، ويكتفي المحبان ببعضهما، ولا تكون لهما حاجة في أي مما حولهما، ولا تتوقف سعادتهما على شيء، حتى ولو كان هذا الشي هو الطفل الذي اشتركا في إنجابه، ومن كل ما سبق يحق لنا أن نتصور إمكان قيام المجتمع المتحضر على أزواج من الأفراد المتحابين والمكتفين

---

(١) ينظر: الإيروس والثقافة (فلسفة الحب والفن الأوروبي)، فياتشيسلاف شستاكوف، (ص: ١٨٦).





بعضهم، والمرتبطين بالآخرين عن طريق العمل والمصالح المشتركة»[1]، والمتأمل في قوله يتبين اعتباره للمحبة أنها إحدى أهم الأدوار الفاعلة في بناء المجتمعات.

ولربط مكانة المحبة بمفهوم الفلسفة الواقعية في المحبة المذكور في الباب الأول، فإنه من خلال حصر مفاهيم المحبة عند الفلاسفة الواقعين، تبين أن مفهومها يشير إلى أنها: إحساس ووجدان قلبي خفي عنيف، ينطوي على قدرة إبداعية خلاقة، غير قابل للزوال، وميل وسعي لإسعاد الآخرين، ومبدأ ديمقراطي رفيع، يساوي في الحقوق بين الطبقات والفئات، والرجال والنساء، ومعاناة داخلية، وسلوك عملي مؤلم، يتمثل في الحب الجسدي، ويعد أكبر أسباب المصائب البشرية، وشعور نفسي، يظهر في الواقع بتعظيم الأشياء ذات القيمة، وشعور بالانجذاب تجاه الآخر، هدفه الإفراغ الجنسي والإنجاب.

وانطلاقًا من هذه المفاهيم، يمكن تعريف المحبة -تعريفا إجرائيًا- في الفلسفة الواقعية بأنها: شعور نفسي، ومعاناة داخلية، ووجدان قلبي عنيف، يؤدي إلى الميل لإسعاد الآخر والانجذاب إليه، ويتمثل في الحب الجسدي الحسي، ويهدف إلى الإفراغ الجنسي والإنجاب.

وباستعراض التعريف الإجرائي للمحبة في الفلسفة الواقعية، يمكن ربطه بمكانة المحبة في الفلسفة الواقعية من خلال تقديم المحبة كمظهر خارجي يتمثل في احتوائه على ألفاظ: (الجسدي، والحسي، والجنسي، والإنجاب)، فكلها ألفاظ تشير إلى إبراز هذا المظهر من المكانة وتبرز اشتقاقه من الواقع المحسوس، كما يظهر في التعريف إمكانية تصوير المحبة بالرسومات والأشكال من خلال الإفراغ، فالرسومات والأشكال إنما هي إفراغ لمشاعر النفس في الخارج، كما تُبدي تلك المظاهر الخراجية الواقعية المحسوسة نظرة معاكسة للنظرة المثالية للمحبة؛ لذا فإن التعريف يشير إلى استقلالية المحبة عن الذهن والشعور، ويظهر إمكانية قيامها بنفسها، ومتى ما قامت المحبة بنفسها فهي كفيلة بأن تكون ذات أثر على حركة الإنسان، ويمتد أثرها إلى حجز دور ظاهر في صنع الأفكار.

وتبرز الألفاظ التي تراعي منطلقات الفلسفة الواقعية في إبراز جوانب المحبة من الجهة الواقعية المحسوسة، وقيام بعض الفلسفات الواقعية على قضية الحب بكاملها.

ويظهر اشتمال التعريف على الألفاظ الداخلية والخارجية معًا على تعدد دراسات المحبة واتجاهاتها من قِبل الفلاسفة الواقعيين، فالألفاظ الداخلية مثل: (شعور نفسي، معاناة داخلية، وجدان قلبي)، والألفاظ الخارجية: (الجسدي، الحسي، الإفراغ الجنسي، الإنجاب)، وهذا المزج يبرر اعتبار الواقعية للمحبة بأنها مركز لكل الأشياء وارتباطها المؤثر بمراحل تطور المعاني المجردة والمختلفة، ويظهر كل هذا دور المحبة في بناء المجتمع.

---

(١) الحب والحرب والحضارة والموت، سيجموند فرويد، (ص: ٧١).





ويمكن إجمال العلاقة بين مكانة المحبة ومفهوم الواقعية العام في جملة من النقاط، وهي:

- يميل توجه الفلسفة الواقعية إلى الأمور المحسوسة الظاهرية في الطبيعة والحياة، وهو ما يتمثل في المكانة في مظهر تقديم المحبة كمظهر خارجي، ومراعاة المحبة الواقعية، واتجاه المدرسة الواقعية الفنية إلى تصوير المحبة بالرسومات والأشكال.

- طغيان الجوانب الحسية الحركية على أسس الفلسفة الواقعية، وهو ما يجعل المكانة ترتبط بهذا المعنى من خلال اشتقاق المحبة من الواقع المحسوس، وأثر المحبة على حركة الإنسان.

- تحكم الفلسفة الواقعية على الأشياء ومقاديرها بالحقائق الملموسة المحسوسة، فالجنس هو حقيقة ملموسة محسوسة تصور الحب بصورته الواقعية، كما أن الإنجاب كذلك هو واقع محسوس ملموس يشير إلى أحد صور المحبة، ويرتبط هذا التوجه الواقعي في مكانة المحبة من خلال تعدد اتجاهات دراسة المحبة، ومعاكسة النظرة المثالية للمحبة، وقيام بعض الفلسفات الواقعية على الحب كفلسفة (فرويد) القائمة على الجنس الذي يعبر به عن الحب كمظهر له.

- تبني الفلسفة الواقعية الحقائق على الوجود الحسي الملموس في الطبيعة، وهو ما يتمثل في ابتداء مفهوم المحبة بالأمور الشعورية الداخلية الوجدانية، وانتهاؤه بالأمور المحسوسة الملموسة التي يمكن أن يبنى عليها، وهذا يرتبط بمكانة المحبة من خلال دور المحبة في صنع الأفكار، حيث تأخذ هذا البناء الطويل الذي يمر بمختلف المسارات والانعطافات، مما يمكنه من هذا الدور، وهذا يخول المحبة بأن تكون ذات أثر بمراحل تطور المعاني.

- كل ما سبق يظهر استقلالية المحبة وقيامها بنفسها، حيث ينفي ارتباطها بالمثال الذهني فقط، كما يظهر جانب اعتبار المحبة مركزًا لكل الأشياء لكونها مظهرًا خارجيًّا ظاهرًا، ولكونها قد تستمد من الخارج وتتأثر فيه، كما يبين دور المحبة في بناء المجتمع من خلال قوة التأثير الذي تحدثه.





الفصل الرابع: مقارنة مكانة المحبة بين الإسلام، والأديان، والفلسفات المعاصرة

المبحث الأول: مكانة المحبة بين الثبات، وعدمه

تعتبر الأحاسيس والانفعالات والأخلاق والقيم أمورًا مهمة في حياة كل إنسان، ولها كبير الأثر على جميع مفاصل تحركاته واهتماماته وتوجهاته؛ لذا اعتنت بها الأديان أيما عناية، كذلك قامت الفلسفات عمومًا بإيلائها اهتمامًا خاصًا، والمحبة هي إحدى تلك الصفات والانفعالات التي نالت من الاهتمام مبلغه؛ لذا فكل ديانة وفلسفة تتغنى بمكانتها في مفاصل أسسها وأصولها وعقائدها، ولعل الثبات والانضباط هو أهم مكانة يمكن وصف تعامل الأديان والفلسفات تجاه المحبة من خلالها، فأي دين أو فلسفة يظهر تعاملها مع المحبة بذلك التعامل فهو أحد مظاهر المكانة، كما أن التحول وعدم الثبات هو أحد مكامن الخلل في التعامل مع المحبة، وفي هذا المبحث سأتطرق لتعامل كل دين وفلسفة مع المحبة، وأبين مكانة المحبة من خلال ثباتها وانضباطها أو تحولها، وأقارنها بالمحبة في الإسلام، ولعلي قبل الولوج في المقارنة أبين معنى (الثبات) لكي تكون المقارنة جلية وواضحة:

الثبات: مأخوذة من (ثبت)، ويقال: ثبت الشيء، ويثبت ثَبَاتا، وثُبوتا، ويقال: شيء ثَبْت: أي ثابت، ويقال: ثبت فلان في المكان، يعني: إذا أقام به، وأثبته إثباتا: إذا عَرَفَه حق المعرفة[(١)]، وثبت الشخص: استقر ولم يتزعزع، وتماسك، وتصَبَّر وتَجَلَّد، وثبت أمام الشائعات: صمد وقاوم، وثبت الأمر عندي: تحقق وتأكد، وثبت البناء: رسخ واتسق[(٢)]، وبناء عليه فالثبات يعني الاستقرار والتماسك والصمود والرسوخ والاستقرار.

والقول الثابت: هو القول الحق والصدق، وهو ضد القول الباطل الكذب؛ فالقول نوعان: ثابت له حقيقة، وباطل لا حقيقة له[(٣)]، وعليه فإن المحبة الموصوفة بالثبات هي أصدق المحبة، والدين أو الفلسفة التي تعتبر مكانة المحبة فيها ثابتة هي التي تأخذ سبق الصدق والرسوخ والاستقرار.

أولًا: الإسلام:

تتميز الشريعة الإسلامية عمومًا بخصائص وسمات عن جميع القوانين البشرية التي تضعها طائفة من البشر أو يضعها الزعيم أو المفكر، ومن هذه الخصائص أن هذه الشريعة هي شريعة الله أنزلها سبحانه

---

(١) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، (٤/ ٤٧٢ – ٤٧٣).

(٢) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، (١/ ٣٠٩ – ٣١٠).

(٣) ينظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، (١/ ١٣٦).





بعلمه، وليس له في وضعها شريك ولا ظهير، وهي ثابتة ما دامت الحياة الدنيا، وشاملة لجميع ما يحتاجه الناس من عقائد وشرائع وأحكام، ومتوازنة لا اضطراب فيها ولا عوج[(١)].

وبناء عليه فإن مكانة المحبة في الإسلام تتميز بالثبات والانضباط، ويظهر ذلك في جميع مفاصل المحبة، سواء الإلهية أو الطبيعية أو المحبة بين المؤمنين وغيرها، ولعلي في هذا المبحث أسلِّط الضوء على المحبة الإلهية أكثر من غيرها من أنواع المحبة لسبب مهم، ألا وهو أن المحبة الإلهية إذا اتسمت بالثبات فإن ما سواها من أنواع المحبة أولى بالثبات والانضباط، وأن المحبة الإلهية تستمد ضوابطها من مصدر إلهي غيبي، فمن مظاهر ثبات المحبة في الإسلام هو إثباتُ اللهِ ﷻ محبتَه في القرآن الكريم، وهذا الإثبات يبين مكانة المحبة في الإسلام، فإذا ثبتت المحبة لله العظيم فإنها تستمد مكانتها من عظمة الله ﷻ لاتصافه بها، ومن مظاهر الثبات في هذا الأمر، أن الله ﷻ أثبت محبته لعباده ومحبة عباده له في القرآن الكريم، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ [البقرة: ١٦٥]، ولكي لا يكون الأمر مطلقًا ومرسلًا في شأن محبة الله، فإن الله بين الصفات التي يحبها في عباده المؤمنين في ثنايا القرآن الكريم، وهي ثمان صفات، وأهلُها هم: (المتقون، والمحسنون، والصابرون، والتوابون، والمتطهرون، والمتوكلون، والمقسطون، والمقاتلون في سبيل الله)[(٢)]، ويشير القرآن الكريم إلى أن محبة الله ﷻ خاصة بذوي الأعمال العظيمة التي تفوق في قيمتها ومنزلة العاملين بها ما سواها من جنسها، وأن هذه الأوصاف التي بيّنها الله في كتابه هي أمهات الأخلاق، ومنابع الفضائل النفيسة، ولها من السمو على ما يشاركها في أصل معناها ما يجعلها جديرة بالحب الذي هو فوق مجرد القبول والرضا[(٣)]، ولا يقف أمر ثبات محبة الله وعدم إطلاقها بلا قيد عند هذا، بل إن الله ﷻ بين كذلك جملة من الصفات التي لا يحبها، وهي تسع صفات، وأهلُها هم: (المفسدون، والظالمون، والكافرون، والمعتدون، والخائنون، والمسرفون، والمتكبرون المختالون، والفرحون، والمجاهرون بالسوء)[(٤)]، ولعلي أختصر مكانة محبة الله وثباتها في الإسلام من خلال ما سبق في الآتي:

---

(١) ينظر: الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية، د. عابد مُحَمَّد السفياني، (ص: ٢١).

(٢) ينظر: محبة الله عند أهل السنة والجماعة ومخالفيهم والرد عليهم، مريم بنت علي الحوشاني، (ص: ٥٨ -٦٢)، الحب والبغض في القرآن الكريم، مها يوسف جار الله الجار الله، (ص: ٨٩).

(٣) ينظر: الحب والبغض في القرآن الكريم، مها يوسف جار الله الجار الله، (ص: ٩١).

(٤) ينظر: محبة الله عند أهل السنة والجماعة ومخالفيهم والرد عليهم، مريم بنت علي الحوشاني، (ص: ٦٣ -٦٥)، الحب والبغض في القرآن الكريم، مها يوسف جار الله الجار الله، (ص: ١٧١).





١- تظهر مكانة المحبة في أن الله ﷻ أثبتها له في كتابه الكريم وسنة رسوله ﷺ، وهذا الإثبات يظهر المكانة والثبات في الوقت نفسه، فالمكانة مأخوذة من عظمة الله واتصافه بالمحبة، فاستمدت المحبة مكانتها من عظمة الله، أما الثبات فإنه يتجلى في أن الله ﷻ لم يجعل أمر محبته مرسلًا، بل أثبت أنه يُحِب ويُحَب كذلك.

٢- لم يثبت الله ﷻ المحبة له بإطلاق، بل قيد الأمر وجعله وفق محددات وضوابط، وذلك في تبيينه للأصناف والأعمال التي يحبها، وهذا التحديد هو من الأمور التي تقيد المحبة، وتبعد عنها الإرسال والإطلاق.

٣- علاوة على تعيين الله ﷻ للأعمال والأصناف التي يحبها، فإنه سبحانه وتعالى عين كذلك الأعمال والأصناف التي لا يحبها، وهذا زيادة في التحديد والضبط، ويعني هذا الثبات والوضوح.

ومن مظاهر الثبات أيضًا: إقرار أهل السنة بجميع صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة، فأهل السنة مجمعون ومتفقون على الإقرار بها كلها، والإيمان بها، ويحملونها على الحقيقة لا المجاز، دون تكييف شيء منها، ولا يحدون فيه صفة محصورة[1]، والإقرار بالثبوت وحمله على الحقيقة لا المجاز، يدل على الثبات، حيث إن المجاز يفتح الباب للتأويلات والتفسيرات المتعددة، وكل عقل يفسر ذلك بما يظهر له.

ثانيًا: اليهوديَّة:

تتسم مكانة المحبة في اليهوديَّة بعدم الثبات، ويظهر عدم الثبات في جملة من الأمور، منها: أنهم يرون أنفسهم شعبًا محبوبًا ومختارًا ومقدسًا من قِبل الرب، وعدم الثبات في هذه النظرة يكمن في اختلاف أقوالهم في هذا الوصف على عدة وجهات، وهي:

١- تعتبر وجهة النظر الأولى في المحبة والاختيار والاصطفاء معتدلة، فترى أن الشعب يستحق التقديس في حال تمسكه بوصايا الرب وأحكامه، وبالتالي فهو لا يستحق التقديس بدون ذلك، وهذا أول أقوالهم.

٢- تخالف وجهة النظر الثانية وجهة النظر الأولى، فتعتبر وجهة مغالية غير معتدلة؛ لأنها تفسر التقديس على أنه انحسار للمسؤولية، فالشعب مقدس ومحبوب على كل حال، سواء عصى أو أطاع، وعلى هذا فليس هناك مناط أو علة للاختيار والاصطفاء، بل هو متحقق لا محالة.

٣- يذهب بعض أصحاب النظرة الثانية إلى أن الرب هو من ألزم نفسه بهذا التقديس وهذه المحبة لا الشعب[2]، وعلى هذا فالإلزام على الله فقط -تعالى الله عمَّا يقولون عُلوًّا كبيرًا-.

---

(١) ينظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر، (٧/ ١٤٥).

(٢) ينظر: الأسس الأخلاقية في العهد القديم مع مقارنتها بالقرآن الكريم، الدكتورة ريمة شريف الصياد، (ص: ٧٥).





ويظهر من مجمل وجهات النظر الثلاث المختلفة هذه وجهُ عدم الثبات عند اليهود في شأن محبة الله وتقديسه واصطفائه لهم، فتارة ينظرون نظرة معتدلة، وتارة نظرة مغالية، وتارة نظرة مغرقة في المغالاة.

والمتأمل في وجهات النظر المغالية الثانية والثالثة، يظهر له الإطلاق غير المنضبط فيها، ومكمن الإطلاق: أنَّ المحبة والتقديس من قبل الله لليهود -بزعمهم- هو غير مقيد بعمل أو طاعة؛ لذا فهو مرسل غير مقيد، وهو مجرد دعوى مفتوحة غير محدودة أو ثابتة.

وإذا ما أتينا لمقارنة هذا المظهر من مكانة المحبة في اليهوديَّة بالإسلام، فإن الإسلام لا يجعل المحبة الإلهية بهذا الإرسال وعدم الانضباط، بل إن محبة الله سبحانه وتعالى للعبد مشروطة بإتيان العبد لما يحبه الله سبحانه وتعالى ويرضاه، ومشروطة كذلك بانتهاء العبد عما يكرهه الله ولا يحبه، وهذا هو وجه المقارنة الأول الذي يبين الثبات والانضباط في المحبة الإلهية في الإسلام، مقابل التحول وعدم الثبات في المحبة الإلهية عند اليهود.

أما وجه المقارنة الثاني فهو منبثق من الوجه الأول، فكما ذكرنا بأن محبة الله في الإسلام مشروطة بشروط ومحدودة بحدود، فإنها في الوقت نفسه مبينة وموضحة في مصادر المسلمين بكافة تفاصيلها القلبية والعملية، فالأمور التي يحبها الله من الأقوال والأعمال والصفات والفرائض موضحة بشكل تفصيلي في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، كما أن الأعمال والأقوال والصفات التي لا يحبها الله مفصلة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بشكل واضح وجلي، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، ويعضده قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

أما في اليهوديَّة فإن الانضباط والثبات لا يمكن تحققه في أغلب وجهات نظرهم، ويرجع هذا إلى وصفهم لأنفسهم بالمحبة والتقديس من الله دون وجوب طاعة أو أداء عمل منهم، بل إن بعض الوجهات تقول بأن الله هو من ألزم نفسه دون إلزام منهم -تعالى الله عمَّا يقولون عُلوًّا كبيرًا-.

ثالثًا: النصرانيَّة:

تأخذ المحبة الروحية القلبية مكانة كبيرة في الديانة النصرانيَّة، وهذه المكانة تأتي على حساب المحبة العملية الظاهرية، وقد ساهمت النصرانيَّة بسبب هذا الاتجاه في توجيه الإنسان إلى الالتفات إلى الروح الخالصة، وإرجاع الروح الإنسانية إلى نفسها بعد أن غلبت المحبة النفعية الظاهرية التي أسسها اليهود على المشهد؛ لذا فقد جاءت المحبة الروحية في النصرانيَّة كردة فعل للنزعة المادية الواقعية للعالم الخارجي، فالواقعية



الصريحة (للعهد القديم) لا يمكن التغلب عليها إلا بمثالية حاسمة من (العهد الجديد)؛ ولهذا لا يصح -في النصرانيَّة- شطر الطاقة الإنسانية إلى اتجاهين متعاكسين، اتجاه السماء واتجاه الأرض[1].

وإذا ما حللنا هذا التوجه ظهر لنا التحول وعدم الثبات في المحبة، وانتفت القيود الضابطة للمحبة والمسببة لثباتها، ويمكن إجمال مظاهر الإطلاق في الآتي:

١- تتبين النزعة الروحية في المحبة النصرانيَّة من خلال معرفة الاتجاه اليهودي الذي ينزع للمادية والنفعية والواقعية وتغليب النظرة إلى العالم الخارجي؛ لأن النصرانيَّة تأتي على الضد تمامًا؛ لأنها في الأصل جاءت كردة فعل لها، وردة الفعل دائمًا ما تكون غير منضبطة، ويغلب عليها النزعة المضادة للفعل الذي حدثت ردة الفعل تجاهه، وبما أن النظرة اليهوديَّة كانت مغالية في المادية، فالنصرانيَّة في الطرف الآخر المقابل، فجاءت مغالية في الروحية، وهنا يكمن الإطلاق والإرسال وعدم الثبات، حيث إن الأصل قائم على المخالفة والمضادة لا على الضوابط والأصول الصحيحة، بخلاف الإسلام الذي لا يأخذ موقف ردة الفعل من شيء آخر، بل هو يقف في موقف الشمولية للجانبين المادي والروحي للمحبة دون إغفال جانب على حساب آخر، فالمحبة في الإسلام تتميز بالتوازن.

٢- بما أن النصرانيَّة تغفل الجانب الظاهري العملي للمحبة، وتولي المكانة الكبرى للمحبة الروحية الإنسانية النفسية، فإن مؤدى هذه النظرة هو انعدام التوازن، وهو ما يعني التحيز لجانب على جانب، التحيز للجانب الداخلي الباطني على الجانب الخارجي الظاهري، وهذا التحيز هو المظهر الجلي للتحول وعدم الثبات، حيث إن المحبة تم إطلاقها وإرسالها للجانب الداخلي النفسي بلا قيد أو شرط أو ضابط، أمَّا الإسلام فإن نظرته للمحبة متوازنة، فمكانة المحبة الداخلية الشعورية لا بد من ربطها بالمحبة الظاهرية العملية، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، فالآية اشتملت على الجانب الداخلي والخارجي كشرط لتحقيق النجاة يوم القيامة يوم لقاء الله، فالداخلي متمثل في التوحيد وعدم الشرك، وهو الإخلاص وتوجه القلب لله، والجانب الظاهري متمثل في العمل الصالح الذي يقوم به الإنسان ببدنه وجسده.

لذا فإن انتفاء ثبات المحبة في النصرانيَّة جعلهم يتشبهون بمحبة الله، وفي هذا نزعة إلى الروحية والعمق الداخلي الوجداني، وهو إطلاق وإرسال في المحبة، فكيف يمكن التشبه بالله العظيم؟ أمَّا الإسلام فإنه لا يدعو للتشبه بالله، بل نهى عن ذلك، وبين إن الله متفرد في صفاته لا يمكن مشابهته ومماثلته، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

---

(١) ينظر: الإسلام بين الشرق والغرب، علي عزت بيجوفيتش، (ص: ٢٧٤).



رابعًا: الهندوسيَّة:

تعتبر الهندوسيَّة ديانة تجمع عددًا كبيرًا من التقاليد المجتمعية التي كانت عند أهل الهند، وهي قائمة على هذا الأساس الجمعي، وتجمع كذلك عاداتهم وأخلاقهم وصور حياتهم، وابتداء من القرن الثامن قبل الميلاد أطلق على الهندوسيَّة لفظ (البرهمية)، ويعني هذا اللفظ: القوة العظيمة السحرية الكامنة، وهذه القوة السحرية الكامنة يتم صرف كثير من العبادات، كقراءة الأدعية وإنشاد الأناشيد وتقديم القرابين لها(١)، وهذا أحد مظاهر الإطلاق في مكانة المحبة في الديانة الهندوسيَّة، ويظهر الإطلاق فيه من خلال الآتي:

١- بما أن الهندوسيَّة تعتبر خليطًا من عدد كبير من التقاليد المجتمعية الهندية، فهذا يعني عدم ثبات المحبة على أمر أو نهج واحد، إذ أنها لا محالة ستكون قائمة على أساس جمعي من تلك التقاليد الخاضعة لأفراد المجتمع، فكل مجتمع يختلف اختلافًا ظاهرًا عن المجتمعات الأخرى من خلال عاداتهم وأخلاقهم وصور حياتهم، بل إن المجتمع نفسه تجده في مراحل تاريخه بين المؤسسين وأجيالهم وأجيال أجيالهم يحدث هناك اختلاف وتبدل وتغير في تلك التقاليد والأخلاق والعقائد، وعلى هذا فإن هذا يعد أحد مظاهر إطلاق المحبة وإرسالها وعدم تقييدها بضوابط ثابتة؛ لأنها في الأساس خاضعة لمتغير يعتمد على عادات وتقاليد الناس، أمَّا في الإسلام فإن المحبة غير خاضعة لتقاليد المجتمع، بل هي ثابتة بأمر من الله ﷻ وتوجيه من هدي رسوله ﷺ، وإذا ما جاء أمر الله وأمر رسوله ﷺ انتفى أي أمر سواهما، سواء كان من المجتمع أو غيره، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

٢- المظهر الثاني من مظاهر الإطلاق وعدم الثبات لمكانة المحبة في الهندوسيَّة هو ما يكمن في إطلاق لفظ (البرهمية) عليها، حيث إنه أطلق ابتداء من القرن الثامن قبل الميلاد، وهذا يبين أن قضية التجدد والتغير والتبدل واردة بشكل حاضر على المحبة في الهندوسيَّة، وهذا التغير والتبدل ناشئ عن عدم الانضباط بأصول وأسس ثابتة تحفظ عليها سيرها وثباتها، وإذا ما قمنا بمقارنة هذا الأمر المتغير والمتحول في الهندوسيَّة بمقابله الثابت في الإسلام فإنه يظهر جليًّا في قول الله ﷻ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، فالإسلام اسم ثابت للدين غير متبدل ولا متغير.

٣- تعني (البرهمية): القوة العظيمة السحرية الكامنة، وهذا يعني أن الأثر السحري موجود لدى الهندوس، والأثر السحري خاضع لمتغيرات نفسية داخلية متعلقة بالإنسان، وبمجرد أنه خاضع للأفراد فإن أشكاله متعددة وقابلة للتغيير والتبديل، وعلى هذا فهو أمر مطلق مرسل غير مقيد، ويظهر الإطلاق

---

(١) ينظر: أديان الهند الكبرى (الهندوسية، الجينية، البوذية)، د. أحمد شلبي، (ص: ٣٧).



في أظهر صوره إذا ما كانت تلك القوة السحرية الكامنة يُتَوجَّه إليها بكثير من العبادات، كقراءة الأدعية وإنشاد الأناشيد وتقديم القرابين لها، فما هو ضابط تلك العبادات إذا كان الأمر المصروف له متغيرًا ومتبدلًا، لا شك أنها أكثر تغيرًا وتبدلًا، أمَّا الإسلام فإن أمر الآثار الإنسانية وغيرها ليس من الأمور التي تحدد مكانة المحبة وشكلها وصورها، بل إن الله سبحانه بين محبته وأسبابها وأثرها، كما بين طريق محبة النبي ﷺ وسبيل المحبة بين المؤمنين، ولم يترك مجالًا لتلك الآثار النفسية المرسلة غير الثابتة.

خامسًا: الزرادشتيَّة:

تأخذ الزرادشتيَّة المحبة من حياة مؤسسها زرادشت، وتستمد أحد مظاهر مكانتها من هذا الاستمداد، حيث إنهم يزعمون أن الروايات المروية عنه كانت ممزوجة بعاطفة الحب، ويرصدون المحبة من خلال اتسام زرادشت بالتقوى، وهذه التقوى حملت الحكايات التي تروى عنه بعاطفة الحب، وتظهر عاطفة الحب في ترنيماته التي تنسب إليه، وهذه الترنيمات والأقوال يصعب ترجمتها وفمها بعمق، ولكنهم يستمدون منها الحماسة والحب للآلهة التي كانت ظاهرة في تلك الترنيمات[1]، وفي نظري أن هذه الأمور مجتمعة تبين أن المحبة في الزرادشتيَّة لا تأخذ مكانة الثبات والانضباط، بل إنها تتصف بالتغير والتحول وعدم التقيد بأحكام وأصول، ولعلي أبين مظاهر ذلك التحول في جملة من النقاط:

١- استمداد الزرادشتيَّة المحبة من حياة مؤسسها هو أول مظاهر التحول وعدم الثبات، فالاتجاه لرصد المحبة واستمداد أسسها وأصولها من خلال حياة شخص ما هو من الأمور التي لا يمكن ضبطها والخروج منها بأصول وأسس منضبطة كافية شافية جامعة مانعة، بل إن حياة أي إنسان يعتريها كثير من التقلبات، ولها خصوصية عن حياة أي إنسان آخر؛ لذا فقد يجمع ذلك الشخص في حياته المتضادات والمتناقضات، أما المحبة في الإسلام فإن الذي يميزها ويضع لها مكانة كبيرة هو استمدادها من مصدر إلهي غيبي، والمصادر الغيبية إذا جاءت ثابتة عن الله ﷻ فإنها تكون مشتملة على كل أمور المحبة وأسبابها وضوابطها وموانعها وثمراتها وكل ما من شأنه ضبطها وحدها.

٢- تبدي الزرادشتيَّة مكانة المحبة من خلال إظهار الحماس والحب للآلهة الذي يبدو على حياة زرادشت، ويقدمها الزرادشتيون كإحدى مميزات ديانتهم، وفي نظري أن هذا الأمر ليس من المميزات، بل هو أحد مظاهر التحول والتغير، ولا يمت للثبات والانضباط بصلة؛ لأن الحماس صفة انفعالية نابعة من النفس، يمكن ظهورها على واقع الحياة بصور شتى متنوعة، والمتأمل في انفعال الحماس يظهر له أنه ليس له حد أو نهاية بل هو أمر مفتوح، لذلك يوصف في بعض الأحيان بـ (الحماس الزائد)، وغالبًا ما تكون الزيادة والإفراط لصيقة بالحماس؛ لذا فإن الزيادة والإفراط هي إحدى نتائج التغير والتحول،

---

(١) ينظر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، جفري بارندر، (ص: ٩٠).



وأحد أسباب عدم تقييد المحبة بقيود واضحة ثابتة، وبمقارنة هذا الأمر في الإسلام فإن المحبة لا يمكن وصفها بانفعال الحماس، بل إن محبة الله في الإسلام غالبًا ما توصف بأوصاف تبين عظمة الله ﷻ، ومن تلك الأوصاف الخشوع، قال تعالى: ﴿خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ﴾ [آل عمران: ١٩٩]، ومنها الإنابة والتقوى، قال تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الروم: ٣١]، وغيرها من الأوصاف التي تبين عظمة الله ﷻ؛ فمكانة محبة الله في الإسلام تتسم بالثبات لأنها قائمة على تعظيم الله.

٣- تستمد الزرادشتيَّة الحماسة والحب للآلهة التي كانت ظاهرة في ترنيمات المؤسس، والعجيب أن هذه الترنيمات والأقوال يصعب ترجمتها وفمها بعمق، وعلى هذا فإني أستنتج أنهم يستمدون الحب من العاطفة المصاحبة للترنيمات أكثر من الترنيمات نفسها، والسبب أن الترنيمات غير مفهومة بشكل عميق ويصعب ترجمتها، وهنا يظهر الإطلاق في المحبة، حيث إنه لا يمكن أن تكون ثابتة منضبطة من أمر غير مفهوم وغير واضح، أما المحبة في الإسلام فإنها تستمد من مصادر واضحة اللغة والمعنى، قال تعالى واصفًا القرآن الكريم: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾ [الشعراء: ١٩٥]، فالقرآن نزل بلغة العرب، وكذلك بلغة بينة مبينة واضحة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ [القمر: ١٧]، وعلى هذا فإن المنهج الواضح البين هو الذي يمكن استمداد الأصول الثابتة منه، وهذه ميزة المحبة في الإسلام.

سادسًا: الكونفوشيُوسيَّة:

تظهر الكونفوشيُوسيَّة مكانة المحبة من خلال أنها استُمِدَّت من بقايا العصر الذهبي، فقد قام كونفوشيوس بدراسة مجموعة من السجلات التي تتعلق بأسرة (تشو) الغربية، ودراسة ترانيم ملوك أسرة تشو الأول، واعتبرها الكنز الذي لا بد من إحيائه لأنه من بقايا العصر الذهبي، فعمد إلى محاولة استرجاع سياسات ملوك أسرة تشو الأول، وكان هدفه من ذلك هو اعتبارها سلطته المرجعية في سن القوانين والمعتقدات، واستخدم تلك البقايا كتابًا مقدسًا للكونفوشيوسية، ولأن لغتها القديمة قد طرأ عليها كثير من التغيير والتبديل، فقد قام بتأويل لغتها العتيقة تأويلًا معاصرًا، فأنشأ منها مذهبًا أخلاقيًّا واجتماعيًّا، وتجدر الإشارة إلى أن هذه الكتابات تتعلق بالعرافة ويسيطر عليها السحر واللاأخلاقية[(١)]، وهذا المنهج الذي قام به كونفوشيوس يمكن استخلاص موقفه من مكانة المحبة بين الثبات والتحول في الآتي:

١- استمدت المحبة مكانتها من كونها أحد مظاهر التاريخ الذهبي في نظر كونفوشيوس، حيث إنه يعتبر أسرة (تشو) وطريقة حياتها وسلوكها أصولًا مهمة ينبغي بناء المحبة في الكونفوشيُوسيَّة عليها، وعلى

---

(١) ينظر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، مشرف التحرير: جفري بارندر، (ص: ٢٣٨ - ٢٣٩).



هذا فإن مكانة المحبة بين الثبات والتحول يمكن الحكم عليها من خلال هذا المظهر، وأي بناء يمكن وضع أسسه على حياة وتقاليد أمة من الأمم فإنه لا شك يفتقد الثبات؛ لأن حياة الأمم وتقاليدها ليست معيارًا يمكن الجزم بصحته بالكامل، بل إنه يعتريه من الضعف والأمراض الاجتماعية والوهن ما يعتريه؛ لذا فإن التحول هو الوصف الذي يمكن وصف مكانة المحبة في الكونفوشيُوسيَّة به، أمَّا الإسلام فإنه لا يبني على حياة الأقدمين أي شيء، خصوصًا إذا ما كانت خلاف ما جاءت به النصوص المقدسة، والسبب في ذلك يعود إلى أن مكانة المحبة في الإسلام تستمد مكانتها من الكتاب والسنة، حيث يحوي القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ تعاليم محددة ومنضبطة للمحبة، فقد قال تعالى في شأن عدم اعتبار منهج الأقدمين: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةً وَأَصِيلٗا ۝٥ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [الفرقان: ٥-٦].

٢- لم يستطع كونفوشيوس -مع محاولته إحياء معتقدات السابقين من خلال كتبهم- أن يصل لمعتقداتهم وأقوالهم بشكل دقيق؛ لأن اللغة التي كُتِبت بها الكتب المقدسة القديمة لم تعد هي اللغة الجديدة، فقد حدث للغة كثير من التغيير والتبديل؛ لذا فقد اضطر لتأويل لغتها العتيقة تأويلًا معاصرًا، فقام بإعادة كتابتها، فأنشأ منها مذهبًا أخلاقيًّا واجتماعيًّا نَبَعت منه أسس المحبة، وهذا الأمر هو غاية التحول، وهو ما يجعل المكانة التي رسموها للمحبة من كتب الأولين تكون غير ثابتة أصلًا لهم، فالصعوبة التي وجدها في تأويل كلامهم وكتبهم تبين أن ما توصل إليه مجرد محاولات قد يعتريها الخطأ، وهذا الأمر مكمل للأمر الأول، حيث إن مجرد اعتماده على تقاليد بشر هو أمر يفقد الثبات، ويزيده إرسالًا وإطلاقًا هو أن تلك التقاليد والمعتقدات غير ثابتة ولا واضحة، وإذا ما قارنَّا هذا الإطلاق والإرسال الجلي بمكانة المحبة في الإسلام، فإن الإسلام يعتمد على مصادر متحققة الثبات، ومحفوظة من الله ﷻ، قال تعالى في شأن ثبوت وتحقق القرآن: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وقال عنه كذلك: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤]، وهذا يعني ثباتًا في المصدر.

٣- مما يجعل المحبة في الكونفوشيُوسيَّة تكون أبعد ما يمكن عن الثبات والانضباط، هو أن كتابات الأولين السابقين، تتعلق بالعرافة ويسيطر عليها السحر واللاأخلاقية، وهذه أمور لا يمكن وصفها بالثبات، بل هي عين التحول وعدم الانضباط بقيود، أمَّا الإسلام فإنه ينكر اعتماده على ذلك، فقد قال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ۝٤١ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٤٢ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الحاقة: ٤١: ٤٣]، وهذا غاية الثبات.



سابعًا: الفلسفات المثالية:

تنظر الفلسفة المثالية للحب بنوع من التغير والتحول الذي يبتعد كثيرًا عن الثبات، ويظهر ذلك في جملة من الأمور التي يمكن رصده من خلالها، ومن ذلك الرأي الذي يقول بأن المحبة يمكن أن تتولد من كل الأشياء، كما يذهب بعضهم إلى جعل أنواع كثيرة ومتعددة للمحبة، ويربطون تنوع الحب بتنوع ارتباطه بالمعاني والمواضيع والأشياء، فهناك حب المال، وحب الخمر، وحب المرأة، وحب الأطفال وغيرها من الأمور التي يمكن ارتباط الحب بها، وعلى هذا الربط، فإننا يمكن أن نقول بأن كل شيء يمكن أن يولد الحب، وكل شيء له ارتباط بالحب، وكل أمر يرتبط فيه الحب يعد من أنواع الحب[(١)].

وبناء عليه فإن الإطلاق والإرسال في هذه النظرة يكمن في عدم وضع أسس وأصول يتولد منه الحب؛ لأنه يتولد من كل شيء تقريبا، فهو مرسل ومطلق غير مقيد، كما أن تعدد أنواع المحبة بتعدد الأشياء يجعل وصول أنواعها بحجم عدد الأشياء، وعدد الأشياء في العالم كثير جدًّا، وهذا إرسال وإطلاق لأنواع الحب، أمَّا الإسلام فإن الحب لا يحمل هذه النظرة المطلقة، بل إن الحب منه ما هو محمود ومنه ما هو مذموم، ومنه ما هو حب لله ومنه ما هو حب للنبي ﷺ، ومنه ما هو حب للمؤمنين، ومنه ما هو من طريق الحب الطبيعي، وليس هناك تحول وتغير وتعداد لكل شيء يتعلق به الحب، وعلى هذا فالمحبة في الإسلام تأخذ مكانتها من ثباتها وانضباطها ووضوحها.

ومن مظاهر التحول في المحبة عند الفلاسفة المثاليين: ذهابُ بعضهم إلى أن هناك تشابهًا بين انفعال الحب والكراهية، وهذا التشابه يوصله بعضهم لحد التماثل، ومبرر هذا التماثل في كونهما يوصفان جميعًا بالانفعال، وهذا الانفعال يتسم بالقوة، وعلاوة على ذلك، فهذان الانفعالان يرتبط أحدهما بالآخر، بصورة وثيقة، ويستندون إلى أنه ليس من قبيل المصادفة أن يتحول الحب بسرعة إلى كراهية، فقد يتولد الحب في ذهن الإنسان تجاه شيء أو أمر أو موضوع معين، وبعد فترة تحل الكراهية مكان الحب في ذهن الإنسان[(٢)]، ويظهر عدم الثبات في هذا التوجه في تشبيه الحب بالكراهية وأنه مماثل له، والمعلوم أن الحب والكراهية لا يمكن وصفهما بالتماثل في أي وجه؛ لأن المحبة دائما ترتبط بالأمور الحسنة، والكراهية تربط بالأمور السيئة، والجمع بين النظرتين هو دليل التحول وعدم الثبات، أمَّا الإسلام فإنه لا يساوي بين أمرين مختلفين في الخيرية، فالمحبة هي من الأمور الحسنة في الإسلام إذا كانت وفق الضوابط الشرعية، والكراهية هي من الأمور المكروهة في الإسلام وفق الضوابط الشرعية؛ لذا قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]، وهذا التفريق بين الحسن والسيئ هو من المظاهر التي تبين ثبات النظرة للمحبة في الإسلام.

(١) ينظر: الإيروس والثقافة (فلسفة الحب والفن الأوروبي)، فياتشيسلاف شستاكوف، (ص: ١٧١-١٧٢).

(٢) ينظر: الإيروس والثقافة (فلسفة الحب والفن الأوروبي)، فياتشيسلاف شستاكوف، (ص: ١٧٣).





ويظهر التحول كذلك في التبرير بتماثل الحب مع الكراهية في قضية إمكانية انقلاب النظرة بينهما في ذهن الإنسان حيث يمكن انقلاب الحب إلى كراهية والعكس، وهذا -في نظري- أمر لا يمكن أن يتم جعله مسوغًا لتساوي الانفعالين؛ لأن الحب ردة فعل ناشئة عن فعل مقابل، والكراهية كذلك، فإذا تغير الفعل تغيرت ردة الفعل تبعًا لذلك، وهذا لا يعني التماثل بين الانفعالين، والمساواة بينهما هو تجاهل لكل قيد يمكن وجوده لكل انفعال؛ لذا فإن الإسلام يدعو في هذا الجانب إلى الدفع بالتي هي أحسن، فقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]، وهذا الأمر يمكن تصييره واقعًا وممكنًا في زرع جانب كظم الغيظ والعفو والإحسان وتعظيم أجرهم ومردودهم الأخروي، فقد قال تعالى واعدًا بالجنة مَن كظم غيظه وعفا عن الناس وأحسن: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وعلى هذا فإن مجموع الصفات الثلاث المذكورة في الآية يؤدي إلى إبدال العداوة لمحبة ومودة، وهذا يجلي اهتمام الإسلام بتفاصيل المحبة وزرعها والحث عليها، وجملة تلك التفاصيل تعني ثبات الأسس والأصول، وهو مما يظهر مكانة المحبة في الإسلام ويميزها عن نظيرتها في الفلسفات المثالية.

ثامنًا: الفلسفات الواقعية:

تتحدد مكانة المحبة في الفلسفة الواقعية بين الثبات والتحول من خلال استعراض مظاهر المكانة ورصد نقاط الثبات والتحول ومن ثَمَّ الحكم عليها، فمن ضمن مكانة المحبة في الفلسفة الواقعية: وقوفُها المضاد للفلسفة المثالية؛ لأن الواقعية عمومًا هي محاولة تهدف إلى تصوير الحياة الطبيعية بأوسع معانيها، وإظهارها في الخارج بآثارها وعللها ونشوئها وتكونها، وترفض أن ترفع الواقع إلى مستوى المثال، وعلى هذا فإن التضاد بينهما هو في الأصول والمنطلقات الأولى(١)، وهنا يظهر أول دليل على التحول لمكانة المحبة في الفلسفة الواقعية، فالوقوف المضاد للفلسفة المثالية أطلق العنان لرواد الفلسفة الواقعية في صرف كل ما يمكن صرفه لجعل المحبة تخدم توجهاتهم الواقعية.

وعلى هذا فإن الفلاسفة الواقعيين حينما يؤسسون لمنهجهم في الواقعية فإنهم لا ينهجون منهج التجرد والوصول إلى نتائج محايدة، بل إن الهدف الذي يسعون إليه هو التدليل على وجود المحبة في الخارج والواقع والأشكال الظاهرية.

---

(١) ينظر: منزلة الإنسان ووجوده في المذاهب الفكرية المعاصرة (دراسة نقدية في ضوء الإسلام)، محمد عطا محمد أبو سمعان، (ص: ٨٣)، دراسات في النقد الأدبي المعاصر، د. محمد زكي، دار الشروق، مصر، (ص: ١٧٧-١٧٩)، الموسوعة العربية الميسرة، محمد شفيق غربال، (ص: ١٩٤٠).





وإذا ما عمد الإنسان لمضادة شيء ومخالفته بشكل كامل فإنه لا يمكنه التحرر من تلك الدافعية الجامحة، ويستحيل حينها أن يصل إلى نتائج تقف في صف الفعل الذي قصد مضادَّته، فالنتائج معلومة عنده سابقًا؛ لأنه لا محالة سيصيرها لخدمة أهدافه، وهذا يعني أنه متحيز لفكرة معينة يرسم جميع تصوراته، وتشكلاته الداخلية الذهنية من خلالها.

وإذا ما قارنَّا هذا التحيز في الفلسفة الواقعية بمكانة المحبة في الإسلام، فإن الإسلام لا يؤسس للمحبة وينظر لها كردة فعل لديانة أو توجه أو مذهب آخر، بل إن الإسلام يجمع بين جانبي المحبة العملي والخارجي، فقد قال تعالى مبينًا مكانة المحبة وشمولها: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]، فمحبة الله محبة قائمة على التعظيم والإخلاص له وهذا جانب داخلي قلبي، واتباع الرسول ﷺ في ما أُوحي إليه من الله هو جانب عملي تطبيقي، وعلى هذا فإن الثبات ظاهر على مكانة المحبة في الإسلام.

كما يظهر التحول كذلك في الفلسفة الواقعية في قضية تعدد اتجاهات المحبة وعدم حصرها وضبطها في صور وأشكال محددة معبرة، بل إن النظرة المضادة للفلسفة المثالية دفعت الفلسفة الواقعية لاعتبار أشياء وصور كثيرة متعددة كمظهر للمحبة، ومن ذلك اتجاه بعض الفلاسفة الواقعيين لاعتبار الجنس كأحد الصور الظاهرية للمحبة، فقد كان الفيلسوف الواقعي (فرويد) يستخدم أحيانا، مفهوم «الحب»، لكن كانت مادة بحثه نزعة الإنسان الجنسية، وقد جاءت مبادئ نظريته، إلى حد كبير، بمثابة تعميم لممارسته السريرية الإكلينيكية، ونتيجة ملاحظاته للنزعة الجنسية عند الأطفال، ودراسة مختلف أشكال الشذوذ الجنسي وقد شكلت هذه الخبرة العلمية كلها، أساس نظرية فرويد[١]، وهذا يظهر التحول الذي حدث لمكانة المحبة في الفلسفة الواقعية؛ لأنها اتجهت إلى تحليل كل شيء حتى لو كان من المعاني المجردة بطريقة عضوية تشابه تشريح الإنسان وأعضائه، وعلى هذا فإن أي مظهر يمكن تحليله على أنه من أنواع المحبة، وهذا فيه إطلاق وتحول وعدم ثبات.

ويصف الفلاسفة الواقعيون المحبة بأنها مركز لكل الأشياء، وتستمد مركزيتها من خلال قوة تأثيرها على مختلف المشاعر، فهي تحتل دورًا فعَّالًا مركزيًّا في تخفيف الألم وجلب السعادة[٢]، واعتبار المحبة مركزًا لكل الأشياء هو من الأمور التي تجعل المحبة ليس لها إطار يمكن حصرها فيه؛ لذلك فهي من الأمور التي لا يمكن ضبطها وتحديد أثرها ومساراتها، وهذا أمر يجعل المحبة لا يمكن إخضاعها لأي قيد أو شرط، فهي إذا متحولة متغيرة.

---

(١) ينظر: الإيروس والثقافة (فلسفة الحب والفن الأوروبي)، فياتشيسلاف شستاكوف، (ص: ٢٧٠).

(٢) ينظر: الحب والحرب والحضارة والموت، سيجموند فرويد، (ص: ٥٢-٥٣).



أمَّا الإسلام فإنه لا ينظر للمحبة ولا لغيرها بهذه النظرة غير المنضبطة، بل إن مكانة المحبة في الإسلام تتسم بالواقعية؛ لأن الله سبحانه أمر المسلمين بمحبة أشياء والقيام بها، وأمرهم باجتناب أشياء وعدم القيام بها، لذا فإنه من الواقعي أن يوضح لهم ماهية الأشياء المحبوبة، وماهية الأشياء غير المحبوبة، وكل ما أوردتُه من أدلة محبة الله ﷻ ومحبة رسوله ﷺ، ومحبة المؤمنين بعضهم البعض، وعدم محبة الله لأشياء وأوصاف وأفعال هو مما يشير لثبات المحبة في الإسلام، وخضوعها لقيود وضوابط تدل على أنها محددة ثابتة.

المبحث الثاني: مكانة المحبة بين النسبية، والتطور

للوصول إلى مكانة المحبة بين النسبية والتطور في الإسلام والأديان والفلسفات المعاصرة، فإن الأمر يحتاج أولًا لتعريف مصطلحي: (النسبية، والتطور)، ثم بيان موقف الإسلام، واليهوديَّة، والنصرانيَّة، والهندوسيَّة، والزرادشتيَّة، والكونفوشيُوسيَّة، والفلسفات المثالية والواقعية، من المحبة، بناء على هذين المصطلحين، فأبدأ -مستعينًا بالله- بالتعريف بالمصطلحين:

١- النسبيَّة: مذهبُ مَن يقرر أن كل معرفة (أو كل معرفة إنسانية) فهي نسبية، والنسبية الأخلاقية: مذهب من يقرر أن فكرة الخير والشر تتغير بتغير الزمان والمكان، من غير أن يكون هذا التغير مصحوبًا بتقدم معين[١]، وعليه فإن أرباب هذا المذهب لا يرون أي ثبات لأُسس الخير والشر البتة، بل إنها متغيرة، ومتبدلة بحسب الأزمان والأمكنة.

وقد نشأت نسبية القيم عند فلاسفة اليونان في القرن الخامس قبل الميلاد مع ظهور الحركة السفسطائية، والذين اعتبروا أن القيم متغيرة ونسبية وغير ثابتة، وشككوا في كل شيء معرفة وقيمة وأخلاقًا، فأنكرت موضوعية القيم وحكمت بذاتيتها ونسبيتها، وأخضعتها للإنسان، معتبرة إياه مقياس كل شيء، وانتهت إلى أن الفضيلة هي لذة الفرد، وحصرت القيم في تحقيق تلك اللذة وإشباع نزوات النفس بدون فرق بين رغبات الأفراد أو رغبات الجماعات، فكانوا أول المتحمسين للنسبية الأخلاقية، التي تتنكر لأية معايير مطلقة يمكن أن يحتكم إليها الإنسان[٢]، وعليه فإن النسبية ترجع تقييم الخير والشر للإنسان، وتنكر استمداد الخيرية والشر من أي طريق آخر.

وإذا ما اعتبرنا أن النسبية هي الأساس الصحيح الذي ينبغي الانطلاق منه في الحكم على الحضارات والثقافات والمجتمعات والقيم والأخلاق والخير والشر، فإن هذا الأمر ينزع صفة الشمولية والكلية عنها[٣]، وسبب ذلك: أن التغير الحادث فيها بسبب الزمان أو المكان إنما منشؤه نقص أو عدم مناسبة المنهج المتبع لأحوال وأزمان حادثة وجديدة، فاحتاجت تلك الحضارات والثقافات والمجتمعات والأخلاق لتغيير أو تجديد للمنهج الذي تسير عليه، وهذا يعني انتفاء الشمولية والكلية والتكامل عنها.

وعليه فإن معنى النسبية الذي سأسير عليه في مقارنة مكانة المحبة: هو التغير والتبدل في أحكام المحبة وأسسها ومنطلقاتها، وهذا ما يعني أنه في معنى مقابل للثبات؛ لذا فإن النسبية في المحبة هي صفة مخالفة للشمولية والتكامل، فهي صفة نقص وقصور.

---

(١) ينظر: المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا، (٢/ ٤٦٦).

(٢) ينظر: القيم بين النسبية والثبات (دراسة في المصادر والنتائج)، د. مُحَمَّد نجدي حامد عبد المجيد، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، مصر، المجلد الثالث، العدد (٣٦)، (ص: ٣٥١).

(٣) ينظر: الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الإنماء العربي، د. معن زيادة وآخرون، (١/ ١٣٢٦).



٢- التطور: ويقوم على فكرة الانتقال من التكيف إلى التجانس، ومن التجانس إلى التغاير، ومثاله: نظرية (أوجوست كونت)[١] القائلة بأن التفكير الديني يمر عبر ثلاث مراحل تعبر عن التطور، وهي:

- المرحلة الأولى: الغيبي (الماورائي)، وفيها يؤمن الفكر الإنساني بالغيب والإله والأرواح الغيبية وغيرها.
- المرحلة الثانية: الوضعي، أو العقلي، وفيها يتطور الفكر الإنساني من الإيمان بالغيب إلى إعمال العقل والتفكير بالأشياء التي يدركها العقل.
- المرحلة الثالثة: العلمي، أو المادي، وفيها يتطور الفكر الإنساني إلى الإيمان بالمادة والتجارب المختبرية والحسية.

والنظرية التطورية هي: طريقة أو أسلوب في تقديم معطيات التاريخ من وثائق وتبلورات الماضي إلى ظواهر الثقافات المعاصرة، حسب سلم تطوري يعطي الانطباع بأن هناك تسلسلًا بين هذه الظواهر، وبأن التغير يأخذ شكل التحول الدائب التدريجي، ويجعل الغرب المعاصر نموذجًا أعلى لتجسيد هذا التطور، والتطور مربوط بالتقدم، وحقيقة النظرية التطورية أنها تحاول طمس التعدد الثقافي وإزالته؛ لأنها تنظر لكافة المجتمعات القديمة المتباعدة جغرافيًّا ودينيًّا واجتماعيًّا ضمن مرحلة واحدة من مراحل التطور، فهي إذن تطمس الفروق بين الحضارات تمامًا[٢].

وبناء عليه فإن التطور لا بد أن يُفضي إلى التغيير والتبديل، ونتيجة ذلك منافاته للثبات والشمولية لأنه لا يمكن أن يجتمع معهما، وبالنظر لنظرية (أوجوست كونت) في التطور فإن المحصلة فيها هو إلغاء الجانب الديني الذي يؤمن بما وراء الطبيعة، فهو بهذا يلغي المحبة الإلهية، بل يفضي إلى جعل المحبة أمرًا حسيًّا يمكن تحليله وتشريحه في المختبر كما يتم تشريح أي شيء في الطبيعة، والمحصلة من ذلك التطور أن يكون الغرب هو النموذج الأمثل للصورة الحقيقية للتطور، وعليه فإنه لا يمكن بأي حال من الأحوال التفوق على الغرب؛ لأنه هو المثال الأعلى، فكيف يتفوق المبتغي للمثل الأعلى على المثل الأعلى نفسه.

لذا فإن معنى تطور المحبة الذي سأسير عليه في المقارنة هو أن المحبة ليست إلهية بل هي خاضعة لعقول البشر؛ لأنها متطورة، كما أن المحبة الإلهية غير واردة فيه، كما أنه أحد أساليب الغرب لتنصيب نفسه كنموذج محتذى، فالتطور منافٍ للثبات والشمولية والمحبة الإلهية، فهو صفة نقص.

---

(١) هو أوجوست كونت، مفكر اجتماعي وفيلسوف فرنسي، ولد كونت في مونبلييه بفرنسا سنة ١٧٩٨م. أسس الفلسفة الوضعية، مات سنة ١٨٥٧م. ينظر: الموسوعة العالمية (٢٠/ ٢٨٨).

(٢) ينظر: الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الإنماء العربي، د. معن زيادة وآخرون، (١/٣٣٩ - ٣٤١).



أولًا: الإسلام:

تتميز المحبة في الإسلام بأنها ثابتة غير متغيرة ولا متطورة، ومظاهر ثبوتها وبعدها عن التغيير والتبديل والتطور، أن الله ﷻ أثبت محبته لعباده ومحبة عباده إليه في القرآن الكريم، وهذا مما يجلي مكانة المحبة الثابتة غير الخاضعة للنفي أو التغيير، فقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ...﴾ [المائدة: ٥٤]، وزيادة في ثبات المحبة الإلهية في القرآن الكريم، بيّن ﷻ الصفات التي يحبها في عباده المؤمنين والصفات التي لا يحبها في ثنايا القرآن الكريم[(١)]، والكتاب والسنة وإجماع المسلمين قد أثبتت محبة الله لعباده المؤمنين ومحبتهم له، وقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على إثبات محبة الله تعالى لعباده المؤمنين ومحبتهم له وهذا أصل دين الخليل إمام الحنفاء عليه السلام[(٢)]، كما يبرز الثبات وتنتفي النسبية والتغيير والتطور في إقرار أهل السنة بجميع صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة، فقد ذكر ابن عبد البر رحمه الله أن أهل السنة مجمعون ومتفقون على الإقرار بها كلها، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، دون تكييف شيء منها، ولا يحدون فيه صفة محصورة[(٣)].

وهذا من شأنه أن يجعل ثبات المحبة الإلهية هو مخالفة لمنهج التطور القائم على نفيها واندثارها، ومخالفة لتغيرها أو تبدلها مهما تغير الزمان والمكان، وأن التكييف والتشبيه الذي أحدثه المبتدعة هو من التغيير والتبديل والتطور الحادث عليها، لكن الله ﷻ حمى دينه بأن ثبت عليه الأئمة المعتبرون، فسلم دين الإسلام من التبديل والتحريف.

ومن المظاهر التي تبين ثبات المحبة في الإسلام وعدم خضوعها للنسبية والتغيير والتطور، نهي الله ﷻ عن اتباع الكافرين ونصرتهم وموالاتهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ [المائدة: ٥١]، وسبب نهي الله عن موالاتهم ومحبتهم أنهم لا يستندون على أساس ديني ثابت صحيح؛ لأن أصح الأسس هو دين الإسلام[(٤)]، فالنهي عن موالاتهم واتباع دينهم يبين أن اتباعهم وموالاتهم هو أساس التغيير والتبديل والتحريف والتطور؛ لأن ديانتهم محرفة، ولأنهم لم يتبعوا دين الإسلام الذي هو دين الحق، فعليه فإن دين الإسلام يتسم بالثبات ويتميز فيه

---

(١) ينظر: محبة الله عند أهل السنة والجماعة ومخالفيهم والرد عليهم، مريم بنت علي الحوشاني، (ص: ٥٨ -٦٢)، الحب والبغض في القرآن الكريم، مها يوسف جار الله الجار الله، (ص: ٨٩).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (٢/٣٥٤).

(٣) ينظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر، (٧/ ١٤٥).

(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، (١/٤١٢).





عن الأديان الأخرى، فالنسبية والتغيير والتطور فيه غير واردين، والمحبة كذلك ثابتة غير متغيرة ولا نسبية ولا متطورة.

ومن مظاهر ثبات المحبة في الإسلام: أنه يوجب المحبة بين المؤمنين، وليس هذا فحسب، بل وينزع وصف الإيمان ممن لم يلتزم المحبة بينه وبين أخيه المؤمن، وشواهد ذلك كثيرة، منها ما وَرَد من حديث أبي هريرة ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»(١)، والمنافاة للنسبية والتغير والتطور في الحديث أن المحبة بين المؤمنين ثابتة مدى الدهر لا يمكن أن تنقطع، والحديث يحث على استمرارها وعدم تبديلها وتغييرها، وهذه تبرز مكانتها الثابتة وغير المتغيرة أو المتطورة، أو القابلة للتغيير في زمان أو مكان.

وخلاصة الأمر: أن المحبة في الإسلام تتميز بمكانة ثابتة غير قابلة للنسبية التي تؤمن بتغير الخير والشر حسب الزمان والمكان، كما أنها غير قابلة للتطور المفضي إلى التبديل والتغير، النافي للمحبة الإلهية والإيمان بالغيب.

ثانيًا: اليهوديَّة:

تتسم المحبة في اليهوديَّة بأنها نسبية ومتطورة، ويظهر ذلك في مظهرين طاغيين على الديانة اليهوديَّة، ولعلي أظهر هذين المظهرين مع ربطهما بالنسبية والتطور في الآتي:

١- بالنظر لمعنى النسبية فإنه قائم على التغير في الخير والشر، وكذلك المحبة، باعتبار الزمان والمكان، والمتأمل في الشخصية اليهوديَّة فإنه يرى أنها تطغى عليها النظرة المادية للقيم والأخلاق والمثل والسلوك(٢)، فالثبات لا يمكن أن يستقيم مع النظرة المادية؛ لأن النظرة المادية قائمة على المنفعة، فما كان نافعًا منطويًا على مكاسب شخصية فهو الخير، والشر عكس ذلك.

وعليه فإن التغيير حتمي لا مفر منه؛ لأن المصلحة الشخصية الفردية لا يمكن أن تكون واحدة عند الناس كلهم، بل إنها لا بد أن تتقاطع وتتعارض لعدم احتكامها لضوابط محددة ومعينة، فهي متغيرة بتغير مصالح الفرد وأهوائه؛ لذا فإن المحبة نسبية في اليهوديَّة لطغيان الجانب المادي الحسي الفردي، وغير ثابتة لغياب المصدر الإلهي المحفوظ.

٢- تعتبر المحبة في اليهوديَّة أحد الجوانب التي خضعت للتحريف والتطوير والتغيير والتبديل، ويظهر ذلك في أحد مصادر اليهوديَّة الذي يجلي هذا الأمر، ألا وهو بروتوكولات حكماء آل صهيون، حيث إنها

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبة المؤمنين من الإيمان، وأن إفشاء السلام سبب لحصولها، الحديث رقم: (٥٤)، (١/ ٧٤).

(٢) ينظر: الجانب المادي في الشخصية اليهودية، آلاء محمد عصام مصباح عشا، (ص: ١٣٣).



أحد المصادر اليهوديَّة التي تظهر التطور الحادث في المحبة عند اليهود؛ لأنها عبارة عن وثائق ومحاضرات ألقاها زعيم صهيوني على مجموعة من الصهاينة ليستأنسوا بها، ويسيروا عليها في إخضاعهم للعالم والسيطرة عليه(١)، وبمجرد أنها ملقاة من قِبل إنسان فهي تعني أن اعتبار هذه المحاضرات أحد المصادر مع وجود مصادر إلهية كالتوراة، هو من قبيل التطور الذي حدث على الديانة اليهوديَّة، وبما أن الهدف منها إخضاع العالم والسيطرة عليه، فهو أمر يوحي بالفوقية والاستعلاء المنافي للمحبة.

كما أن سعي اليهود من خلال هذا المصدر لإخضاع العالم لسيطرتهم يشير إلى عدم انضباط المصادر الأصلية عندهم، فإن إخضاع العالم لا يمكن أن يكون من ضمن الأهداف التي يأمر الله بها عبادة، بل إن الله ﷻ يأمر عباده بالخضوع له وحده وإفراده بالعبادة؛ لذا فإن فكرة إخضاع العالم هي فكرة حادثة غير مأمور بها من الله ﷻ.

وبمقارنة هذين المظهرين بالإسلام، فإن الإسلام لا يمكن أن يغلب النظرة المادية الشخصية الفردية على النظرة الإلهية الروحية الداخلية، فإثبات المحبة لله ﷻ وأنها محبة متبادلة بين العبد وربه هو أول أمر يمكن نفي المحبة المادية المنطوية على محبوبات النفس وأهوائها، كما أن الإسلام لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يقبل رأيَ وقولَ أحد كائنًا من كان إذا كان مخالفًا لله ورسوله؛ لأن هذا من شأنه التغيير والتبدل والتحريف في شرع الله، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، فدل على أن الصراط غير قابل للتغيير والتبديل.

ثالثًا: النصرانيَّة:

بالنظر إلى المحبة في النصرانيَّة، فإن النسبية تظهر بشكل جلي في قضية اعتبار المحبة كذريعة سلكها المحرفون للديانة النصرانيَّة من أجل تبرير عقائدهم المنحرفة الدخيلة، فالمحبة من الأسس التي قامت عليها كثير من العقائد، فعقيدة الفداء تنطلق من المحبة، وإلهية المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ وبنوته لله تعالى تعد أحد المظاهر للمحبة، والتي نشأ عنها الانحراف التام في الإلهية والقول بالتثليث وكذلك الزعم بالخطيئة الأولى للبشرية(٢).

وعلاقة النسبية بهذا المنهج، هو أن التحريف الذي طال النصرانيَّة إنما هو من قِبل أشخاص لهم مآرب وأهداف في ذلك التغيير، فقام هؤلاء المحرفون بصياغة المحبة بناء على تلك المآرب والأهداف، فأنتجوا هذا المنهج المنحرف المبني على توجهاتهم الفردية، والنسبية تظهر من خلال أمرين:

---

(١) ينظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د. سعود بن عبد العزيز الخلف، (ص: ١٠٥).

(٢) ينظر: صفة المحبة الإلهية في النصرانية، مفهومها ولوازم تفسيرها، وموقف الإسلام منها، رفعة دحيم الدوسري، (ص: ٢).



١- تسيير التحريف مِن قِبل أشخاص وأفراد، وفق منطلقاتهم وأهدافهم، والنسبية تعني أن ترد القيم والأخلاق إلى الإنسان بناء على حاجاته وأهدافه، فالتسيير هو نسبي لأفراد محددين.

٢- أن استِقاء المحبة من المفترض أن يخضع لمصادر إلهية دينية غيبية، ليتَّسم بالضبط والتحديد الإلهي؛ لأن النص الإلهي غير خاضع للمعايير البشرية التي تراعي مصلحتها الخاصة، ولكن الواقع يبين أن المحبة في النصرانيَّة تم استقاؤها من قبل مصادر شخصية فردية غير إلهية أو غيبية، وهذا عين النسبية.

٣- كما يظهر التطور الحادث للمحبة في النصرانيَّة من خلال سعيهم إلى التشبه بمحبة الله ﷻ، فالمحبة في النصرانيَّة بين البشر، تسير على نمط حب الله للبشر[1]، ويظهر التطور في المحبة من خلال هذا السير في أن السعي إلى التشبه بالله عملية تطورية غير ثابتة، فلا يمكن أن تصل لطريق يمكن اتباعه لاختلاف الإله ﷻ عن البشر وتميزه في خصائصه، ولاختفاء النتيجة المراد أن يصل لها الإنسان؛ لأن الإله أمر غيبي لا يمكن الاطلاع عليه وعلى صفته فكيف يتم تقييم الأمر خلال السير في التشبه فيه، مما يعني أن القضية متطورة خاضعة لنظام التقدم اللانهائي.

ويظهر التطور في أوضح صوره في كون الوصول للكيفية التي يحب بها الله ﷻ إلى التقدم والترقي المستمر في العمل بغية الوصول للمطلوب، وهذا يتطلب اختراعات عملية سلوكية داخل الطريق، مما حدا بالمحبة في مفهوم النصوص المسيحية أن تتجه للسلوك العملي المغرق في الروحية والتجرد من الذات، كالبذل والعطاء دون انتظار للأخذ[2]، وهذا من شأنه أن يجعل أمر التطبيق غير ممكن؛ لأن البذل والتضحية والتجرد من الذات هو إلغاء للحاجات البشرية، وتكليف للنفس ما لا تطيق، وهذا من نتائج التطور الذي لا يتوقف عند حدٍّ أو مرحلة.

وبمقارنة هذا التوجه النصراني في المحبة بالإسلام، فإن الإسلام لا يمكن أن يخضع المحبة لتبرير أي عقيدة حادثة؛ وهذا لأن الإسلام يعتبر المحبة أمرًا ثابتًا محددًا وفق ضوابط محددة، وأمر الشريعة جميعه قائم على الاتباع لأمر الله وأمر رسوله ﷺ، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، فالأمر لا يرجع لمراد الإنسان، بل لمراد الله ﷻ، كما أن الإسلام لا يسعى في المحبة البشرية إلى التشبه بمحبة الله، بل يعتبر أن الله ﷻ متفرد بصفاته لا يشبهه أحد، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

---

(١) ينظر: المحبة لمخالف الملة (قراءة في الكتب المقدسة: اليهودية، المسيحية، الإسلامية)، د. جمال الحسيني أبو فرحة، (ص: ٢٥).

(٢) ينظر: المحبة لمخالف الملة (قراءة في الكتب المقدسة: اليهودية، المسيحية، الإسلامية)، د. جمال الحسيني أبو فرحة، (ص: ٣٩).





رابعًا: الهندوسيَّة:

تظهر النسبية في المحبة الهندوسيَّة من أصل تكون الديانة نفسها، فأصل الديانة الهندوسيَّة أنها تجمع جملة من التقاليد المجتمعية التي كانت عند أهل الهند، وتجمع كذلك عاداتهم وأخلاقهم وصور حياتهم[1]، وهذا الجمع يجعل المحبة خاضعة لتلك التقاليد والعادات المجتمعية وما تشكل عنها من الأخلاق المجتمعية المتمثلة في صور حياة أهل الهند، وهذا كله يظهر تأثر المحبة بالإنسان، وبُعدها عن الثبات والالتزام بالضوابط التي تسري على كافة المجتمعات بميزان واحد، أمَّا الإسلام فإنه ليس خليطًا من التقاليد والعادات للعرب أو لغيرهم، بل هو دين مستقل، منزل من عند الله ﷻ، فيه بيان لكل أمور الحياة غير مردود لعادات أو تقاليد، قال الله تعالى مبينا ذلك المعنى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، وقال تعالى مستنكرا على من وصف وحي الله بأنه من سنن وأساطير الأولين: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٥-٦]، فالقرآن منزل من عند الله ﷻ، مبين فيه كل شيء، لا يمكن رد شريعته إلى أقوال وتقاليد الأولين.

كما تتجلى النسبية في النظرة التي توليها الهندوسيَّة لرجال الدين، فإن رجال الدين -في اعتقاد الهندوس- يتصلون في طبائعهم بالعنصر الإلهي، وعلى هذا السبب فقد كانت مكانتهم عند الهندوس أنهم كهنة الأمة، ولا تجوز الذبائح إلا في حضرتهم وعلى أيديهم[2]، وهذا هو عين النسبية التي ترجع إلى التقييم الإنساني البشري، أمَّا الإسلام فإنه لا يُنزل أحدًا من البشر فوق منزلته، حتى رسول الله ﷺ فإنه بشر لا يملك أي صفة إلهية، قال تعالى على لسان نبيه ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠]، ولكنه ﷺ خير الخلق وأفضلهم، ويحبه المسلم محبة فوق محبة نفسه، لعظم شأنه وفضله ﷺ.

ويظهر التطور في المحبة الهندوسيَّة في التناقض الحادث في النظرة للمحبة في الهندوسيَّة، حيث تارة ينزلونها منزلة عالية يسعون من خلالها لجلب حب الآلهة، وتارة ينظرون لها بسلبية وتشاؤم، وهذا التناقض إنما هو يعبر عن جملة من التيارات صاحبة النظرة المتطورة بالتغيير والتجديد، وهذا شأن التطور فإنه قد يصل في زمان إلى نتائج معاكسة ومقابلة للنتائج الموجود في الزمن السابق، بعكس المحبة في الإسلام، فإنها تستمد مكانتها من الثبات والتكامل والشمول، فلا يمكن أن تتناقض أو تتضاد نتائجها أو منطلقاتها.

---

(١) ينظر: أديان الهند الكبرى (الهندوسية، الجينية، البوذية)، د. أحمد شلبي، (ص: ٣٧).

(٢) ينظر: أديان العالم الكبرى، حبيب سعيد، (ص: ٢٦)، أديان الهند الكبرى (الهندوسية، الجينية، البوذية)، د. أحمد شلبي، (ص: ٣٧).



خامسًا: الزرادشتيَّة:

يعتبر مؤسس الزرادشتيَّة (زرادشت) أحد المصادر التي يمكن استمداد المحبة من خلالها في الزرادشتيَّة، فهناك بعض جوانب المحبة الملتصقة بحياته، ومنها اشتمال الروايات المروية عن مؤسسهم بأنها كانت ممزوجة بعاطفة الحب، فهم يرون أن التقوى والحب يمكن رصدها من خلال تتبع حياته، حيث يرون أن التقوى في حياة زرادشت حملت الحكايات التي تروى عنه بعاطفة الحب، وتظهر تلك العاطفة في ترنيماته التي تنسب إليه، وتسمى تلك الترنيمات (جاثا)، ومع كونها يصعب ترجمتها وفهمها بعمق عندهم، إلا أن الحماسة والحب للآلهة كانت أمورا ظاهرة في حياته وترنيماته[1]، وعليه فإن المحبة في الزرادشتيَّة تظهر في مفاصل حياة المؤسس، وهذا أمر يؤثر في قضية المصدرية، فاعتبارهم لزرادشت وحياته وترنيماته بأنها أحد مصادر المحبة يظهر النسبية في المحبة من خلال أمرين:

١- أن الحياة الشخصية والمواقف الفردية إذا كانت بمعزل عن كتاب إلهي لا يمكن اعتبارها أحد المصادر لأي أمر؛ لأنها خاضعة للفرد الذي تعرض للموقف، بعكس المصدر الإلهي الغيبي فإنه متجرد من البشرية الفردية، فهو منسوب لمصدر غيبي من إله خالق محيط بكل شيء، فالفردية الشخصية هي مظهر لنسبية المحبة وتغيرها في الزرادشتيَّة، بعكس الإسلام الذي يجعل القرآن الكريم والسنة النبوية هما مصدر المحبة، والنبي ﷺ لا ينطق من تلقاء نفسه، بل ينطق بالوحي من الله، قال تعالى في شأن ذلك: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣]، وقال تعالى عن نبيه ﷺ: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ [سورة الحاقة:٤٤: ٤٦]، فهذان الدليلان يبيّنان أن الاستمداد إنما يكون من وحي الله ﷻ.

٢- أن استمداد أمر معين من خلال حياة شخص أو فرد، يستوجب أن يخوض كل مستنتج بطريقته الخاصة، مما قد يجعل التضاد في استنتاجات الراصدين وارد، وهذا يجعل الأمر خاضعًا للجهد الإنساني في الاستخلاص والاستنتاج، وخاضع لتركيبة عقل المستنتج، مما يجعل النسبية الشخصية في الاستنتاج حتمية، مما يورث النظرة المتضاربة في تحديد المحبة، وهذا منافٍ للثبات والتكامل.

سادسًا: الكونفوشيُوسيَّة:

تظهر النسبية جلية في الكونفوشيُوسيَّة من خلال اعتماد كونفوشيوس في تقرير الديانة من مجموعة من السجلات التي تتعلق بأسرة تشو الغربية، حيث نظر إليها كبقايا العصر الذهبي، فكانت سياسته استرجاع سياسات ملوك أسرة تشو الأول، واعتبرها سلطته المرجعية، واستخدمها ككتاب مقدس، وقام بتأويل لغتها العتيقة تأويلًا معاصرًا، فأنشأ منها مذهبًا أخلاقيًّا واجتماعيًّا، وهذه الكتابات تتعلق في مجملها

---

(١) ينظر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، مشرف التحرير: جفري بارندر، (ص: ٩٠).



بالعرافة ويسيطر عليها السحر واللاأخلاقية[1]، وتظهر النسبية في رجوع كونفوشيوس إلى مراجع خاصة بوضع الإنسان، فهي نسبية خاضعة لاختياراته، كما أنه قام بتأويلها تأويلًا معاصرًا مما يجعل أمر تأثر تلك التعليمات بنظرته الخاصة مما يُضفي عليها نسبية أعمق، كما أن ارتباطها بالسحر والخرافة والعرافة يجعل ارتباطها بمصدر إلهي غيبي خالق أمرًا غير وارد، مما يجعلها من وضع الوضاعين، وهذا أمر غير وارد في الإسلام، فالإسلام كما ذكرتُ وحي من عند الله، غير خاضع لوضع الوضاعين ولا لقول المجددين فيه، فقد أكمل الله دينه بقوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣]، فدين الإسلام العظيم كامل لا يحتاج للتغيير ولا للتبديل؛ وهذا الكمال وتلك الشمولية تغني عن اللجوء والحاجة للتغيير والتبديل.

كما يظهر التطور الحادث في المحبة الكونفوشيُوسيَّة من خلال ترجمة كونفوشيوس لتلك التعليمات بلغة معاصرة، والمعاصرة تعني التجديد، فعليه فإن كونفوشيوس أحدث تطورًا فيها، مما ينفي عنها الثبات والشمولية والتكامل، أمَّا الإسلام فإن القرآن الكريم نزل باللغة العربية المبينة، قال تعالى عن لغة القرآن: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾ [الشعراء: ١٩٥]، فاللغة المبيّنة غير محتاجة للتأويل المفضي إلى التطوير والتجديد في الأسس والمنطلقات.

سابعًا: الفلسفات المثالية:

تصطبغ الفلسفة المثالية في نظرتها للمحبة بالنسبية والتطور، وإذا ما أردنا التدليل على هذا الحكم، فإن النسبية في المحبة تظهر في الاختلاف الذي ينشأ بسبب النظرة الخاصة بالفيلسوف المختلفة عن غيره من الفلاسفة المثاليين، ويؤدي هذا الاختلاف إلى إمكانية حدوث التقابل في النظرة للمحبة من قبل الفلاسفة المثاليين وغيرهم، والتقابل في النظرة بين أصحاب الفلسفة الواحدة هو عين النسبية والتغير والتبديل، وما كان ذلك ليحدث لو كان الجميع يرجع إلى أصل مقدس إلهي ثابت منزل من الخالق العليم بشؤون الخلق، وعليه فإن المحبة قد يتم النظرة لها عند فيلسوف من جانب إيجابي، بينما تكون ذات المحبة في نفس التوجه عند فيلسوف آخر في مكانة سلبية، وبمقارنة هذا التبدل والتغير بين فيلسوف وآخر بالإسلام، فإن الإسلام لا يمكن أن ترى التضاد والتقابل في أحكام الشريعة الإسلامية، بل إن التضاد قد ينشأ من قِبل الإنسان لسقم في فهمه أو شبهة في ذهنه، قال تعالى: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣]، وعليه فالمحبة لا يمكن أن يحدث فيها تضاد لعدم خضوعها لعقول البشر، ولثبوتها من قبل مصادر إلهية محفوظة من التبديل والتحريف.

(١) ينظر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، جفري بارندر، (ص: ٢٣٨ – ٢٣٩).



ويظهر التطور في المحبة عند الفلاسفة المثاليين من خلال نظرة توليد المحبة من كل الأشياء، حيث يرى بعض الفلاسفة المثاليين أنَّ تنوع الحب إنما هو بتنوع ارتباطه بالمعاني والمواضيع والأشياء، فهناك حب المال، وحب الخمر، وحب المرأة، وحب الأطفال، وغيرها من الأمور التي يمكن ارتباط الحب بها.

وعلى هذا الربط فإنني يمكن أن أقول وباختصار: كل شيء يمكن أن يولد الحب، وكل شيء له ارتباط بالحب، وكل أمر يرتبط فيه الحب يعد من أنواع الحب[1]، ويظهر التطور في هذه النظرة من خلال أن كل شيء من شأنه أن يتولد منه الحب، ولا يمكن أن يكون الحب ثابتًا لتنوع الأشياء التي يتولد منها، كما أن الشيء الواحد الذي يتولد منه الحب يختلف توليده للحب بسبب اختلاف قوته وانخفاضها وتأثيرها، فالأشكال للحب كثيرة ومتعددة ومتنوعة، وعلى هذا فيمكن أن أقول: إنها متطورة وغير ثابتة ومحكمة، كما أن ارتباط الحب بالأشياء كلها يجعل له حضورًا ممكنًا في كل مفاصل الحياة، وهنا يحدث تأثير مفاصل الحياة على الحب، فيكون له صورة في مفصل مختلفة تماما عن صورته في المفصل الآخر، فيكون إذن عرضة للتطور وعدم الثبات، وبمقارنة هذا التطور الحادث في الفلسفة المثالية بالإسلام، فإن الإسلام لا يمكن أن يحدث على الشريعة المسنونة من الله ﷻ تطورًا وتجديدًا؛ لأنها محكمة شاملة ثابتة، وعليه فإن حدوث التطور لا يُحتاج إليه لوجود الثبات والتكامل والترابط، كما أن التسليم لأمر الله والخضوع لأمره من الأمور التي تمنع التطور والتبدل الحادث من عقول البشر، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النساء: ١٢٥].

ثامنًا: الفلسفات الواقعية:

تتسم الفلسفات الواقعية بما تتسم به نظيرتها المثالية من النسبية والتطور في شأن المحبة، فالنسبية تظهر في أن العرف الاجتماعي هو الذي يفرض على الإنسان ما يستحسنه من الخير وما يستقبحه من الشر، فالذي يحدد الأخلاق عندهم هو عرف المجتمع، ومن أشهر القائلين بهذا الرأي: الفيلسوف الفرنسي أوجوست كونت[2]، والعرف الاجتماعي إذا كان هو الذي يفرض الاستحسان والاستقباح، فإن هذا الاتجاه يعد نسبية متغيرة مختلفة غير ثابتة؛ لأن العرف الاجتماعي يختلف ويتغير بتغير العادات والتقاليد والموروثات الدينية والأخلاقية لكل مجتمع، كما تظهر النسبية كذلك في الفلسفات الواقعية باختلاف نظرة كل فيلسوف للمحبة عن الآخر، فلا تجد لهم قرارًا على نظرة معينة ومحددة؛ لأن الأمر راجع لاجتهاد الفلاسفة أنفسهم، مما يحتم عليهم التغيير والتبديل والنسبية بسبب خضوع ذلك للعقل الإنساني الذي لا يمكن انطباقه بين البشر جميعًا، كما أن هذين الأمرين يُظهران إمكانية التطور في النظرة للمحبة، حيث إن

---

(١) ينظر: الإيروس والثقافة (فلسفة الحب والفن الأوروبي)، فياتشيسلاف شستاكوف، (ص: ١٧١-١٧٢).

(٢) ينظر: النسبي والمطلق في مفهوم الدين الحق والأخلاق، د. محمود يوسف الشويكي، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، السعودية، المجلد الحادي والعشرون، العدد الأول، (ص: ٢٢).



كل فيلسوف قد ينطلق مما ينتهي منه الآخر، فتحدث عملية التطور مع مرور الزمن، وقد صدق الله ﷻ حين قال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، وهذه الآية كفيلة ببيان أن الإسلام لا يمكن أن يحدث في نظرته للمحبة ولكل أمر من الأخلاق والقيم اختلافًا وتطورًا وتبدلًا؛ لأنه وحي يوحى من الله ﷻ.

ويظهر أمر النسبية والتطور للمحبة في الفلسفة الواقعية من خلال اشتقاق الواقعية للمحبة من الواقع المحسوس، فأنصار الاتجاه الواقعي يعتقدون أن القيم يتم الحصول عليها عن طريق الحواس والتجربة، وعليه فإن المحبة نسبية خاضعة للواقع التي اشتُقَّت منه، ويعتقد الواقعيون أنه يمكن قياس المحبة والقيم عن طريق وسائل علمية وبحثية، ويعملون هذا المقياس في القيم كما يعملونه تجاه أي موضوع مادي قابل للبحث والدراسة في العلوم الطبيعية التطبيقية، فتصبح القيم بناء على هذا فعلًا اجتماعيًّا له ضوابطه ومقاييسه ومواقفه العلمية، ويحدث هذا الفعل الاجتماعي عندما يتفاعل الإنسان مع الواقع ومعطياته(١)، وهو ما يشير إلى النسبية الخاضعة للواقع، والتطور الحادث بسبب عدم الركون لمصدر إلهي ثابت، بعكس الإسلام الذي لا يخرج عن قواعد نصوص الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

---

(١) ينظر: القيم المتضمنة في مقرر التربية الإسلامية في المرحلة المتوسطة في ضوء إشكاليات ثورة الاتصالات بالمجتمع الكويتي، سالم يوسف الحسينان، (ص: ٣٥).



المبحث الثالث: مكانة المحبة بين الشمول، والخصوصية

تختلف الأديان والفلسفات في طريقة تعاملها مع مكانة المحبة من حيث الشمول والخصوصية، وقبل الدخول في المقارنة بين مكانة المحبة في الإسلام والأديان والفلسفات من حيث الشمول والخصوصية، فإنه يحسن أولًا أن أعرف بمصطلحي (الشمول والخصوصية)، وأحدد مكامن الامتياز ومكامن النقص التي ستنطلق المقارنة منها:

١- الشمول: مأخوذة من شَمَلَ، وشَمَلَهُمْ الأمر يشملهم، إذا عمَّهم، وجمع الله شَمْلَهُمْ، أي ما تَشَتَّتَ من أمرهم. وفرَّقَ الله شَمْلَهُ، أي ما اجتمع من أمره[١]، وإذا عمَّ الشيء وَوَسِعَ قومًا أو أشياء متعددة قالت العرب: شملهم وشمله وشملها، والشمول هو أحد خصائص الشريعة الإسلامية، لاشتمالها لكل ما يحتاجه الناس، فلا تخلو حادثة واحدة عن حكم الشريعة في جميع الأعمار والأقطار والأحوال، فالمعاني التي تضمنتها الشريعة تعم جميع الحوادث وتسعها إلى يوم القيامة، وبالنظر لمعنى الشمول بأنه: العموم والسعة، فهو مناسب للمعنى المقصود، فإذا شمل الأمر، قالت العرب: عَمَّ ووسع، وكذلك الشريعة شاملة؛ لأنها تعم وتسع جميع الوقائع والحوادث[٢]، وعلى هذا فإن الشمول هو ميزة تعني الاتساع لجميع الجوانب المرتبطة بالأمر.

وإذا ما أجريت هذا السياق على المحبة فإن الشمول يعني استيعاب كافة الجوانب المرتبطة بالمحبة، فالجوانب الداخلية الشعورية الوجدانية، والجوانب الخارجية العملية السلوكية هي أكثر وأظهر الارتباطات المتعلقة بصفة المحبة، فالشمول يعني استيعابهما معًا.

٢- الخصوصية: الخصوص يكون فيما يراد به بعض ما ينطوي عليه اللفظ، والخاص ما اختص بالوضع لا بإرادة، وقيل: إن الخصوص ما يتناول بعض ما يتضمنه العموم، وأما العموم فما استغرق ما يصلح أن يستغرقه وهو عام، والعموم لفظ مشترك يقع على المعاني والكلام، وقيل في التفريق بين الخاص والخصوص، أن الخاص هو ما يتناول أمرًا واحدًا بنفس الوضع، أما الخصوص فهو أن يتناول شيئًا دون غيره، وكان يصح أن يتناول ذلك الغير[٣] وعلى هذا فإن الخصوصية هي تناول بعض ما يكون داخلًا في العموم، وهنا يكون الشمول هو العموم والاستيعاب، والخصوصية هي الاقتصار على بعض جوانب العموم.

(١) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، (٥/ ١٧٣٨ – ١٧٣٩).

(٢) ينظر: الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية، د. عابد محمد السفياني، (ص: ١٣١ – ١٣٢).

(٣) ينظر: الفروق اللغوية، الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (١/ ٥٩ – ٦٠).



والمحبة بجانبيها الداخلي والخارجي فيها ثنائية معتبرة، والخصوص هو أحدية شيء عن كل شيء بتعينه[1]، وكما ذكرتُ في التعريف السابق أن الخصوص هو أن يتناول شيئًا دون غيره، وكان يصح أن يتناول ذلك الغير، فإن الخصوصية تكون في هذا السياق بمعنى ترك ما يمكن استيعاب وتناوله.

وستكون المقارنة بين الإسلام والأديان والفلسفات -بإذن الله- من هذا الجانب، فالديانة والفلسفة التي تتسم بالشمول فإنها تأخذ الامتياز والعلو، والتي تتسم بالخصوصية فإن النقص والاقتصار والضعف في التناول هو المثلب الذي يمكن إطلاقه عليها.

أولًا: الإسلام:

تتسم الشريعة الإسلامية بالشمول لكل ما من شأنه إقامة الحياة الدنيا على المنهج الصحيح الذي يحافظ على الأصل الحقيقي لوجود الإنسان، وهو تحقيق عبادة الله ﷻ على الوجه الصحيح، وهذه هي الغاية العظمى من الخلق، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وأنزل الله تعالى كتابه الكريم موضحًا ومفصلًا كل طريق موصل لهذه الغاية وهذا الهدف، ومن هنا تظهر الشمولية في الشريعة الإسلامية، قال تعالى في شأن ذلك: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام:٣٨]، ومعنى ما فرطنا في الكتاب من شيء، أي: ما تركنا شيئًا من أمر الدين إلا وقد دللنا عليه في القرآن، وهذه الدلالات تأتي على صفتين، إما دلالة مبينة مشروحة، وإما مجملة يتلقى بيانها من الرسول ﷺ، أو من الإجماع، أو من القياس الذي ثبت بنص الكتاب[2]، وعليه فإن مظاهر شمول الشريعة الإسلامية تظهر في جملة من النقاط:

١- ذكر الله ﷻ في كتابه الكريم لكل أمر يستقيم فيه الدين، والدلالة على هذا الأمر وبيان أثره على العباد، ويدخل في هذا ذكر الله ﷻ لكل ما يحبه ويرضاه من الأقوال والأعمال والصفات، حيث إنها من جملة ما يبين شمول الشريعة الإسلامية.

٢- تأتي الأوامر والدلالات في شأن كل أمر محبوب لله، أو أمر غير محبوب لله بطريقة مجملة تارة، وبطريقة مفصلة مشروحة تارة أخرى، واستخدام الإجمال والتفصيل هو بحد ذاته أحد مظاهر الشمولية في منهج دلالة الناس على ما يحبه الله ويرضاه، وتحذيرهم مما لا يحبه الله ولا يرضاه.

(١) ينظر: التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، حققه وضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م، (ص: ٩٨).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، (٦/ ٤٢٠).





٣- عدم اقتصار مصادر البيان والدلالة على القرآن الكريم فقط، وإنما وجود مصادر أخرى توضيحية تفصيلية لما جاء فيه، كسنة النبي ﷺ أو الإجماع أو القياس، هو مما يدعم الشمولية، حيث إن هذا من شأنه إنزال آيات الله ﷻ على الأحداث وتوجيهها، كما يتضمن قياس الأمور الحادثة بأمور سابقة، وغيرها مما يدعم قضية الشمولية لكل زمان ومكان.

ومن دلائل مكانة المحبة في الإسلام وشموليتها: كثرة ذكرها وحضورها في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فقد وردت المحبة في القرآن الكريم في جملة من المواضع تتجاوز الثمانين موضعًا، كما لا تقتصر تلك المواضع على أسلوب واحد فقط، بل هي تأتي بأساليب شتى، متنوعة بين إثبات محبة الله ﷻ إثباتًا عامًا، وإثبات محبة الله ﷻ لصفات معينة وأعمال محددة، وكذلك قد تأتي في صورة نفي محبة الله ﷻ عن صفات وأفعال سيئة[١]، والمتأمل في كثرة ورود المحبة في القرآن الكريم، يظهر له بوادر اهتمام الإسلام بشأنها، مما يبدي أول مظهر للشمولية، ولكن حينما يتعمق في تلك المواضع ويتأملها تكتمل في نظره معاني الشمولية، حيث إن تلك المواضع شملت المحبة من خلال أساليب شتى، وهذا هو عين الشمولية.

كما أن ما سبق ذكره من أن الشريعة الإسلامية تتميز بالشمولية من خلال اعتبار القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ كمصدرين أساسيين، ودخول الإجماع والقياس كمصادر محددة للأحداث والنوازل وتوجيهها إلى المعنى الصحيح المراد، كل هذا يجري في سياق الشمولية، ويظهر أن المحبة في الشريعة الإسلامية ليست مخصوصة ومتوجهة لجانب معين على حساب آخر، بل هي شاملة من نواحٍ ومظاهر شتى.

كما تظهر الشمولية في مكانة المحبة في أن القرآن الكريم لم يتحدث عن المحبة فقط، بل بين الأبواب الموصلة لها أيضًا، ويظهر هذا الأمر في محبة الله ﷻ في مواطن كثيرة، ومن تلك الأبواب -على سبيل المثال- محبة العباد لله، فهي من أوسع الأبواب الموصلة إلى محبة الله تعالى للعباد، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، فمحبة الله تعالى ومحبة رسوله باب واسع يصل العبد من خلاله إلى محبة الله تعالى له[٢]، وقد استنبط ابن تيمية رحمه الله بابًا موصلًا داخل هذه الآية، فذكر أن الله بيَّن أن المشركين الذين يتخذون من دون الله أندادًا وإن كانوا يحبونهم كما يحبون الله فالذين آمنوا أشد حبًّا لله منهم لله ولأوثانهم؛ لأن المؤمنين

(١) ينظر: محبة الله عند أهل السنة والجماعة ومخالفيهم والرد عليهم، مريم بنت علي الحوشاني، (ص: ٥٨).

(٢) ينظر: مفهوم صفة المحبة لله تعالى، د. عبد الرعود، (ص: ١٧٣).



أعلم بالله والحب يتبع العلم[1]، والشمولية تتجلى في أن الآية تشمل أسبابًا تتبع تلك الأسباب الجالبة لمحبة الله، فمنها أن العلم هو من الأبواب التي توصل العبد لهذه المحبة العظيمة.

ومن أهم مظاهر الشمولية في المحبة في الإسلام: أنه لم يختص بجانب من جوانب المحبة على حساب جانب آخر، فالمحبة لها جانب داخلي قلبي شعوري، ولها جانب ظاهري عملي تطبيقي، والإسلام تميز بالشمول للجانبين، وتوجيههما التوجيه الصحيح؛ كي تتحقق المحبة بأبهى صورها.

فإذا ما أتينا إلى الجانب الداخلي القلبي الشعوري فنأخذ مثلًا ربط الإسلام المحبةَ بالإيمان في القرآن الكريم، فقد قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤]، ويظهر الربط في أن دافع الإنسان في إتيان ما يكرهه الله ويبغضه إما أن يكون لضعف في إيمانه أو نقص في كماله، أو لضعف في محبته لله ورسوله ﷺ، ويزيد الضعف وينقص على حسب درجة وقوعه في المكروهات، أو بسبب ضعف محبته لما يحبه الله ورسوله ﷺ، وضعف بغضه لما يبغضه الله ورسوله ﷺ، والإنسان إذا وقع في المكروهات ولديه أصل الإيمان صحيح، وأصل محبته لله ورسوله ﷺ موجود ومستقر، فإنه يصحب ذلك الوقوع كره وبغض لذلك الفعل، فيكون مع قيامه بالفعل يستصحب الخوف من عقاب الله، ويرجو أن يخلصه الله من عقابها، إما بتوبة أو إحسان أو عفو أو غير ذلك[2]، وهذا يظهر الاهتمام بالجانب الداخلي القلبي الشعوري للمحبة، وأظهر مظاهره: الإيمان بالله.

وأما ما يختص بالجانب الظاهري العملي التطبيقي للمحبة، فإن الإسلام جاء مبينًا للمنهج الذي من خلاله يدلل المسلم على محبته لله ﷻ، فقد قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]، فالآية تدل على أن المنهج هو الالتزام بالشريعة الإسلامية والطريقة المحمدية، وهذا المنهج يشمل الأقوال والأفعال والأحوال، فمن تمسك بهذا فقد التزم المنهج، ومن ادعى محبة الله وخالف هذا المنهج فقد كذب في دعواه[3]، وهذا يظهر اهتمام الإسلام بشأن المحبة من الجانب العملي، وعدم تركها عُرضة للإنشاء والابتداع، وهذا الاهتمام يتجلى من خلال اتخاذ الإسلام منهجًا عمليًّا واضح المعالم غير متَّسم بالغموض وغير خاضع للتحريف.

---

(١) ينظر: أمراض القلوب وشفاؤها، ابن تيمية، (ص: ٦٣).

(٢) ينظر: قاعدة في المحبة، ابن تيمية، (ص: ١٠٤).

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٢/٢٦).

كما يظهر الجانب الظاهري العملي للمحبة في معنى (المشاركة) "فالأخ يحب أن يشاركه أخوه فيما وصل إليه من الخير والنعمة، ومن هنا نجد يوسف عليه السلام، يشرك أخاه بنيامين في النعمة التي منَّ الله بها عليه، حيث يقول: ﴿أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ﴾ [يوسف: ٩٠]"[(١)]، وهذا مظهر عملي للمحبة.

ومن جملة ما تم إيراده من أمثلة تُبيِّنُ اهتمام الإسلام بجانب المحبة الداخلي الشعوري القلبي، وجانب المحبة الظاهري العملي التطبيقي هو أكبر دلالة على شمولية مكانة المحبة في الإسلام لجميع جوانب المحبة، وعدم طغيان جانب مخصوص على جانب آخر.

ثانيًا: اليهوديَّة:

تطغى النظرة المادية على المحبة في اليهوديَّة، وهذا المبدأ تعمل به اليهوديَّة في سائر تعاملها مع القيم والأخلاق، فالنظرة المادية هي الأكثر وضوحًا وظهورًا في القيم والأخلاق والمثل والسلوك[(٢)]، والذي تهيمن الفكرة المادية على أخلاقه وسلوكه وكافة تصوراته، فإنه يؤثر في نظرته للبعث والحساب، وظهر هذا عند اليهود، فالبعث والحساب عندهم ضعيف في طرحه وفي تعاملهم معه، مما يثبت حقيقة عجز الفكر اليهودي عن فهم التصورات العقدية -ومنها البعث والحساب- بغير أدوات الحس المباشر[(٣)]، أما عن علاقة هذه النظرة المادية بمكانة المحبة بين الشمول والخصوصية، فإني أُجمل ذلك في الآتي:

١- من خلال ما تم طرحه من طغيان النزعة المادية على المحبة في اليهوديَّة فإن هذا الأمر ينفي بشكل مباشر وجود الشمولية في المحبة اليهوديَّة، فإن الشمولية لا يمكن أن تنزع إلى جانب على مصلحة جانب آخر، بل إن الشمولية من شأنها أن تعم جميع أرجاء وجوانب وملحقات المحبة، وعلى هذا فالمحبة في اليهوديَّة تميل إلى جانب الخصوصية المقابلة للشمول، وإذا ما قارنَّا هذا الأمر بالإسلام، فإن الإسلام يجعل المحبة تتبوأ مكانة شاملة للجانبين النفسي والمادي، ويظهر ذلك في محبة الله القائمة على الإيمان الداخلي به، والمتعلقة بالأعمال الصالحة المطلوبة من المسلم كي يدلل على محبته الداخلية بمظاهر خارجية وأعمال حسية، وعلى هذا فالمحبة في الإسلام ليست مختصة بجانب أحادي، بل هي شاملة للثنائية الداخلية والخارجية.

---

(١) الإخوة في النسب وسلوكهم في القرآن الكريم (المفهوم، الدلالات، الآداب، الثمرات)، أ.د. عبد الله بن صالح بن عبد الله الخضيري، جامعة الحديدة، كلية التربية بالحديدة، اليمن، العدد (١١)، ٢٠١٨م، (ص: ٢٣).

(٢) ينظر: الجانب المادي في الشخصية اليهودية، آلاء مُحَمَّد عصام مصباح عشا، (ص: ١٣٣).

(٣) ينظر: المرجع السابق، (ص: ١٣١).

٢- من آثار اتجاه اليهود في نظرتهم للمحبة في جانبها المادي الخارجي الحسي، أن تعاملهم في قضية مهمة -تعتبر أمرًا مهمًا في الدافعية لنشوء المحبة في داخل الإنسان- تعامل ضعيف وغير موجود بشكل مؤثر، ألا وهي قضية الحساب والبعث، فاليهود لا يولونها اهتمامًا كبيرًا، بل إنهم يجعلونها أحد الأمور الثانوية، وما ذاك إلا بسبب محاولتهم الاتساق مع النظرة المادية الحسية، حيث إنَّ عقيدة البعث والجزاء والحساب من شأنها أن تُزَهِّد الإنسان بالمتع الدنيوية الحسية؛ لذا فإنها تخالف التوجه والتصور اليهودي العام، أمَّا الإسلام فإن قضية الجزاء والبعث والحساب هي قضية جوهرية مهمة، قال تعالى: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ [التغابن: ٧]، وقال تعالى في قضية البعث ولقاء الله: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]، وعليه فإن الإسلام يتميز بالشمولية حتى في قضية ربط البعث والحساب بالمحبة، بخلاف اليهوديَّة التي بسبب خصوصيتها تجاه المحبة المادية لم تستطع اشتمال تلك العقيدة، بل زهدت فيها.

ثالثًا: النصرانيَّة:

تختص المحبة في النصرانيَّة بخصائص مقابلة ومعاكسة للمحبة في اليهوديَّة، فيولي النصارى المحبة الروحية مكانة بالغة، بعكس اليهود الذين يولون المحبة الحسية الظاهرية المكانة الأكبر والأظهر، فالمادية اليهوديَّة ساهمت بشكل كبير إلى توجيه الإنسان إلى الاهتمام بالواقع الخارجي، أما النصرانيَّة فإنها على العكس ساهمت في توجيه الإنسان إلى الاتجاه إلى العمق الروحي الداخلي؛ لذا فإن الخصوصية الروحية في المحبة النصرانيَّة هي عبارة عن ردة فعل للخصوصية الحسية للمحبة في اليهوديَّة[١]، وخصوصية المحبة في النصرانيَّة واليهوديَّة هي أكبر مظهر يمكن أن يجلي الشمولية للمحبة في الإسلام، حيث إن الإسلام جاء ليشمل الجانبين ويقضي على غلبة جانب على آخر، فالإسلام يعامل المحبة من جهتيها الاثنتين بطريقة متزنة شاملة قائمة على اعتبار المحبة الداخلية الروحية المتمثلة في المحبة الإلهية، واعتبار المحبة الخارجية الروحية القائمة على مظاهر الأعمال والأفعال القولية والفعلية.

والخصوصية الروحية الداخلية التي طغت على المحبة في النصرانيَّة، دفعتهم إلى التعامل مع أحد أهم عقائد نظرتهم للإله، وهو أنهم يسعون في محبتهم إلى التشبه بمحبة الله ﷻ، فالمحبة في النصرانيَّة بين البشر تسير على نمط حب الله للبشر كما عبر عنه العهد الجديد[٢]، وهذا التوجه إنما يظهر ابتعاد الديانة النصرانيَّة عن الشمولية في النظرة للمحبة، فهم يساوون البشر بالإله من حيث السعي إلى التشبه به، وهذا أمر لا يمكن تحققه، فالله ﷻ يختلف عن البشر، وهذا هو منهج الإسلام في الله ﷻ، فقد قال تعالى عن نفسه:

---

(١) ينظر: الإسلام بين الشرق والغرب، علي عزت بيجوفيتش، (ص: ٢٧٤).

(٢) ينظر: المحبة لمخالف الملة (قراءة في الكتب المقدسة: اليهودية، المسيحية، الإسلامية)، د. جمال الحسيني أبو فرحة، (ص: ٢٥).



﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فالنصرانيَّة أهملت الجانب الخارجي الحسي للإنسان، والذي من شأنه أن يجعلهم يعاملون صفات الإنسان كالمحبة وغيرها معاملة مختلفة عن صفات الله ﷻ.

وجملة المؤثرات التي أنشأت تلك العقيدة النصرانيَّة هي نتاج للنظرة الخصوصية غير الشاملة لجوانب المحبة، أمَّا الإسلام فإنه يثبت خصائص لله ﷻ خاصة به، وينفي عقيدة التشبه بالله، أو تشبيه صفات الله بصفات المخلوقين، فالله ﷻ له المثل الأعلى، قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠]، وعلى هذا فإن النظرة الشمولية لمحبة الإنسان في الإسلام جعلت الأمر متوازنًا غير متعرض لطغيان جانب على جانب، وهي في نهاية الأمر تعتبر نظرة شمولية حيث تعامل الإنسان بما يوافق خصائصه، وتضبط المحبة وفقا لذلك.

رابعًا: الهندوسيَّة:

تسيطر النظرة الخصوصية على المحبة في الهندوسيَّة، وتظهر هذه الخصوصية في أكبر مشاهدها من خلال قضية استمداد المحبة، فالهندوسيَّة تستمد المحبة وغيرها من الصفات والأخلاق والقيم والسلوك من خلال أوجه تشير إلى الخصوصية وعدم الشمول، ومن أوجه الاستمداد: ما يطلقون عليه (رجال الدين)، حيث يعتقد الهندوس أن رجال الدين هؤلاء يمتلكون بعض الصفات التي تمكنهم من التواصل مع الآلهة، فقد أنزلهم الهندوس مكانة عالية حيث إنهم كانوا يسمونهم كذلك (كهنة الأمة)، وتزداد النظرة العالية لمكانتهم في اعتقاد الهندوس أنه لا تجوز الذبائح إلا في وجودهم وعلى أيديهم[(١)]، وهذا الأمر يمكِّن هؤلاء الكهنة من ركوب المرتبة التي تخولهم أن يكون لهم الدور التنظيري التقريري في الهندوسيَّة، وهذا الدور يتبين من خلال اعتقادهم باتصال هؤلاء الكهنة بالعنصر الإلهي، وعليه فإنهم يستجلبون أفكارهم ومعتقداتهم من هؤلاء الكهنة، والخصوصية في هذه النظرة تكمن في أن العقل الإنساني هو من يقرر المحبة وينظر لها في الهندوسيَّة، بخلاف الإسلام، فإن الذي يضع الضوابط والمحددات هو الشرع الإلهي المستمد من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فالله ﷻ خالق الإنس والجن، ويعلم ما يصلح شأنهما؛ لذا فإن استمداد المحبة من خلاله هو عين الشمول، أما استمداد المحبة من عقول البشر هو عين الخصوصية والبعد عن الشمولية؛ لأن عقول البشر قاصرة عن الإحاطة بجميع جوانب المحبة وغيرها.

---

(١) ينظر: أديان العالم الكبرى، حبيب سعيد، (ص: ٢٦)، أديان الهند الكبرى (الهندوسية، الجينية، البوذية)، د. أحمد شلبي، (ص: ٣٧).



ومن أمثلة ما ذهبت إليه الهندوسيَّة في استمداد المحبة من الكهنة: رجل الدين (راما كريشنا)[١]، فهو من الذين يقدسون الماء والتراب والحيوان، ويعد من أعظم نساك الهند، حيث كان لحياته أثرٌ كبيرٌ في تغلغل السمو الروحي أعماق القلوب، حيث قيل فيه أنه تتويج لجهود آلاف السنين في سبيل ترقية الحياة الباطنية لمئات الملايين من الهنود[٢]، فهو من أسباب الاتجاه الروحي الذي تتجه إليه الهندوسيَّة، حيث إنه -هو وغيره من رجال الدين- صرفوا المحبة إلى الداخل الإنساني، فجعلوها محبة باطنية قائمة على تقديس الآلهة والأشياء، وهنا تظهر الخصوصية في التوجه إلى الجانب الداخلي الروحي الإنساني، الذي من شأنه أن يطغى على الجانب العملي الظاهري، والإسلام في تعامله مع المحبة لم يصرفها لجانب واحد، بل شمل الجانبين معًا.

خامسًا: الزرادشتيَّة:

تتمحور الزرادشتيَّة في أصلها حول أمر يظهر الخصوصية في مكانة المحبة، فهي ترتكز حول الإله الكبير الواحد المطلق (أهورامزدا)، ولكن في الوقت نفسه تقول بأن هناك إلهًا للشر هو (أهريمان)، وأن هناك صراعًا أبديًّا بينهما ينتهي بفوز الإله (أهورامزدا) على إله الشر (أهريمان)[٣]، ولهذه النظرة أثر على مكانة المحبة من حيث بُعدها عن الشمول وميلها إلى الخصوصية، فالشمول في المحبة لا بد أن يتطلب إلهًا واحدًا يقوم ببيان المحبة للناس وإظهارها، أما وجود إلهين يظهران المحبة للناس فهذا أمر لا يمكن أن توصف المحبة من خلاله بالشمول، ولبيان أن الشمول لا يمكن أن يتحقق بوجود إلهين اثنين فإني سأقارن هذا الأمر بالإسلام ليتبين كيف أن وجود إلهين هو فساد للمحبة فضلًا عن شموليتها، فالإسلام لا يؤمن بوجود إلهين البتة، بل يؤمن بالتوحيد فقط، وقد نفى الله ﷻ أن يكون معه إله، فقال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١]، فهذه الآية تبين أنه عند وجود إلهين اثنين فإن أحدهما لا يمكن أن يسن سنة محكمة للناس لوجود التنافس بينهما، ويظهر ذلك جليًّا في قول الله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢]، فوجود آلهة غير الله الواحد المتفرد بصفاته هو أمر تضيع معه الحياة وتفسد، وعلى هذا فاستقامة أمر المحبة وشموليتها في الإسلام مستمدة من مبدأ

---

(١) هو راماكرشنا المولود في ١٨ فبراير ١٨٣٦م، لعائلة براهمية ڤياشناڤاية فقيرة في ريف البنغال. أصبح كاهن في معبد داكشينسوار كالي، مات في ١٦ أغسطس ١٨٨٦م. ينظر:
٨D%١B%٨D%٨٣%٩D%٧A%٨D%٨٥%٩D%٧A%٨D%١B%٨www.marefa.org/%Dhttps://w
.٧A%٨D%٨٦%٩D%٤B%

(٢) مفهوم التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي، محمود يوسف الشوبكي، (ص: ٢٩ – ٣٠).

(٣) ينظر: الموجز في المذاهب والأديان، الأب صبري المقدسي، (١/ ٦٠).



التوحيد والتعظيم لله، بخلاف الزرادشتيَّة التي تُنَصِّب إلهًا للشر، فهذا معناه فساد أمر شمولية المحبة، واختصاصها بتوجهات كل إله على حدة.

ومما يظهر خصوصية المحبة في الزرادشتيَّة هو أصل الديانة، فهي توصف بأنها ضرب من الإصلاح – المزعوم– للديانة الوثنية الفارسية، وترمي إلى تنمية الحصاد، والرفق بالحيوانات المستأنسة(١)، وعليه فإن الزرادشتيَّة بهذا المنطلق لا يمكن أن تنظر للمحبة نظرةً شمولية، بل إن نظرتها ستكون متحيزة للأصل، فهي مجرد دعوى إصلاح للوثنية وليست دينًا منزَّلًا من السماء قائمًا بذاته وله تفرده واختياراته ونظرته الخاصة؛ لذا فإن استهدافها لتنمية الحصاد والرفق بالحيوانات المستأنسة يبين ردة الفعل التي أحدثتها الزرادشتيَّة بناء على ما كان يسبقها من سلوكيات وعقائد وثنية، فالحاصل أن المحبة ستتأثر بخصوصية الإصلاح التي تهدف لها الزرادشتيَّة، أمَّا الإسلام فإنه وحي منزل من الله، مشتمل على تعاليم شاملة لكل أمور ومصالح الناس، والمحبة هي حجر أساس في هذه التعاليم والتوجيهات.

سادسًا: الكونفوشيُوسيَّة:

تظهر المحبة في الكونفوشيُوسيَّة على شكل تعاليم مجتمعية، وتظهر عليها الخصوصية والنزعة إلى الجانب المجتمعي الظاهري، وتفتقد الشمولية للجانب الداخلي والظاهري معًا، فهي تصرف جل اهتمامها إلى الجانب العملي السلوكي القائم على المصالح والبحث عن المصلحة الشخصية، فمن ذلك: أنها تدعو إلى البعد عن المحسوبية والوساطة أو المحاباة في أي أمر، وترفع شعار العدل بشكل ظاهر، وتهدف من هذه النظرة نشر المحبة والألفة ونبذ العداوة الناشئة عن الظلم والمحاباة، وتظهر الخصوصية المجتمعية للمحبة في اهتمام الكونفوشيُوسيَّة بحياة الحاكم، حيث يوجبون عليه احترام الأفراد الجديرين باحترامه، وبذل المحبة والتودّد إلى من تربطهم به صلة قربى وقيامه بالتزاماته حيالهم، والقيام بمعاملة وزرائه وموظفيه بالحسنى، والعطف على رعايا الدول الأخرى المقيمين في دولته، وتحقيق الرفاهية لأمراء الإمبراطورية ولعامة أفرادها(٢) وغيرها من المظاهر التي من شأنها نشر المحبة المجتمعية وقيام الدولة على أسس تمكنهم من تحقيق أمنية كونفوشيوس في تطبيق المدينة الفاضلة.

أمَّا الإسلام فإنه لا يجعل المحبة المجتمعية هي الأساس فقط، بل إن المحبة المجتمعية نابعة من الإيمان الداخلي المبني على محبة الإيمان، ويجلي ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، فالمحبة المجتمعية لا يمكن انفكاكها عن الإيمان القلبي، وهذا يعني شمول المحبة من الجانبين (القلبي الداخلي،

---

(١) ينظر: مفهوم الألوهية في الأديان الزرادشتية والهندوسية والبوذية (دراسة مقارنة)، ريبوار كريم الشميراني، (ص: ٦٥)

(٢) ينظر: ما بعد الموت عند اليهودية، النصرانية، المجوسية، الهندوسية، البوذية، الكنفوشيوسية، د. مشاري سعيد المطرفي، (ص: ١٩٧ – ١٩٨)، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (٢ /٧٥٣ – ٧٥٤).



والمجتمعي الخارجي)، ولعل سعي كونفوشيوس إلى تحقيق المدينة الفاضلة هو الذي جعل المحبة تأخذ منحى الخصوصية المجتمعية، وهذه نظرة أحادية غير شاملة.

سابعًا: الفلسفات المثالية:

تختص الفلسفة المثالية بالجانب الروحي الشعوري الداخلي للمحبة، وتعتبر هذا التوجه أهم ركائزها وخصائصها العامة، ومن خلال مظاهر المكانة للمحبة فيها فإني أذكر أمرين مشتملين على هذه الخصوصية ومنبثقين منها في الأساس، وهما:

١- الخصوصية الروحية للمحبة، والموصوفة بالسمو والخلود، والقدسية، وتظهر هذه المعاني في فلسفة الرومانسيين وأدبهم، حيث يحملان تصورًا خاصًّا عن الحب يعرف باسم: «الحب الرومانسي»، ويوصف هذا الحب بأنه حب مثالي سامٍ، وخالد، وهو ما يبين توجه الفلسفة المثالية إلى الحب الأعلى، ومن هنا نشأت فكرة قدسية الحب(١)، ومظهر الخصوصية الروحية للمحبة هنا هو مجموع الألفاظ التي لا يمكن إطلاقها على حب خارجي واقعي محسوس ظاهر، فألفاظ السمو والخلود والقداسة هي ألفاظ تشير للمحبة الروحية المتصلة بكائنات روحية عُليا، وهذا الأمر يغفل بشكل ظاهر المحبة في شكلها الخارجي الواقعي الظاهري المحسوس، وهذا تحيز وخصوصية لجانب من المحبة على جانب آخر، أمَّا الإسلام فإنه لا يمكن أن يختص بجانب دون الآخر؛ لأن مكانة المحبة في الإسلام تكتسب الشمولية في جميع الجوانب من الشمولية العاملة للشريعة الإسلامية، والتي يدل عليها قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ٣]، وعلى هذا فلا حاجة في الإسلام من إطلاق وصف الخلود والسمو والقداسة على الحب؛ لوجود الشمولية، وانتفاء الخصوصية والتحيز.

٢- القوة الداخلية للحب، حيث يوصف الحب بأنه أحد الانفعالات القوية التي تصدر عن الإنسان، وتستمد القوة كذلك من أن دافعية الحب تنشأ من الخيال، وهذا يشير إلى أن الحب يتشكل بصورته الكبرى في داخل الإنسان، وقد يكون محبوسًا لا ينزل إلى أرض الواقع، وعلى هذا فالمحبة تكمن قوتها في الذهن، وله سبق الغلبة والقوة على الأشياء المحسوسة الموجودة على أرض الواقع، ويبرز ذلك المعنى ما ذهب إليه الفيلسوف (سبينوزا) حيث يقول: «من تخيل هلاك ما يحب كان حزينًا، ومن تخيله محفوظا كان مسرورًا»(٢)، وعليه فإن قوة المحبة تكمن في خصوصيتها الداخلية، ومنابعها الوجدانية، أمَّا الإسلام فإنه بنظرته الشمولية لا يجعل الغلبة والقوة في الداخل فقط، وكذلك لا يمكن أن تكتفي المحبة

---

(١) ينظر: الإيروس والثقافة (فلسفة الحب والفن الأوروبي)، فياتشيسلاف شستاكوف، (ص: ١٩٨).

(٢) علم الأخلاق، باروخ سبينوزا، (ص: ١٦٧).



بشكلها الداخلي وصورتها الوجدانية، بل هي منوطة بظهورها على أرض الواقع المحسوس، ويشهد على ذلك ارتباط محبة الله ورجائه بالعمل، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

ثامنًا: الفلسفات الواقعية:

تظهر خصوصية المحبة في الفلسفة الواقعية بوقوفها في الجانب المقابل للفلسفة المثالية، فالفلسفة الواقعية تجعل المكانة العُليا للمحبة في الشكل الخارجي الواقعي، وتظهر الخصوصية في جملة من المظاهر يمكن اختزالها في مظهرين، وهما:

١- تكتسب القيم في الفلسفة الواقعية قوة وأثرًا كبيرين، فالقيم هي معايير خُلُقية تحكم حركة الإنسان، وهي وهذه القيم المتحكمة بالحركة مستمدة من الواقع المعيش، ويرى أصحاب هذا الاتجاه الواقعي إمكانية تحديد قيم شاملة نستطيع من خلالها أن نصل إلى مجموعة من القيم التي ينبغي ألا يخرج عنها الناس، وتكون هي القيم المطلقة، وأقاموا سُلَّمًا ثابتًا للقيم، تحتل القيم العقلية والتجريبية الحسيَّة أعلاه(١)، وبناء على هذا فالمحبة هي مختصة بالجانب الظاهري الواقعي، حيث إنها توصف بالمعيار، والمعيار لا بد أن يكون إما صفة مشاهدة أو محسوسة، أو رقمًا محددًا، ومن اختصاصها بالجانب الظاهري أن تلك المعايير ليست مستمدة من الذهن والفكر، بل من الواقع المعيش المشاهد، وهذا فيه تحيز لجانب على جانب، وتخصيص للجوانب الظاهرية على الداخلية.

٢- تُرصَد المحبة وسائر القيم والانفعالات عن طريق الحواس والتجربة، وتُشتَقُّ من الواقع المحسوس؛ لذا فهي لا بد أن تكون متغيرة ونسبية، وعليه فإنها لا بد محتاجة إلى مقياس يمكن من خلاله الحكم بوجودها وتأثيرها، ويمكن قياسها عن طريق وسائل علمية وبحثية، ويعملون هذا المقياس في القيم كما يعملونه تجاه أي موضوع مادي قابل للبحث والدراسة في العلوم الطبيعية التطبيقية، فتصير القيم فعلًا اجتماعيًّا له ضوابطه ومقاييسه ومواقفه العلمية، ويحدث هذا الفعل الاجتماعي عندما يتفاعل الإنسان مع الواقع ومعطياته(٢)، وهذا يبين الاختصاص بالجانب الظاهري المادي المحسوس للمحبة على الجانب الداخلي لها.

---

(١) ينظر: المعلم ورسالته في التربية الأخلاقية، مصطفى عبد القادر، (ص: ١٦٩)، القيم المتضمنة في مقرر التربية الإسلامية في المرحلة المتوسطة في ضوء إشكاليات ثورة الاتصالات بالمجتمع الكويتي، سالم يوسف الحسينان، (ص: ٣٦).

(٢) ينظر: القيم المتضمنة في مقرر التربية الإسلامية في المرحلة المتوسطة في ضوء إشكاليات ثورة الاتصالات بالمجتمع الكويتي، سالم يوسف الحسينان، (ص: ٣٥).





وجملة مؤشرات المظهرين تفيدُ نفيَ شمولها للجانب الداخلي الشعوري الوجداني مع الجانب الخارجي العملي السلوكي، وهذا النفي يقابله تميز الإسلام بجمعه بين الجانب الداخلي الذي تنزع إليه الفلسفة المثالية مع الجانب الخارجي المختص بالفلسفة الواقعية.





الباب الثالث

منهج الإسلام، والأديان، والفلسفات المعاصرة

في بناء المحبة، وحمايتها.

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: منهج الإسلام في بناء المحبة، وحمايتها.

الفصل الثاني: منهج الأديان في بناء المحبة، وحمايتها.

الفصل الثالث: منهج الفلسفات المعاصرة في بناء المحبة، وحمايتها.

الفصل الرابع: مقارنة منهج بناء المحبة، وحمايتها بين الإسلام، والأديان، والفلسفات المعاصرة.





الباب الثالث: منهج الإسلام، والأديان، والفلسفات المعاصرة

في بناء المحبة، وحمايتها

يعتمد الإسلام والأديان والفلسفات على جملة من الأمور في إثبات المحبة، وإظهارها بالصياغة التي تعبر عن منطلقات وأهداف كل ديانة وفلسفة، وتظهر المحبة في شكلها النهائي من خلال مرورها بجملة من المستويات والمظاهر والمؤثرات، التي تظهر منهجًا في البناء يمكن رصده من خلالها، والحكم على المحبة بالتميز أو النقص من خلاله، كما يمر ذلك الخط في البناء على عدد من المؤثرات الخارجية التي بإمكانها حرف مساره عن التوجه العام؛ لذلك قامت الديانات والفلسفات بصياغة منهج لحماية المحبة من الظهور بشكل نهائي مخالف للمنطلقات والعقائد الرئيسية المتبعة، ويحتوي هذا الباب على أربعة فصول، تحت كل فصل عدة مباحث، وهي:

الفصل الأول: منهج الإسلام في بناء المحبة، وحمايتها.

المبحث الأول: منهج الإسلام في بناء المحبة.

المبحث الثاني: منهج الإسلام في حماية المحبة.

الفصل الثاني: منهج الأديان في بناء المحبة، وحمايتها.

المبحث الأول: منهج اليهوديَّة والنصرانيَّة في بناء المحبة، وحمايتها.

المبحث الثاني: منهج الأديان الوَضْعيَّة في بناء المحبة، وحمايتها.

الفصل الثالث: منهج الفلسفات المعاصرة في بناء المحبة، وحمايتها.

المبحث الأول: منهج الفلسفات المثالية في بناء المحبة، وحمايتها.

المبحث الثاني: منهج الفلسفات الواقعية في بناء المحبة، وحمايتها.

الفصل الرابع: مقارنة منهج بناء المحبة، وحمايتها، بين الإسلام، والأديان، والفلسفات المعاصرة.

المبحث الأول: مقارنة منهجية بناء المحبة، وحمايتها، بين الإسلام، والأديان.

المبحث الثاني: مقارنة منهجية بناء المحبة، وحمايتها، بين الإسلام، والفلسفات المعاصرة.



الفصل الأول: منهج الإسلام في بناء المحبة، وحمايتها

المبحث الأول: منهج الإسلام في بناء المحبة

المحبة إحدى الصفات التي تمتاز بتمثلها في مستويين، المستوى الداخلي والخارجي، أو الجانب الوجداني والجانب العملي، وهي تنشأ ابتداء من الشعور الداخلي الوجداني، وتنتهي بالجانب السلوكي العملي الظاهري؛ لذا فإنها تتعرض منذ نشأتها وحتى خروجها إلى العالم الظاهري المشاهد لكثير من المؤثرات؛ لذا فقد تنشأ لهدف معين، ولكنها خلال سيرها للخروج إلى العالم الخارجي تتعرض إلى مؤثرات تحرفها عن هدفها، فتكون على أرض الواقع تحقق شيئًا وهدفًا آخر غير الذي نشأت من أجله؛ لذا فإن المحافظة عليها حتى تخرج بالشكل الصحيح المتوازن تحتاج إلى منهجٍ رصينٍ قويمٍ يهتم بها قبل نشأتها، وخلال نشأتها، وبعد نشأتها، وفي واقعها وتشكلها السلوكي النهائي، ولعل الإسلام استخدم منهجًا غاية في الرصانة والوضوح، وسعى هذا المنهج إلى تحقيقها لهدفها الذي وجدت من أجله، ومن خلال الاستقراء للنصوص والمسارات التي يعامل فيها الإسلام المحبة، توصلت إلى أن المنهج يقوم على أربع مستويات رئيسية، يلزم بعضها بعضًا، ويعاضد بعضها بعضًا، وهذه المستويات هي:

المستوى الأول: إثبات محبة الله ﷻ للعباد، والأعمال، والأوصاف.

المستوى الثاني: وجوب محبة العباد لله ﷻ.

المستوى الثالث: وجوب محبة النبي ﷺ.

المستوى الرابع: وجوب المحبة بين المؤمنين.

وسأبدأ مستعينًا بالله في وصف كل مستوى منها موضِّحًا دوره في البناء، ورابطًا ظروفه وأحكامه بالمنهج، فأسأل الله الإعانة والتوفيق.

المستوى الأول: إثبات محبة الله ﷻ للعباد، والأعمال، والأوصاف:

يعد إثبات الله ﷻ المحبة لنفسه أولَ مستوى من مستويات بناء المحبة في الإسلام، حيث أثبت القرآن العظيم صفة المحبة لله في أكثر من أربعين موضعًا، علاوة على ما في السُّنَّة من أحاديث تدل على ذلك، فمن القرآن قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران :٣١]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، ومنها قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [سورة الممتحنة: ٨]، ويقول



الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [المائدة: ٨٧]، ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

ومن السُّنَّة فيما يثبت محبة الله ﷻ، ما جاء من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إِنَّ اللَّهَ قَالَ: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»(١).

وجاء في السُّنَّة أيضًا، عن عائشة ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلاَتِهِمْ فَيَخْتِمُ بِقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟»، فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ»(٢).

ومنها ما رواه أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»(٣).

وهذا الحديث يدل على أن الله ﷻ موصوف بالمحبة، وأنه ﷻ يحب على الحقيقة، وأنه ﷻ يحب مقتضى أسمائه وصفاته وما يوافقها، فهو القوي ويحب المؤمن القوي، وهو وتر يحب الوتر، وجميل يحب الجمال، وعليم يحب العلماء، ومحسن يحب المحسنين، وصبور يحب الصابرين، وشكور يحب الشاكرين(٤)؛ لذا فإن المحبة صفة ثابتة لله بما يليق به ﷻ، ويثبتها أهل السنة والجماعة على الحقيقة، وقد وأجمع السلف

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب التواضع، الحديث رقم: (٦٥٠٢)، (٨/ ١٠٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، الحديث رقم: (٧٣٧٥)، (٩/ ١١٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة قل هو الله أحد، الحديث رقم: (٨١٣)، (١/ ٥٥٧).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، الحديث رقم: (٢٦٦٤)، (٤/ ٢٠٥٢).

(٤) ينظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م، (ص: ٥٧٦).





على ذلك، ولا يعني إثباتها أنها تماثل صفات المخلوقين[1]، وذكر ابن تيمية رحمه الله أن محبة الله لعباده المؤمنين ومحبتهم له ثابتة بالكتاب والسنة، كما أن سلف الأمة وأئمتها أجمعوا على إثبات محبة الله تعالى لعباده المؤمنين ومحبتهم له، وهذا أصل دين الخليل إبراهيم عليه السلام[2]، وذكر ابن القيم رحمه الله أن جميع الطرق والأدلة عقلًا ونقلًا وفطرة، وقياسًا واعتبارًا، تثبت محبة العبد لربه، والرب لعبده[3].

ولتأكيد علاقة إثبات صفة محبة الله لنفسه، بمنهج البناء للمحبة في الإسلام، فإني أجمل العلاقة في جملة من النقاط:

١- إثبات الله المحبة لنفسه توحي بعظم هذا الأمر، وعظمته مستمدة من عظمة الله سبحانه وتعالى، وما تعلق بالله سبحانه وتعالى صار أعلى وأجل شأنًا من الذي لا يتعلق به سبحانه، فالمسلم إذا التزم هذه العقيدة وأثبتها على حقيقتها، كانت أول لبنة من لبناء هذا البناء الذي يشيده الإسلام بتعاليمه وعقائده وثقافته في قلب المسلم.

٢- بعد إثبات أن اعتقاد محبة الله كصفة ثابتة له سبحانه وتعالى هي أساس هذا المنهج الذي بناه الإسلام في قلب المسلم، يأتي أمر آخر يعد في المرحلة التالية لمرحلة الإثبات، وهو التكرار والتأكيد المستمر لهذه المحبة في نصوص الكتاب والسنة، حيث ورد تأكيدها في القرآن الكريم في أكثر من أربعين موضعًا، وورد في السُّنَّة جملة من الأحاديث التي أوردتُ بعضها هنا، وأوردت بعضها الآخر في ثنايا البحث، وبقي غيرها مما لم أورده، وهذا التكرار المستمر والتأكيد المتواصل الذي يجده المسلم بشكل مستمر في ثنايا هذه النصوص، يورثه إيمانًا عميقًا بها، فملازمة ذكر الشيء تزيد من رسوخه وثباته في القلب، فالذي يريد حفظ شيء في عقله، فإنه يكثر من تكراره وقراءته، ويحرص بعد حفظه على المداومة على استذكاره كي لا يضيع، وكل هذا هدفه رسوخ ذلك المحفوظ في الذهن وعدم ذهابه، فتكرار المحبة بهذا العدد وتلك الطريقة وبالصفات التوكيدية يعد من أظهر مظاهر بناء المحبة في قلب وشعور وذهن المسلم، وتشييدها على أساس قوي يحفظها من الزوال والاندثار.

٣- تأتي المحبة لله سبحانه وتعالى مقرونة بصفات وأعمال متعددة، كحبه سبحانه وتعالى للمتقين والمحسنين والمقسطين وغيرها من الصفات التي ندب الله سبحانه وتعالى إليها، وهذا التعدد في الصفات التي يحبها الله سبحانه وتعالى من شأنه زيادة ترسيخ المحبة في قلب المسلمين لتعدد المتعلقات بالمحبة نفسها، بخلاف لو كانت محبة الله سبحانه وتعالى محصورة على محبة صفة واحدة.

---

(١) ينظر: تسهيل العقيدة الإسلامية، عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة الجبرين، دار العصيمي للنشر والتوزيع، السعودية، الطبعة الثانية، (ص: ١٤٠)

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (٢/ ٣٥٤).

(٣) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، (٣/ ٢٠).



٤- مما يجلي الارتباط الوثيق بين إثبات المحبة لله ﷻ ودورها في بناء المحبة في المجتمع المسلم، هو ما ذكره ابن تيمية وابن القيم، حيث أكدا جملة من الأمور التي تثبت أثر تلك المحبة ودورها في البناء، فبيان أن سلف الأمة وأئمتها أجمعوا على إثبات محبة الله تعالى لعباده المؤمنين ومحبتهم له، هو أحد مظاهر بناء تلك المحبة، فالإجماع يعني أن الأمر استقر في قلب كل واحد منهم بوضوح ورسوخ، ولا يشوبه شيء من غموض أو الإنكار، وإلا لو لم يكن كذلك لما صار الإجماع، والأظهر من هذا في شأن مظاهر بناء إثبات المحبة لله في قلب المسلم: قول ابن القيم رحمه الله في أن جميع الطرق والأدلة عقلًا ونقلًا وفطرة، وقياسًا واعتبارًا، وذوقًا ووجدًا تثبت محبة العبد لربه، والرب لعبده، وهذا يجري مجرى الكلام الأول وإن كان أبلغ منه في بيان عمق هذا البناء، فالعقل والنقل والفطرة أثبتت هذه المحبة، واجتماع الثلاثة في إثبات شيء، لا يجتمع إلا على شيء له من المكانة والرسوخ الشيء الكبير.

وبناء على ما سقتُه من الأدلة والنقول، والربط بينها وبين عملية البناء، يتضح أن هذا هو المستوى الأول من مستويات بناء المحبة في الإسلام، فله أثر كبير في قلب المسلم، وهو اللبنة الأولى في تأسيس بناء المحبة في قلب المسلم، فإنه إذا بدأ بهذا الأساس اطمأنت نفسه وسكن قلبه، وأنس بالله ﷻ، فصار ما سوى هذه المحبة أحرى أن تقبله النفس، وتأنس به لأنسها بالمحبة العظمى، وهي محبة الله.

المستوى الثاني: وجوب محبة العباد لله ﷻ:

محبة العباد لربهم ﷻ ثابتة بالكتاب والسنة، ولها دلائل كثيرة تدل على ثبوتها، وأمرها واضحٌ واقع مشاهد، حيث يجد الإنسان من قلبه ميلًا إلى ما يرضي الله، وهذا يدل على أنه يحب الله ﷻ، والإنسان المؤمن متى ما وفق لهذه الصفة العظيمة، يجد لها أثرًا كبيرًا عليه، فتجده يحب الله أكثر من نفسه، وأكثر من ولده، وأكثر من أمه، وأكثر من أبيه، ويحب الله أكثر من كل شيء، ويحب المرء؛ لأنه يحب الله، ومعلوم أن المحب يحب أحباب حبيبه، فتجد هذا الرجل لمحبته لله يحب من يحبه الله ﷻ من الأشخاص، وما يحبه من الأعمال، وما يحبه من الأقوال(١).

وأهل السنة والجماعة يقولون إن محبة الله لا تحتاج إلى تعريف لوضوحها(٢)؛ والوضوح ناشئ من مبدأ فريد، وهو أنهم لم ينكروا حقيقة المحبة من الطرفين، فأثبتوا محبة الرب لعبده، وهي محبة تليق بجلاله وعظمته كسائر أسمائه وصفاته، وأثبتوا محبة العبد لربه، وهي محبة عبودية مقترنة بالخوف والرجاء(٣)، وعقيدة أهل

---

(١) ينظر: شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح العثيمين، (٥١٧/٣).

(٢) والمقصود هنا هو محبة الله لعباده، وليس المقصود المحبة العامة المشتركة بين المخلوقين، وذاك أن صفة المحبة لله تحمل على الحقيقة لا على المجاز، ومن عرفَّها بغير المحبة فقد تأولها.

(٣) ينظر: محبة الله عند أهل السنة والجماعة ومخالفيهم والرد عليهم، مريم بنت علي الحوشاني، (ص: ١٩).



السنة والجماعة في المحبة من الطرفين هو ما جعلها واضحة[1]، حيث ساهم ذلك بجعلها خالية من شوائب الاعتقاد.

وبالإمعان في ذلك الوضوح لمفهوم المحبة، ينجلي للمتأمل أن الإسلام هو دين الرحمة والمحبة، وهو الأمر الذي يجعل المسلمين يؤمنون بأن لهم ربًّا رحيمًا يتلقى حبَّ عباده المؤمنين له، وكذلك يحبهم؛ لذا فإن العلاقة بين الله وعباده هي علاقة محبة بالدرجة الأولى، بل هي أعلى مراتب المحبة، إذ العبودية هي الأساس الذي تقوم عليه تلك العلاقة، ومما يجعل لهذه المحبة خصوصية عن غيرها هي أنها محبة خاصة مقرونة بالتعظيم والذل والخضوع لله ﷻ؛ ولذا فهي محبة منضبطة لا تخل بالتعظيم والتقديس الواجبين لله تعالى، ولا تخرج العبد عن عبوديته لله تعالى، كما أنها لا ترفعه فوق حقيقته وبشريته[2].

وبما أن هذه المحبة لها شأن عظيم لا يماثله شيء، تجد المحب لله ﷻ ترخص عنده الدنيا، والأهل، والأموال؛ بل والنفس، فيما يرضي الله ﷻ، فتجد لهذه المحبة علامات تظهر على سلوكه وجانبه العملي، فمن تلك العلامات: أن يديم الإنسان ذكر الله؛ فيذكر ربه دائمًا بقلبه ولسانه وجوارحه، ومن علاماتها كذلك: أن يُحب مَن أحب الله ﷻ من الأشخاص، فيُحب الرسول ﷺ ويحب الخلفاء الراشدين ﷺ، ويحب الأئمة السابقين رحمهم الله، ويحب من كان في وقته من أهل العلم والصلاح حفظهم الله، ومن علاماتها أن يقوم الإنسان بطاعة الله، مقدمًا ذلك على هواه[3]، وهذه المحبة التي صرفها العبد لله، إنما جاءت في المستوى الثاني من مستويات منهج بناء الإسلام للمحبة عمومًا بناء على جملة من الأمور:

١- أن محبة الله لعباده هي المستوى الأول في منهج بناء المحبة، والإسلام تميز في جميع جوانب المحبة أنه ينزل المحبة من الجانب الشعوري الداخلي الوجداني، إلى الجانب العملي التطبيقي السلوكي؛ لذا فمحبة العباد لربهم يمكن أن يقيسها العبد على نفسه، فهي تبني في نفسه بناء راسخًا، يظهر أثره على سلوكه وتعامله؛ لذا فإنه من السهولة بمكان أن يجيب المسلم عن سؤال: هل أنا أحب الله محبة حقيقية؟

والجواب هنا واضح، فإذا قدم الإنسان ما يحبه الله على ما تحبه نفسه، فهو أول أمارات هذه المحبة، وهكذا تتعدد الأمارات والإجابات على هذا السؤال، حيث يراها المسلم في نفسه ويلحظها على سلوكه.

٢- بالنظر إلى المستويين الأولين، وهما: محبة الله لعباده، ومحبة العباد لله، يتضح المعنى المقصود من هذه المحبة؛ لأن المحبة متبادلة بين الطرفين؛ لذا فكل ما كان متبادلًا بين طرفين، فهو واضح تمام الوضوح

---

(١) والذي أدَّى إلى وضوحها هو أن محبة الله للعبد محبة حقيقية لا مجازية كما يقول المخالفون، وأن محبة العبد لربه قائمة على أساس التعظيم والعبادة والإنابة.

(٢) ينظر: صفة المحبة الإلهية في النصرانية، مفهومها، ولوازم تفسيرها، وموقف الإسلام منها، رفعة دحيم ناصر الدوسري، (المقدمة).

(٣) ينظر: شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح العثيمين، (٥١٦/٣ - ٥١٧).





لهما، لذا فإنها لا تحتاج إلى تعريف؛ لأنها تنشأ داخل الشعور ولها متطلبات ولوازم، وبتحقيق تلك المتطلبات واللوازم تظهر ثمراتها وأماراتها على العبد في قلبه وسلوكه وعمله، وهنا يكتمل الجزء الأهم من البناء الذي يشيده المنهج الإسلامي في قلب المسلم، حيث إن المستويين الأولين من المحبة اكتملت أركانهما، فخرجت إلى العيان ثمراتهما وأماراتهما.

٣- تتسم محبةُ العبدِ لله بالتعظيم والخضوع والذُّل له ﷻ، وفي هذا معنى عميق أريد الإشارة إليه، وهو معنى متعلق باقتران المستوى الأول مع المستوى الثاني في منهج بناء المحبة، وفحوى هذا المعنى أن محبة العبد لربه قائمة على التعظيم والتقديس والخضوع والذل لله ﷻ، ونشوء المحبة من جانب التعظيم يشير إلى أن الخضوع لله في الإسلام ليس قائمًا على الخوف والرهبة من الله فحسب، بل إن الخضوع يكتسب في أحد جوانبه معنى أعمق وأكثر تحديدًا، فيكون الخضوع قائمًا على المحبة لله والرجاء في ما عنده، والخضوع الذي يكون ناشئًا عن محبة يصحبه لذة ومناجاة، وإذا حدثت تلك اللذة والمناجاة للمسلم تملَّكت قلبه وجوارحه، فتجده لا يريد الخروج من هذا الخضوع، بل يخرج منه إلى الدنيا مكرهًا على الخروج، وذاك أن الخضوع مع المحبة تصحبه لذة، واللذة هي أحد الأمور الأساسية التي يسعى لها الإنسان في حياته؛ لذا فإن هذه المحبة بَنَت في عقل الإنسان بناء على أسس قويمة، استدعته أن يخضع بلذة لا يريد الخروج منها، وهذا مؤشر كبير على أنها تأتي في مستوى عالٍ من المستويات التي يقصدها الإسلام في منهج بنائها للمحبة.

المستوى الثالث: وجوب محبة النبي ﷺ:

إن محبة الرسول ﷺ واجبة على كل مسلم، ومن الأدلة على وجوبها، ما رواه عبد الله بن هشام، قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لاَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ» فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الآنَ، وَاللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الآنَ يَا عُمَرُ»[(١)].

وحب المسلم لرسول الله ﷺ، هي محبة داخل الشعور، وهي عمل قلبي من أجل أعمال القلوب، وأمر وجداني داخلي يجده المسلم في قلبه، وعاطفة طيبة تجيش بها نفسه، وإن تفاوتت درجة الشعور بهذا الحب تبعًا لقوة الإيمان أو ضعفه[(٢)]، وتتجاوز هذه المحبة العمل القلبي والجانب الوجداني الشعوري إلى

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي ﷺ، الحديث رقم: (٣٦٩٤)، (٥/ ١٣)، وفي كتاب الاستئذان، باب المصافحة (٦٢٦٤) (٨/ ٥٩)، وفي كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ، الحديث رقم: (٦٦٣٢)، (٨/ ١٢٩).

(٢) محبة الرسول بين الاتباع والابتداع، عبد الرؤوف محمد عثمان، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، (ص: ٣٨).





الجانب العملي التطبيقي السلوكي، فكما ذكرت أن المحبة في الإسلام تمتاز بأنها ليست محبة سلبية غير متفاعلة مع واقع الإنسان، بل هي محبة متكاملة الأركان، تنشأ في الشعور والوجدان وتظهر في الواقع العملي للعيان، على شكل سلوك أو عمل، ومن الأشكال العملية لمحبة النبي ﷺ، أن من لوازم المحبة الانقياد والطاعة لما جاء به رسول الله ﷺ، ولا يتم الانقياد والطاعة إلا بأمرين رئيسيين، وهو أن يصاحبهما الرضا والتسليم بكل ذلك، وعدم الجزع والتسخط مما جاء به، ومن لوازمها أيضا الرضا بحكمه ﷺ، والتسليم لأمره، ويكمل التسليم لأمره ﷺ، بإيثاره على ما سواه[1]، فإذا تقرر هذا، فإن مستوى هذه المحبة في منهج بناء المحبة العامة في قلب المسلم يظهر في عدة مظاهر، أذكر منها:

١- أن حب النبي ﷺ يأتي تبعًا لمحبة الله ﷻ، ووجه ذلك التبع، أن النبي ﷺ إنما أرسله الله ﷻ، وهو مَن أمر بحبه، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١]، والاتباع والطاعة تقتضي المحبة، لذا فهذا الذي دعاني لجعل هذه المحبة تنزل في المستوى الثالث بعد محبة الله، ومحبة العباد لله.

٢- ومما يجعل محبة النبي ﷺ تأتي في هذا المستوى بعد محبة الله، هو أنه ﷺ هو المبلغ لشرع الله، وطاعته تقتضي طاعة الله، قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]؛ لذا فإنها ملازمة لمحبة الله، فجاءت بعدها.

٣- تساهم محبة النبي ﷺ في بناء أصل المحبة في قلب المسلم، فإن محبة النبي ﷺ فوق محبة النفس فيها تقديم لمحبته على محبة النفس، وهذا التقديم إنما نشأ بسبب أنه ﷺ هو من دلنا على طريق الله المستقيم، فبشرعه القويم الذي جاء به، وباتباع سنته ﷺ تهتدي الأنفس، وتعرف الحق من الباطل، لذا فإن مهمة النبي ﷺ من هداية الدلالة والإرشاد لا يمكن أن تقوم بها نفس الإنسان دون الرجوع إلى سنته.

٤- إذا تقرر هذا، فإنه يتبين منهج الإسلام في تقرير محبة النبي ﷺ، ودورها في المساهمة في بناء كيان المحبة داخل المسلم، فإذا أحب الإنسان شيئًا فوق نفسه، وكانت علة محبته لهذا الشيء فوق النفس؛ لأنها سبب هدايته إلى الطريق الحق والصراط المستقيم، صارت المحبة عنده أمرًا ساميًا يسعى بالمسلم إلى الترقي في درجات الحق والبحث عن السعادة، وكان أثرها بناء نفس قويمة باحثة عن الحق، مما يجعلها تسلِّم كل أمرها لله، فصارت مسلمة بهذا التسليم.

---

(١) ينظر: الرسالة التبوكية = زاد المهاجر إلى ربه، ابن القيم، (ص: ٢٩).



المستوى الرابع: وجوب المحبة بين المؤمنين:

ينتقل المنهج في الإسلام في سيره لبناء المحبة، إلى مستوى جديد، وهذا المستوى يأتي بعد أن تأسس في قلب المسلم ثلاثة مستويات رئيسة، فبعد أن علم أن الله ﷻ يحب، وأن محبته تتحقق للعباد، وأنها في إطار الممكن، وأنها ليست بالمستحيلة أو بعيدة المنال، وأنها كذلك ليست منعدمة وغير موجودة، بعد أن تحقق هذا المستوى تاقت نفسه لإدراك هذه المحبة وأن يشمله الله بها، فجاءت تلك المحبة –محبة الله– مقيدة بجملة من الشروط والصفات والعبادات، فمتى تحققت تلك الصفات والعبادات واكتملت شروطها فقد تحققت فيه محبة الله، فصار العبد يسعى وراء تلك الأمور المحققة لهذه المحبة سعيًا لإدراكها، فانتقل من المستوى الأول إلى المستوى الثاني وهو أنه هو يحب الله ﷻ، فقادته تلك المحبة إلى إتيان ما أمر به الله واجتناب ما نهى عنه، فزاده سعيه إلى الله محبة لله، وهو في سيره لإدراك تلك المحبة، كان لزامًا عليه أن يسلك طريقها الصحيح الواضح البين، فكان هذا الطريق يُعلَم ويدرك بواسطة النبي ﷺ، فهو الذي أرسله الله إلينا ليبلغنا دينه، ويرشدنا إلى الطريق الصحيح، فدفعته نفسه التواقة إلى الله إلى محبة صاحب الرسالة والبلاغ، والمعلم للطريق الذي أراده الله، رسول الله ﷺ، ومحبته ﷺ هي المستوى الثالث الذي دخله بعد محبة الله، فلما التزم تلك السنة وسلك طريقها وتحقق مراده منها، وبدت له علامات وثمرات تلك المحبة، من شوق وأداء للعبادة بإخلاص ويقين، كان لزامًا عليه أن يندمج مع مجتمعه المسلم ليوصلوا رسالة الحق إلى الناس، ويبينوا لهم هذا الطريق الصحيح الذي تطمئن له النفوس وستكون فيها سعادته، ولا يتحقق الوصول إلى هذا المبتغى إلا بمجتمع تتحقق فيها عناصر الأخوة والتآلف والهدف الواحد، والسعي والتعاضد والتعاون على إبلاغ هذا الهدف للناس؛ لذا كان لا بد من محبة تكون بين المتعاضدين والساعين لنشر هذه العقيدة، وتلك الطريقة السليمة التي تنقذ الناس من الولوغ في الجهل والخطأ، وسلوك الطريق المؤدي للهلاك.

لذا أوجب الله المحبة بين المسلمين، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]، وأوجب النبي ﷺ المحبة بين المؤمنين لإدراك تلك الفضيلة، وتبليغ ذلك المراد، فقال ﷺ: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»(١).

وقد وعى صحابة رسول الله ﷺ ذلك المستوى من المحبة، وتم تشييده في قلوبهم من قبل النبي ﷺ، لذلك قال الله فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، فطبقوا ما

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، الحديث رقم: (١٣)، (١/ ١٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، الحديث رقم: (٤٥)، (١/ ٦٧).

أراده ﷺ، سعيًا منهم لتبليغ دين الله، وإيمانًا بأنه لن يتحقق لهم تحقيق هذا المراد، ونيل ذلك الشرف إلا بتحقيقه، فاكتمل البناء الذي أراده الإسلام في قلوبهم، وغَرست المحبة جذورها في قلوبهم؛ لأنهم انتقلوا فيها من المستوى الأول، ابتداء بيقينهم بإمكانية محبة الله لهم، مرورًا بتوقهم لتلك المحبة، وسعيهم لتحصيلها باتباع النبي ﷺ وسنته، وانتهاء بتحقيق المحبة بينهم وبين مجتمعهم؛ لذا انتشر بينهم التراحم والتعاطف والتواد، فصاروا جسدًا واحدًا، لديه هدف واحد، وطريقة واحدة، لذلك ينطبق عليهم وصف رسول الله ﷺ «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»[1]، وقادهم ذلك المستوى من المحبة -محبة المؤمنين- إلى محبة الله، وشاهد ذلك أنك إذا أحببتَ الشخص لله، كان الله هو المحبوب لذاته، فكلما تصورته في قلبك تصورت محبوب الحق، فأحببته، فازداد حبك لله، كما إذا ذكرت النبي ﷺ، والأنبياء قبله والمرسلين، وأصحابهم الصالحين، وتصورتهم في قلبك، فإن ذلك يجذب قلبك إلى محبة الله المنعم عليهم وبهم إذا كنت تحبهم لله، فالمحبوب لله يجذب إلى محبة الله، والمحب لله إذا أحب شخصًا لله فإن الله هو محبوبه، فهو يحب أن يجذبه إلى الله تعالى وكل من المحب لله والمحبوب لله يجذب إلى الله[2].

لذلك ذاقوا حلاوة الإيمان وطعمها، وقادتهم تلك السبل والطرق الصحيحة إلى المراد الأسمى وهو نيل محبة الله، ونشر دين الله، وربط تلك المحبة بمنهج بناء المحبة، في أن المسلم لما اكتمل في قلبه محبة الله لعباده، ومحبة العباد لربهم، وتحقق له محبة النبي ﷺ، اكتمل الجانب التشريعي المستمد من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وصارت المحبة داخل شعوره واضحة جلية مكتملة أركان الفهم والرصد، وصار مكلفًا بتطبيق هذه الشريعة وتلك الأوامر، وأوامر الله ﷻ لا تختص بفرد دون فرد، بل يلزم أن يلتزمها جميع أفراد الأمة؛ لأن هذا من شأنه تحقيق مصلحة شرعية عظيمة، ألا وهي اجتماع القلوب، وتطبيق شريعة الله ﷻ؛ لأن شريعة الله فيها قوام حياتهم ومعاشهم، وصلاح أمرهم ودنياهم، فكان لزامًا أن يَحدث تآلف ومحبة بين أفراد الأمة للوصول إلى هدف سامٍ ومغزى مقصود، لذا أوجب المحبة بين المؤمنين، بل وربط كمال الإيمان بها، وشاهد ذلك قوله ﷺ: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[3]؛ لذا فإن وضعها في هذا المستوى وهذه المرتبة في منهج البناء، هي المرتبة المناسبة -في نظري-، والسبب أنها هي التي تأتي كَمُيَسِّر للمجتمع الإسلامي في الائتلاف والتضحية من أجل بقائه، ومن ثَمَّ نشر دين الله في أرجاء الأرض.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، الحديث رقم: (٢٥٨٦)، (٤/ ١٩٩٩)، من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (١٠/٦٠٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، الحديث رقم: (١٣)، (١/ ١٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، الحديث رقم: (٤٥)، (١/ ٦٧).



وجِماع تلك المستويات الأربعة: -اليقين بأنه الله يُحب، وأن محبته يمكن إدراكها ونيلها، ثم السعي والتوق إلى نيل تلك المحبة، ثم التزام الطريق الصحيح الذي جاء به النبي ﷺ، ثم محبة المؤمنين بين أنفسهم محبة خالصة لله- هو ما يبني البناء المتكامل للمحبة، ويجعله بناء متوازنًا شاملًا لكل الجوانب، غير مقتصر على جانب دون الآخر.

ويجمع ذلك ما جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»[(١)].

فقد شمل هذا الحديث المستويات الأربعة التي يتحقق بها بناء المحبة المتكامل.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان باب حلاوة الإيمان، الحديث رقم: (١٦)، (١/ ١٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، الحديث رقم: (٤٣)، (١/ ٦٦).





المبحث الثاني: منهج الإسلام في حماية المحبة

ينظر الإسلام للمحبة نظرة خاصة، فإنه لم يكتفِ بِرَسْم منهجه المحكم في بناء المحبة في قلب المسلم فحسب، بل سعى لحمايتها حماية داخلية وجدانية شعورية، تبدأ من هذا المنطلق وتسير حتى تكون في الجانب الظاهري السلوكي التطبيقي؛ لذا فإن الله ﷻ أثبت في كتابه العزيز وسُنة نبيه ﷺ عدم محبته سبحانه وتعالى لأفعالٍ وصفاتٍ وأحوال، وهذا يضع في خَلَدِ المسلم أنه ليس كل ما في هذه الدنيا يُحَب، بل المحبة مضبوطة بأمورٍ وأحوالٍ وأفعال، وحب الله لأفعالٍ وصفاتٍ وأحوال دليل صلاحيتها للعبد وأهميتها في حياته، فكذلك عدم حب الله لها هو دليل عدم صلاحيتها للعباد.

وقد قسمت منهج الإسلام في حماية المحبة إلى أربع نقاط:

أولًا: نفي محبة الله عن بعض الصفات.

ثانيًا: النهي عن التباغض والتقاطع بين المسلمين.

ثالثًا: ربط قبول الأعمال ودخول الجنة بالمحبة.

رابعًا: التزهيد في محبوبات الدنيا.

وسأتطرق لكل نقطة بالتدليل عليها، والتمثيل من كتاب الله أو سنة نبيه ﷺ، ثم أتطرق إلى قضية ربط تلك النقطة بمنهج الإسلام في حماية المحبة، وأسأل الله التوفيق والإعانة.

أولًا: نفي محبة الله عن بعض الصفات:

من حماية المحبة في الإسلام والحفاظ عليها، اتخذ الإسلام منهجًا قويمًا في هذا الأمر، فكما أن الله يحب صفاتٍ وأفعالًا، فإنه كذلك لا يحب صفاتٍ وأفعالًا أخرى، فالأول يأتي في سياق منهج بناء المحبة، والثاني يأتي في سياق منهج الإسلام في حماية المحبة، فإذا اكتمل البناء، سعى صاحبه لبذل الوسع في الحفاظ عليه، وسن له أمورًا من شأنها حمايته والإحاطة بكافة أرجاء البناء، فالصفات التي يحبها الله تساهم في بناء المحبة في قلب المسلم، والصفات التي يبغضها تعزز هذا البناء وتحميه، وقد بين ﷻ عددًا من الصفات التي لا يحبها، وتلك الصفات التي لا يحبها هي: الفساد، والظلم، والكفر، والاعتداء، والخيانة، والإسراف، والتكبر، والاختيال، والفرح، والمجاهرة، بالسوء[(١)]، أما في شأن الفساد فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [القصص:٧٧]، أما الظلم فقد قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ٥٧]، أما الكفر فقد قال الله فيه: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران:٣٢]، أما

---

(١) ينظر: محبة الله عند أهل السنة والجماعة ومخالفيهم والرد عليهم، مريم بنت علي الحوشاني، (ص: ٦٣ -٦٥)، الحب والبغض في القرآن الكريم، مها يوسف جار الله الجار الله، (ص: ١٧١).





الاعتداء فقال ﷻ فيه: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [الأعراف:٥٥]، أما الخيانة فقال الله في شأنها: ﴿وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا﴾ [النساء: ١٠٧]، أما الإسراف فقال الله فيه: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]، أما التكبر فقال الله عنه: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣]، أما الاختيال فقال الله مبينًا عدم محبته له: ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ﴾ [لقمان: ١٨]، أما الفرح المذموم[1] فقال الله فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦]، أما المجاهرة بالسوء فقال الله فيها: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ﴾ [النساء: ١٤٨]، وغيرها من الآيات الدالة على عدم محبة الله لبعض الصفات، فقد نفى الله ﷻ حبه عن أهل هذه الصفات، وأكد سبحانه على التحذير من الوقوع فيها؛ لأنها من شأنها أن تشيع الضرر في نفس صاحبها، وعلى أسرته، وعلى المجتمع المحيط به، ومنهج الحماية يظهر حين يبين الله ﷻ عدم حبه لتلك الصفات، وحينما يصرف الله ﷻ عباده عن هذه الصفات المشينة، حتى يسير الخلق على وفق المنهج الذي رسمه الله لهم في كتابه الكريم، وهنا يظهر قوام وسلامة المنهج الذي اتبعه الإسلام في حماية المحبة، حيث إنَّ الله ﷻ أثبت في كتابه الكريم عدم حبه لهذه الصفات كي لا يظن ظانٌّ أن الله ﷻ يحب فقط، بل هو يحب ولا يحب، ولكي يتجلى مظهر الحماية في هذا الجانب، أجمل تلك التجليات في عدد من النقاط:

١- لَمَّا ذكر الله ﷻ حبه لجملة من الصفات والأفعال والأحوال، دَلَّ ذلك على إثبات أنه يحب ﷻ، وهذا يغرس في المسلم أن يحرص على نَيْل هذا الحب، فحب الله ﷻ ممكن التحصيل، فكان هذا الاعتقاد مساهمًا بشكلٍ كبيرٍ في بناء المحبة في قلب المسلم، بل هو أول دروب ومسالك هذا البناء.

فقد بين سبحانه أنه لا يحب بعضًا من الصفات والأفعال والأحوال، فتبين من هذا حماية هذه المحبوبات، والحذر من الوقوع في التي لا يحبها حماية للإنسان وحياته، وعظم أثرها السلبي على حياته، فإنه لو أحبها لكانت سبيلا إلى شقائه؛ لذلك كان في عدم حبها حماية للإنسان، وبناء لمنهج حماية المحبة في قلب المسلم، كي لا يقع في حب تلك الصفات غير المحبوبة لله ﷻ.

٢- مما يظهر شمول منهج الإسلام في حماية المحبة: أنه اتخذ حماية المحبة طريقًا وسبيلًا إلى حمايةٍ أوسع وأعلى، وهي حماية المجتمع، فالمتأمل في الصفات التي لا يحبها الله يتبين له الارتباط الواقع بين الحِمَايتين، بل يظهر له أنَّ حماية المحبة تقع تحت حماية أكبر، والمصالح المترتبة على حماية المحبة تأتي في

---

(١) وليس كل فرح مذموم، بل الفرح المذموم هو المرح في الدنيا، والفرح بحصول المعاصي.





سياق تحقيق مقاصد أعلى وأشمل، فإذا ما استعرضنا بعضًا من الصفات المذكورة تبين هذا، فنبدأ بصفةِ وحالِ الكفر الذي لا يحبه الله، فهو نقيض الإسلام وعكسه، وبه تتحطم المجتمعات، حيث إنَّ كفرها بالله يمزق ترابطها ويعزز شتاتها لعدم إيمانها بإلهٍ واحدٍ يجمع أمرهم واختلافهم تحت شريعته، كما أن الفساد والظلم هما من الصفات التي تساهم في تفكك المجتمع، بل هما سمتان للمجتمعات المتمزقة لا تنفك عنهما، كما أن الاعتداء يذهب أمن الناس ويعزز في نفوسهم الخوف، وكذلك الخيانة فإنها تمزق الثقة في القلوب، ويقاس عليها ما بقي من الصفات كالإسراف، والتكبر، والاختيال، والفرح المذموم، والمجاهرة بالسوء، وما يشهده القلب من أثرها السلبي على المجتمعات؛ لذا فحماية المحبة هي جزء من حماية المجتمع الإسلامي، وهذا يجعل هذا الأمر في طليعة منهج الحماية للمحبة؛ لأنه يحقق مقاصدَ عُليا وأهدافًا عظمى.

منهج أهل السنة والجماعة في عدم محبة الله لبعض الصفات والأفعال، مع كونه خالقها:

قد يعرض تساؤل على المسلم، وهذا التساؤل -في نظري- في غاية الأهمية؛ لأنه يرسم منهجًا أوليًّا في حماية المحبة في الإسلام، فلو تساءل شخص: كيف يخلق الله أفعالًا وصفاتٍ ولا يحبها؟

هنا يظهر أمر في غاية الأهمية، وهو الإجابة عن هذا التساؤل الذي يحل الإشكال في ذهن المسلم، وسأورد الإجابة عن هذا الإشكال هنا؛ لأنه أمر رئيسٌ في بيان منهج حماية الإسلام للمحبة.

يفرق الإسلام بين الإرادة الكونية القدرية، والإرادة الشرعية الدينية، فأهل السنة والجماعة يقسمون الإرادة في كتاب الله إلى نوعين:

الأول: إرادة قدرية كونية خلقية.

الثاني: إرادة دينية شرعية أَمْرِيَّة.

والإرادة الدينية الشرعية الأمرية هي المتضمنة للمحبة والرضى، والكونية هي المشيئة الشاملة لجميع الموجودات.

ومن أدلة الإرادة القدرية الكونية الخلقية قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وقوله تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ﴾ [هود: ٣٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وأما الإرادة الدينية الشرعية الأمرية، فكقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن



﴿قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٦ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ٢٧ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾ [النساء:٢٦: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ﴾ [المائدة: ٦]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

فهذه الإرادة (الدينية الشرعية الأمرية) هي المذكورة في مِثل قول الناس لمن يفعل القبائح: هذا يفعل ما لا يريده الله، أي: لا يحبه، ولا يرضاه، ولا يأمر به.

وأما الإرادة الكونية فهي الإرادة المذكورة في قول المسلمين: «ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن»[(١)]، فيتبين من هذا التقسيم أن المحبة ليست محض الإرادة، فهي ليست مطلقة، بمعنى أنها تدخل في كل شيء والمسلم يحب كل شيء على الإطلاق، ولكنها تدخل في النوع الثاني، وهو الإرادة الدينية الشرعية الأمرية، وهي ما يحبه الله، بخلاف الإرادة الكونية القدرية، فهي تشمل ما يحبه الله، وما لا يحبه، وهنا يحسن زيادة رابط هذا الأمر بمنهج الإسلام في بناء المحبة، فقد سبق بيان أن منهج الإسلام في بناء المحبة ينطلق من أن الله ﷻ يحب أفعالًا وأوصافًا وأحوالًا، وهذا الأمر هو أول مستوى يبدأ منه منهج الإسلام في بناء المحبة في قلب المسلم، فإذا علم أن الله أثبت لنفسه المحبة، وأنه ﷻ يحب أوصافًا وأفعالًا وأحوالًا وغيرها، فيعظم في قلبه شأن المحبة، ويعلم أن الله ﷻ متصف بها، وهنا لا بد من بيان أمر موازٍ لأمر إثبات محبة الله ﷻ، وهو أن الإسلام من حُسن منهجه وعمق غرسه للمحبة في قلب المسلم لم يترك باب المحبة مفتوحًا على مصراعيه؛ لأن ذلك من شأنه أن يقوضها ويذهب الهدف منها، بل ويمحو آثارها وعلاماتها، فلو كان المسلم يحب كل شيء في هذه الحياة الدنيا دون كره تمامًا، لذهب معنى الإسلام، وبالأخص لذهب معنى الحلال والحرام، فيحب المسلم -بمقتضى المحبة غير المحدودة- الحلال والحرام، كما أنه سيحب الكفر الذي يقف ضد الإسلام؛ لذلك نبَّه الإسلام على هذا الأمر، وبين أنَّ هذه المحبة محدودة بحدود، فهناك صفات وأفعال وأحوال لا يحبها الله، فمن باب أولى ألا يحبها الإنسان، فحماية المحبة تبدأ في المنهج موازية للبناء، فكما أن الله ﷻ يُحِب أشياء، فهو أيضًا لا يحب أشياء، فيُدخِلُ في خَلَد المسلم توازنًا وانضباطًا لهذه المحبة، وهذا الانضباط يحفظها من الاندثار، ومن أن تكون مجرد دعوى ليس لها أثر ولا واقع.

---

(١) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: محمد ناصر الدين الألباني، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة المصرية الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، (ص: ١١٤).



ثانيًا: النهي عن التباغض والتقاطع بين المسلمين:

نهى الإسلام عن التباغض والتقاطع والتدابر، وذلك أنه نهى أن يهجر المسلم أخاه فوق ثلاث ليالٍ، وقد جاء كل هذا في حديثِ أنس بن مالك ﵁، أنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «لاَ تَباغَضُوا، وَلاَ تحاسدُوا، ولاَ تَدابَرُوا، وَلاَ تَقَاطعُوا، وَكُونُوا عِبادَ اللَّهِ إخْوَانًا، وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أنْ يهْجُرَ أخَاه فَوقَ ثلاثٍ»[(١)]، وإذا ما تمعنَّا في الحديث، فهو يحافظ على المحبة والألفة من الضياع، ففي الحديث بيانٌ واضح أنه محرم على مسلم أن يهجر مسلمًا لحظِّ نفسِهِ أكثر من ثلاثة أيام، وأنه إنْ هجره أكثر من ثلاثة أيام أَثِمَ، وإذا أثم فهو معرضٌ نفسَه للعقاب، وكان أمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه؛ والدليل على أنه معرض للعقاب، أنه ﷺ أخبر أنه لا يحل ذلك، وأن هذا الفعل محرم، ومن فعله فقد وقع في محظور، ومن فعل ما هو محظور فقد اقتحم حمى الله وانتهك حرمته، وفي الحديث معنى عميق، ألا وهو هجر المسلم لأخيه المسلم دون ثلاث أيام، فظاهر الحديث على أنه مباح لهما ولا تَبِعَة عليهما فيها، وفيه أن الله تجاوز لهما عما يعرض لهما من ذلك في ثلاثة أيام، أما سر تجاوز الله في الثلاثة أيام إنما هو لما فطر العباد عليه من ضعف الحيلة، وضيق الصدر، مما يلزم منه حدوث شيء من الاختلاف والهجر، وحد الهجر ثلاثة أيام، وحرم عليهما ما زاد على الثلاث؛ لأن ما زاد عنها أحرى أن يكون من الغل الذي لا يحل[(٢)].

والتباغض والتقاطع والتدابر ينتشر في المجتمع بسبب البعد عن الإيمان بالله، "فالمجتمعات التي تلتزم بإيمانها بالله تكون مجتمعات متراحمة، ومتماسكة، ومتكاتفة، لا فُرقة بينها ولا خلاف"[(٣)]، فالإيمان بالله من الأمور المهمة التي تحفظ المجتمعات.

ومظاهر منهج حماية المحبة في الإسلام متنوعة في هذا الشأن، ولعلي ألخصها في الآتي:

١- أنه يعد التباغض والبغضاء ضد المحبة، فالنهي في أول الأمر عن التباغض فيه حماية للمحبة، وحماية للمجتمع الإسلامي ككل، حيث إنَّ النهي عن الضد فيه أمر بضده، فالنهي عن التباغض فيه إثبات للمحبة؛ لأنها ضدها، وموضع الشاهد في هذا: أن النهي عن التباغض هو من منهج الإسلام في حماية المحبة.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الهجرة، الحديث رقم: (٦٠٧٦)، (٨/ ٢١)، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن التحاسد والتباغض والتدابر، الحديث رقم: (٢٥٥٨)، (٤/ ١٩٨٣).

(٢) ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، (٩/٢٦٩ - ٢٧٠).

(٣) المسائل العقدية المستنبطة من وثيقة مكة المكرمة، أ.د. نادر بن بهار العتيبي، مجلة جامعة شقراء، جامعة شقراء، العدد (١٥)، ٢٠٢١م، (ص: ٥٤).





٢- لم ينه الإسلام عن التباغض -عمومًا- فحسب، بل إن الله ﷺ جعل النهي أكثر قربًا ووضوحًا للذهن، حيث نهى الله عن جانبه العملي التطبيقي السلوكي الذي يعقله المسلم بعقله، ويراه شاهدًا بعينه، كي لا تتسلل البغضاء خلسة لقلب المسلم فتكون سجيَّة له، فأكد على أن من هجر أخاه فوق ثلاث ليال معرض للإثم، والحديث فيه تشنيع بمن قام بهذا العمل، وفيه بيان أن هذا العمل هو انتهاك لحرمة الله، وأن تجاوز الهجر ثلاثة أيام مظنة أن القلب يُشرَبُ البغضاء، فما زاد من الهجر عن ثلاثة أيام فمظنة استمراره فترة طويلة قائمة، وتزداد كلما زاد الوقت.

٣- يُفهَم من الحديث أنه يجب أن يطرح كل من المتخاصمين ما في قلبه من الغل عن أخيه المسلم، وتطهير قلبه منه، وقد بين النبي ﷺ في الحديث جانبًا عمليًّا ضِمنيًّا يتحقق به قطع الهجر، ألا وهو المسامحة والاعتذار، وهذا هو ما يعيد المحبة إلى مجاريها وموقعها في قلب المسلم.

٤- يُستنبط من الحديث حرص الإسلام على تحريم كل ما يعرض لقطع المحبة، والتحريم درجة أعلى من الكراهة، فالتحريم فيه تأثيم لمن وقع فيما حرم الله، فجعل الإسلام من منهج حمايته للمحبة استخدام الأحكام التكليفية، فالتحريم للفعل هذا هو تأثيم لمن وقع فيه، وفيه إشارة إلى أن الإسلام حذَّر من الاقتراب مما يُذهِب المحبة في قلوب الناس، كتحريم الاقتراب من الزنى فضلا عن الوقوع فيه، فالمحبة شأنها كذلك، فتحريم الهجران ثلاثة أيام هو حاجز عن ذهاب المحبة.

٥- في الحديث أمر عميق في منهج الإسلام في حماية المحبة، وهو أن في تجويز الهجر دون ثلاث، وعدم مؤاخذة المسلم فيه، للزوم وقوع الخلاف بين الناس، تعامل واقعي مع النفس البشرية، فالنفس البشرية مجبولة على ما تحب وتشتهي؛ لذا فلا بد أن تختلف مع من تعيش معه في المجتمع الاختلاف الأولي؛ لذلك أحل الله ثلاثة أيام قبل وقوع الإثم، وذلك أن النفس بإمكانها مراجعة تلك العداوة الناشئة، ووزنها بالميزان الصحيح، كما أن قيام النفس بالأعمال الصالحة خلال مدة الثلاثة أيام فيه مظنة لتزكيتها، وطرح ما فيها من الغل.

كل ما سبق يُظْهِر منهج حماية المحبة وقوته ورصانته في الإسلام، وكيف يحمي الإسلام المحبة منذ النشأة الأولى من العداوة والبغضاء.

ثالثًا: ربط قبول الأعمال ودخول الجنة بالمحبة:

من منهج الإسلام في حماية المحبة والحفاظ عليها: أنه ربط قبول الأعمال الصالحة بتوفر هذه المحبة بين المسلمين، فعنْ أبي هُرَيْرَةَ ﵁ أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «تُفْتَحُ أبْوابُ الجَنَّةِ يَوْمَ الإثنين ويَوْمَ الخَمِيس، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عبْدٍ لا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيئًا، إلاَّ رجُلًا كانَت بيْنهُ وبَيْنَ أخيهِ شَحْناءُ فيُقَالُ: أنْظِرُوا هذيْنِ حتَّى





يصطَلِحا، أنْظِرُوا هذَيْنِ حتَّى يَصطَلِحا»[١]، فكما أن الطاعة لا بد أن تكون خالصة لله، وأن تكون موافقة لأمره، فلا بد أن تتخلص النفس من الهوى، وتتجرد لأمر الله ﷺ، فمن هَجَر لهوى نفسه أو هجر هجرًا غير مأمور به كان خارجًا عن هذا الخلوص في القصد والتجرد من الهوى، وما أكثر ما تفعل النفوس ما تهواه ظنًّا منها أنها تفعله طاعة لله، وهو في الحقيقة من هوى النفس، والهجر لأجل حظ الإنسان لا يجوز أكثر من ثلاثٍ كما جاء في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «لاَ يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ: فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ»[٢] فلم يرخِّص في هذا الهجر أكثر من ثلاثٍ[٣]، وهنا ينهج الإسلام منهجًا عظيمًا في تجريد النفس من الهوى وحظِّها، وإخلاص الأمر لله ﷻ، فربط قبول العمل بتخليص النفس من البغضاء والغل، وطرح ما من شأنه زيادة الفجوة بين القلوب، هو كذلك مما يعين على التجرد في العمل لله، والإخلاص له، فتخليص النفس من أهوائها وشحنائها معين على تخليص القصد في العمل أن يكون لغير الله، أو أن يكون مقصوده أحدًا مع الله، كالوقوع في الرياء وغيره، وهذا النهج يحفظ المحبة، ويحميها من الاندثار.

والمقصود من أحاديث الشحناء والبغضاء: التخويف والوعيد من عاقبة عدم الانتهاء عما نهى الله عنه، فالشحناء مما نهى الله عنه؛ لذا فتحريمها كتحريم غيرها من المحرمات، والوقوع فيها كالوقوع في غيرها من المحرمات، والبعد عنها كالبعد عن سائر المعاصي، فمن ترك المعصية لله غَنِم، وكان أحرى بأن يغفر الله ذنبه، وكأنه تعالى يقول: انتهوا عن الشحناء لتغنموا مغفرة الله لذنوبكم، فإن المتشاحنين لا تغفر ذنوبهما حتى يصطلحا[٤]، ومعاملة الإسلام لمن ترك المحبة واقترب من الشحناء كمعاملة من اقترف ذنبًا، يجعلها راسخة في قلب المسلم، فكلما وسوس له الشيطان في أمر يؤدِّي للخلل فيها أسرع إلى التعوذ بالله منه، وتذكَّر أن الشروع في عملٍ يؤدي لنقصانها أو تركها مع أخيه المسلم يعرضه للعقوبة، وعدم قبول العمل، فيجعل بينه وبين تركها حاجزًا وحماية كبيرة؛ لعلمه بخطر تركها والتهاون فيها.

رابعًا: التزهيد في محبوبات الدنيا:

من منهج الإسلام في حماية المحبة: بيان أن المحبة قد تكون في القلب لأمور جِبِلِّيَّة طَبِعيَّة، وقد ذكرها الإسلام لبيان وقوعها في قلب كل إنسان، فقد ورد لفظ الحب في القرآن والسنة بكل جوانبه الطبعية والشرعية، فالجوانب الفِطْرية أو الطبعية مثل: حب الآباء والأبناء والأزواج، وحب المال وسائر الشهوات،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن الشحناء والتهاجر، الحديث رقم: (٢٥٦٥)، (٤/ ١٩٨٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الهجرة، الحديث رقم: (٦٠٧٧)، (٨/ ٢١)، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي، الحديث رقم: (٢٥٦٠)، (٤/ ١٩٨٤).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (٢٨/ ٢٠٧).

(٤) ينظر: فتح المنعم شرح صحيح مسلم، د. موسى شاهين لاشين، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م، (٢٥/١٠).





قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ﴾ [آل عمران: ١٤]، وقال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا﴾ [الفجر: ٢٠]، وقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨]، وقال: ﴿كَلَّا بَلۡ تُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ﴾ [القيامة: ٢٠].

وفي الحديث الذي أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لاَ يَزَالُ قَلْبُ الكَبِيرِ شَابًّا فِي اثْنَتَيْنِ: فِي حُبِّ الدُّنْيَا وَطُولِ الأَمَلِ»(١)، وأخرج عن أنس بن مالك ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَكْبَرُ ابْنُ آدَمَ وَيَكْبَرُ مَعَهُ اثْنَانِ: حُبُّ المالِ، وَطُولُ العُمُرِ»(٢)، وهذه هي المحبة الفطرية الجبلية(٣).

والإسلام حين يبين هذه المحبة التي يفطر عليها ابن آدم، إنما هو في سبيل أن يحقق الإنسان التوازن في الدنيا، فيبين أنها من الأشياء التي يرغب الإنسان فيها، ويسعى للحصول عليها، ويبذل جهده للاستزادة منها، وإنما جاء الوصف هنا مشيرًا إلى التوازن في أخذ ما تحبه النفس من هذه المفطورات، والدليل على ذلك أن الله لما عدَّ المحبوبات للقلب وشهوات الدنيا وزينتها في قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ﴾ [آل عمران: ١٤]، أعقبها بقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ﴾ [آل عمران: ١٤]، والشهوات الواردة في الآية جمع شهوة، وهي: نزوع النفس إلى ما تريده، والمراد هنا: المشتهيات، وعبَّر عنها بالشهوات مبالغة في كونها مرغوبًا فيها، أو تحقيرًا لها لكونها مسترذَلَة عند العقلاء من صفات الطبائع البهيمية، وقد بين الله أنها من متاع الحياة الدنيا، وذلك أنها مما يتمتع به، ثم يذهب ولا يبقى، وفيه تزهيد في الدنيا وترغيب في الآخرة(٤).

والمنهج الذي ينهجه الإسلام في حماية المحبة في هذا الشأن: هو الترغيب في الاتجاه إلى المحبوبات التي تنفع الإنسان في الآخرة، والتحذير من الاستزادة في الاتجاه إلى المحبوبات التي لا تنفع الإنسان في الآخرة، فهذه المحبوبات إنما تمَّ التزهيد فيها؛ لأنها مما يُتَمتَّع به في الدنيا، ثم يزول ولا يبقى، أما محبوبات الله ﷻ من الأعمال الصالحة والطاعات فهي التي يتمتع فيها الإنسان في الدنيا، وتبقى معه في الآخرة، ولا تذهب عنه يوم القيامة، وهنا تَوجيهٌ للمحبة في أبهى صورها، وحَثٌّ على الاتجاه للمحبوبات الباقية، والاستزادة منها، والزهد في المحبوبات الزائلة والتقليل منها.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب من بلغ ستين سنة، فقد أعذر الله إليه في العمر، الحديث رقم: (٦٤٢٠)، (٨/ ٨٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب الرقاق، باب من بلغ ستين سنة، فقد أعذر الله إليه في العمر، الحديث رقم: (٦٤٢١)، (٨/ ٩٠).

(٣) ينظر: محبة الرسول بين الاتباع والابتداع، عبد الرؤوف محمد عثمان، (ص: ٣٤).

(٤) ينظر: فتح القدير، الشوكاني، (١/٣٧١).





الفصل الثاني: منهج الأديان في بناء المحبة، وحمايتها

المبحث الأول: منهج اليهوديَّة والنصرانيَّة في بناء المحبة، وحمايتها

إن المتتبع لكل ديانة من الديانات بغرض رصد منهجها في المحبة، لابد أن ينظر أولًا لعلاقتها مع الله سبحانه وتعالى، ثم يتتبع أخلاقها الموصوفة فيها، حتى يتبين له هل هذه الديانة تسير وفق منهج بناء وحماية واضح أم لا؟

ولا شك أن النظرة التي تحملها كل ديانة تجاه خالقها ومولاها هي أساس كل خلق وقيمة فاضلة، ومحبة الله سبحانه وتعالى هي أساس أنواع المحبة كلها، وعليها تُبنى كل أنواع المحبة؛ لذا فدراستها من الأهمية بمكان للوصول إلى المبتغى.

وقد قسمت هذا المبحث إلى مطلبين، وهما:

المطلب الأول: منهج اليهوديَّة في بناء المحبة، وحمايتها.

المطلب الثاني: منهج النصرانيَّة في بناء المحبة، وحمايتها.





المطلب الأول: منهج اليهوديَّة في بناء المحبة، وحمايتها

إن العقيدة الصحيحة هي الدافع الأكبر للتخلق بأفضل الأخلاق، "فالإيمان هو خير دافع للتخلق بالخلق الكريم؛ لأنه سيقبلُ على الأخذ به بنفس منشرحة، وجوارح متسابقة، متعبدًا لله سبحانه وتعالى من خلال التخلق بها في الناس"[١]، ومتى ما اختل هذا الجانب فإن منهج البناء والحماية للخلق والقيمة، لا يمكن وجوده فضلا عن رصده.

والمتتبع لعقيدة اليهود في الإيمان بالله سبحانه وتعالى، فإنه يجد كثيرًا من الانحراف والميل عن الحق والصواب، فهم يصفون الله سبحانه وتعالى بما لا يليق به، ويتخذون أحبارهم أندادًا من دون الله يشرِّعون لهم الشرائع، والمحبة الإلهية القائمة على التعظيم والاتباع، هي الأساس الذي تُبنى عليه بقية أنواع المحبة، كما أنهم يصفون أنفسهم بأخلاق تنافي المنهجية الصحيحة، كالكذب على الله، وادعاء الاصطفاء والاختيار، وخلط الحق بالباطل، والعنف في التعامل مع الآخرين، وجملة هذه الأوصاف تعيق الوصول إلى منهج واضح لبناء المحبة وحمايتها.

وقد أجملت معوقات منهج بناء المحبة وحمايتها عند اليهود في الآتي:

أولًا: الخلل في الاعتقاد بالله سبحانه وتعالى: وله شواهد كثيرة من كتبهم، ومنها:

١- **نفيهم إحاطة الله بكل شيء علما:** جاء في سفر الخروج: "أما أنتم فإن الدم الذي على بيوتكم المقيمين فيها يكون العلامة التي تميزكم، فأرى الدم وأَعبُرُ عنكم"[٢]، فيزعمون أنه سبحانه وتعالى طلب من أعضاء جماعة (يسرائيل) أن يرشدوه بأن يصبغوا أبواب بيوتهم بالدم حتى لا يهلكهم مع أعدائهم من المصريين عن طريق الخطأ[٣]، وهذا مما يظهر سوء اعتقادهم بكمال علم الله سبحانه وتعالى.

٢- **وصفهم لله سبحانه وتعالى بالانحناء، والتدريب، والحمل على الذراع، وأنه يعوِّل عليهم أن يتوبوا —تعالى الله عمَّا يقولون عُلوًّا كبيرًا-:** ومن ذلك ما جاء في سفر هوشع: "عندما كان إسرائيل صغيرا أحببته، ومن مصر دعوت ابني، لكن كلما دعاهم الأنبياء لعبادتي أعرضوا عني، ذابحين قرابين للبعل، ومصعدين بخورا للأوثان. أنا الذي دربت إسرائيل على المشي، وحملته على ذراعي، ولكنه لم يدركوا أني أنا الذي برأتهم. قدتهم بحبال اللطف البشرية وبرباط المحبة. فكنت لهم كمن يرفع النير عن أعناقهم

---

(١) بناء الأخلاق على هدي القرآن، أ.د. طه عابدين طه، مؤسسة النبأ العظيم، نسخة إلكترونية، (ص: ٦١).

(٢) سفر الخروج (١٢: ١٣).

(٣) ينظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د. عبد الوهاب المسيري، (٥/٦٥ – ٦٦).





وينحني بنفسه ليطعمهم"[١]، جاء في التفسير التطبيقي تفسيرا لهذا النص "يتحول هوشع في الفصول الأربعة الأخيرة إلى موضوع حب الله الشديد لبني إسرائيل، وقد أحبهم الله دائما كما يحب الأب ابنه العنيد ... وعلى مدى تاريخ بني إسرائيل الحزين، عرض الله مرارا وتكرارا أن يقيم الأمة لو أنها فقط رجعت إليه، كان الله يعول الشعب باستمرار، ومع ذلك رفضوا أن يتنبهوا لما فعله من أجلهم ولم يهتموا حتى بشكره"[٢].

٣- **وصف الله سبحانه وتعالى بأنه يتلوى أسى؛ لأنه يحبهم ولكنهم ارتدوا عنه وعبدوا غيره -تعالى الله عمَّا يقولون عُلوًّا كبيرًا-**: وشاهد ذلك ما جاء في سفر هوشع تحت عنوان محبة الله: "قد وطد شعبي العزم على الارتداد عني، لهذا لو استغاثوا بالعلي فإنهم لا يجدون من يرف النير عنهم. محبة الله: كيف أتخلى عنك يا أفرأيم؟ وكيف أسلمك إلى العدو يا إسرائيل؟ كيف أعاملك كما أعامل أدمة؟ وكيف أجري عليك ما أجريته على صبوئيم؟ إن قلبي يتلوى أسى داخلي، وتضرم فيَّ مراحمي"[٣]، وفي النص وصف لله بالأسى والحزن، وهو من وصف الله بصفات النقص، وهذا مما ينافي تعظيمه سبحانه وتعالى، وعنونتهم للنص بعنوان (محبة الله)، وزعمهم بأنهم ارتدوا عنه، وأنه أصابه الأسى والحزن بسبب ارتدادهم عنه، هو مما يظهر فساد اعتقادهم بمحبة الله لهم، وتوظيفها لخدمة معتقداتهم وآرائهم الضالة.

٤- **وصف الله سبحانه وتعالى بأنه يقودهم ويستخدمهم إذا أظهروا استعدادهم له، وأنه يتراجع عن وعوده -تعالى الله عمَّا يقولون عُلوًّا كبيرًا-**: جاء في سفر التكوين "تبارك الرب إله سيدي إبراهيم الذي لم يتخل عن لطفه ووفائه لسيدي. أما أنا فقد هداني الرب في الطريق إلى بيت إخوة سيدي"[٤]، جاء في التفسير التطبيقي تفسيرا لهذا النص: "حالما أدرك خادم إبراهيم أن الله قد استجاب لصلاته، شكره على صلاحه وإرشاده. إن الله سيستخدمنا ويقودنا إن كنا نظهر استعدادنا له، لكن يجب أن يكون أول رد فعل لنا هو الحمد والشكر على إرادة الله أن يعمل فينا وبنا"[٥]، كما جاء في سفر الخروج في وصف الله بالتراجع عن وعده -تعالى الله عمَّا يقولون عُلوًّا كبيرًا-: "فابتهل موسى إلى الرب، وقال: لماذا يحتدم غضبك على شعبك الذي أخرجته من ديار مصر بقوة عظيمة وذراع مقتدرة، لماذا يشمت فينا المصريون قائلين: لقد احتال عليهم إلههم فأخرجهم من ههنا ليهلكهم

---

(١) سفر هوشع (١١: ١-٥).

(٢) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، (ص: ١٧٣٣).

(٣) سفر هوشع (١١: ٨).

(٤) سفر التكوين (٢٤: ٢٧).

(٥) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس (ص: ٦٤).



في الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض. ارجع عن حمو غضبك، ولا توقع هذا العقاب بشعبك... فتراءف الرب ولم يوقع بشعبه العقاب الذي توعد به"[1].

وهذا ناتج عن اعتقادهم باصطفاء الله لهم، وأنهم شعبه المختار، مما أوقعهم في سوء الأدب معه سبحانه.

٥- تشبيه الله سبحانه وتعالى بهيئات معينة، كالسحاب، وبأنه عَبَرَ من أمام موسى، وأنه يغيرهم ليصيروا مثله ويشبهوه -تعالى الله عمَّا يقولون عُلوًّا كبيرًا-: جاء في سفر الخروج في هذا السياق: "التجلي الإلهي: فنزل بهيئة سحاب، ووقف معه هناك حيث أعلن له اسمه: (الرب)، وعَبَرَ من أمام موسى مناديا: أنا الرب. الرب إله رؤوف رحيم، بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء. أدخر الإحسان وأغفر الإثم والمعصية والخطيئة. ولكني لا أعفي المذنب من العقاب، بل أفتقد إثم الآباء في الأبناء والأحفاد حتى الجيل الرابع، فخر موسى في الحال وسجد. وقال: إن حظيت برضاك أيها السيد. فليرافقنا الرب في مسيرنا. ومع أن هذا الشعب متصلب القلب. لكن اصفح عن إثمنا وخطيئتنا واتخذنا خاصة لك"[2]، وقد جاء في التفسير التطبيقي للكتاب المقدس بخصوص هذا النص: "طلب موسى أن يرى مجد الله، فكان هذا هو رد الله، ما هو مجد الله؟ إنها طبيعته، شخصه، طرقه في التعامل مع خليقته. لاحظ أن الله لم يعط موسى رؤية تمثل قوته وعظمته، بل أعلن له عن محبته. فمجد الله في رحمته ونعمته وصلاحه وفي أمانته وغفرانه وعدله. فمحبة الله ورحمته هي أروع ما أعلن عن شخصه، ونحن نتمتع ببركة هذا الإعلان. فنحن يمكننا أن نتجاوب بإعطاء المجد لله عندما نلاحظ أنه يغيرنا لنصير مثله"[3].

وهذا فيه إشارة لعقيدة التشبه بالله، واشتراطهم أنهم لن يتجاوبوا مع محبته ورحمته لهم حتى يلاحظوا أنه بدأ يغيرهم ليصيروا مثله -تعالى الله عمَّا يقولون عُلوًّا كبيرًا-، كما يزعمون أن محبة الله لهم، هي أفضل ما يبين ذاته وعظمته، وأنهم المعنيون بهذه الخاصية.

ويزعمون أنه سبحانه وتعالى يأخذ أشكالا حسية محددة، فهو يطلب من اليهود (جماعة يسرائيل) أن يصنعوا له مكانًا مقدَّسًا ليسكن في وسطهم، جاء في سفر الخروج: "فيصنعون لي مقدسا حيث أقيم فيه بينهم"[4][5].

---

(١) سفر الخروج (٣٢: ١١ - ١٤).

(٢) سفر الخروج (٣٤: ٥ - ٩).

(٣) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس (ص: ١٩٩).

(٤) سفر الخروج (٢٥: ٨).

(٥) ينظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د. عبد الوهاب المسيري، (٥/٦٥ - ٦٦).

وهذا التشبيه وسوء الأدب معه سبحانه ينافي قيام المحبة على منهج بنَّاء يمكن رصده أو حمايته، وغاية ما يمكن قوله: إنهم يجعلونها محبة خاصة، منكفئة على الذات، غير شاملة وغير قابلة للتعميم.

٦- وصف الرب بالصلاح -تعالى الله عمَّا يقولون عُلوًّا كبيرًا-: جاء في سفر أخبار الأيام الأول: "عندئذ تترنم أشجار الغابة في حضرة الرب؛ لأنه جاء ليدين الأرض. احمدوا الرب؛ لأنه صالح ورحمته إلى الأبد تدوم. قولوا: أنقذنا يا إله خلاصنا، واجمع شملنا من بين الأمم، وخلصنا فنرفع الشكر لاسمك القدوس ونفتخر بتسبيحك"[١]. وهذا من سوء الأدب في وصف الله سبحانه وتعالى.

وجملة هذه النصوص المبينة لاعتقادهم في الله سبحانه وتعالى هي مما يتعذر معه قيام المحبة على منهج بناء أو حماية؛ لأن محبة الله هي الأساس، وقائمة على التعظيم له سبحانه، فإذا اختل الأساس تعذر بناء أي شيء عليه.

ثانيًا: الادعاء باختيارهم واصطفائهم بزعم محبة الله لهم:

يزعم اليهود أن محبة الله لهم هي سبب اختيارهم واصطفائهم، وأن الأنبياء الذين بُعِثوا إليهم يشددون على أن محبة الله هي الموضوع الرئيس والمحوري لعملية الاختيار[٢]، وعلى هذا فإن عملية اختيار الله لهم تؤسس لنظرتهم لأنفسهم بأنهم شعب الله المختار، وأنهم أبناء الله وأحباؤه، كما تظهر جانبا من وصولهم إلى مرحلة التقديس للنفس، والاعتقاد بعلو عِرْقهم أو جنسهم على بقية الأجناس في الأرض.

ولا ينفك اليهود عن تمييز أنفسهم عن الأمم الأخرى، فقد جاء في سفر اللاويين: "أنا الرب إلهكم الذي ميزكم من الشعوب"[٣]، ويزعمون أنَّ الله اختصهم بالاختيار وأنهم شعب خاص فوق جميع الشعوب، جاء في سفر التثنية: "لأنك شعب مقدس للرب إلهك، وقد اختارك الرب لكي تكون له شعبا خاصًّا فوق جميع الشعوب الذين على الأرض"[٤]، كما يزعمون أنه من تقديس الله لهم: أنه يقسم لهم بالرحمة والبركة -تعالى الله عمَّا يقولون عُلوًّا كبيرًا-، جاء في سفر التثنية: "فإذا سمعت هذه الأحكام يا شعب إسرائيل، وحفظتها، وعملت بها، فجزاؤك أن يحفظ الرب إلهك عهده لك ورحمته التي أقسم عليها لآبائك، فيحبك ويباركك ويكثرك"[٥].

---

(١) سفر أخبار الأيام الأول (١٦: ٣٤- ٣٦).

(٢) ينظر: القاموس الموسوعي للعهد الجديد، فرلين د.فيربروج، (ص: ٦).

(٣) سفر اللاويين (٢٠: ٢٤).

(٤) سغر التثنية (١٤: ٢).

(٥) سفر التثنية (٧: ١٢ — ١٣).



والحقيقة أن ادعاء اليهود تميزهم عن شعوب الأرض أمر لا ينطبق على الواقع الذي عاشوه في حياتهم، فقد عاقبهم الله بالتيه والتفرق، قال تعالى عنهم: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [المائدة: ٢٦]، وقال تعالى عن التفرق الذي أصابهم: ﴿وَقَطَّعۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُمَمٗاۖ﴾ [الأعراف: ١٦٨].

ولا شك أن من يدعي التميز والريادة والقيادة لابد أن يكون متمسكا بمنهج إلهي قويم، لذا "فإن تردد القيادات والأتباع بين مناهج بشرية قاصرة سبب للتيه والتفرق وعدم سلوك طريق الهدى، والقرآن الكريم هو الذي يوضح للقائد كيف يتعامل مع ربه، ومع من حوله من المرؤوسين والأتباع والأنداد والأعداء، ويبين ما له من حقوق، وما عليه من واجبات إن أخذها بقوة كان على نور وبصيرة وهدى، وحقق الأمن والطمأنينة والاستقامة"[(١)].

وبما أن اليهود قاموا بخلاف ذلك، واتخذوا أحبارهم أربابا من دون الله، قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، فقد سقط ادعاؤهم التميز بالقيادة والريادة على الأمم، وانتفت إمكانية وجود منهج رصين يمكن رصده لبناء المحبة وحمايتها في ديانتهم.

ثالثًا: عدم الثبات على المبدأ:

إن من أهم الأمور التي يُبنى عليها منهج البناء والحماية للمحبة، هي وجود المبادئ الثابتة.

والثبات: هو الدوام على الشيء والاستقرار عليه، ومن أراد الريادة والقيادة فلا بد أن يثبت على مبادئه من غير مساومة أو مداهنة عليها[(٢)]، وهذا الأمر غير موجود عند اليهود، فقد قال تعالى عنهم مبينا مداهنتهم ومخادعتهم: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [آل عمران: ٧٢]، وإيمانهم أول النهار هو من أجل المخادعة والمداهنة، ومحاولة ردِّ المسلمين عن دينهم، وليس محبة حقيقية لدين الإسلام.

---

(١) منطلقات القيادة الدعوية في القرآن الكريم " دراسة تأصيلية "، أ.د. عبد الله عثمان علي المنصوري، مجلة البحوث والدراسات الإسلامية، ديوان الوقف السني "مركز البحوث والدراسات الإسلامية"، العراق، العدد (٥٧)، (ص: ١٤٦).

(٢) ينظر: المرجع السابق، (ص: ١٤٨).





رابعًا: الكذب على الله سبحانه وتعالى:

إن منطلق السلوك الأخلاقي في الشخصية اليهوديَّة قائم على الكذب –حتى على الله –[1] قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:٧٨]، وهؤلاء الكاذبون على الله في الآية هم من اليهود[2]، ولا شك أن العدل من أهم المبادئ، ومجاله يشمل الأقربين والأبعدين وغير المسلمين[3]، والصدق عدل، والكذب ظلم ومنافاة للعدل.

ومع الكذب لا يمكن بأي حال من الأحوال التوصل إلى منهج قويم؛ لأن الكذب هو القول بخلاف الواقع، وهذا يبين تعذُّر استخراج منهج لبناء وحماية المحبة في اليهوديَّة.

خامسًا: خلط الحق بالباطل:

من فساد الأخلاق عند اليهود، أنهم يلبسون الحق بالباطل، قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٤٢]، قال السعدي رحمه الله: "(وَلَا تَلْبِسُواْ) أي: تخلطوا (ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ) فنهاهم عن شيئين، عن خلط الحق بالباطل، وكتمان الحق؛ لأن المقصود من أهل الكتب والعلم، تمييز الحق، وإظهار الحق، ليهتدي بذلك المهتدون، ويرجع الضالون، وتقوم الحجة على المعاندين؛ لأن الله فصل آياته وأوضح بيناته، ليميز الحق من الباطل، ولتستبين سبيل المهتدين من سبيل المجرمين، فمن عمل بهذا من أهل العلم، فهو من خلفاء الرسل وهداة الأمم، ومن لبس الحق بالباطل، فلم يميز هذا من هذا، مع علمه بذلك، وكتم الحق الذي يعلمه، وأمر بإظهاره، فهو من دعاة جهنم؛ لأن الناس لا يقتدون في أمر دينهم بغير علمائهم"[4].

فخلطهم الحق بالباطل هو انحراف عن المقصود من إنزال الكتب وإرسال الرسل، وتبديل المنهج الصحيح إلى منهج باطل يصد عن سبيل الله، وعليه فإن منهج المحبة بناء وحماية تعرض لمثل هذا الإفساد.

سادسًا: التناقض في منهج محبة الآخرين:

في سياق جانب السلوك المنحرف عند اليهود، فإن التعامل مع غير اليهودي يشير إلى التناقض والانحراف، فتجد شواهد نصوص اليهود المقدسة تشير أحيانًا إلى محبة جميع الخلق دون النظر لدينهم ومعتقدهم، وتدعو إلى البعد عن الحسد والكراهية للآخر، بل وصل الأمر في بعض المواضع إلى الدعوة لمحبة

---

(١) ينظر: الجانب المادي في الشخصية اليهودية، آلاء محمد عصام مصباح عشا، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، قسم التفسير، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٧م، (ص: ١٤١).

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (٦/ ٥٢٦).

(٣) ينظر: منطلقات القيادة الدعوية في القرآن الكريم " دراسة تأصيلية "، أ.د. عبد الله عثمان علي المنصوري، (ص: ١٤٨).

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٥١).





المخالف في المعتقد[١]، ومن ذلك ما جاء من التنفير من البغض والحسد والكراهية، ففي سفر الأمثال: "القلب المطمئن يهب أعضاء الجسد حياة، والحسد ينخر في العظام"[٢].

وهذا النقل يظهر الحث على الابتعاد عن الحقد والحسد والكراهية، وأيضا ما جاء في سفر اللاويين في محبة المخالف في المعتقد: "وإذا نزل عندك غريب في أرضكم فلا تظلموه، كالوطني منكم يكون لكم الغريب النازل عندكم، وتحبه كنفسك؛ لأنكم كنتم غرباء في أرض مصر"[٣].

وعلى هذا فإن المطلع على الشاهدين السابقين يعتقد اتجاه اليهوديَّة إلى التسامح مع الآخر، وقبوله كقبول النفس، ولكن هذه الشواهد تجد لها مناقضًا واتجاهًا آخر معاكسًا.

ويُبرِز ذلك التناقض ما جاء في سفر التثنية: "لا تقرض أخاك -أي: اليهودي- بفائدة ... بل تقرض الغريب بالفائدة، وأما أخوك فلا تقرضه بالفائدة"[٤].

وعليه فإن اختلاف المعاملة واضح هنا، والوضوح إنما جَرَى مَجْرى مناقضًا للعدل، فالتعامل المالي الذي يفترض عدم التفريق فيه بين الموافق والمخالف في الملة، يتم مخالفته عند اليهود.

سابعًا: العنف في التعامل مع غير اليهود -وخصوصًا العرب-:

إن السلوك ثمرة لما يحمله الإنسان من معتقد وفكر يدين به، والانحراف في السلوك ناتج في الغالب عن خلل في المعتقد[٥].

والمتأمل في السلوكيات المنحرفة عند اليهود يجد أنها نشأت بسبب الخلل في المعتقد، ومن أمثلة فساد سلوكهم ونزعتهم للعنف والقتل: "سأل أحد اليهود أحد الحاخامات: ما رأي الحاخام في الآية الواردة في التلمود: (إن جاء ليقتلك، فبكر واقتله)، هل فعلا يجوز لي قتل من جاء ليقتلني، حتى لو شبه لي أنه ينوي قتلي؟ أجاب الحاخام: بالطبع هذه الآية عبارة عن شريعة واضحة لا لبس فيها: (من ينوي قتلك، أسرع بقتله والخلاص منه)، ومعنى هذا الكلام إذا رأيت لصا خطيرا بيده سكين أو مسدس فاقتله قبل أن يقتلك، وكذلك إذا رأيت شخصا عربيا وشككت أنه يحمل سلاحا ... فلا تجازف ولا تخاطر بروحك وأرواح إخوانك اليهود، وإنما اقتله، حتى لو كنت مسيطرا على الموقف تماما، الأفضل أن تريح نفسك

---

(١) ينظر: المحبة لمخالف الملة (قراءة في الكتب المقدسة: اليهودية – المسيحية – الإسلامية)، د. جمال الحسيني أبو فرحة، (ص: ٢٣ - ٢٤).

(٢) سفر الأمثال (١٤: ٣).

(٣) سفر اللاويين (١٩: ٣٣-٣٤).

(٤) سفر التثنية (٢٣: ٢٠-٢١).

(٥) بناء الأخلاق على هدي القرآن، أ.د. طه عابدين طه، (ص: ٦١).





وتريحنا منه، واعلم أن القانون الإسرائيلي يتفق مع الشريعة اليهوديَّة في هذا الشأن. توقيع: الحاخام شموئيل إلياهو"(١).

وهذا السلوك المنحرف هو نتيجة للانحراف في العقيدة، وفي الإيمان بالله سبحانه وتعالى، فصاروا يكيلون بمكيالين مختلفين، مما يظهر عدم إمكانية قيام المحبة على بناء واضح.

ثامنًا: عدم التفريق بين محبة الله سبحانه وتعالى ومحبة الإنسان في بعض تعريفاتهم:

جاء في قاموس الكتاب المقدس أن المحبة تُعَرَّف في العهد القديم والعهد الجديد بأنها: "الرغبة الحارة المتلهِّفَة لأجل خير المحبوب، والاهتمام العظيم برفاهيته"، وأشار إلى أن هذا التعريف لم يفرِّق بين محبة الله ومحبة الإنسان، حيث جاء التعريف شاملا لكلا المحبتين، ثم أشار إلى أن المحبة أساسية للديانة الحقيقية، سواء لله أو للإنسان، وهذا شامل لذكر المحبة في العهد القديم والعهد الجديد(٢).

وعدم التفريق بين محبة خالق الخلق سبحانه وتعالى وبين محبة خلقه الذين يعتريهم النقص والتقصير ومظنة الجهل، هو من فساد اعتقادهم بكمال وعظمة الله سبحانه وتعالى، وامتداد لخلط الحق بالباطل، وهو من أكبر معوقات منهج بناء المحبة وحمايتها.

وخلاصة القول: إن اليهوديَّة لا تملك منهجا لبناء المحبة ولا لحمايتها، فجملة ما ذُكر من الانحراف والفساد وسيِّء الأوصاف يشير إلى ذلك، وهذا شأن كل ديانة طالها تحريف البشر وخضعت لعقول الناس ولم تسلِّم أمرها لله سبحانه وتعالى، ولم تلتزم بما جاء به رسله عليهم الصلاة والسلام.

وإن سلمنا بوجود منهج بناء وحماية عندهم فإنه يخصهم دون غيرهم، والنصوص التي أسلفتُها تبين انحيازهم لذواتهم، وأنهم لا يأبهون بغيرهم، ولا يرقبون فيهم إلا ولا ذمة.

---

(١) منهج اليهود في تزييف التاريخ، محمد عبد الواحد حجازي، مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى، (ص: ٢٧٧ - ٢٧٨).

(٢) ينظر: قاموس الكتاب المقدس، مجمع الكنائس الشرقية، (ص: ٢٨٥).





المطلب الثاني: منهج النصرانيَّة في بناء المحبة، وحمايتها

إن المتتبع للمحبة في النصرانيَّة يجد أنها مرتبطة بكثير من عقائدهم التي يعتنقونها، كما يولونها أهمية بالغة، ويجعلونها أحد أركان ومبادئ ديانتهم.

ولكن المتأمل في تلك الأهمية وأسبابها وتوابعها، يظهر له كثيرٌ من الانحراف والفساد الذي طال هذه الديانة المحرفة بسببها، فإن معظم العقائد المنحرفة التي يعتنقها النصارى، يتم ربط المحبة بها، واعتبارها أحد المبررات لتلك العقائد، ولعل ذلك الربط يظهر استعمالهم للمحبة كأحد الوسائل لتبرير معتقداتهم لتسهيل إدخالها إلى قلوب معتنقي الديانة، وعليه وفي هذه الحالة ينتفي إمكان تتبع منهج قويم رصين تُبنى عليه المحبة لوجود معوقات تمنع ذلك، وقد أجملت معوقات منهج البناء والحماية للمحبة في النصرانيَّة في الآتي:

أولًا: فساد اعتقادهم في الله سبحانه وتعالى:

انعكس فساد اعتقاد النصارى في الله تعالى على منهج بناء المحبة عندهم، وفيما يأتي استعراض مختصر لأهم معالم عقيدتهم في الله وانعكاسها على المحبة:

١- **الاعتقاد بأن الله ثالث ثلاثة (عقيدة التثليث) -تعالى الله عمَّا يقولون عُلوًّا كبيرًا-**: يعتقد النصارى بعقيدة التثليث، فقد قال الله عنهم: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [المائدة: ١٧١]، قال ابن كثير رحمه الله: "وقوله: (فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ) أي: فصدقوا بأن الله واحد أحد، لا صاحبة له ولا ولد، واعلموا وتيقنوا بأن عيسى عبد الله ورسوله؛ ولهذا قال: (وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ) أي: لا تجعلوا عيسى وأمه مع الله شريكين، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ... فالنصارى من جهلهم ليس لهم ضابط، ولا لكفرهم حد، بل أقوالهم وضلالهم منتشر، فمنهم من يعتقد عيسى إلها، ومنهم من يعتقده شريكا، ومنهم من يعتقده ولدا، وهم طوائف كثيرة لهم آراء مختلفة، وأقوال غير مؤتلفة، ولقد أحسن بعض المتكلمين حيث قال: لو اجتمع عشرة من النصارى لافترقوا على أحد عشر قولا"(١).

وبناء عليه، فإنَّ تعذُّرَ رصد منهج بِنَاءٍ وحمايةٍ للمحبَّة في هذا الخصوص يكون من عدة أوجه:

---

(١) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، (٢/ ٤٧٩).





١- الشرك بالله سبحانه وتعالى، وهو ما يعني فساد المحبة الإلهية عندهم، وهي أساس المحبة، فإذا فسدت فما دونها أفسد منها.

٢- الجهل والضلال؛ لذا فليس لهم ضابط ولا لكفرهم حد، ولا يمكن مع الجهل وانتفاء الضابط تعيين منهج للمحبة.

٣- اختلافهم أنفُسُهُم في شأن عيسى عليه السلام، بكونه إلهًا، أو شريكًا، أو ولدًا، يتعذر معه انضباط حكم واحد على محبتهم لله سبحانه وتعالى لوجود الاختلاف.

وشاهد قولهم بأن عيسى عليه السلام هو الله -تعالى الله عن ذلك-: ما جاء في إنجيل يوحنا واصفا عيسى عليه السلام: "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة هو الله"(١).

وشاهد ادعائهم بأن عيسى عليه السلام شريك لله -تعالى الله عن ذلك-: ما جاء في إنجيل يوحنا: "ألا تؤمن أني في الأب، وأن الأب فيَّ"(٢).

وشاهد ادعائهم بأن عيسى عليه السلام ابن الله: ما جاء في إنجيل متى على لسان عيسى عليه السلام لما سأل عن نفسه ماذا يقول الناس عنه؟ فكانت الإجابة: "أنت هو المسيح ابن الله الحي"(٣).

٢- علاقة المحبة بعقيدة التثليث: جاء في الكتاب المقدس في إثبات عقيدة التثليث عند النصارى: "فاذهبوا إذن وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس"(٤)، وكذلك ما جاء في رسالة يوحنا الأولى: "فإن هنالك ثلاثة شهود في السماء، الأب والكلمة والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد"(٥).

ويربط النصارى عقيدة التثليث بالحب، ويقولون: "بأن الله في المسيحية ليس إلها جامدا، إنه في ذاته علاقة حب أزلية وحركة عطاء دائمة بين الأب والابن والروح القدس، إله واحد، طبيعة إلهية واحدة، أي: محبة واحدة في ثلاثة أقانيم، هذا هو سر الأسرار، سر حياة الله الباطنة التي لا تستطيع خليقة من الملائكة والبشر أن تدركها أو تفسرها"(٦)، فالحب هو أحد العلائق والروابط بين الثلاثة أقانيم.

---

(١) إنجيل يوحنا (١: ١).

(٢) إنجيل يوحنا (١٤: ٩).

(٣) إنجيل متى (١٦: ١٦).

(٤) إنجيل متى (٢٨: ١٩).

(٥) رسالة يوحنا الأولى (٥: ٧).

(٦) اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر، الأب سليم بسترس، سلسلة الفكر المسيحي بين الأمس واليوم، (١/٢٧).





وقد أنكر الله عليهم هذه العقيدة الكفرية، فقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ﴾ [المائدة:٧٣]، وبإنكار هذه العقيدة التي تتعلق بها المحبة تعلقًا وثيقًا، يظهر الانحراف في أحد أسس المحبة ومبادئها عندهم.

٣- **وصف من يحب بأنه وُلِدَ من الله -تعالى الله عمَّا يقولون عُلوًّا كبيرًا-** : فامتدادًا لفساد اعتقاد النصارى في الله سبحانه وتعالى، فإنهم لم يكتفوا بالادعاء بألوهية عيسى عليه السلام، أو بأنه شريك، أو بأنه ابن الله، بل تجاوزت تلك العقيدة الفاسدة إلى أن وصفوا كل من يحب بأنه وُلِد من الله -تعالى الله عمَّا يقولون عُلوًّا كبيرًا-، جاء في رسالة يوحنا الأولى: "أيها الأحباء، لنحب بعضنا بعضا، لأن المحبة تصدر من الله، إذن، كل من يحب يكون مولودا من الله ويعرف الله، أما من لا يحب، فهو لم يتعرف على الله قط، لأن الله محبة"[(١)]، وهذا الادعاء الفاسد لا يمكن معه التوصل لنتيجة صحيحة في الحكم على المحبة عندهم.

٤- **الاعتقاد بأنهم أبناء الله، وورثته -تعالى الله عمَّا يقولون عُلوًّا كبيرًا-**: إن الغلو والإفراط وعدم الانضباط في المحبة عند النصارى قادهم إلى القول بأنهم أبناء الله وورثته أيضا، فقد جاء في الكتاب المقدس: "فالروح نفسه يشهد مع أرواحنا بأننا أولاد الله، وما دمنا أولادًا فنحن أيضا وارثون، ورثة الله وشركاء المسيح في الإرث، وإن كنا نشاركه في مقاساة الألم فلأننا سوف نشاركه أيضا في التمتع بالمجد"[(٢)]، جاء في التفسير التطبيقي لهذا النص: "لم نعد عبيدا خائفين أذلاء، بل صرنا أبناء للسيد، ويا له من امتياز، ولأننا أبناء الله، أصبح لنا نصيب في كنوز عظيمة، لقد أعطانا الرب فعلا أفضل عطاياه: ابنه، والغفران، والحياة الأبدية، ويشجعنا أن نطلب منه كل ما نحن في حاجة إليه "[(٣)].

وبناء على هذا، فإن البنوة التي يدعونها هي بنوة حقيقية، كبنوة الابن لأبيه -تعالى الله عمَّا يقولون عُلوًّا كبيرًا- والدافع في هذه البنوة محبة الله لهم.

وقد أبطل الله ادعاءهم في كتابه الكريم، فقال عز وجل: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ﴾ [المائدة:١٨]، وبسقوط هذا الادعاء يسقط أحد مبادئ وأسس المحبة عندهم، والمتمثل في البنوة القائمة على المحبة المزعومة، وهذا يهدم منهج محبتهم المزعومة من أساسها.

---

(١) رسالة يوحنا الأولى (٤: ٧).

(٢) الرسالة إلى مؤمني روما (٨: ١٧).

(٣) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، (ص: ٢٣٩٦).





٥- الاعتقاد بأن المحبة الإلهية لا تنبع من النفس البشرية، وإنما هي عطية من الله، وأن روح القدس هو من يسكبها في القلب: يعتقد النصارى بأن "المحبة عطية من الله ولا تنبع من النفس البشرية وإنما هي نابعة من الله، وممنوحة للنصراني فقط، ولا يمكن أن توجد عند غير النصراني"(١)، فالمحبة التي يلقيها روح القدس في القلوب لا يمكن أن تنبت من الأرض، وإنما هي سماوية خالصة(٢)، وشاهد ذلك من الكتاب المقدس: ما جاء في رسالة بولس إلى أهل روما: "لأن الله أفاض محبته في قلوبنا بالروح القدس الذي وهبنا إياه"(٣)، ويقول القس فايز فارس: "إن وجود وعمل روح القدس فينا يؤكد لنا أن الله ليس كائنا بعيدا عنا، لكنه قريب ومؤثر في حياتنا، وبعمل الروح تصير المحبة عاملا فعالا في حياة المسيحي، لأن المحبة قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا"(٤)، ويدَّعون أنه وبما أن المحبة المسيحية هي من الله، فمتى استوثق المسيحي من هذه الحقيقة صارت له الفطنة التي منشؤها روح القدس(٥).

وعليه فلما كانت المحبة لا تنبع من النفس، ومصدرها خارجي، وهي عطية خالصة، فلا يمكن وصف منهج لها، خصوصا إذا ما صاحبها فساد اعتقاد بالله سبحانه وتعالى، وتقول عليه بغير علم، فإن عدم إمكانية تحديد معالم منهجها آكد وأعظم.

٦- الاعتقاد بأن المحبة الإلهية خاصة لهم، لا يشاركهم فيها أحد: يعتقد النصارى أن المحبة الإلهية "ممنوحة لهم وحدهم ليشاركوا فيها إلههم وتحقق لهم الوحدة معه"(٦)، ويقول القس فهيم عزيز: "المبدأ المسيحي واضح: الحرية الفردية يجب أن تحددها المحبة للإخوة، وهذه المحبة ليست شيئا عاطفيا ولكنها اهتمامات مسيحية عاملة ونشيطة، وهذه هي أهم البواعث على السلوك المسيحي، وهي بواعث خلقها الروح القدس في حياة المؤمن، فهي ليست في كل إنسان ولكنها في المسيحي فقط، وهي ليست موهبة قاصرة على بعض الشخصيات ولكنها تعطى لكل مسيحي آمن وانتقل من الخليقة القديمة، ويحيا في المسيح و يسكن فيه الروح القدس"(٧).

---

(١) صفة المحبة الإلهية في النصرانية، مفهومها، ولوازم تفسيرها، وموقف الإسلام منها، رفعة دحيم الدوسري، (ص: ٥٩).

(٢) ينظر: الفكر اللاهوتي في رسائل بولس، الدكتور القس فهيم عزيز، دار الثقافة، مصر، (ص: ٢٥٧).

(٣) رسالة بولس إلى أهل روما (٥: ٥).

(٤) علم الأخلاق المسيحية، الدكتور القس فايز فارس، دار الثقافة، مصر، الطبعة الأولى، (١/ ١٦٣).

(٥) ينظر: ٢٠ محاضرة في شرح رسائل يوحنا الرسول، وليم كيلي، مكتبة الإخوة، مصر، الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل، ٢٠١٨م، (ص: ٢٨٣).

(٦) صفة المحبة الإلهية في النصرانية، مفهومها، ولوازم تفسيرها، وموقف الإسلام منها، رفعة دحيم الدوسري، (ص: ٥٨).

(٧) الفكر اللاهوتي في رسائل بولس، الدكتور القس فهيم عزيز، (ص: ٢٨٢).



ومع كونها ممنوحة لهم وحدهم، فلم يبينوا الأسباب الجالبة لتلك المحبة، بل يزعمون بأنها عطية لهم دون استحقاق.

وبناء عليه فإن غموض أسباب استجلابها وتحصيلها ينسحب على غموض منهج بنائها وحمايتها.

٧- **القول بأن محبة الله لهم سابقة على محبتهم له، مع خطئهم ومعصيتهم:** يدعي النصارى بأن الله أحبهم وهم خَطَأة معرضون عنه[١]، وشاهد ذلك من كتابهم المقدس: ما جاء في رسالة يوحنا الأولى: "وقد أظهر الله محبته لنا إذ أرسل ابنه الأوحد إلى العالم لكي نحيا به، وفي هذا نرى المحبة الحقيقية، لا محبتنا نحن لله، بل محبته هو لنا، فبدافع محبته، أرسل ابنه كفارة لخطايانا"[٢].

لذا فهم يدَّعون بأن المحبة تُعطى للمسيحي على شكل هبة، دون أن يسعى لها، ويقولون بأن "محبة الله للإنسان، محبة تطلب الإنسان وتسعى إليه وتخلصه دون أن يسعى إليها، وهي محبة تتجه إلى الإنسان بالنعمة ... إن محبة الله لنا هبة تنقذ حياتنا من الغرور وتجعل علاقتنا بالله صحيحة، وكذا علاقتنا بالقريب؛ وهكذا يتم التناسق في شخصية الإنسان"[٣]، ويزعمون أنَّ "المحبة المسيحية لا تعطى بالاستحقاق، ولا تعتمد على صفات أو امتيازات من تتجه نحوه، فالمحبة العادية تتجه نحو صفات معينة تستحق المحبة مثل الجمال والصلاح والرقة والوفاء والذكاء والمرح وغير ذلك الصفات ... لكن المحبة المسيحية لا تنظر إلى كل هذه من الأمور"[٤].

وهذا السياق في اعتقاد النصارى بأن المحبة هبة وعطية تعطى للنصراني دون استحقاق، يعزز القول بانتفاء أسباب تحصيل وجلب المحبة، وينتفي معه كل منهج يمكن رصده ونسبته للبناء أو الحماية لها.

ثانيًا: الفداء، وعلاقته بالمحبة:

يؤمن النصارى بقضية الفداء، وهو الزعم بأن عيسى عليه السلام صُلِب فداء لهم، فقد جاء في الكتاب المقدس في إنجيل متى: "ولما وصلوا إلى المكان المعروف بالجُلْجُثَة[٥]، وهو الذي يدعى مكان الجمجمة، أعطوا يسوع خمرا ممزوجة بمرارة ليشرب، فلما ذاقها رفض أن يشربها، فصلبوه، ثم تقاسموا ثيابه فيما بينهم مقترعين عليها"[٦].

---

(١) ينظر: صفة المحبة الإلهية في النصرانية، مفهومها، ولوازم تفسيرها، وموقف الإسلام منها، رفعة دحيم الدوسري، (ص: ٦٢).

(٢) رسالة يوحنا الأولى (٤: ٩ - ١٠).

(٣) علم الأخلاق المسيحية، الدكتور القس فايز فارس، (١/ ٦٨).

(٤) علم الأخلاق المسيحية، الدكتور القس فايز فارس، (١/ ٧٨).

(٥) هو اسم مكان يقع خارج مدينة القدس القديمة، ويسمى الجمجمة أيضًا، يزعم النصارى أن عيسى عليه السلام صُلب عنده. ينظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري أبو البقاء الهاشمي، تحقيق: محمود عبد الرحمن قدح، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، (١/ ٣٣٤).

(٦) إنجيل متى (٢٧: ٢٤- ٢٥).



وهم يزعمون أن صلبه إنما جاء تكفيرا للخطايا، كما يقول إنجيل متى عن عيسى عليه السلام: "ثم أخذ الكأس، وشكر، وأعطاهم قائلا: اشربوا منها كلكم، فإن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد، والذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا"(١).

ويربط النصارى عقيدة الفداء بالمحبة، يقول الأب سليم بسترس: "محبة إنسان لآخر، بل محبة الله نفسه تنسكب على جميع الناس فتحيي نفوسهم وتخلصهم من عبوديتهم، لقد خلصنا يسوع في حياته عندما أظهر لنا بأقواله وأفعاله وفرة محبة الله، وقد ظهرت تلك المحبة في أقصى حدودها في موت يسوع، لذلك ترى المسيحية في موت يسوع قمة عمله الخلاصي"(٢).

وهذا الادعاء قد جاء القرآن بتكذيبه، فقال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧]، وتكذيب هذه الادعاء يبين فساده، وفساد المحبة التي بنيت عليه.

ثالثًا: القول بأن المحبة ذاتٌ قائمةٌ بنفسها، وليست مجرد معنى:

إن المحبة في النصرانيَّة: "ذاتٌ إلهيةٌ، وليست -كما نعتقد- معنى مجردًا يقوم بالذوات، فهي عندهم الروح القدس، وهو أحد أقانيم ثالوثهم الإلهي، وبذا فهي ذات لها صفاتها، وإرادتها المستقلة، وهي تنتقل بين الله والإنسان، وتصعد للسماء، وتهبط للأرض، وتحل في أجساد المؤمنين بهما"(٣).

لذا نجد أن بولس يجسد المحبة كشخص ذا صفات مثالية وسامية، فيقول: "المحبة تصبر طويلا وهي لطيفة، المحبة لا تحسد، المحبة لا تتفاخر، ولا تتكبر، لا تتصرف بغير لباقة، ولا تسعى إلى مصلحتها الخاصة، لا تُستَفَز سريعًا، ولا تنسب الشر لأحد، لا تفرح بالظلم، بل تفرح بالحق"(٤).

والنظر للمحبة بهذا المنظور الذي يصفها كشخص له ذات قائمة، هو من أوجه الانحراف الكبير الذي طالها في النصرانيَّة، فكيف يوصف معنى مجرد بأنه شخص له ذات، وهذا من أهم معوقات رصد منهج بناء المحبة وحمايتها، فكيف يتم رصد منهج بناء وحماية ذات قائمة؟

رابعًا: الإغراق في المثالية، والبعد عن المنطق:

إن الديانة النصرانيَّة تسعى دائما للمثالية والإغراق فيها، ولا تتعامل مع البشر بمرونة واعتبار لطبائعهم، ومراعاة لأحوالهم، ومن شواهد ذلك ما جاء في إنجيل متى عن شاب سأل المسيح: كيف أحصل

---

(١) إنجيل متى (٢٦: ٢٧ – ٢٨).

(٢) اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر، الأب سليم بسترس، (١/١٩٣).

(٣) صفة المحبة الإلهية في النصرانية، مفهومها، ولوازم تفسيرها، وموقف الإسلام منها، رفعة دحيم الدوسري، (ص: ١١).

(٤) الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس (١٣: ٨ – ١٠).





على الحياة الأبدية، فرد عليه المسيح: "إن أردت أن تدخل الحياة فاعمل بالوصايا، فسأل: أية وصايا؟، أجابه يسوع: لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد الزور، أكرم أباك وأمك، وأحب قريبك كنفسك. قال له الشاب: هذه كلها عملتها منذ صغري، فماذا ينقصني بعد؟ فأجابه يسوع: إن أردت أن تكون كاملًا فاذهب وبع كل ما تملك، ووزع على الفقراء، فيكون لك كنز في السماوات، وتعال اتبعني، فلما سمع الشاب هذا الكلام، مضى حزينًا؛ لأنه صاحب ثروة كبيرة"[١]، والعجز الذي أظهره الشاب من الوصول لمبتغاه هو استسلام للواقع؛ لأن الأمر غير منطقي وغير مستطاع، فالغني في هذه الحالة لا يمكن أن يصل لهذه المرحلة من الإيمان بالوصايا المسيحية البتة، وهذا فيه تضييق وظلم له، والمحبة في النصرانيَّة تجري في هذا السياق، فهي مثالية غير منطقية.

وخلاصة القول: فإن للمحبة في النصرانيَّة أهمية بالغة بالنسبة للنصارى أنفسهم، "فهي من الأسس التي قامت عليها كثير من العقائد، أو قل هي من أعظم الذرائع لتفسير هذه العقائد، كعقيدة الفداء، وإلهية المسيح علية السلام، وبنوته لله تعالى، والتي نشأ عنها الانحراف التام في العقيدة النصرانيَّة، وكذلك القول بالتثليث"[٢]، ومع تلك الأهمية للمحبة، فإن منهج بنائها وحمايتها لا يمكن تحديده ولا استنتاج معالمه وأسسه، وسبب ذلك هو الانحراف في العقيدة النصرانيَّة عن المنهج القويم، وفساد معتقدات النصارى التي جعلوا المحبة ذريعة لها.

وإن أثبتنا لها منهج بناء وحماية فإنه في الحقيقية منهج قاصر يعتريه الجهل، وحب الذات، لاعتقادهم الفاسد، وتسويتهم بين الخالق ومخلوقاته، وتناقض أقوالهم وأفعالهم.

---

(١) إنجيل متى (١٩: ١٦ – ٢٢).

(٢) صفة المحبة الإلهية في النصرانية، مفهومها، ولوازم تفسيرها، وموقف الإسلام منها، رفعة دحيم الدوسري، (ص: ٢)، بتصرف يسير.



المبحث الثاني: منهج الأديان الوَضْعيَّة في بناء المحبة، وحمايتها

أولًا: منهج الهندوسيَّة في بناء المحبة، وحمايتها:

لا شك أن المصادر التي تستقي منها الأديان الوَضْعيَّة عقيدتها وتعاليمها ومبادئها، هي أول ما يبحث عنه من يريد أن يتتبع منهج بناء المحبة وحمايتها فيها، وبناء على ما يستخلصه الباحث من النصوص المتعلقة بالمحبة يستطيع أن يحكم بوجود منهج لها أو خلاف ذلك.

ومن خلال ما جمعت من النصوص في الكتب المقدسة عند الهندوس توصلت إلى أنه لا يمكن رصد معالم واضحة، يمكن وصف منهج للمحبة من خلالها، سواء في بنائها أو حمايتها؛ وذلك لوجود جملة من المعوقات التي تجعل ذلك متعذرا.

وقد أجملت تلك المعوقات في الآتي:

أولًا: فساد اعتقادهم في الله سبحانه وتعالى:

تعد الهندوسيَّة أحد الديانات التي تؤمن بوجود آلهة متعددة، فقد جاء في الكتاب المقدس عندهم: "أيها الجبار لَمْ لَمْ يسجدوا لك، وأنت الخالق الأول ... أنت أول الآلهة"(١)، فوصفه بأول الآلهة دليل على وجود آلهة غيره، ومن شواهد ذلك: ما جاء في كتبهم المقدسة، أن (براهما) -وهو أحد الآلهة عندهم-، هو من خلق الآلهة بطبقاتها: "ثم إن براهما خلق الآلهة العاملة على مختلف طبقاتها"(٢)، ولفظ (الآلهة) بالجمع يفيد بتعددها.

أما عن عدد الآلهة، "فيعبد الهندوس أعدادًا هائلة من الآلهة، كالشمس، والقمر، والأنهار، والبحار، والرعد، والبرق، وغيرها، ويعبدون الحيوانات التي لا تعد ولا تحصى، من الأفاعي، والفيلة، والبقر، والقرود"(٣)، فعدد الآلهة في الهندوسيَّة كثير، وكلها مخلوقة(٤)، وكل الآلهة خلقهم براهما -بزعمهم-، أما (براهما) نفسه فلا يُعلَم من خلقه، جاء في الكتاب المقدس أن (براهما) يقول: "فاعلموا أيها الأحبار أن ذاك الشخص العظيم، بعد أن ارتاض وتعبّد، خلقني أنا، لأكون خالق هذا العالم كله "(٥)، ولم يُفصح عن ذلك الشخص العظيم الذي خلقه.

---

(١) الباجادفيتا (الكتاب الهندوسي المقدس)، (ص: ١٠٢).

(٢) منوسمرتي (كتاب الهندوس المقدس)، ترجمة وتعليق: إحسان حقي، دار اليقظة العربية، دمشق، الطبعة الأولى، (ص: ١٧).

(٣) الألوهية، الرسالة والخلاص في الهندوسية (دراسة نقدية مقارنة)، مجد الدين جمال ريناوي، رسالة ماجستير، قسم العقيدة، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٩م،(ص: ٣٤).

(٤) ينظر: منوسمرتي (كتاب الهندوس المقدس)، (ص: ٩).

(٥) منوسمرتي (كتاب الهندوس المقدس)، (ص: ٢١).



وعن طريقة تعاملهم ودعائهم لهذه الآلهة المتعددة، فإن الهندوس "إذا دعوا إلها من آلهتهم تناسوا باقي الآلهة فيسمونه بأحسن الأسماء، ويخاطبونه برب الأرباب وإله الآلهة، وإذا ذهبوا إلى إله غيره أقاموه مقام الأول ووصفوه بأنه إله الآلهة ورب الأرباب"(١)، وتناسيهم لكل الآلهة حين توجههم لواحد منها، هو أحد نتائج فساد هذه العقيدة، فكيف اللجوء لإله واحد، وتناسي الآلهة الأخرى، والتي ربما تكون أعظم منه – باعتقادهم– أو مساوية له، ولكن هذا التناسي لبقية الآلهة حين التوجه لواحد منها هو أمر حتمي لابد منه؛ لأن الذهن لا يمكن أن يتوجه في طلبه إلى أكثر من إله، بل لا بد من انصرافه لواحد، وعليه فإن العقل السليم لا يمكن أن يقبل مثل هذه العقيدة الفاسدة.

والإيمان بوجود آلهة غير الله سبحانه وتعالى هو غاية الفساد، قال تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢١ – ٢٢]، قال السعدي رحمه الله في تفسير الآية: "(لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ) أي: في السماوات والأرض (ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ) في ذاتهما، وفسد من فيهما من المخلوقات، وبيان ذلك: أن العالم العلوي والسفلي، على ما يرى، في أكمل ما يكون من الصلاح والانتظام، الذي ما فيه خلل ولا عيب، ولا ممانعة، ولا معارضة، فدل ذلك، على أن مدبره واحد، وربه واحد، وإلهه واحد، فلو كان له مدبران وربان أو أكثر من ذلك، لاختل نظامه، وتقوضت أركانه فإنهما يتمانعان ويتعارضان، وإذا أراد أحدهما تدبير شيء، وأراد الآخر عدمه، فإنه محال وجود مرادهما معًا، ووجود مراد أحدهما دون الآخر، يدل على عجز الآخر، وعدم اقتداره واتفاقهما على مراد واحد في جميع الأمور، غير ممكن"(٢).

وبناء عليه، فإن الاعتقاد بوجود آلهة سوى الله هو فساد في الفطرة، وانحراف في العقل، إذ النفوس مفطورة على وحدانية الله، كما أن العقل لا يمكن أن يتخيل وجود إلهين؛ لأن في وجودهما فساد للسماوات والأرض كما بين سبحانه وتعالى في الآية السابقة.

والفساد الذي وقع على الفطرة والعقل في الهندوسيَّة من هذه العقيدة، هو أول معوق من معوقات وجود منهج بناء للمحبة فضلا عن وجود منهج للحماية، ولو افترضنا وجوده لكان منهجا منحرفا فاسدا لفساد ما بُنِيَ عليه.

---

(١) الأديان المحرفة والوثنية في ضوء العقيدة الإسلامية (دراسة تحليلية نقدية)، مصطفى عثمان مصطفى محمد، رسالة دكتوراه، قسم العقيدة والأديان، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، ٢٠١١م، (ص: ٢٨٦).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٥٢١).





ثانيًا: انحراف المحبة الإلهية عندهم:

إن فساد اعتقاد الهندوسيَّة في الله سبحانه وتعالى، واتخاذهم آلهة متعددة، صار له كبير الأثر في انحراف المحبة الإلهية عنده، فإن المطلع على كتبهم المقدسة يجد التناقض الواضح في تناول هذه المحبة.

فبعض النصوص تفيد بأن الآلهة خالية من المحبة، وبعضها تفيد بأن الآلهة تحب، ومن شواهد خلو الآلهة من المحبة: ما جاء في الكتاب المقدس، حيث تقول الآلهة: "أنا قوة القوي، خلوٌّ من الرغبة والحب"(١)، وجاء أيضًا عن الآلهة: "أنا في جميع الموجودات، لا شيء عندي مكروه أو محب، ولكن من يعبدني بتكرس أكون به ويكون بي"(٢)، فالنصان السابقان يفيدان خلو الآلهة من المحبة.

أما على النقيض من ذلك: فإن الآلهة المزعومة تثبت الحب في مواضع أخرى، فقد جاء في كتابهم المقدس: تحدث الرب قائلا: "مرة أخرى أتحدث إليك يا ذا الأذرع القوية، فأنصت إلى كلماتي العلوية يا من أحب، فإني أتحدث راغبًا بمصلحتك"(٣)، وجاء أيضًا في سياق إثبات المحبة للآلهة المزعومة، تقول الآلهة: "من عقله وفهمه مركزان بي، ذلك هو مريدي وهو حبيبي"(٤)، وهذا التناقض البيّن يصعب معه إمكانية الوقوف على منهج بِنَاءٍ وحمايةٍ للمحبَّة الإلهية عندهم.

أما عن استجلاب المحبة الإلهية، فإنها تُستَجلَب من خلال القيام بأمور مثالية غير مستطاعة للإنسان، فمن ذلك ما جاء في الكتاب المقدس: "من لا يشغله العالم ولا مشكلاته، متحرر من الفرح والغضب والخوف والقلق، ذلك هو حبيبي، من هو غير فرح، ولا يضمر الكراهية، ولا الحزن، ولا الأشواق، ... ذلك هو حبيبي"(٥).

والوارد في هذا النص من الأمور التي تستجلب حب الإله: هي أمور غير منطقية لا يمكن القيام بها، فكيف يتحرر الإنسان من الفرح، والغضب، والخوف، والقلق؟ ومن ذا الذي لا يحزن، ولا يشتاق، ولا يكره؟

كما تتجلَّى المثالية وعدم المنطقية في المحبة الإلهية في الهندوسيَّة، في الشروط التي وضعها الإله للوصول إليه، ومنها: هجر الحب والكراهية، جاء في الكتاب المقدس، أن من شروط الوصول إلى براهما:

---

(١) الباجادفيتا (الكتاب الهندوسي المقدس)، (ص: ٧٢).

(٢) الباجادفيتا (الكتاب الهندوسي المقدس)، (ص: ٨٦).

(٣) الباجادفيتا (الكتاب الهندوسي المقدس)، (ص: ٨٩).

(٤) الباجادفيتا (الكتاب الهندوسي المقدس)، (ص: ١٠٨ – ١٠٩).

(٥) الباجادفيتا (الكتاب الهندوسي المقدس)، (ص: ١٠٨ – ١٠٩).





"المنضبط بالفهم التقي، والكابح جماح اللذات بالثبات، والهاجر للصوت وغيره من الأغراض الحسية، والهاجر للحب والكراهية"[1]، وهذه الشروط مستحيلة على أي إنسان أن يقوم بها.

وعليه فإن التناقض والإغراق في المثالية وعدم المنطقية في المحبة الإلهية في الهندوسيَّة، هي أحد معوقات رصد منهج بناء وحماية المحبة، إذ كيف يُبْنَى المنهج على أمور متناقضة وغير منطقية.

ثالثًا: تناقض النظرة للمحبة، تارة سلبية، وتارة إيجابية:

لا غرابة أن تكون الديانة الهندوسيَّة تنظر للمحبة بنظرة سلبية وإيجابية في آن واحد، "فالهندوسيَّة ديانة متقلبة ومتغيرة دومًا في عقائدها وفكرها وممارستها أيضًا، نرى ذلك جليا في كتبها المختلفة"[2]، وهذا التقلب والتغير نالت المحبة منه شيئًا ظاهرا في كتبهم المقدسة.

فالنظرة السلبية تظهر أحيانًا على شكل نبذ الحب والكراهية، وبيان أن خلو النفس منهما أثناء العمل تجعل العمل أكثر خيرية، ومن ذلك ما جاء في الكتاب المقدس: "والعمل الملتزم المنجز من قبل من لا يبحث عن الثمار، ويكون دون ارتباطات، دون حب أو كراهية يطلق عليه الخير"[3]، وتظهر السلبية كذلك في نبذ الحب والبغضاء والحث على التخلص منها بالكلية، فقد جاء في الكتاب المقدس: "إن من يملك حواسّه، ويكبح جماح نفسه، ويفنى عنده معنى المحبة والبغضاء، ولا يؤذي مخلوقا، يكون أهلا للحياة الأبدية"[4]، فإفناء المحبة والبغضاء شرط للحياة الأبدية عندهم.

وتظهر السلبية كذلك في التحذير من الحب والكره معا، فقد جاء في الكتاب المقدس: "الحب والكره توجهها الأحاسيس نحو أهدافهما، لا تكن تحت تسلط هذين الاثنين، فكلاهما يعدان من مكامنه"[5]، جاء في تفسير هذا النص: أن الحب والكره يتوجهان باتجاه المشاعر والروح المجهولة، فجميع المشاعر تنبعث من أسلوب الطبيعة، ويجب أن تُقهر[6]، فالحب والكره يقودان المرء إلى المجهول.

أما عن النظرة الإيجابية للمحبة المناقضة للنظرة السلبية سالفة الذكر: فإن الحب يعتبر أحيانا أحد محركات الكون عند الهندوس، فقد جاء في الكتاب المقدس: "بعدل يتحرك الكون، بالفرح والحب، بمجدك يا هرشيكيشا"[7].

---

(١) الباجادفيتا (الكتاب الهندوسي المقدس)، (ص: ١٣٩).

(٢) الألوهية، الرسالة والخلاص في الهندوسية (دراسة نقدية مقارنة)، مجد الدين جمال ريناوي، (ص: ١٩).

(٣) الباجادفيتا (الكتاب الهندوسي المقدس)، (ص: ١٣٦).

(٤) منوسمرتي (كتاب الهندوس المقدس)، (ص: ٣٣٦).

(٥) الباجادفيتا (الكتاب الهندوسي المقدس)، (ص: ٤٥).

(٦) ينظر: الباجادفيتا (الكتاب الهندوسي المقدس)، (ص: ٤٨).

(٧) الباجادفيتا (الكتاب الهندوسي المقدس)، (ص: ١٠٢).





كما يعد الهندوس حب الطعام الجيد من صفات الطيبين: "أولئك الذين يطورون الحياة بالحيوية، والقوة، والصحة، والمرح، والحب، ومقبلو الطعام المفعم بالزيت، الطعام الجيد محبب للناس الطيبين"(١).

وتظهر النظرة الإيجابية للمحبة في اعتبار الولادة أحد نتائجها، فقد جاء في الكتاب المقدس: "على المرء أن يعلم: أن ولادته التي يندفع بها من رحم أمه، بنتيجة حب أبويه المتبادل، إنما تجعل منه حيوانًا محضًا"(٢)، فلولا هذا الحب لما حدثت الولادة -بزعمهم -.

وجملة هذه النصوص والتي تظهر التناقض في النظرة للمحبة، وعدم الثبات على نظرة واحدة منضبطة -تارة سلبية، وتارة إيجابية-، يظهر عدم إمكانية وجود منهج واضح المعالم يمكن بناء وحماية المحبة من خلاله.

رابعًا: الطبقية:

إن الطبقية المجتمعية لها آثار سلبية على الفرد والمجتمع بأكمله، فهي أحد أسباب الفساد، والظلم، وانتشار الكراهية والعنف في المجتمع، وهي عدو المحبة داخل المجتمع، فإذا دخلت الطبقية من باب، خرجت المحبة من الباب الآخر.

والمتتبع للكتب المقدسة الهندوسيَّة يجد أن الطبقية عامل أساسي في هذه الكتب، فقد جاء في الكتاب المقدس تقسيم الهندوس إلى أربع طبقات، وهي: برهمن، وكشتري، وويش، وشودر(٣).

والمتتبع للطبقية في الهندوسيَّة، يجد أنها مبنية على أساس خلق الإنسان، فيزعمون أن البرهمي خُلق من فم الإله، والكاستريا، أو الكشتري من ذراعه، والويشا من فخذه، والشودرا، أو الثودر من رجله(٤)، ويُعتبر البراهمة أعلى تلك الطبقات، "فبما أن البراهمة، خلقوا من أشرف وأطهر عضو، وهو الوجه، وهم القائمون على الويد، وهم أصحاب الدين، فهم أفضل الجميع"(٥)، وهنا يتبين أن الآلهة هي من اختارت الأفضلية للبراهمة -بزعمهم -، فهي اختيار لهم من الآلهة.

ومن التعليمات المجتمعية المبنية على تلك الطبقية: ما جاء في الكتاب المقدس عن تنظيم الزواج بين تلك الطبقات، فجاء فيه: "للبرهمن أن يتزوج من نساء الفرق الأربع، وللكشتري أن يتزوج من نساء فرقته

---

(١) الباجادفيتا (الكتاب الهندوسي المقدس)، (ص: ١٣٠).

(٢) منوسمرتي (كتاب الهندوس المقدس)، (ص: ٩٠).

(٣) ينظر: منوسمرتي (كتاب الهندوس المقدس)، (ص: ٨).

(٤) ينظر: الفلسفة الأخلاقية من سؤال المعنى إلى مأزق الإجراء، سمير بلكفيف وآخرون، دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م، (ص: (ص: ٣٤)، الأديان المحرفة والوثنية في ضوء العقيدة الإسلامية (دراسة تحليلية نقدية)، مصطفى عثمان مصطفى مُحَمَّد، (ص: ٢٨٩).

(٥) منوسمرتي (كتاب الهندوس المقدس)، (ص: ٣٧).





وما دونها من الفرق، وللويش أن يتزوج من فرقته ومن فرقة الشودر، وللشودر أن يتزوج من فرقته فقط"(١)، وهذه التعليمات صارمة في الهندوسيَّة لا يمكن تجاوزها، فقد جاء في الكتاب المقدس أنه: "إذا تزوج البرهمن من امرأة شودر، فإنه يغرق في جهنم، وإن وُلد له ولد منها، ينحط عن منزلته"(٢)، فالقضية هي قضية مقدسة، يرعاها وينظمها الكتاب المقدس.

وقد أحدث هذا النظام الطبقي سلبيات كثيرة داخل المجتمع الهندوسي، لعل من أهمها: أثره السلبي على الأخلاق، "فإن هذا النظام الطبقي ... جعل الكثير من الصفات الأخلاقية تضمحل"(٣)، وهذا يبين أن الطبقية عدو للنظام الأخلاقي بأكمله، وعدو للمحبة بالخصوص، حيث إنها جعلت "الهندوسيَّة قائمة على عدم التساوي، وظلم الضعيف، وانتشار والبغضاء"(٤).

وجملة ما ذكرتُ سالفًا، من فساد اعتقاد الهندوس في الله سبحانه وتعالى، وانحراف المحبة الإلهية عندهم، والتناقض البين في النظرة للمحبة، وقيام المجتمع على الطبقية التي ترعاها وتنظمها المصادر المقدسة عندهم، كل هذا يجعل من إمكانية وجود منهج بِنَاءٍ وحمايةٍ للمحبَّة في الهندوسيَّة أمرًا بعيد المنال، ولو افترضنا جدلًا وجود المنهج، لكان منهجًا منحرفًا متناقضًا غير منضبط؛ لأنها ديانة من وضع البشر، أقل ما توصف به أنها متحيزة تراعي مصلحة مجموعة على حساب السواد الأعظم من الأتباع الذين يدينون بها.

ثانيًا: منهج الزرادشتيَّة في بناء المحبة، وحمايتها:

عند الاطلاع على كتاب الزرادشية المقدس (الأفستا)، وكذلك مقولات مؤسس الديانة (زرادشت)، فإنه يتضح أن هذه الديانة الوضعية تم بناؤها على أمور يمتنع معها الوصول إلى منهج واضح المعالم في أي أمر؛ لأن الفساد الذي تحمله هذه الديانة الوضعية يشير إلى ذلك.

وعليه فإن منهج بناء وحماية المحبة هو من ضمن تلك المناهج التي لا يمكن رصدها والوصول إليها، لوجود جملة من المعوقات التي تعوق الوصول إليه.

---

(١) منوسمرتي (كتاب الهندوس المقدس)، (ص: ١٢٤).

(٢) منوسمرتي (كتاب الهندوس المقدس)، (ص: ١٢٦).

(٣) الفلسفة الأخلاقية من سؤال المعنى إلى مأزق الإجراء، سمير بلكفيف وآخرون، (ص: ٣٥).

(٤) استيقظ أيها الهندوسي (دراسة في الديانة الهندوسية)، د. شاترجي أم، ترجمة: رمضان الصفناوي، مكتبة النافذة، ٢٠٠٦م، (ص: ٨٢)، بتصرف يسير.





ويمكنني إجمال تلك المعوقات في الآتي:

أولًا: فساد اعتقادهم في الله (الثنوية):

يعتقد الزرادشتيون بالعقيدة (الثنوية)، وهي أنهم يؤمنون بإلهين اثنين، وهما إله النور والظلمة، "فيزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان"(١).

ويقولون: "بأن العالم هو أثر لفعل إلهين، أحدهما إله الخير، وثانيهما إله الشر، ويرمز للأول بالنور، والثاني الظلمة"(٢)، ويسمون الإلهين: " بأهورامزدا وأهريمان، وهما يوجدان منذ الأزل"(٣).

وشاهد تعدد الآلهة في الكتاب المقدس للزرادشتية: ما جاء في الأفستا: "منذ البدء أعلنت الروحان التوأمان عن طبيعة كل منهما: الطيبة والشريرة"(٤)، وقد جاء هذا النص تحت عنوان: (مبدأ الثنوية).

ويصفون الإلهين بأنهما يخلقان، جاء في الأفستا: "في المرة الأولى عندما خلقتا الحياة والأجسام، وكل ما يتضمنه العالم، فحيث كان الشر ظهرت النجاسة، وأما القداسة فقد رافقت الروح الخيرة دائما"(٥).

ولم يقف الأمر عند إلهين اثنين، بل ظهر في الزرادشتيَّة آلهة أخرى، فقد "كانت العبادة في الديانة الزرادشتيَّة تقدم إلى مختلف القوى الإلهية "(٦)، ولعل هذا التعدد في الآلهة بعد أن كانا إلهين اثنين، هو النتيجة الحتمية لفساد العقيدة؛ لأن الضلال لا يتوقف عند حد، بل يستمر صاحبه في الظلمات، فيدخل في ظلمات بعضها فوق بعض.

ومن فساد اعتقادهم في الله سبحانه وتعالى: تأليهُهُم لزرادشت، فهم يقولون: "بأن زرادشت هو جوهر روح الله، وقد تقمصت جسد هذا المخلوق"(٧)، تعالى الله عمَّا يقولون عُلوًّا كبيرًا.

وقد أنكر الله سبحانه وتعالى مثل هذه العقيدة الباطلة، فقال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١]، قال القرطبي رحمه الله: "والمعنى: لو كانت معه آلهة لانفرد كل إله بخلقه، (وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ) أي: ولغالب وطلب القوي الضعيف، كالعادة بين الملوك، وكان الضعيف

---

(١) الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٩٢م، (ص: ٢٦٨).

(٢) الفلسفة الأخلاقية من سؤال المعنى إلى مأزق الإجراء، سمير بلكفيف وآخرون، (ص: ٢٨).

(٣) الديانة الزرادشتية (مزديسنا)، نوري إسماعيل، دار مؤسسة رسلان، سوريا، ٢٠١٥م،(ص: ٤٨).

(٤) أفستا (الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية)، (ص: ٦٢).

(٥) أفستا (الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية)، (ص: ٦٣).

(٦) الديانة الزرادشتية (ملاحظات وآراء)، د. أسامة عدنان يحيى، اشوربانيبال للكتاب، الطبعة الأولى ٢٠١٦م، (ص: ١١).

(٧) الديانة الزرادشتية (مزديسنا)، نوري إسماعيل، (ص: ١٢).





المغلوب لا يستحق الإلهية. وهذا الذي يدل على نفي الشريك يدل على نفي الولد أيضًا؛ لأن الولد ينازع الأب في الملك منازعة الشريك"(١)، فالإيمان بوجود إلهين اثنين هو فساد للعقل، وإيمان بشيء يستحيل وقوعه.

وبناء عليه فإن الفساد في هذا الاعتقاد، يجعل الوصول إلى معالم منهج بناء وحماية المحبة عندهم أمرًا لا يمكن الوصول إليه، إذا أن العقيدة السليمة هي أساس كل منهج في الدين، وإذا فسدت فكل ما سواها فاسد.

ثانيًا: انحراف العبادة:

انحرفت العبادة في الزرادشتيَّة بشكل كبير، فقد وصل الأمر بهم إلى تجاوز كبير فيها، حتى نشأ عندهم عبادة النار وغيرها من القوى الطبيعية، "فقد لعبت قوى الطبيعة تأثيرًا كبيرًا في تشكل عقيدة الفرس"(٢).

ويظهر ذلك في عبادة مؤسس الديانة، "فحسب الروايات الزرادشتيَّة، فإن زرادشت قتل عن (٧٧) سنة ... عندما كان يصلي أمام النار"(٣).

فالزرادشتيون يعبدون النار، ويقومون أمامها بالعبادات، ويتناولون الشراب الإلهي المقدس أثناء ذلك(٤).

وشاهد عبادة النار عندهم: ما جاء في الكتاب المقدس للزرادشتية على لسان زرادشت: "أرغب في أن أصل بهديتي المعطرة إلى الغابة المقدسة، من أجل استرضائك أنت أيتها النار، يا بن أهورامزدا"(٥)، فالنص يفيد بغية زرادشت الوصول إلى رضا النار عنه.

وشاهد عبادة القوى الطبيعية: ما جاء في الكتاب المقدس في تقديس الرياح على لسان زرادشت: "أرغب في أن أصل ... إلى تلك الرياح المقدسة"(٦)، فهم يقدسونها، ويرغبون في الوصول إليها.

ولا شك أن انحراف العبادة، والوصول إلى مستوى عبادة النار والرياح وغيرها من القوى الطبيعية، هو امتداد لفساد عقيدتهم بالله سبحانه وتعالى.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (١٢/ ١٤٦).

(٢) الفلسفة الأخلاقية من سؤال المعنى إلى مأزق الإجراء، سمير بلكفيف وآخرون، (ص: ٢٦).

(٣) الديانة الزرادشتية (مزديسنا)، نوري إسماعيل، (ص: ٢٢).

(٤) ينظر: أفستا (الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية)، (ص: ٥٥)، الزرادشتية ديانة ابتدعها المجوس في العصر الإسلامي، د. خالد كبير علال، دار المحتسب، الجزائر، ٢٠١٩م، (ص: ١٠٣).

(٥) أفستا (الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية)، (ص: ١١١).

(٦) أفستا (الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية)، (ص: ١١٣ – ١١٤).





وعليه فإنه -ومع هذا الانحراف والضلال- لا يمكن رصد منهج لبناء المحبة، وحمايتها.

ثالثًا: التناقض والاضطراب في النظرة للمحبة:

تعيش الزرادشتيَّة تناقضًا كبيرًا في مناهجها الأساسية للديانة، فمن تناقض في الاعتقاد بالإله، إلى انحراف في العبادة، وغيرها من التناقضات المختلفة، تجعل من أمر التناقض في النظرة للمحبة أمرًا حتميًّا، لاضطراب وتناقض ما قبله من الأسس والمبادئ.

ولعل أول ما يبين تناقضهم في النظرة للمحبة: تحريف كتابهم المقدس (الأفستا)، فبما أن الأفستا أهم كتاب عند الزرادشتيين، فقد تصرف فيه كهان المجوس بالزيادة، والإنقاص، والتحريف، والتلخيص[١]، ويوصف الأفستا بأنه: "مجموعة مضطربة من الأدعية، والصلوات، والأغاني، والأساطير، والوصفات، وقواعد الأخلاق، والطقوس"[٢]، فهو موصوف بالاضطراب، والخرافات، والأساطير.

ويضاف إليه: أن الزرادشتيَّة تعيش تناقضًا كبيرًا في الاعتقاد في الإله، فهي تؤمن بالثنوية، المتمثلة بروح الخير، وروح الشر[٣]، وتتجاوز ذلك إلى عبادة النار، والقوى الطبيعية، كما ذكرتُ سالفًا.

ومما يجلي التناقض في النظرة للمحبة: ما جاء في الكتاب المقدس للزرادشتية عن الزواج من قرابة الدم، انطلاقًا من أن محبة الروح سبب لدخول الجنة: "سأل الحكيم روح العقل: ما هي السبل والمآثر التي يبلغ بها البشر الجنة؟ أجاب روح العقل ... الذي يتزوج من قرابة الدم انطلاقا من محبته للروح، ... ومن يتمنى محبة الناس الجيدين"[٤]، وهذا النص متناقض مع نصوص عديدة في الكتاب المقدس نفسه.

ومما يناقض هذا النص: جملة نصوص جاءت على لسان زرادشت مؤسس الديانة، فقد قال محذرًا من حب المرأة: "ليحذر الرجل المرأة عندما يستولي الحب عليها، فهي تضحي بكل شيء في سبيل حبها، إذ تضمحل في نظرها قيم الأشياء كلها تجاه قيمته، ليحذر الرجل المرأة عندما تساورها البغضاء؛ لأنه إذا كان قلب الرجل مكمنًا للقسوة، فقلب المرأة مكمن للشر"[٥]، وموطن التناقض: كون النص الأول يثبت المحبة للمرأة ضمنيًّا، أما النص الأخير فهو يحذر منها، وهذا تناقض.

---

(١) ينظر: الزرادشتية ديانة ابتدعها المجوس في العصر الإسلامي، د. خالد كبير علال، (ص: ١٢٨).

(٢) الديانة الزرادشتية (مزديسنا)، نوري إسماعيل، ص: ٢٥).

(٣) ينظر: الديانة الزرادشتية (ملاحظات وآراء)، د. أسامة عدنان يحيى، (ص: ٧).

(٤) أفستا (الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية)، (ص: ٧٧٨).

(٥) هكذا تكلم زرادشت، فريدريك نيتشه، ترجمة: فليكس فارس، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، (ص: ٨٧).





ومن التناقض أيضًا مع النص الأول: دعوة زرادشت لعدم محبة القريب: "إن محبتكم للقريب إنْ هي إلا أنانية مضللة، ... إني ما أشير به عليكم هو أن تنفروا من القريب لا أن تحبوه، ... لا أدعوكم لمحبة القريب، بل أدعوكم لمحبة الصديق، ... أوصيكم بالصديق يطفح قلبه إخلاصًا"[١]، ويقول أيضا في سياق نبذ محبة القريب: "إن الأمر بمحبة القريب معناه لا تهتم بقريبك، وعدم الاهتمام بالقريب إنما هو أصعب ما تقضي به الفضيلة"[٢].

وموطن التناقض: أنه في النص الأول: يثبت محبة قرابة الدم، ويحث عليها. وفي النصين الأخيرين: يحذر من محبة القريب، وينبذها، وهذا تناقض ظاهر.

ومن التناقض في المحبة الإلهية: أن الزرادشتيَّة يؤمنون باستحالة أن تحصل محبة ووفاق بين إله الخير وإله الشر، فقد جاء في الكتاب المقدس: "سأل الحكيم روح العقل: هل بالإمكان أن يحصل أي سلام ووفاق ومحبة بين أهريمان الكاذب وشياطينه وذريته مع أهورامزدا، أم لا؟ أجاب روح العقل: لا يمكن أن يحصل ذلك، ولا بأي شكل من الأشكال"[٣]، وهذا التناقض منشؤه في الأساس الإيمان بوجود إلهين اثنين، وهو تناقض لا يمكن للعقل الإيمان به.

ومن التناقض الكبير في النظرة للمحبة عند الزرادشتيَّة: زعم زرادشت بأن الحب يقود للكره، فيقول: "ما أحب شيئًا من صميم فؤادي إلا الحياة، ولا يبلغ حبي لها أشده إلا حين أكرهها"[٤]، فكيف يكرهها بعد اشتداد حبه لها؟

ومن التناقض أيضًا: قول زرادشت بأن الإبداع لا يأتي مع الحب: "مهما كان الشيء الذي أبدعه، ومهما بلغ حبي له، فإنه علي أن أنقلب له خصمًا، وأتحول عن حبي وحناني، ذلك ما قضته إرادتي علي"[٥]، وهذا الانقلاب على الإبداع هو من التناقض، فكيف يكون المرء خصمًا للأمور التي يبدع فيها، فهو لم يبدع في أمر إلَّا لأجل انجذابه إليه، ومحبته، فكيف يكون خصمًا له؟!

(١) هكذا تكلم زرادشت، فريدريك نيتشه، (ص: ٨٣ – ٨٤).

(٢) هكذا تكلم زرادشت، فريدريك نيتشه، (ص: ٣٦٦).

(٣) أفستا (الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية)، (ص: ٧٦٥).

(٤) هكذا تكلم زرادشت، فريدريك نيتشه، (ص: ١٣٦)

(٥) هكذا تكلم زرادشت، فريدريك نيتشه، (ص: ١٤٥).



ومن التناقض أيضًا: قول زرادشت بأن قلب الإنسان لا يحب إلا ابنه فقط: "ما يحب الإنسان من صميم قلبه إلا ابنه، ونتيجة جهوده"[١] ولعله يؤمن بأن الإنسان لا يحب من صميم قلبه إلا ما خرج منه، فنتيجة جهوده، وابنه، كلاهما خرجا منه ومن صُلبه، وهذا أمر مناقض للواقع، فالإنسان يحب والديه وإخوته وهم ليسوا من صلبه، ويحب كثيرًا من الأمور التي ليست من صلبه.

ويظهر الاضطراب والتناقض في مقولات زرادشت عن الصفات التي يحبها، فيقول: "إنني أحب من لا غاية لهم في الحياة إلا الزوال ... أحب من عظم احتقارهم؛ لأنهم عظماء ... أحب من يعيش ليتعلم، ومن يتوق للمعرفة ليحيا ... أحب من يعلن حبه لربه بتوجيه اللوم إليه"[٢]، وبعض هذه الصفات التي يحبها زرادشت لا يمكن بحال أن يقبلها العقل.

فحين يقول: أحب من لا غاية لهم في الحياة إلا الزوال، كيف يكون الزوال غاية للإنسان؟

وحين يقول: أحب من عظم احتقارهم؛ لأنهم عظماء، كيف يكون من احتقر نفسه عظيمًا؟

ويقول كذلك: أحب من يعلن حبه لربه بتوجيه اللوم إليه، كيف يلوم المرء ربه؟ تعالى الله عمَّا يقولون عُلوًّا كبيرًا.

وقد يعجب المرء من تصديق الزرادشتيين لهذه المقولات التي لا يقبلها العقل، والتي قالها زرادشت مؤسس الديانة، ولكن يزول العجب حين يعلم مدى التقديس الذي يحظى به زرادشت، فهم يؤمنون بأن "الإله جعل روح زرادشت في شجرة أنشأها في أعلى عليين، وأحاطها بسبعين ملكًا، وغرسها في قمة جبل من جبال أذربيجان، ثم مازج شبح زرادشت بلبن بقرة، فشربه أبو زرادشت، فصار نطفة، ثم مضغة في رحم أمه"[٣]، وعليه فإن التأليه الذي يولونه له يدعوهم لتصديقه، والتسليم له في كل ما يقوله.

ومن الاضطراب في النظرة للمحبة: قول زرادشت أن المحبة المتناهية لا تطلب محبة: "كل محبة تتناهى لا تطلب محبة، بل تطلب أكثر من المحبة"[٤]، ولكن زرادشت لم يبين الأمر الأكثر من المحبة؟ وهذا اضطراب وقصور في النظرة.

---

(١) هكذا تكلم زرادشت، فريدريك نيتشه، (ص: ١٩٥).

(٢) هكذا تكلم زرادشت، فريدريك نيتشه، (ص: ٤٣ – ٤٤).

(٣) الأديان المحرفة والوثنية في ضوء العقيدة الإسلامية (دراسة تحليلية نقدية)، مصطفى عثمان مصطفى مُحَمَّد، (ص: ٢٦٧).

(٤) هكذا تكلم زرادشت، فريدريك نيتشه، (ص: ٣٢٧).



ومن الاضطراب والفساد في النظرة للمحبة: اعتبار حب الرجل المرأة، والمرأة الرجل هو حب حيوانين، فيقول زرادشت: "يا ليت حب الرجل للمرأة، وحب المرأة للرجل كان إشفاقًا يتبادله إلهان يتألمان، ولكن هذا الحب لا يتجلّى في الغالب إلا تفاهمًا بين إحساس حيوانين"[1]، فالحب عنده إن لم يكن إشفاقًا من إلهين يتألمان، فإنه يكون حبًّا بين حيوانين، وهذه نظرة سلبية للمحبة، وبعيدة عن المنطق والواقع.

ومن النظرة السلبية المتناقضة للمحبة: تحذير زرادشت من المحبة؛ لأنها تؤدي للرحمة، والرحمة جحيم يقتل، فيقول: "قال لي الشيطان يومًا: إن للرب جحيمًا هو جحيم محبته للناس، وقد سمعت هذا الشيطان يقول أخيرا: لقد مات الإله، وما أماته غير رحمته، احترسوا من الرحمة ... احفظوا هذه الكلمة أيضًا: إن المحبة العظمى تتعامى عن رحمتها؛ لأن لها هدفها الأسمى: وهو خلق من تحب"[2]، فكيف تكون المحبة والرحمة جحيمًا؟ وكيف يموت الإله بسببها؟ وهل يُعقَل أن يتم تحذير الناس من الرحمة؟ وهل المحبة العظمى يمكن لها أن تخلق؟

خلاصة القول: إن فساد اعتقاد الزرادشتيَّة في الله سبحانه وتعالى، وقولهم بإلهين اثنين، ثم إيمانهم بآلهة متعددة، وانحراف عبادتهم لغير الله، كالشمس، والرياح، والقوى الطبيعية، وغيرها، وتناقض نظرتهم للمحبة، واضطرابهم فيها، وتحريف كتابهم المقدس، كل هذا يجعل من وجود منهج واضح المعالم لبناء وحماية للمحبة أمرًا متعذِّرا، ولو افترضنا جدلًا وجوده لكان منهجًا متناقضًا مضطربًا.

ثالثًا: منهج الكونفوشيُوسيَّة في بناء المحبة، وحمايتها:

عند الاطلاع على الكتب المقدسة في الكونفوشيُوسيَّة، تتبين كثير من الأمور والمعوقات التي تجعل أمر رصد منهج بناء المحبة وحمايتها غير ممكن، فإن الانحراف في اعتقادهم في الله سبحانه وتعالى، وانحرافهم في باب التقديس والتعظيم، والتناقض الكبير الذي يحويه كتابهم المقدس، أمور تدفع إلى هذا الاتجاه.

ويمكن إجمال معوقات منهج بناء المحبة وحمايتها في الكونفوشيُوسيَّة في الآتي:

أولًا: فساد اعتقادهم في الله سبحانه وتعالى:

يعتقد الكونفوشيوسيون جملةً من المعتقدات الفاسدة، والتي تبين فساد نظرتهم لله سبحانه وتعالى.

ومن تلك المعتقدات الفاسدة: الزعم بأن هناك حكماء ألهمتهم السماء منذ ولادتهم، حيث يرى كونفوشيوس أن هناك حكماء "ولدوا وهم ذوو معرفة، ألهمتهم بها السماء دون مجهود شخصي من جانبهم، وبغير أن يكونوا على وعي بمعرفتهم، وهؤلاء الحكماء الموحى إليهم هم الأفضل"[3]، وفي هذا

---

(١) هكذا تكلم زرادشت، فريدريك نيتشه، (ص: ٩٠ – ٩١).

(٢) هكذا تكلم زرادشت، فريدريك نيتشه، (ص: ١١١).

(٣) كونفوشيوس (رائد الفكر الإنساني)، صلاح بسيوني رسلان، منتدى مكتبة الإسكندرية، (ص: ٩٦).





الاعتقاد فساد كبير، فكيف يُعرف هؤلاء الحكماء؟ وكيف تولد معهم المعرفة؟ ثم إنَّ هذا الاعتقاد فيه دعوة لتأليه مثل هؤلاء إذا تم التوصل لمعرفتهم.

ومن فساد الاعتقاد بالله عندهم: إيمانهم بإله مستقل للزرع، جاء في الكتاب المقدس: "إن الإله (شن نونغ) إله الزرع والحصاد في قديم الزمان، علم الناس كيفية استخدام أدوات الزراعة واكتشف أسرار الطب والدواء"(١)، وهذا تأليه لغير الله سبحانه وتعالى، وفيه انصراف لطلب الرزق من غيره تبارك وتعالى.

ومن الفساد في العقيدة عندهم: اعتقادهم بإمكانية الاتحاد الأخلاقي مع السماء، حيث ترى الكونفوشيُوسيَّة أنه بالإمكان أن "يحقق الإنسان الاتحاد الأخلاقي مع إرادة السماء ... عن طريق التهذيب والتربية"(٢)، ودائمًا ما يذكرون السماء مجردة من اسم الإله، وهذا فيه غموض، فهل السماء عندهم إله بذاتها؟ أم أن فيها إلهًا؟ وكيف يمكن تحقيق الاتحاد الأخلاقي مع السماء؟!

كما يعتقدون تبجيلَ أرواح الأسلاف، فهم يقومون بتقديم القرابين لها، فقد جاء في الكتاب المقدس أنه ينبغي: "تقديم القرابين في ساحات المعابد تبجيلًا لأرواح الأسلاف الأقدمين"(٣)، وتقديم القرابين لهذه الأرواح هو من باب التقديس والتعظيم لها، وهذا فساد اعتقادي.

كما يقدسون فضيلة الطاعة المتمثلة بتراث الأسلاف الأوائل(٤)، فهم يعتبرون طاعتهم للأوائل بتقليدهم، والسير على منهجهم، واتباع تراثهم فضيلة ومزية، وهذا من الضلال والانحراف؛ لأن فيه تقديسًا وتعظيمًا لهم من دون الله.

ومن شواهد التمسك بتراث الأسلاف وعادات الأولين: ما جاء في الكتاب المقدس: "قال كونفوشيوس: على الشاب أن يهتدي بإرشادات أبيه الذي على قيد الحياة، فإن توفي الأب، فلينهج الولد سيرته، فمن بقي يسلك سلوك أبيه في الحياة، ويترسم آثاره، استحق أن يُعد الابن البار المطيع"(٥)، ولو افترضنا أن الأب كان على خلق سيئ وعقيدة فاسدة، فهل تقليده يعتبر برًّا وطاعة؟ أم ضلالًا وانحرافًا؟

---

(١) منشيوس (كتاب مقدس في الكونفوشيوسية)، الكتب الأربعة المقدسة، ترجمة: محسن سيد فرجاني، المركز القومي للترجمة، مصر، ٢٠٠٩م، (ص: ٢٩٥)، بتصرف يسير.

(٢) كتاب الوسطية والاعتدال في الكونفوشيوسية ترجمة وشرحا، مريم سليمان ما يو شيانغ، رسالة دكتوراه، قسم مقارنة الأديان، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية العالمية، باكستان، ٢٠١٦م، (ص: ٢٩٤).

(٣) الاعتدال (رسالة مذهب الوسطية)، (كتاب مقدس في الكونفوشيوسية)، الكتب الأربعة المقدسة، ترجمة: محسن سيد فرجاني، المركز القومي للترجمة، مصر، ٢٠٠٩م، (ص: ٥٦٣).

(٤) الفلسفة الأخلاقية من سؤال المعنى إلى مأزق الإجراء، سمير بلكفيف وآخرون، (ص: ٤٨).

(٥) محاورات كونفوشيوس (كتاب مقدس في الكونفوشيوسية)، (ص: ١٧).





ومن فساد اعتقادهم في الإله: أنهم يتجاهلون الآلهة تمامًا في بعض رؤاهم، ومن ذلك أنهم يرون أنه "على الإنسان أن يتأمل في الأمور ويتخذ أوسطها بدون إفراط أو تفريط، حتى يصل إلى حالة الوسطية المثلى والانسجام التام، ويحقق رسالته العليا بأن يكون ثالث الثلاثة الكبرى في الكون: (السماوات، والأرض، والإنسان)"(١)، وفي هذا غياب كامل لوجود الإله.

وقد قال تعالى منكرًا على المتمسكين بعادات الآباء والأسلاف: ﴿أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا مِّن قَبۡلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسۡتَمۡسِكُونَ ۝٢١ بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ۝٢٢ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾ [الزخرف:٢١-٢٣]، قال الطبري في تفسير هذه الآية: "وإنا على آثار آبائنا فيما كانوا عليه من دينهم مهتدون، يعني: لهم متبعون على منهاجهم"(٢)، ومجرد اتباع الآباء دون كتاب منزل، أو وحي من السماء، ضلال وانحراف؛ "لأن الناس لا يفصل بينهم النزاع إلا كتاب منزل من السماء، وإذا ردوا إلى عقولهم فلكل واحد منهم عقل"(٣)، وعليه فإن لكل عقل طريقة ومنهجًا مستقلًّا، وهذا فساد وظلمات.

وبناء على ذلك فلا يمكن رصد منهج بِنَاءٍ وحمايةٍ للمحبَّة مع هذا الضلال والانحراف عن الطريق المستقيم، الذي يجمع الناس، ويهديهم إلى الصراط المستقيم.

ثانيًا: التقديس:

إن انحراف العقيدة في الكونفوشيُوسيَّة أدى إلى فتح باب التقديس بشكل واسع غير منضبط، فتجدهم تارة يقدسون البشر، وتارة يقدسون الشِّعْر، وتارة الموسيقى، وتارة الأرواح، وغيرها من المقدسات.

فمن شواهد تقديسهم للبشر: تقديس الإمبراطور، حيث يطلقون عليه (ابن السماء)(٤)، وربطه بالسماء، هو من باب التقديس له.

---

(١) كتاب الوسطية والاعتدال في الكونفوشيوسية ترجمة وشرحا، مريم سليمان ما يو شيانغ، ص: ٢٩٦).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (٢١/ ٥٨٥).

(٣) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، تحقيق: عبد اللطيف بن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، (٢٢٩/١).

(٤) منشيوس (كتاب مقدس في الكونفوشيوسية)، (ص: ٤٠٧).





ومن شواهد تقديس الأشخاص: ما جاء في الكتاب المقدس: "قال كونفوشيوس: نظرت فلم أجد عيبًا في سلوك السيد (يو)، ... فهو الرجل الذي لا تمسه شائبة، ولا يعتريه عيب أو نقصان"(١)، وفيه تقديس لهذا الموصوف، ووصفه بالكمال.

كما يسمون بعض البشر بالقديسين، جاء في الكتاب المقدس: "لا توجد الحكمة والكياسة على الأرض، إلا في قلب قديس جليل القدر رفيع المكانة ... ذلك أن القديسين بما حازوا من حلم وأناة وسعة صدر وهدوء طبع، هم أقدر الناس على طي الدنيا بأسرها في قبضة أيديهم"(٢)، وقدرتهم على طي الدنيا بقبضة أيديهم هو عين نظرة التقديس والتعظيم.

كما يقدس الكونفوشيوسيون الشِّعْر، فقد جاء في الكتاب المقدس: "قال كونفوشيوس: حوى كتاب الشعر أكثر من ثلاثمائة قصيدة، يمكن إيجازها في عبارة واحدة: ليس أطهر من هذا الشعر وقائله"(٣)، وعباراته تفوح منها رائحة التقديس والتعظيم للشعر.

كما يقدسون الموسيقى، جاء في الكتاب المقدس: "قال كونفوشيوس: ليس مثل الموسيقى شرحًا للصدور، وتطهيرًا لشوائب النفس"(٤)، ووصفها بأنها تطهر شوائب النفس، هو من التقديس والتعظيم لها.

كما يزعمون أن حب الموسيقى سبب للنهضة والرقي، جاء في الكتاب المقدس: "قال منشيوس: ما دام البلاط الملكي لدولة تشي قد تعلق بالموسيقى إلى هذا الحد، فهذا دليل على مدى ما ينتظر المملكة من نهضة ورقي"(٥)، والسؤال الذي يفرض نفسه: كيف تُصبح الموسيقى سببًا للنهضة والرقي؟

كما يقدس الكونفوشيوسيون أرواح الموتى، ويزعمون أن الصلاة عليها تصقل الإيمان، جاء في الكتاب المقدس: "إن إقامة الصلوات على أرواح الموتى من الآباء والأجداد تصقل الإيمان وكرم الأخلاق، وترتفع بأخلاقيات العامة والبسطاء إلى مستوى رفيع من النبل والأصالة"(٦)، وربطها بالإيمان هو من باب التقديس والتعظيم.

وجملة ما سقتُه من الأمور التي يقدسها الكونفوشيوسيون، تبين الانحراف الكبير في منهجهم العقائدي، وعليه فإن الانحراف في منهج المحبة هو من باب أولى، إذا العقيدة الصحيحة هي أولى لبنات المنهج الصحيح، وبانحرافها ينحرف المنهج تبعا لها.

---

(١) محاورات كونفوشيوس (كتاب مقدس في الكونفوشيوسية)، (ص: ٧٧).

(٢) الاعتدال (رسالة مذهب الوسطية)، (كتاب مقدس في الكونفوشيوسية)، (ص: ٥٧٨).

(٣) محاورات كونفوشيوس (كتاب مقدس في الكونفوشيوسية)، (ص: ٢١).

(٤) محاورات كونفوشيوس (كتاب مقدس في الكونفوشيوسية)، (ص: ٧٤).

(٥) منشيوس (كتاب مقدس في الكونفوشيوسية)، (ص: ٢١٥)، بتصرف يسير.

(٦) محاورات كونفوشيوس (كتاب مقدس في الكونفوشيوسية)، (ص: ١٧).



ثالثًا: التناقض في النظرة للمحبة:

تتناول الكتب المقدسة في الكونفوشيُوسيَّة الأخلاق عمومًا، والمحبة خصوصًا، بجملة من التناقضات والبعد عن المنطق، فقد جاء في الكتاب المقدس في سياق التحذير من أهل الأخلاق: "قال كونفوشيوس: إذا ما قابلت من يتظاهرون بمحاسن الأخلاق ويبالغون في معسول الكلام، فاحذر، فنادرًا ما تعرف الفضائل طريق هؤلاء"(١)، ولو سلَّمنا بهذه النظرة جدلًا، فإن السؤال: كيف يمكن تمييز أهل الأخلاق (الصادقة)، عن الذين يتظاهرون بالأخلاق؟ الحقيقة أنه لا يمكن ذلك، وعليه فإن الحذر لابد أن يكون من كل الناس بلا استثناء، وهذه نظرة فاسدة لا يمكن قبولها.

ويتعارض مع النص السابق ما قاله كونفوشيوس في الكتاب المقدس: "ولتكن الصداقة للأوفياء، والمعاملة بالحب لجميع الناس"(٢)، فكيف يصدِّق الناس من يعاملهم بحب، وهناك نصوص تحذرهم ممن يظهر لهم الحب؟ النتيجة من النصين السابقين، أن الناس سيعاملون بعضهم البعض بالحب، ولكن الشك والحذر يعتريهم جميعًا من بعض، وهذه نظرة لا يمكن أن يجمع العقل بينها.

ومن التناقض والتعارض في المحبة عندهم: ما جاء في الكتاب المقدس حين سئل كونفوشيوس: "ما رأيك في رجل يحبه كل أهل بلدته؟ فأجاب: كلا هذا محال، وسئل ثانية: فما رأيك في رجل يكرهه كل أهل بلدته؟ فأجاب: وهذا أيضًا محال، فلا يكون الرجل صالحًا حقًّا حتى يحبه كل الأخيار، بينما يكرهه كل الفجار في بلده"(٣)، ويتعارض مع هذا النص نصٌّ آخر، حيث يقول كونفوشيوس: "مسألتان تستحقان المزيد من البحث والاستبصار: أن يكون المرء محبوبًا جدًّا، أو أن يكون مكروهًا للغاية بين الناس"(٤)، فالنص الأول فيه نفي لأن يكون الرجل محبوبًا أو مكروهًا من الجميع، والثاني يفيد إثبات وقوع ذلك.

ومما جاء في الكتاب المقدس من النصوص التي تثبت إمكانية حب الجميع للإنسان: "قال منشيوس: إذا كان الحاكم محبًّا للقيم الإنسانية، فلن يكون له على الأرض بموجب ذلك الحب أي خصوم"(٥)، وفيه تناقض مع النص الأول الذي يفيد أنَّ محبة الناس جميعًا لا يمكن أن تتحقق للإنسان، ومع مثل هذه النصوص المتعارضة لا يمكن رصد منهج بناء أو حماية للمحبة.

---

(١) محاورات كونفوشيوس (كتاب مقدس في الكونفوشيوسية)، (ص: ١٥).

(٢) محاورات كونفوشيوس (كتاب مقدس في الكونفوشيوسية)، (ص: ١٦).

(٣) محاورات كونفوشيوس (كتاب مقدس في الكونفوشيوسية)، (ص: ١٢٥)، بتصرف يسير.

(٤) محاورات كونفوشيوس (كتاب مقدس في الكونفوشيوسية)، (ص: ١٤٦).

(٥) منشيوس (كتاب مقدس في الكونفوشيوسية)، (ص: ٣٤٠).



كما يظهر التناقض في الكتاب المقدس كذلك: في إمكانية جمع الحب والبغض في آنٍ واحد، حيث يقول كونفوشيوس: "إن كنت في موقف تدعو فيه بالخير والشر معًا، تحب شيئًا وتبغضه في آن واحد، فذلك هو الضلال بعينه"[1]، والمنطق أنه لا يمكن تصور وجود أمر يحبه الإنسان ويبغضه في الوقت نفسه، وهذا من معوقات إمكانية وجود منهج بِنَاءٍ وحمايةٍ للمحبَّة.

كما تتسم بعض نصوص المحبة الواردة في الكتاب المقدس في الكونفوشيُوسيَّة بالبعد عن المنطقية، ومنها: "قال كونفوشيوس: إذا بقي الرجل مكروهًا بين الناس حتى بعد بلوغه الأربعين من عمره، فلن يستطيع أن يكسب مودة أي إنسان، حتى لو عاش آلاف السنين بعدها"[2]، والحقيقة أن العقل لا يمكن أن يصدق هذا الكلام، فإن الإنسان متى ما حسُنَ خُلُقه أحبه الناس، حتى ولو بلغ من الكِبَرِ عتيا، وليس هناك أي مانع يمنع جلب محبة الناس له.

وخلاصة القول: إن فساد اعتقاد الكونفوشيوسيين في الله، وانحراف باب التقديس عندهم، حتى قدَّسوا البشر، والشعر، والموسيقى، وأرواح الموتى، والتناقض والتعارض الكبير في نصوص الكتاب المقدس، كلُّ هذا يجعل من الوصول إلى منهج واضح لبناء المحبة وحمايتها أمرًا غير ممكن، ولو افترضنا إمكانيته، فإنه سيكون متناقضًا ومتعارضًا ومتضاربًا، كالتناقض والتعارض والتضارب الموجود في كتابهم المقدس.

---

(١) محاورات كونفوشيوس (كتاب مقدس في الكونفوشيوسية)، (ص: ١١١).

(٢) محاورات كونفوشيوس (كتاب مقدس في الكونفوشيوسية)، (ص: ١٦٣).





الفصل الثالث: منهج الفلسفات المعاصرة في بناء المحبة، وحمايتها

إن تَتَبُّع منهج المحبة في أيِّ مذهب أو فلسفة يتطلب النظر أولًا في الدين الذي يدين به ذلك المذهب، أو تلك الفلسفة -إن كان أهلها يدينون بدين-، ومن ثَمَّ النظر في تعاملهما مع الوحي المنزل من الله سبحانه وتعالى، ثم إذا خلص المتتبع إلى نتيجة، فإنه يتحدد بعدها إمكانية رصد منهج بِنَاءٍ وحمايةٍ للمحبَّة.

وبالنظر إلى الفلسفة وعلاقتها بالدين والوحي، فإن الفلسفة اليونانية القديمة -وإن كانت نشأت في بيئة متدينة-، إلَّا أن هذه البيئة في بعض جوانبها لم تكن متوافقة مع الدين، بل متعالية عليه، وساخرة منه، حيث كان البعض يسخر من الآلهة؛ باعتبار أن البشر هم الذين خلقوا هذه الآلهة، وليست الآلهة هي الخالقة لهؤلاء البشر[١]، وهذا يشير إلى إنكار للدين، وتعالٍ عليه، وسخرية منه.

وكان نتيجة هذا الإنكار والتعالي على الدين "أن كل مذهب فلسفي جديد يخضع لاتجاه مزدوج، فهو يحاول -في آن واحد- أن يقرر أصالته، وأن يجد لنفسه بعض المذاهب السابقة التي تبشر به، وإلا فإنه ينقد المذاهب السابقة والمعاصرة"[٢]، وما ذاك إلا لاختلال منطلقاته ومبادئه الأساسية.

وسنتعرف -بإذن الله- في هذا الفصل على إمكانية رصد منهج بِنَاءٍ وحمايةٍ للمحبَّة، من خلال مبحثين، هما:

المبحث الأول: منهج الفلسفات المثالية في بناء المحبة، وحمايتها.

المبحث الثاني: منهج الفلسفات الواقعية في بناء المحبة، وحمايتها.

---

(١) ينظر: العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، إيميل بترو، الهيئة العامة للكتاب، ٢٠١٣م، (ص: ٩)، فلسفة الدين في الفكر الغربي، د. إحسان علي الحيدري، دار الرافدين، لبنان، (ص: ١١٩)، الواقعية وموقفها من الدين، د. إسماعيل عبد العليم علي، حولية كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، جامعة الأزهر، مصر، المجلد (٢٨)، ٢٠١٦م، (ص: ١٠٤).

(٢) أوجست كونت (مؤسس علم الاجتماع الحديث) أ. د. فاروق عبد المعطي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٣م، (ص: ٢٤٤).





المبحث الأول: منهج الفلسفات المثالية في بناء المحبة، وحمايتها

قبل الشروع في البحث عن منهج بناء وحماية المحبة في الفلسفات المثالية، لابد من التذكير بالمذهب العام الذي تنتهجه في نظرتها للأشياء والموجودات، فمذهب الفلسفات المثالية في ذلك ينحاز إلى المذهب العقلاني، الذي غايته أن يُخضِع "اختيارات المرء إلى مقتضيات العقل"[(١)].

وهذا المذهب الذي انتهجته الفلسفات المثالية، سبَّب لها خللًا كبيرًا، وقصورًا ظاهرًا في نظرتها للحياة عمومًا، وللمحبة خصوصًا، فقد انحرفت الفلسفات المثالية بسببه انحرافًا قاد الفلاسفة الذين ينهجون نهجها إلى التباين، والتناقض في الأحكام والتصورات؛ لذلك فإنه يتعذر مع وجود هذا التباين رصد منهج رصين وقويم لبناء المحبة وحمايتها عندهم؛ لأنه أحدث جملة من المعوقات التي تحول دون الوصول إلى المنهج المنشود.

ويمكن إجمال معوقات منهج بناء المحبة وحمايتها في الفلسفات المثالية في الآتي:

أولًا: اتخاذ العقل مصدرًا للتشريع:

إن أول أمر يمكن تمييز منهج بناء المحبة وحمايتها من خلاله، هو النظرة إلى صحة المصدر الذي تتلقى منه الفلسفة مبادئها وتعليماتها، وتصيغ من خلاله منطلقاتها وأفكارها، فإذا كان المصدر من الوحي -الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه-، فإن المنهج سيكون واضحًا بيِّنًا قويمًا، وبالتالي يسهل رصد معالمه ومنطلقاته، أما إذا كان غير ذلك، فإنه بداية الانحراف، والضياع، والضلال.

وإذا ما نظرنا لهذا الأمر في الفلسفات المثالية، فإن الفلاسفة المثاليين يرون: "أن البيئة الثقافية بأبعادها المختلفة (الدين، الأخلاق، ... وغيرها) هي من صنع عقل الإنسان وروحه"[(٢)]، وعليه فإن الوحي ليس له اعتبار عندهم، وهذا أول معوق من معوقات منهج بناء المحبة وحمايتها.

وامتدادًا لذلك، ترى المدرسة التربوية في الفلسفة المثالية: "أن ما توصل إليه الأجداد ثابت ومطلق ... فهي تسعى لحشو عقل الإنسان بالمعلومات، والحقائق المطلقة، والثابتة ... دون أن تهتم بتنمية كل جوانب الإنسان الجسمية والعقلية"[(٣)]، وعليه فإن اتخاذ العقل مصدرًا للتشريع، أثر سلبًا على النظرة التربوية في الفلسفات المثالية، فاقتصر الأمر على حشو العقل بالمعلومات، وإهمال باقي الجوانب الأخرى.

---

(١) العقلانية والحرية، أمارتيا سِن، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، الطبعة: الأولى، ٢٠١٧م، (ص: ٥٤).

(٢) الفلسفة المثالية من منظور تربوي إسلامي، ليلى عبد الرزاق إسماعيل حافظ، مجلة كلية التربية، جامعة بنها، مصر، مجلد (٢٩)، العدد (١١٥)، ٢٠١٨م، (ص: ٢٦٢).

(٣) تقييم التربية التحضيرية الملحقة بالمدرسة الابتدائية في الجزائر (دراسة ميدانية وفق مؤشرات نظرية وتطبيقية بمدينة قالمة نموذجًا)، بورصاص فاطمة الزهراء، رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم علم النفس، ٢٠٠٨ - ٢٠٠٩م،(ص: ٥٥)، بتصرف يسير.





ومن شواهد تقديس العقل عند الفلاسفة المثاليين: ما ذهب إليه الفيلسوف (هيجل)، حيث يرى اقتصار العالم على العقل، فيقول: "إن الفكرة الوحيدة التي تجيئنا بها الفلسفة، هي هذه الفكرة البسيطة التي تحملها كلمة العقل، ألا وهي أن العقل يحكم العالم، وبالتالي فإن التاريخ الكلي الشامل قد تطور على نحو عقلي"[١]، وهنا هو يرى أن التاريخ بأكمله تطور على نحو عقلي، مما يبين النظرة التقديسية للعقل، وخلو النظرة من الوحي.

وبناء على كلام (هيجل): "فإن الفلسفة هي وليدة نظرة العقل البشري"[٢]، وهو المصدر التشريعي فيها أيضًا.

ويظهر تجاهل الفلاسفة المثاليين للوحي كمصدر للتشريع، في تجاهل الفيلسوف (برادلي) –عند صياغة فلسفته– للدين بشكل تام، حيث لم يظهر له أي "رأي مستقل يتحدث فيه عن الدين، وإنما انصب حديثه عن الحقيقة المطلقة (المطلق)"[٣]، وهذا ناتج عن النظرة العقلية البحتة، التي صاغ بها فلسفته وأفكاره.

وقد كان لبُعدهم عن الوحي، واتخاذهم العقل كمصدر للتشريع آثار سلبية ظاهرة في نظرتهم للمحبة، فمن تلك الآثار: تناولهم للحب الجنسي خارج إطار الزواج، فإنهم دائمًا ما يتناولون الحب الجنسي خارج إطار الزواج[٤]، وهذا فيه ضعف جانب الديانة عندهم، والنظر للزنى بنظرة عقلية منفصلة عن الدين.

ومن شواهد ذلك: ما ذهب إليه (أفلاطون) من انقلاب الفطرة وانتكاسها في الحب، حيث ظهر ذلك في محاورته المسماة (المأدبة)، حيث إنها تتحدث عن الحب المثلي (الرجل للرجل)، "فالحب الذي تتحدث عنه المحاورة هو حب الذكرِ الذكرَ، أو ما يسمى بالجنسية المثلية، فهذا الصنف من الحب عند المتحاورين هو الذي يحقق غايات الإنسان السامية، وإذا ذكر الحب المألوف –حب الذكر للأنثى– فإنما يُذكَر للحط من شأنه بحسبانه نزوة جسدية خالصة، غايته إنجاب الأطفال، وحفظ الجنس"[٥]، فالمحاورة ثناء على الحب المثلي، ووصفه بالسمو، ووصف الحب المألوف بأنه أقل سموًّا من الحب المثلي.

ومن نصوص المحاورة التي تشير لهذا الحب المثلي (الرجل للرجل): ما جاء على لسان أفلاطون، حيث يقول: "ولا شك في خسة ودناءة الحب الذي ينسب إلى (أفروديت) –آلهة الحب والجمال والرغبة

---

(١) هيجل (أو المثالية المطلقة)، د. زكريا إبراهيم، مكتبة مصر، ٢٠١٠م، (ص: ٧).

(٢) الفلسفة المثالية من منظور تربوي إسلامي، ليلى عبد الرزاق إسماعيل حافظ، (ص: ٢٥٥).

(٣) المثالية المطلقة في الفكر الفلسفي الحديث (عرض وتحليل) ، د. نادية عبد الهادي عبد السلام، مجلة كلية البنات الأزهرية، مصر، العدد (٢)، (ص: ٢٠٦).

(٤) الإيروس والثقافة (فلسفة الحب والفن الاوروبي)، فياتشيسلاف شستاكوف، (ص: ٥١).

(٥) المأدبة (فلسفة الحب)، أفلاطون، ترجمة: د. وليم الميري، دار المعارف، مصر، (ص: ١٠ – ١١).





الجنسية عند اليونان- العامية ...، وهو الحب الذي يعمر قلوب السِّفْلَة والعامة، ومن علاماته: أنه يتجه إلى النساء، وإلى الغلمان، فهو حب حسي لا روحي، وتجده أيضًا يؤثر أن يكون محبوبه أضعف عقلا؛ لأنه إنما يسعى لإشباع شهواته البهيمية، ولا يعنيه كيف يشبعها، ... أما (أفروديت) السماوية التي ينسب إليها النوع الممتاز من الحب، فلا أثر للأنثى فيها، وإنما جاءت من الذكر وحده ... فمن يعمر قلبه الحب السماوي يميل إلى الذكور دون الإناث، حتى بين الذكور الذين يحبون من أبناء جنسهم يمكن أن نميز الذين يخضعون للحب السماوي، فلا يميلون إلى الغلمان بل ينتظرونهم حتى يبلغوا سن الشباب، وتنضج عقولهم، وهم بذلك يظهرون استعدادهم لمبادلتهم حبًّا مقيمًا ومشاركة باقية"(١)، وهذا الحب الذي يعبر عن انقلاب في الفطرة، وتمرد على أوامر الله سبحانه وتعالى، هو نتيجة لتحسين الظن بالعقل، والبعد عن الوحي، وسنن المرسلين.

وقد أنكر الله سبحانه وتعالى على من ترك الوحي، وجَعَلَ عقلَه مصدرًا يشرّع به لنفسه، فقال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣]، "وقوله: (ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ) معناه: جعل هواه مطاعًا، فصار كالإله، والهوى قائد إلى كل فساد؛ لأن النفس أمارة بالسوء"(٢)، وهو ما حدث بالفعل للفلسفات المثالية، حيث قادها ذلك إلى فساد ما ذهبت إليه.

وينطبق عليهم قول الشاطبي رحمه الله: "إنَّ الإحداث في الشريعة يقع إمَّا من جهة الجهل، وإمَّا من جهة تحسين الظن بالعقل، وإمَّا من جهة اتباع الهوى في طلب الحق"(٣)، والحقيقة: أن الفلاسفة المثاليين جمعوا هذه الأمور الثلاثة مجتمعة، فجهلهم نشأ بسبب بعدهم عن الوحي، فحسنوا الظن بعقولهم، وأعملوا عقولهم فيما لا طاقة لهم به، فاتبعوا أهواءهم وآراءهم.

وبناء عليه، فإنه لا يمكن رصد منهج بناء للمحبة مع هذا التقديس للعقل، وإنكار الوحي المنزل من الله سبحانه وتعالى، وما قادهم إليه ذلك المنهج الفاسد، فضلًا عن رصد منهج حماية لها.

---

(١) المأدبة (فلسفة الحب)، أفلاطون، (ص: ٣٤ – ٣٥).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ ، (٤/ ٢١٢)

(٣) الاعتصام، إبراهيم بن موسى اللخمي، تحقيق: د. هشام بن إسماعيل الصيني، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ ، (٣/ ٢٥٢)





ثانيًا: الإغراق في المثالية، وإنكار الحِس والتجربة:

إن من نتائج تحكيم العقل، والبعد عن الوحي الذي أنزله الله سبحانه وتعالى: الضياع والضلال، وقد حدث هذا مع الفلسفات المثالية، فصارت الفلسفة عندهم غارقة في المثالية، منكرة للحس والتجربة.

ويظهر ذلك جليا عند (أفلاطون)، حيث إنَّ فلسفته "تدور حول المعرفة، والتي تتمثل في نظرية المثل، وتتميز بأنها عقلية ومطلقة، وأن المثل هي موضوع المعرفة فيها، فما هو حقيقي ليس في العالم المحسوس، بل في العالم العقلي"(١)، وهنا يتبين إنكاره للعالم المحسوس، واقتصاره على نظرية المثل.

ويظهر إنكار الحس والتجربة، والإغراق في المثالية عند (إيمانويل كانت)، حيث يقول: "إن ما أسميه مثالية متعالية للظواهر، هو مذهب يعتبر أن هذه الظواهر هي تمثيلات ذهنية، وليست أشياء بذاتها؛ لأن معرفة الأشياء بذاتها أمر غير ممكن"(٢)، والسؤال هنا: لماذا لا يمكن معرفة الأشياء بذاتها؟ ألسنا نراها، ونحس بها؟ أليس هذا الرأي مغرقًا في المثالية، ومنكرة للحس؟

وقد سببت لهم تلك النظرة القاصرة جملة من السلبيات في الجانب التربوي، فمن سلبيات إنكار الفلسفات المثالية للحس والتجربة: أنها "أهملت الجوانب المهارية والأنشطة الإنسانية الأخرى، وركزت على الجانب المعرفي، وأعلت من شأن الروح، وأهملت أمر الجسد"(٣)، فصار الجسد والجوانب المهارية أمرًا مهملًا، لا مكانة له عندهم.

وكان لهذا الأمر أثرُ سلبيٌّ في جانب التربية عندهم، حيث يرون "أن التربية يجب أن تكون اجتماعية، وذلك بتعليم الأطفال ما توصل إليه الجنس البشري من خبرات ومعارف"(٤)، فالتربية عندهم اجتماعية لا دينية، كما أنها تهتم بتزويد الطفل بالخبرات والمعارف، دون المهارات الجسدية والبدنية؛ لذا أصبح "اهتمام الفلسفة المثالية الرئيس هو ملء عقل الطالب بالمعلومات والحقائق ...، ومن ثم أهملت الاهتمام بالنشاطات التي تطور جوانب الشخصية الأخرى كالجسمية، والاجتماعية، والثقافية، والانفعالية"(٥)، وكل هذا النقص والخلل بسبب توجههم الكامل للعقل، والإغراق في النظرة المثالية.

---

(١) الفلسفة المثالية من منظور تربوي إسلامي، ليلى عبد الرزاق إسماعيل حافظ، (ص: ٢٥٠)، بتصرف يسير.

(٢) أهداف التربية بين الفلسفة المثالية والفلسفة الواقعية (دراسة مقارنة)، أ. د. محمد عبد الله اليحيى ومحمد ناصر الرياشي، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، العدد ١٢، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠١٨م، (ص: ٥٣).

(٣) الفلسفة المثالية وأفكارها التربوية (دراسة نقدية)، د. شرف أحمد الشهاري، مجلة كلية التربية، جامعة أسيوط، مصر، مجلد (٢٨)،العدد (١)، ٢٠١٢م، (ص: ١٢٩).

(٤) تقييم التربية التحضيرية الملحقة بالمدرسة الابتدائية في الجزائر (دراسة ميدانية وفق مؤشرات نظرية وتطبيقية بمدينة قالمة نموذجًا)، بورصاص فاطمة الزهراء، (ص: ٥٦).

(٥) الفلسفة المثالية وأفكارها التربوية (دراسة نقدية)، د. شرف أحمد الشهاري، (ص: ١٤٥).





ومن السلبيات كذلك: أن الفلسفة المثالية -المعاصرة- لا زالت "تحاول أن تخلق ارتباطًا وثيقًا بين الإنسان والطبيعة"[١]، والسؤال: لماذا لا زالت الفلسفة إلى العهد المعاصر لم تستطع ربط الإنسان بالطبيعة؟ أين الفلسفة القديمة اليونانية؟ ولماذا لم تقم بهذا الدور؟ هنا يتبن القصور والخلل، ويظهر الإغراق في المثالية، والاجتهاد العقلي غير المنضبط بأوامر الله سبحانه وتعالى، وسنن المرسلين؛ لذا كانت النتيجة القصور والخلل والضياع.

وإغراق الفلاسفة المثاليين في المثالية دعاهم إلى الانتقائية وغياب الشمولية والعدل، فبسبب انحيازهم للعقل، تجاهلوا التجربة والحس، وقاموا بتأويل كل الأشياء "تأويلًا عقلانيًّا يحول دون اللجوء إلى التجرِبة، فإما أن التجربة تؤكد فكرتهم، وبالتالي فهي غير مجدية، أو أنها تناقضها، وبالتالي فهي ضالة"[٢]، وهذا انحياز للعقل، وفيه غياب للعدل، وانتقاء لما يريدون إثباته، وأخذ الحقائق التي توافقهم، ونبذ ما يخالفهم.

ولعل من آثار تلك الانتقائية: قصور نظرة (إيمانويل كانت) للإرادة والحرية، حيث نظر إليها نظرة مغرقة في المثالية، ومنكرة للظاهر، فيقول: "كي نكون أحرارًا، ينبغي للحرية أن تندَّ عن الظواهر، بمعنى ألا تكون هي نفسها ظاهرة"[٣]، وهنا تظهر الانتقائية عنده، حيث لا يعتبر الحرية موجودة إلَّا إذا كانت خفية غير ظاهرة للعيان، وهذا أمر غير واضح، ومضطرب.

وقد أورثت تلك النظرة الأحادية -المغرقة في المثالية المنكرة للحس- الفلاسفةَ المثاليين مبدأ (الشك)، فمبدأ الشك أصيل عندهم، حيث يزعمون أن الإنسان عندما أدرك الأشياء شك بها، فراح ينظر، ويتأمل، حتى وجد ضالته المنشودة[٤]، والسؤال الذي يطرح نفسه: ما هي الضالة التي وصلوا إليها؟ وهل ما تضج به الفلسفات من اتجاهات متباينة هي الضالة المنشودة؟ وهل أوصلهم شكهم في الأشياء إلى نتيجة واحدة، اتفقوا عليها جميعًا؟ بالطبع: لا.

ومن شواهد مذهب الشك في الفلسفات المثالية: ما ذهب إليه (ديكارت)، حيث يرى أنه يجب الشك في جميع الأشياء، فيقول: "وبوسعنا أن نشك أيضًا في جميع الأشياء التي بدت لنا من قبل يقينية جدًّا، بل نشك في براهين الرياضة، وفي مبادئها، وإن تكن في ذاتها جلية جلاءً كافيًا"[٥]، وإذا ما سلمنا بكلامه هذا، كيف سنصل إلى منهج بناء للمحبة، ونحن نشك في كل شيء، فضلًا عن أن نصل لمنهج حماية لها؟

---

(١) الفلسفة المثالية من منظور تربوي إسلامي، ليلى عبد الرزاق إسماعيل حافظ، (ص: ٢٦١).

(٢) العقلانية وانتقاداتها، مُحَمَّد سبيلا وعبد السلام بن عبد العالي، دار توبقال للنشر، الطبعة: الثانية، ٢٠٠٦م، (ص: ٢٠).

(٣) المذهب عند كنط، د. مراد وهبة، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ١٩٧٤م، (ص: ٨١).

(٤) ينظر: الفلسفة المثالية من منظور تربوي إسلامي، ليلى عبد الرزاق إسماعيل حافظ، (ص: ٢٥٧).

(٥) مبادئ الفلسفة، رينيه ديكارت، ترجمة وتعليق: د. عثمان أمين، دار الثقافة للنشر والتوزيع، (ص: ٥٤).





وتظهر النزعة المثالية في المحبة، في وصفهم لها بأنها: "السعي الدائم نحو المثل الأعلى الحقيقي، وحالة العشق الدائم"[(١)]، وقد أغفلوا مواصفات المحبة الظاهرية المحسوسة.

كما يعتبر أفلاطون أن الحب يحمل طبيعة متوسطة بين الآلهة والبشر، وأعلى مراتبه: الروحي، وأدناها: الجسدي[(٢)]، وجَعْلُه الحبَّ الروحي في المرتبة الأعلى، والحب الجسدي في أدنى مرتبة، هو سير في سياق الإغراق في المثالية، ومحاولة إنكار الحس.

ويظهر الإغراق في المثالية في المحبة عند (ديكارت)، فإنه "يميز بين نوعين من الحب: الحب العقلي، والحب الانفعالي أو الهوى، وتحصل الحالة الأولى حين تدرك النفس بأن خيرًا معينًا يناسبها، فتتصل به بمحض إرادتها، ويصبح الاثنان واحدًا، ومثل هذا الاتصال والاتحاد يقوم على المعرفة، وحركة الإرادة التي تصاحب هذه المعرفة هي فرح للنفس، أما حركة الإرادة التي تصاحب معرفة النفس لحرمانها من هذا الخير فهي حزن للنفس"[(٣)]، وهو هنا يربط المحبة بالشعور النفسي الداخلي، وأنها متصلة بتصورات النفس وإرادتها، ولي في كلامه مظهر خارجي محسوس للمحبة.

وبناء عليه، فإن النظرة الأحادية للمحبة، والمغرقة في المثالية، تجعل إمكانية رصد منهج لبناء وحماية المحبة أمرًا متعذرًا، وإن افترضنا إمكانية وجود منهج، فإنه سيكون منقوصًا يعتريه الخلل، والنظرة الأحادية.

ثالثًا: التناقض في النظرة للإنسان عمومًا، والمحبة خصوصًا:

إنَّ من أكثر المعوقات التي تعترض المتتبع للفلسفات المثالية بغرض رصد منهج بناء وحماية المحبة فيها: التناقض الكبير الذي تعيشه هذه الفلسفات، وهذا التناقض ليس محصورًا في المحبة فحسب، بل هو يبتدئ من أسسها ومبادئها العامة، حيث إنها تتناقض في نظرتها للإنسان أصلًا، فضلًا عن تناقضها في الأخلاق عمومًا، والمحبة خصوصًا.

فالفلسفات المثالية "طرحت مفاهيم متناقضة عن الإنسان، فاهتمت بالمعرفة التي تتصل بالعقل أكثر مما يجب، وأهملت المعارف التي تتصل بمكونات الإنسان الأخرى"[(٤)]، ولعل إهمالها لجوانب أخرى متعلقة بالإنسان هو أمر يتجاوز التناقض؛ لأن الحكم على الفلسفات المثالية بالقصور وعدم الشمولية، هو أمر يتجاوز في النقد أمر التناقض، فمع كون تركيزهم قد انصب على جوانب محددة، إلَّا أنهم لم يستطيعوا الوصول فيها -مع قلَّتها- إلى منهج محدد غير متناقض.

---

(١) الإيروس والثقافة (فلسفة الحب والفن الاوروبي)، فياتشيسلاف شستاكوف، (ص: ٢٠٢).

(٢) ينظر: الحب عند هيغل، د. منذر شباني وهانيا بهجت مهنا، (٤٣٧).

(٣) انفعالات النفس، رينيه ديكارت، (ص: ٥٦).

(٤) الفلسفة المثالية من منظور تربوي إسلامي، ليلى عبد الرزاق إسماعيل حافظ، (ص: ٢٦٧).





ومن شواهد ذلك التناقض: تناقض الفيلسوف (إيمانويل كانت) في شأن (الإرادة)، فهي تارة حُرة، وتارة غير حُرة، فيقول: "فالإرادة عينها يمكن تصورها بغير تناقض، على أنها من جهة خاضعة بالضرورة من الناحية الظاهرية للقانون الفيزيائي، أي: أنها غير حرة، ومن جهة أخرى يمكن تصورها على أنها من الأشياء في ذاتها لا تخضع لذلك القانون الفيزيائي، فهي بالتالي حرة"[١]، ومع زعمه إمكانية تصورها بغير تناقض، إلا أنه بمجرد أن بين نظرته فيها ظهر التناقض جليًّا.

وقد سرى تناقضه هذا إلى نظرته للمحبة، وذاك أن (كانت) "عند تحليله للمضمون الأخلاقي لظاهرة الحب عانى من صعوبات معينة، فقد اكتشف أن الحب -من حيث هو مفهوم أخلاقي- يعد تناقضًا واضحًا عنده، فجميع القيم الأخلاقية عنده ترتبط عادة بمقولة الواجب، في حين أن الحب لا يمكن أن يكون موضوع واجب أو إرادة؛ نظرًا لأنه لا يرتبط بالإلزام والإرغام؛ لذا فإنه يقول: الحب هو قضية إحساس، لا قضية إرادة، ويمكنني أن أحب، ليس لأنني أريد، وبدرجة أقل ليس لأن واجبي يلزمني بالحب، وبالتالي فواجب الحب لا معنى له"[٢]، واكتشافه للحب بأنه متناقض، وفصله للحب عن منهجه العام في القيم الأخلاقية المتمثل في (الواجب)، هو عين التناقض في منهجه ونظرته له.

ومن أظهر النصوص التي وقفت عليها في إثبات التناقض في النظرة للمحبة في الفلسفات المثالية: قول الفيلسوف المثالي (هيجل): إن الحب هو "أعظم أنواع التناقض جميعًا، وهو في الوقت نفسه حل لها"[٣]، والتناقض في هذا النص يظهر في جوانب متعددة -مع قلة كلماته-، فوصفه للحب بالتناقض أولها، ووصف التناقض بلفظ (العظيم) ثانيها، وثالثها: ذكره لكلمة (جميعًا)، فإنها تفيد أنَّ الحب ينفرد عن سائر الأشياء بكثرة تناقضه، ورابعها: زعمه أنَّ الحب -مع كونه قد وصفه بالتناقض الكبير- إلا أنه في الوقت نفسه هو الحل لهذا التناقض، فكيف يكون هو قمة التناقض، وفي الوقت نفسه هو الحل لهذا التناقض؟

ويظهر التناقض كذلك في نظرة الفيلسوف المثالي (إريك فروم)، حيث يقول: "لا يكون الحب ممكنًا إلا إذا تواصل شخصان معًا من مركز وجودهما، ومن ثم إذا عاش كل منهما نفسه من مركز وجوده، في هذه الإعاشة المركزية تكمن الحقيقة الإنسانية، هنا فقط تكمن الحياة، هنا فقط يوجد أساس الحب ... إن شخصين يعيشان نفسيهما من ماهية وجودهما، إنهما يكونان واحدًا كل منهما بالنسبة للآخر، عن طريق

(١) المذهب عند كنط، د. مراد وهبة، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ١٩٧٤م، (ص: ٢٨).

(٢) الإيروس والثقافة (فلسفة الحب والفن الاوروبي)، فياتشيسلاف شستاكوف، (ص: ١٩٣).

(٣) ينظر: هيغل والهيغلية، رينيه سرُّو، ترجمة أدونيس العكرة، دار الطليعة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٣م، (ص: ٤٥)، الحب عند هيغل، د. منذر شباني، وهانيا بهجت مهنا، (ص: ٤٤١).





أن يصبحا واحدًا مع نفسيهما بدلًا من الهرب من نفسيهما"[١]، والتناقض هنا يكمن في السؤال الآتي: كيف يعيش كل منهما من مركز وجوده الخاص به، ثم يصبحان واحدًا؟ أين مركز وجود كل واحد منهما؟ ألست ترى أن الحب لا يكون ممكنًا إلَّا إذا كان لكل واحد منهما مركز وجود مستقل عن الآخر؟ ثم لو فرضنا انتهاء العلاقة القائمة على المحبة بين اثنين متحابَّين، هل يرجعان لمركز وجودهما، أم يبقيان شخصًا واحدًا؟ كل هذه التساؤلات نشأت بسبب التناقض، والقصور في النظرة للمحبة.

ويستمر التناقض في النظرة للمحبة بالنسبة للفيلسوف (إريك فروم) في نظرته للحب الأخوي، حيث يقول: "الحب الأخوي: هو حب بين اثنين متساويين، ولكن حتى لو كنا متساويين حقًّا، فإننا لسنا (متساوين دائمًا)، وذلك بقدر ما نحن بشر، فإننا جميعًا محتاجون إلى المساعدة، اليوم أنا وغدا أنت"[٢]، والتناقض يظهر في أنه بدأ التعريف بوصف المتحابَّين بالتساوي، ثم مال إلى أنه لا يمكن أن يكون التساوي حالة مستمرة، والسؤال هنا: ما المقصود بالتساوي؟ ثم لو افترضنا أنه بدأ الحب بالتساوي بين اثنين متحابَّين، ثم حدث أن ذهبت صفة التساوي بينهما، ما مصير الحب؟ إن كانت الإجابة أنه يستمر، فإنه خالف أساس تعريفه له بوجوب التساوي، وإن كانت الإجابة أنه ينقطع، فهذا أمر غير منطقي، ومخالف للواقع، فكثير من المتحابّين ليسوا متساوين.

ويبلغ التناقض أوجه عند (إريك فروم) في وصفه للحب الأمومي، حيث يعتبر أن عناية الأم بالطفل هو تعبير عن رغبتها في انفصاله عنها، فيقول: "إن الماهية القصوى للحب الأمومي، هي العناية بنمو الطفل، وهذا يعني الرغبة في انفصال الطفل عنها"[٣]، فهل من المعقول وصف حب الأم لطفلها بأنه رغبة منها أن ينفصل عنها؟

وخلاصة القول: إن جملة هذه المعوقات، من اتخاذ العقل الإنساني -الذي يعتريه النقص- مصدرًا للتشريع بمعزل عن الوحي، وما نتج عنه من قصور، وإغراق في المثالية، وإهمال الجوانب الأخرى كالحس والتجربة، وحدوث تناقض كبير في النظرة للإنسان عمومًا، والمحبة خصوصًا، فإنه يتعذر الوصول إلى منهج بناء للمحبة في الفلسفات المثالية، فضلًا عن إمكانية الوصول إلى منهج حماية، ولو افترضنا جدلًا وجود منهج، فإنه سيكون مبنيًا على اجتهاد عقلي محض، يعتريه القصور والتناقض.

---

(١) فن الحب (بحث في طبيعة الحب وأشكاله)، أريك فروم، (ص: ٩٢).

(٢) فن الحب (بحث في طبيعة الحب وأشكاله)، أريك فروم، (ص: ٤٨).

(٣) فن الحب (بحث في طبيعة الحب وأشكاله)، أريك فروم، (ص: ٥١).



المبحث الثاني: منهج الفلسفات الواقعية في بناء المحبة، وحمايتها

سُمِّيت الفلسفات الواقعية بهذا الاسم "لاعتقادها أن الواقع هو مصدر جميع الحقائق"[١]، حيث يرى الفلاسفة المنتمون لها "أن هذا العالم الحقيقي يمكن معرفته بالعقل الحقيقي، سواء بالعقل الإنساني، أو الحس والتجربة"[٢]، ويظهر هذا المعنى في نظرة مؤسسها الفيلسوف (أرسطو) للتربية، حيث يعرفها بتعريف واقعي مادي محسوس، فيقول: "إن التربية إعداد العقل للكسب، كما تعد الأرض للنبات والزرع"[٣]، وهذا المنطلق الذي تنطلق منه الفلسفات الواقعية أحدث لها جملة من المعوقات، التي لا يمكن من خلالها رصد منهج بناء للمحبة، فضلًا عن رصد منهج حماية لها.

ويمكن إجمال معوقات منهج بناء المحبة وحمايتها في الفلسفات الواقعية في الآتي:

أولًا: إنكار الوحي، واتخاذ العلم والواقع مصادر للتشريع:

إنَّ إنكار الوحي المنزل من الله سبحانه وتعالى، هو أعظم أسباب الانحراف، والضلال، والزيغ، فبسبب إنكاره، يقوم المنكِر باتخاذ سبيل آخر يتمسك به، ويهتدي بهديه، فتكون النتيجة ضلالًا وانحرافًا، وهذا ما حدث للفلسفات الواقعية في إنكارها للوحي، واتخاذ العلم والواقع بديلًا له.

فالفلسفات الواقعية تقوم على إنكار الدين والوحي؛ لذا فإنه: "ليس لعلم الأخلاق الواقعي الوضعي أية مصادر إلهية أو دينية، وإنما هو علم من وضع البشر، جاء وليد أفكار الفلاسفة، والمفكرين، والعلماء، على مر العصور"[٤]، وهذا دليل على إنكارهم للوحي.

كما أن الفيلسوف الواقعي (أوجست كونت) حكم -بزعمه- على كل سمات العصر الديني بالزوال[٥]، ويظن -بزعمه الباطل- أن الذي سيبقى هو العلم، والواقع المحسوس، والتجربة.

وتفسِّر الفلسفات الواقعية الدين الذي يدين به الناس بأنه: "صنيعة إنسانية أملتها الظروف والأحوال التي مر بها الإنسان عبر تاريخه الطويل"[٦]؛ لذا فإن الفلسفات "الواقعية وإن أقرت بوجود الدين،

---

(١) تقييم التربية التحضيرية الملحقة بالمدرسة الابتدائية في الجزائر (دراسة ميدانية وفق مؤشرات نظرية وتطبيقية بمدينة قالمة نموذجًا)، بورصاص فاطمة الزهراء، (ص: ٥٧).

(٢) تزكية النفس في الإسلام وفي الفلسفات الأخرى (دراسة تحليلية)، علي بن عبده بن شاكر أبو حميدي، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، ١٤٢٨ - ١٤٢٩، (ص: ١٥٢).

(٣) أهداف التربية بين الفلسفة المثالية والفلسفة الواقعية (دراسة مقارنة)، أ. د. مُحَمَّد عبد الله اليحيى ومُحَمَّد ناصر الرياشي، (ص: ٤٤).

(٤) الأخلاق في الإسلام (مع المقارنة بالديانات السماوية، والأخلاق الوضعية)، د. يعقوب المليجي، مؤسسة الثقافة الجامعية، مصر، ١٩٨٥م،(ص: ٣١ – ٣٢)، بتصرف يسير.

(٥) ينظر: الأخلاق عند المدرسة الوضعية (أوجست كونت ومدرسته) دراسة نقدية على ضوء الإسلام، عائشة علي روزي الخوتاني، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، ٢٠١٢م، (ص: ١١٢).

(٦) الواقعية وموقفها من الدين، د. إسماعيل عبد العليم علي، (ص: ١٠٨).



فإنها تعني بذلك الدين الوضعي؛ وذلك لأنها لا تقر بإله خارج نطاق المجتمع، وقد ترتب على ذلك أن الواقعية أنكرت الدين ولم تقر به، باعتبار أنه غير علمي أو وضعي؛ لأنه لا يخضع للملاحظة والتجربة"(١)؛ لذا فإنها تنكر الدين، وتنكر الألوهية كذلك، ومن شواهد ذلك: أن الفيلسوف الواقعي (دور كايم) قام بتعريف "الدين تعريفًا يخلو من الإيمان بالذات الإلهية"(٢)، وخلو تعريفه للدين من الإله، يبين زعم الفلسفات الواقعية -المنحرف- بأن الدين من صنع البشر.

ويدل على ذلك أيضًا: ما ذهب إليه الفيلسوف الواقعي (داروين)، حيث أنكر خلق الله سبحانه وتعالى في عملية النشوء والارتقاء التي بنى عليها منهجه، حيث يقول: "إن تفسير النشوء والارتقاء بتدخل الله، هو بمثابة إدخال عنصر خارق للطبيعة في وضع ميكانيكي بحت"(٣)، وهذا إنكار تام لخلق الله، وتصويره للإنسان، وهو عين الإلحاد، والضلال، تعالى الله عمَّا يقولون عُلوًّا كبيرًا.

وتنحاز الفلسفات الواقعية إلى العلم على حساب الدين، وتزعم "أن المجتمع يتدهور، فيجب إعادة تنظيمه، وهو لا ينظم إلا بسلطة روحية، توحد بين العقول ...، وهذه السلطة هي العلم؛ لأنه هو الذي يضع حدًّا لفوضى الأفكار، ويوفر أسباب التنظيم والتعمير بزعمهم"(٤)؛ لذا فإنهم يتجاهلون دور الدين وأهميته، ويُحِلُّون العلم مكانه.

ومن شواهد نبذ الواقعية للدين: أن الفلسفات الواقعية تقوم على "اعتبار المعرفة الحسية ...، وإنكار الوحي وعالم الغيب ... وتقوم حقيقتها: على عبادة المشاهير والعظماء في نظرهم"(٥)، وعبادة المشاهير ومن يعظمونه من الفلاسفة الواقعيين، إنما منشؤه أنهم قدَّموا أقوالهم وآراءهم على كلِّ قول، وأخذوها كمسلمات.

وقد قادهم هذا التعظيم لأقوال فلاسفتهم إلى التعالي على الدين والوحي: "فالفلسفة الواقعية في العصر الحديث نبتت في بيئة معادية للدين، ومُعلِية من قيمة الأفكار المادية، مما ساهم في انطلاق الفلسفة الوضعية الواقعية التي أسسها (أوجست كونت) بعيدًا عن الدِّين، بل ومستعلية عليه"(٦)، والفلسفة الوضعية الوضعية هي أحد صور الفلسفة الواقعية الحديثة، "فإذا قلنا الفلسفة الواقعية، فهي بلا شك ترادف المذهب

(١) الواقعية وموقفها من الدين، د. إسماعيل عبد العليم علي، (ص: ١٠٨).

(٢) الأخلاق عند المدرسة الوضعية (أوجست كونت ومدرسته) دراسة نقدية على ضوء الإسلام، عائشة علي روزي الخوتاني، (ص: ١٣٥).

(٣) الفلسفة الوضعية عند أوغست كونت وأسباب ظهورها، د. إلهام محمد فتحي، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، جامعة الأزهر، مصر، المجلد (٢)، العدد (٣٦)، ٢٠١٩م، (ص: ٦٦٧ – ٦٦٨).

(٤) تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، (ص: ٣١٤).

(٥) الأخلاق عند المدرسة الوضعية (أوجست كونت ومدرسته) دراسة نقدية على ضوء الإسلام، عائشة علي روزي الخوتاني، مقدمة الرسالة (ج)، بتصرف يسير.

(٦) الواقعية وموقفها من الدين، د. إسماعيل عبد العليم علي، (ص: ٧٥).



الوضعي، فكلاهما اسمان لمعنى واحد، وهو جملة القوانين المكتسبة بالتجربة"[١]، فهما إذن "مسميان لمعنى واحد، يرجع إلى الإيمان بجملة القوانين المكتسبة بالتجربة"[٢]، وهما بذلك لا يؤمنان بالوحي والدين.

والمتأمل في تسمية (الفلسفة الوضعية) بهذا الاسم، يدرك أنها موضوعة من قبل البشر؛ لذا "فإن اسم الفلسفة الوضعية هو من وضع (أوجست كونت)"[٣]، وهذا يظهر مدى بُعد الفلسفات الواقعية عن المصادر والكتب السماوية منذ نشأتها، مما جعل الفلاسفة "الوضعيين -الواقعيين- أصبحوا لا يؤمنون إلا بالعلم التجريبي وحده"[٤]، فصار العلم مصدرًا للتشريع يؤمنون به.

وإنكار الفلسفة الواقعية للدين، يبين جهلها بالدين أصلًا، حيث "يتضح من خلال مواقف الواقعية من الدين أن موقفها منه بُني على جهل عميق به، وبالإنسان على حدٍّ سواء"[٥]، وجهلها العميق بالدين قادها لإنكاره، وقادها كذلك إلى أمر آخر، ألا وهو الجهل بالإنسان، حيث يوصف الإنسان في الفلسفات الواقعية بأنه: حيوان، فالإنسان "في نظر الواقعية لا يختلف كثيرًا عن الحيوان، فقد نظر إليه (أوجست كونت) من زاوية ذكائه الإنساني على أنه متطور فكريا عبر التاريخ"[٦]، كما يظهر ذلك الوصف الوصف في نظرة أرسطو للإنسان، فيرى أن "الإنسان حيوان اجتماعي، لكن العلاقة الأولى التي تفرزها الطبيعة هي تلك القائمة بين الرجل والمرأة، فالحب بينهما يتطابق، وينسجم مع الطبيعة"[٧]، والسؤال هنا: كيف يوصف الإنسان بأنه حيوان؟ أو أنه حيوان متطور، بسبب تميزه عن الحيوان بالذكاء؟ ألم يجدوا فرقًا بين الإنسان والحيوان إلا الذكاء؟ ألم يعلموا أن الله سبحانه وتعالى استخلف الإنسان في الأرض، وخلقه في أحسن تقويم، وأمره بعبادته سبحانه وتعالى؟ كل هذا الضلال والانحراف عن الفطرة، هو بسبب إنكارهم لوحي الله سبحانه وتعالى، واعتمادهم على العلم والتجربة.

ويستمر الضلال والانحراف في الفلسفات الواقعية -بسبب بعدهم عن الوحي الذي أنزله الله سبحانه وتعالى- في ربطهم للدين، والقيم الروحية والأخلاقية، والسلوك بالمادة، وانفصالها كلها عن الله سبحانه وتعالى، ووصفهم لتاريخ الإنسان بأنه البحث عن الطعام: حيث يرى (ماركس) "أن الدين، والقيم الروحية

---

(١) الفلسفة الوضعية عند أوغست كونت وأسباب ظهورها، د. إلهام مُحَمَّد فتحي، (ص: ٦٤٧).

(٢) الفلسفة الوضعية عند أوغست كونت وأسباب ظهورها، د. إلهام مُحَمَّد فتحي، (ص: ٦٤٧)، بتصرف يسير.

(٣) الأخلاق في الفلسفة الوضعية (إيميل دور كايم أنموذجًا)، دراي بريكة، رسالة ماجستير، جامعة مُحَمَّد بو ضياف، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الفلسفة، الجزائر، ٢٠١٧ – ٢٠١٨م، (ص: ١١).

(٤) الأخلاق عند المدرسة الوضعية (أوجست كونت ومدرسته) دراسة نقدية على ضوء الإسلام، عائشة علي روزي الخوتاني، (ص: ٢٢٧).

(٥) الواقعية وموقفها من الدين، د. إسماعيل عبد العليم علي، (ص: ١١١).

(٦) الواقعية وموقفها من الدين، د. إسماعيل عبد العليم علي، (ص: ١٠٩).

(٧) الفلاسفة والحب، سعيد بو خليط، مجلة فكر – العلوم الإنسانية والاجتماعية، المغرب، العدد (١٢)، ٢٠١٥م، (ص: ٢٧ – ٢٨).



والأخلاقية، والسلوك، هو عبارة عن انعكاس للمادة، وتاريخ العالم: هو تاريخ البحث عن الطعام"[١]، وربطهم الدين والأخلاق بالمادة وأنها انعكاس لها، هو من أظهر آثار إنكارهم للوحي وجهلهم بالله سبحانه وتعالى، كما أن وصف تاريخ الإنسان بأنه البحث عن الطعام، هو تجاهل للأدوار المنوطة بالإنسان في الأرض، وحصر لها في البحث عن الطعام فقط، فيصبح الإنسان في وصفهم كالبهيمة، ليس له هم إلا الطعام، وقد انطبق عليهم وصف القرآن بعد إيمانهم بهذا المنهج الضال المنحرف: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤].

كما يظهر جهلهم في الدين وإنكارهم له، في إنكارهم لبداية الخلق، وإنكارهم لليوم الآخر، حيث ترى الفلسفة الواقعية أنه على الفكر الإنساني أن "يتخلى عن البحث عن بداية ونهاية الكون ....، ويهتم فقط بما يكتشفه بالتركيبات العقلية، والملاحظة، والقوانين"[٢]، وهذا تصريح منهم بأنه على الإنسان أن يُحِلَّ العلم محل الوحي؛ لأن بداية الخلق ونهايته جاءتنا من كلام الله وكلام رسوله ﷺ، فهم ينكرونها ويجعلون العلم مكانها؛ لذا لم يصلوا إلى إجابات شافية لها، فتخلوا عن البحث عنها.

وبما أن الموت حتمي، فإن الفلسفات الواقعية تحاول أن تتجاهل ما بعد الموت، فيقولون: "إن الفرد لا يجب أن يعيش حياته وهو مهتم بما سيحدث بعد الموت"[٣]، وهذا التجاهل يبين وقوعهم في المآزق تلو المآزق بسبب إنكارهم للوحي، وقصور العلم -الذي يزعمونه- عن تفسير كثير من الحتميات التي يراها الإنسان بعينه، كالموت وغيره.

ويصدق على الفلسفات الواقعية، وما توصلت إليه من الضلال والانحراف الظاهر في كل المجالات، قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:٨٢-٨٣]، يقول ابن كثير في تفسير الآية: "يقول تعالى آمرًا عباده بتدبر القرآن، وناهيًا لهم عن الإعراض عنه، وعن تفهم معانيه المحكمة وألفاظه البليغة، ومخبرًا لهم أنه لا اختلاف فيه ولا اضطراب، ولا تضاد ولا تعارض؛ لأنه تنزيل من حكيم حميد، فهو حق من حق؛ ولهذا قال: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ)، ثم قال: (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ) أي: لو كان مفتعلًا مختلَقًا، كما يقوله من يقوله من جهلة المشركين

---

(١) الفلسفة الوضعية عند أوغست كونت وأسباب ظهورها، د. إلهام مُحَمَّد فتحي، (ص: ٦٦٨).

(٢) الأخلاق عند المدرسة الوضعية (أوجست كونت ومدرسته) دراسة نقدية على ضوء الإسلام، عائشة علي روزي الخوتاني، (ص: ٩٧)، بتصرف يسير.

(٣) الأخلاق في الفلسفة الوضعية (إيميل دور كايم أنموذجًا)، دراي بريكة، (ص: ١٤).





والمنـافقين في بـواطنهم ﴿لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ أي: اضـطرابًا وتضـادًّا كثـيرًا، وهـذا سـالم مـن الاختلاف، فهو من عند الله"(١).

وحاصـل القـول: أنَّ مـن اعتمـد على العلم والواقع، وتجاهـل الـوحي، فإنـه سيجد اختلافًـا كثـيرًا، وسيكون من أتباع الشيطان، وهذا ما ينطبق على الفلسفات الواقعية.

وعليـه فـإن إنكـار الفلسـفات الواقعيـة للـدين، وإنكـارهم لله سبحانه وتعـالى، ومـا قـادهم إليـه ذلـك الإنكار من الوقوع في الضلال، والاختلاف، والانحراف، يجعل أمر رصد منهج بِنَاءٍ وحمايةٍ للمحبَّة أمرًا غير ممكن.

ثانيًا: التغير المستمر، وعدم الثبات:

إن التغير المستمر، وعدم الثبات من أكبر معوقات وجود منهج واضح وبيِّن للمحبة، ويزداد الأمر صعوبة إذا ما كان هذا التغير، وعدم الثبات، في المبادئ، والأسس، والمنطلقات الأساسية.

والفلسفات الواقعية حينما أنكرت الدين، وأعلت من شأن العلم والواقع، وجعلته مصدرًا للتشريع، وسنِّ القـوانين، حـدث لهـا انحرافـات وتغيرات، لا نهاية لها، "ففـي الفلسـفة الواقعيـة، كـل شـيء قابـل للتغير، سواء المنهج أو الطريقة، وهذا راجع لطبيعة هذه الفلسفة التي تنبع من الواقع المعيش، فهي تتغير بتغير هذا الواقع"(٢)، وهذا ما يفسر تباين وجهات النظر بين الفلاسفة الواقعيين.

ومن شواهد ذلك: ما ذهب إليه (أوجست كونت)، حيث يرى: "إمكانية إيجاد مجموعة من المبادئ والأفكار التي تتفق حولها جميع العقول"(٣).

ولا يقف الأمر عند ذلك، بل إنه يرى "ضرورة تحقيق اتفاق عقلي بين أفراد المجتمع، بحيث يجمعون على صحة مجموعة من الآراء التي تكون عقيدة لهم، وتقوم عليها الأخلاق بعد ذلك"(٤)، والسؤال هنا: هل يُعقَل أن يتم تكوين العقيدة من آراء الناس؟ وتقوم عليها الأخلاق؟ وهل إجماع العقول كلها على رأي واحد، وعقيدة واحدة أمر ممكن؟ كل هذا يبين سرعة التغير، وانعدام الثبات في الفلسفات الواقعية؛ لأنها تستقي مبادئهـا مـن العلـم، والعلم متجـدد ومتطـور ولـيس ثابتًـا؛ لـذا فـإن الثبـات في المبـادئ والمنطلقـات الأساسية أمر يستحيل وجوده ولو لفترة محدودة من الزمن، فضلًا عن وجوده دائمًا.

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٢/ ٣٦٤).

(٢) تقييم التربية التحضيرية الملحقة بالمدرسة الابتدائية في الجزائر (دراسة ميدانية وفق مؤشرات نظرية وتطبيقية بمدينة قالمة نموذجًا)، بورصاص فاطمة الزهراء، (ص: ٥٩).

(٣) أوجست كونت (مؤسس علم الاجتماع الحديث) أ. د. فاروق عبد المعطي، (ص: ١٣).

(٤) الأخلاق عند المدرسة الوضعية (أوجست كونت ومدرسته) دراسة نقدية على ضوء الإسلام، عائشة علي روزي الخوتاني، (ص: ٢١٥).





وبما أن الفلسفات الواقعية تنكر الدين والوحي، فإنه قد "وقع الاختلاف في تحديد أهدافها، وذلك راجع إلى تطور الفلسفة عبر العصور"[١]، ومن المعلوم أن الأهداف هي أول ما يتم الاتفاق عليه قبل الشروع في أي أمر، لكي يعمل الجميع على تحقيقها، وهذا الأمر غير ثابت في الفلسفات الواقعية، فما بعده من باب أولى أن يناله التغير المستمر.

ومن أبرز ما يظهر التغير وعدم الثبات في نظرة الفلسفات الواقعية للمحبة: ما حدث من تَغَيُّرٍ في نظرة (أوجست كونت) للحب والعاطفة، حيث صار آخر حياته يمجد العاطفة بسبب حبه زوجته: "فإن تأثير المرأة على أوجست كونت كان كبيرًا جدًّا، لدرجة أنه انتقل في آرائه من النقيض إلى النقيض، فبعد أن كان في أول حياته يدعو إلى العقل وسيادة منهج العلم التجريبي وحده، نراه في آخر حياه يمجد العاطفة، ويقدمها على العقل"[٢]، وهذا التناقض والتغير وعدم الثبات الذي حدث له، كان بسببٍ ليس بكبير، وهو تأثير زوجته عليه، وكان لهذا السبب الأثر الكبير في حياته، حتى صار يناقض ما كان عليه أولها، فما بالك لو كان المؤثر عليه أكبر من حبه لزوجته؟ إن هذا التناقض الكبير، مقابل هذا السبب غير العظيم، يبين هشاشة منطلقات الفلسفات الواقعية، مما يجعل تأثرها وتغيرها وتبدلها أمرًا سريعًا.

كما يظهر التغير وعدم الثبات في النظرة للمحبة في الفلسفات الواقعية، في الحد الذي وصل إليه الفيلسوف الواقعي (تولستوي) من تطرف نظرته للحب، فبسبب تناوله للحب بشكل خاطئ، وصفه بأنه أحد مسببات المصائب، فيقول: "من بين أقوى وأرذل الأهواء والشهوات، الحب الجنسي الجسدي، وإذا ما قضي على هذه الشهوات والأهواء، وبخاصة أقواها وهو الحب الجسدي، سيتحد الناس معًا، وسيتم تحقيق هدف البشرية"[٣]، وسبب ذلك: أنه يتناول الحب الجنسي الجسدي بطريقة عقلية متغيرة متبدلة غير ثابتة، وخالية من ضوابط الوحي؛ لذا اعتبره سبب الفرقة بين الناس، وسبب فشل البشرية، ولو أنه ضبط الحب بالضوابط الشرعية المستقاة من الوحي، لما وصل الحال به أن يصفه بأنه سبب المصائب، لما للمحبة في الإسلام من تنظيم وضوابط تجعلها سببا لكل خير.

وهذا التغير والتبدل والتحول وعدم الثبات، هو صورة للانحراف الكبير الذي طال الفلسفات الواقعية في نظرتها للحياة عموما، وللمحبة خصوصًا، وعليه فإنه يتعذر رصد منهج بناء للمحبة فيها، فضلًا عن رصد منهج للحماية.

---

(١) تقييم التربية التحضيرية الملحقة بالمدرسة الابتدائية في الجزائر (دراسة ميدانية وفق مؤشرات نظرية وتطبيقية بمدينة قالمة نموذجًا)، بورصاص فاطمة الزهراء، (ص: ٥٨)، بتصرف يسير.

(٢) الأخلاق عند المدرسة الوضعية (أوجست كونت ومدرسته) دراسة نقدية على ضوء الإسلام، عائشة علي روزي الخوتاني، (ص:٤١).

(٣) الإيروس والثقافة (فلسفة الحب والفن الأوروبي)، فياتشيسلاف شستاكوف، (ص: ٢٣٤).



ثالثًا: التناقض، وعدم المنطقية في المنطلقات، والأسس، والنظرة للمحبة:

يُعَدُّ التناقض، وعدم المنطقية في المنطلقات، والأسس أمرًا ظاهرًا في الفلسفات الواقعية، وهو نتيجة حتمية للتغير والتبدل المستمر، وعدم الثبات على مصادر إلهية ثابتة عن الله سبحانه وتعالى وعن رسوله ﷺ.

ويظهر أول تناقض في الفلسفات الواقعية، في موقفها المناقض للفلسفات المثالية، حيث "وقَفَت الواقعية مع القول بحقائق الأشياء، وأن لها وجودًا خارجيًّا، وذلك بخلاف المثالية التي أنكرت القول بحقائق الأشياء"(١)، وهذا التناقض بين الفلسفتين حدث بشكل أسرع من المتوقع، حيث إن "الفلسفة الواقعية ترجع إلى أرسطو (تلميذ أفلاطون)، حيث كان يرى أن العالم من حولنا هو مصدر كافة الحقائق الموجودة فيه، وأن الحقائق تنبع من عالم الواقع، وعن طريق المشاهدة والتجربة الحسية والخبرات"(٢)، فقد "كان أفلاطون -في مسائل الأخلاق- يتعالى على الواقع المحسوس ...، ولكن أرسطو كان واقعيًّا، ولا يهتم إلا بالواقع، وما يجري فيه"(٣)، وسرعة التناقض تظهر في أن (أرسطو) مؤسس الواقعية، هو تلميذ (أفلاطون) مؤسس المثالية، مع كونه قد تعلم منه الفلسفة، إلا أنه أنشأ مدرسة مناقضة له تمامًا، وهذا يبين الضلال، والتباين، والتناقض، والتبدل السريع الذي يحدث في الفلسفة، بسبب تجاهلها للوحي.

كما يظهر التناقض في تعامل الفلسفات الواقعية -المنحرف- مع الدين، حيث إنها ترفض أن يكون الدين خارج إطار المجتمع نفسه، حيث إن العقل الواقعي الوضعي لا يتصور وجود إله غير الإله الذي يظهر في الصورة الإنسانية(٤)، وهذا من التناقضات التي لا يمكن أن يتصورها العقل، فالدين لابد أن يكون له جانب روحي، "والوجود الروحي لا يمكن تصوره في بعده المادي، ولا يمكن أن يثبت له وجود، إلا خارج هذا الوجود المحسوس"(٥)، لذا فإن إنكارهم للروح، وإيمانهم بالعلم والواقع والتجربة، قادهم إلى هذا التناقض.

ومن شواهد التناقض وقصور النظرة في الفلسفات الواقعية: ما جاء على لسان أرسطو، حيث يقول: "إن الدهشة هي أول باعث على الفلسفة؛ فالإنسان يتساءل: لماذا وُجدنا؟ ومن أين؟ وإلى أين؟ ... إن هذه المحاولة هي الفلسفة"(٦)، وهذه الأسئلة التي طرحها (أرسطو)، واعتبرها بواعث للفلسفة، هي من المسلمات في دين الإسلام، ولله الحمد، فالطفل المسلم يعلم أننا وُجِدْنا لعبادة الله، وخُلِقنا من طين،

---

(١) الواقعية وموقفها من الدين، د. إسماعيل عبد العليم علي، (ص: ١٣١).

(٢) أهداف التربية بين الفلسفة المثالية والفلسفة الواقعية (دراسة مقارنة)، أ. د. مُحَمَّد عبد الله اليحيى ومُحَمَّد ناصر الرياشي، (ص: ٥٧).

(٣) الأخلاق عند المدرسة الوضعية (أوجست كونت ومدرسته) دراسة نقدية على ضوء الإسلام، عائشة علي روزي الخوتاني، (ص: ٢٠١).

(٤) ينظر: منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية، د. مُحَمَّد مُحَمَّد أمزيان، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، أمريكا، ١٩٨١م، (ص: ٨١)، الواقعية وموقفها من الدين، د. إسماعيل عبد العليم علي، (ص: ١٠٧).

(٥) الواقعية وموقفها من الدين، د. إسماعيل عبد العليم علي، (ص: ١٠٧)، بتصرف يسير.

(٦) الفلسفة المثالية من منظور تربوي إسلامي، ليلى عبد الرزاق إسماعيل حافظ، (ص: ٢٥٦).

ومصيرنا الموت، فجنة أو نار، ولكن هذه الإجابات الفطرية أعيت الفلاسفة، فحملتهم على البحث عنها بعقولهم المحضة، فكانت النتيجة الضلال، والضياع -نسأل الله العافية والسلامة والهداية-.

ومن شواهد تناقض الفلاسفة الواقعيين: ما حدث من تناقض في أفكار الفيلسوف (أوجست كونت)، حيث "كان يمثل (أرسطو) في المرحلة الأولى، أما في المرحلة الثانية فقد كان يمثل (القديس بولس)"(١)، وهذا الانتقال بين التناقض والتباين الذي يحدث عن الفيلسوف الواقعي مع نفسه، فما بالك بما يحدث بينهم جميعًا.

ومن شواهد تناقض المحبة في الفلسفات الواقعية: ما حدث عند الفيلسوف الواقعي (إميل زولا) في وصفه للحب، حيث يقول: "إن الكراهية هي المحبة، هي شعور النفس السخي، هي العيش في احتقار الأشياء المخزية البلهاء"(٢)، ولا أدري كيف جمع بين هذه المتناقضات، ووصفها بأنها شيء واحد؟

كما يظهر التناقض في المحبة عند الفيلسوف (فرويد)، حيث يصف الجنس بوجهين، أولهما: الحب، والآخر: القسوة، فيقول: "تظل الغريزة السادية إحدى الغرائز الجنسية، بمعنى أن الرغبة الجنسية يمكن أن يكون أحد وجهيها الحب، والوجه الآخر القسوة"(٣)، والسؤال هو: كيف يكون الحبُّ والقسوةُ وجهَيْنِ لأمرٍ واحدٍ؟ وكيف يستوعب الجنس أن يوصف بوجهين متناقضين تمامًا؟

وتظهر عدم المنطقية في المحبة عند الفيلسوف الواقعي (فرنسيس بيكون)، حيث يرى أنه يجب أن يصرف الحب على شخص واحد، أو أناس قليلين، وإلا فإنه ينتشر، فيقول: "ففي طبيعة الإنسان ثمة ميل خفي وسعي لمحبة الآخرين، وإذا لم يصرف هذا الميل على شخص واحد أو أشخاص قليلين، فإنه ينتشر بالطبع على أناس كثيرين"(٤)، والسؤال هنا: ما المانع في أن ينتشر الحب بين الناس؟ ما الداعي لحصره على على شخص واحد أو أناس قليلين؟

وقد استغل الفيلسوف (أوجست كونت) (المحبة) للدعوة لمذهبه وفلسفته، حيث وضع لفلسفته "شعارًا، وهو: المحبة كمبدأ، والنظام كأساس، والتقدم كغاية، فكان له بعض الأشياع في فرنسا، وإنجلترا، والسويد، وأمريكا الشمالية، والجنوبية"(٥)، ولكن المتأمل في نظرته الواقعية الوضعية البحتة، التي تقدس العلم، يعلم مدى فقدان شعار (المحبة) الذي يرفعه مصداقيته، وذاك أن تقديس العلم والواقع، وتجاهل الروح والعواطف، هو أمر منافٍ للمحبة، ويجعل الحياة تميل إلى الجانب المادي البحت.

---

(١) أوجست كونت (مؤسس علم الاجتماع الحديث) أ. د. فاروق عبد المعطي، (ص: ٣٥).

(٢) اميل زولا، مارك برنارد، (ص: ١٣٥).

(٣) الحب والحرب والحضارة والموت، سيجموند فرويد، (ص: ٧٧).

(٤) الإيروس والثقافة (فلسفة الحب والفن الأوروبي)، فياتشيسلاف شستاكوف، (ص: ١٧٢).

(٥) الفلسفة الوضعية عند أوغست كونت وأسباب ظهورها، د. إلهام محمَّد فتحي، (ص: ٧٠٣).



وتظهر عدم المنطقية، والانحياز، والقصور عند الفيلسوف الواقعي (فرويد)، حيث يقصر السعادة على تفريغ الرغبات الجنسية، والميول العدوانية، فيقول: "طالما أن الحضارة تتطلب التضحية بالرغبات الجنسية، بل والميول العدوانية، فأعتقد أننا نكون أقدر الآن على فهم لماذا يصعب على الناس أن يحسوا بالسعادة في ظل الحضارة"[1]، وكلامه يشير إلى اقتصار السعادة على هذين الأمرين، الميول الجنسية، والميول العدوانية، وهذا قصور في النظرة للسعادة، بل وعدم منطقية، فكيف تكون الميول العدوانية أحد أساب السعادة؟

والمتأمل في هذا التناقض الظاهر، وعدم المنطقية في نظرة الفلسفات الواقعية لكافة الأمور عمومًا، وللمحبة خصوصًا، يجد أن من أسباب وقوعها في هذه الأخطاء والتناقضات الكثيرة، أنها عاملت الظواهر الاجتماعية، كما تعامل الظواهر الطبيعية، وهذا أمر خاطئ لجملة من الموانع، منها:

١- أن الظاهرة الطبيعية بسيطة، يمكن ضبطها، أو التحكم فيها، أما الظاهرة الاجتماعية فهي معقدة، ولا يمكن ضبطها، أو التحكم فيها.

٢- أن الظاهرة الطبيعية تمتاز بالتواتر، والتكرار، والموضوعية، أمَّا الظاهرة الاجتماعية فهي تتميز بعدم الموضوعية، حيث إنها لا تقاس كَمِّيًّا بل كَيْفِيًّا.

لذا يستحيل دراسة الظواهر الاجتماعية باتباع قواعد المنهج العلمي، وذلك لاستحالة إجراء التجارب في الدراسات الاجتماعية[2]، وعليه فإن التخبط الذي وقعت فيه الفلسفات الواقعية، منشؤه الأصل هو نبذ الوحي، والإيمان بأن العلم يحل مكانه، فضلُّوا وأضلُّوا.

وعليه، فإن الواقعية لا تهتم بالميول والرغبات للإنسان من جهة اجتماعية عاطفية، بل من جهة علمية بحتة، والمحبة عاطفة وميل، فالنتيجة أنها لا تولي المحبة عناية مناسبة لها، ويظهر ذلك في النظريات التربوية للفلسفات الواقعية حيث "لم تهتم التربية الواقعية بالتلميذ وميوله ورغباته، اعتقادًا منها أن الرغبات والميول ما هي إلا أمور ونزعات طارئة وعارضة، وهي متغيرة"[3]؛ لذا فإن نظرتها للمحبة يعتريها خَلَلٌ كبيرٌ، وانحرافٌ ظاهر.

---

(١) الحب والحرب والحضارة والموت، سيجموند فرويد، (ص: ٧٥).

(٢) ينظر: الفلسفة الوضعية عند أوغست كونت وأسباب ظهورها، د. إلهام مُحَمَّد فتحي، (ص: ٦٩٨ – ٦٩٩).

(٣) أهداف التربية بين الفلسفة المثالية والفلسفة الواقعية (دراسة مقارنة)، أ. د. مُحَمَّد عبد الله اليحيى ومُحَمَّد ناصر الرياشي، (ص: ٦٣).





وخلاصة القول: إن جملة ما ذكرتُه من إنكار الفلسفات الواقعية للوحي، واتخاذهم العلم والواقع مصادر للتشريع، وتغير وتبدل وعدم ثبات في المنطلقات والأسس، وتناقض وعدم منطقية في النظرة للمحبة، كل هذا يجعل أمر رصد منهج بناء للمحبة أمرًا غير ممكن، فضلًا عن رصد منهج للحماية، ولو افترضنا جدلًا وجود منهج، فإنه سيكون منحرفًا، ومختلًّا، وغير منضبط، ولا ثابت.





الفصل الرابع: مقارنة منهج بناء المحبة، وحمايتها بين الإسلام، والأديان، والفلسفات المعاصرة

لا شك أن تتبع ديانة أو مذهب أو فلسفة معينة بغية التوصل إلى وصف منهجها في أمر محدد، يحتاج إلى الاطلاع على المصادر، والأسس، والمبادئ التي تقوم عليها الديانة، أو المذهب أو الفلسفة، ويزداد الأمر تعقيدًا إذا طال التحريف، والتبديل، والتناقض أيًّا منها، فعندها يكون رصد المنهج متعذرًا، إما لعدم وجوده أصلًا، أو للاضطراب الذي يعتري كامل معالمه، بحيث لا يقف الباحث على أسس ثابتة وراسخة؛ لذا فإنه ومن خلال الفصول السابقة المختصة بالإسلام، والأديان، والفلسفات المعاصرة -كلٍّ على حده-، يتبين أن الإسلام هو الدين الحق الوحيد الذي يحتوي على منهج بناء للمحبة، وحمايتها، وهو منهج واضح شامل معتدل ثابت، بخلاف سائر الأديان المحرفة والوضعية والفلسفات المعاصرة، وفي هذا الفصل سأقارن بين منهج بناء وحماية المحبة في الإسلام، من حيث ثبوته، وشموليته، وتوازنه، ووسطيته، وبين معوقات وجود منهج بناء للمحبة، وحمايتها، في الأديان المحرفة، والوضعية، والفلسفات المعاصرة.

ويندرج تحت هذا الفصل مبحثان، هما:

المبحث الأول: مقارنة منهجية بناء المحبة، وحمايتها، بين الإسلام، والأديان.

المبحث الثاني: مقارنة منهجية بناء المحبة، وحمايتها، بين الإسلام، والفلسفات المعاصرة.





المبحث الأول: مقارنة منهجية بناء المحبة، وحمايتها، بين الإسلام، والأديان

أولًا: الإسلام:

يستمد منهج بناء المحبة وحمايتها في الإسلام من القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، وهما مصدران ثابتان محفوظان، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩]، ولا شك أن المصدر إذا كان ثابتًا عن الله سبحانه وتعالى، وعن رسوله ﷺ، فإن ذلك أول أمارات ثبات منهج بناء المحبة، وحمايتها، وهو أول مميزات منهج الإسلام عن مناهج الأديان المحرفة والوضعية.

كما يتميز منهج الإسلام عن الأديان المحرفة والوضعية بتوحيد الله سبحانه وتعالى، "فالتصور الإسلامي هو التصور الوحيد الذي بقي قائمًا على أساس التوحيد الكامل الخالص، والتوحيد خاصية من خصائص هذا التصور، تفرده وتميزه بين سائر المعتقدات السائدة في الأرض كلها على العموم؛ لذا فقد انحسرت كل التصورات والفلسفات والمذاهب التي وجدت، والتي قام عليها الفكر الغربي، والتي جعلت الإنسان يتخبط في هذه الحياة بناء على تصوراتهم الضحلة، التي تميل تارة ناحية المادة، وتارة ناحية الروح، وتارة ناحية القوة دون إدراك لطبيعة الإنسان وأشواقه، ويقف التصور الإسلامي راسخًا في شمولية تدرك خصائص الإنسان، وتضع له مناهج الحياة الثابتة حتى يعيش عيشة كريمة هانئة، يبني الحياة، ويبني الروح، ويوائم الفطرة، فلا يكلفها عنتًا، ولا يفرقها مزقًا"(١)؛ لذا فإنه وبسبب هذا الثبات، والرسوخ، والشمولية في المنهج، صارت "الأخلاق الإسلامية أصيلة في نفس صاحبها، بحيث يصدر منه الخُلق نفسه كلما تكرر الموقف نفسه الذي يقتضي ذلك الخُلق، فلا يتغير خُلقه مع الضعفاء ولا الأقوياء، ولا في حال فقره أو غناه، ولا في إقامته أو سفره، ولا في خلوته أو جلوته، ولا في حال رضاه أو غضبه، ولا في حال النعمة أو البلاء، ولا فيما له أو عليه، ولا تختلف أخلاقه حين يكون أميرًا أو مأمورًا، ومصدر ثبات هذه الأخلاق أنها تعبُّدية، يدور صاحبها مع الحق حيث يدور، ومصدر تذبذب الأخلاق غير الإسلامية أنها تدور مع المصالح والأهواء، وهذه متقلبة؛ تدير صاحبها على حسب تقلبها"(٢)، وعليه فإن منهج الإسلام في بناء المحبة وحمايتها، ينفرد عن غيره من الأديان المحرفة والوضعية بالثبات، والشمولية، والأصالة.

---

(١) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين، أبو بكر للبيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ ، (المقدمة/ ٨٠)

(٢) هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقًّا، محمود مُحَمَّد الخزندار، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م، (ص: ٢٠)





ثانيًا: اليهوديَّة:

من أوائل معوقات منهج بناء المحبة وحمايتها في اليهوديَّة: الخلل في الاعتقاد بالله سبحانه وتعالى، ومن أمثلة ذلك، أنهم يزعمون عدم إحاطة الله بكل شيء، فقد جاء في سفر الخروج: "أما أنتم فإن الدم الذي على بيوتكم المقيمين فيها يكون العلامة التي تميزكم، فأرى الدم وأَعبُرُ عنكم"(١)، فالله سبحانه وتعالى -بزعمهم- لا يعرف بيوتهم إلا إذا رأى عليها علامة الدم -تعالى الله عمَّا يقولون عُلوًّا كبيرًا-، أمَّا في الإسلام، فإن القرآن يثبت إحاطة علم الله بكل شيء، وأنه لا تخفى عليه خافية سبحانه وتعالى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [آل عمران:٥]، فإحاطة علم الله بكل شيء أمر مُسَلَّم به في الإسلام.

ومن ذلك أيضا: زعمهم اصطفاء الله لهم، واختيارهم، فقد جاء في سفر اللاويين: "أنا الرب إلهكم الذي ميزكم من الشعوب"(٢)، وقد ردَّ الله عليهم في القرآن مستنكرًا عليهم ذلك القول، فقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [المائدة: ١٨]، قال ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية: "أي: لو كنتم كما تدعون أبناءه وأحباءه، فلِمَ أَعَدَّ لكم نار جهنم على كفركم وكذبكم وافترائكم؟"(٣)، فهذا الادعاء، والافتراء، والقول على الله بغير علم، قد جاء الرد عليه في كتاب الله، أمَّا في الإسلام فإن القرب من الله، والبعد عنه، يكون بالتقوى، والإقبال على الله بالأعمال الصالحة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

ومن شواهد إساءة اليهود الأدب مع الله: قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة:٦٤]، فوصفهم الله سبحانه وتعالى بأن يده مغلولة -

(١) سفر الخروج (١٢: ١٣).

(٢) سفر اللاويين (٢٠: ٢٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٣/ ٦٩).





تعالى الله عمَّا يقولون عُلوًّا كبيرًا- دَلالة على سوء أدبهم معه سبحانه، وضعف تعظيم له، بخلاف الإسلام، حيث إن القرآن ردَّ عليهم مباشرة، فبين كمال عظمة الله في رزقه، وعطائه.

ومن معوقات منهج بناء المحبة وحمايتها عند اليهود: كذبهم على الله سبحانه وتعالى وعلى الناس، فمنطلق السلوك الأخلاقي في الشخصية اليهوديَّة قائم على الكذب حتى على الله[1] قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران:٧٨]، وهؤلاء الكاذبون على الله في الآية هم من اليهود[2]، أمَّا في الإسلام فإن الصدق من الأمور التي أمر الله سبحانه وتعالى بها، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، وقال تعالى ممتدحًا الصادقين: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا﴾ [الأحزاب:٢٣]، فالصدق مع الله سبحانه وتعالى، والصدق مع الناس أمر الإسلام بهما، وحذر من مخالفتهما.

ومن معوقات منهج بناء المحبة وحمايتها في اليهوديَّة: عدم العدل مع غير اليهودي، فقد جاء في سفر التثنية: "لا تقرض أخاك -أي: اليهودي - بفائدة ... بل تقرض الغريب بالفائدة، وأما أخوك فلا تقرضه بالفائدة"[3]، وقد قال الله عنهم مبينًا ظلمهم، وعدم عدلهم في أداء الأمانة مع الغير: ﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥]، وبمقارنة هذا الأمر في الإسلام، فإن الإسلام نهى عن الربا، وأمر بالوفاء بالعقود والعهود، قال تعالى مبينًا حُرمَة الربا: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ﴾ [البقرة:٢٧٥]، وقال سبحانه مبينًا وجوب الوفاء بالعقود: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة:١]، وقال سبحانه ممتدحًا أصحاب الوفاء بالعهد: ﴿وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وهذه الآيات تبين المنهج القويم الذين يأمر به الإسلام في العدل، وعدم الظلم، ووجوب الوفاء بالعقود والعهود.

---

(١) ينظر: الجانب المادي في الشخصية اليهودية، آلاء محمَّد عصام مصباح عشا، (ص: ١٤١).

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (٦/ ٥٢٦)

(٣) سفر التثنية (٢٣: ٢٠-٢١).





ثالثًا: النصرانيَّة:

أول معوق من معوقات وجود منهج بِناءٍ وحمايةٍ للمحبَّة في النصرانيَّة: هو فساد اعتقادهم في الله سبحانه وتعالى، ومن ذلك: اعتقادهم بألوهية عيسى عليه السلام، واعتقادهم بالتثليث، وشاهد اعتقادهم بألوهية عيسى عليه السلام: ما جاء في إنجيل يوحنا واصفًا عيسى عليه السلام: "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة هو الله"[١]، وجاء أيضًا: "ألا تؤمن أني في الأب، وأن الأب فيَّ"[٢]، ويقولون كذلك بأن عيسى عليه السلام ابن الله –تعالى الله عمَّا يقولون عُلوًّا كبيرًا– وشاهده: ما جاء في إنجيل متى على لسان عيسى عليه السلام لما سأل عن نفسه ماذا يقول الناس عنه؟ فكانت الإجابة: "أنت هو المسيح ابن الله الحي"[٣].

وشاهد قولهم بالتثليث: قوله تعالى مبينًا كفرهم، وضلالهم: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة:٧٣].

كما يصفون من يحب، بأنه وُلِد من الله –تعالى الله عمَّا يقولون عُلوًّا كبيرًا–، فقد جاء في رسالة يوحنا الأولى: "أيها الأحباء، لنحب بعضنا بعضًا؛ لأن المحبة تصدر من الله، إذن، كل من يحب يكون مولودًا من الله ويعرف الله، أما من لا يحب، فهو لم يتعرف على الله قط؛ لأن الله محبة"[٤]

وبمقارنة هذا الأمر في الإسلام، فإن الإسلام يُنكر عليهم مثل هذه العقيدة الفاسدة التي تجعل مع الله إلها آخر، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال تعالى منكرًا قول من قال بأنه له ولد، أو أن معه إله –تعالى الله عن ذلك–: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون:٩١]، فالإسلام يثبت وحدانية الله سبحانه وتعالى، وتفرده سبحانه وتعالى بالألوهية والربوبية، وأنه وحده له الأسماء الحسنى والصفات العلى، قال

---

(١) إنجيل يوحنا (١: ١).

(٢) إنجيل يوحنا (١٤: ٩).

(٣) إنجيل متى (١٦: ١٦).

(٤) رسالة يوحنا الأولى (٤: ٧).





تعـــــالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر:٢٤].

ومن معوقات المنهج في النصرانيَّة كذلك: القول بأن محبة الله لهم سابقة على محبتهم له، مع ما هم فيه من الخطايا والمعاصي، فقد جاء في رسالة يوحنا الأولى: "وقد أظهر الله محبته لنا، إذ أرسل ابنه الأوحد إلى العالم لكي نحيا به، وفي هذا نرى المحبة الحقيقية، لا محبتنا نحن لله، بل محبته هو لنا، فبدافع محبته، أرسل ابنه كفارة لخطايانا"[١]، وبمقارنة هذا الاعتقاد بما جاء في الإسلام، فإن الإسلام يثبت محبة الله للإنسان باتباعه لأمره وأمر رسوله ﷺ، والبعد عن ما نهى الله عنه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، كما أثبت الله محبته للتوابين، والمتقين، وغيرهم من أهل الصفات التي يحبها الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤]، بخلاف النصرانيَّة التي تثبت محبة الله لهم بغير قيد أو شرط، ولا تشترط طاعته كأحد مسبباتها.

ومن معوقات المنهج عند النصرانيَّة كذلك: زعم النصارى بأن عيسى عليه السلام صُلِب فداءً لهم، فقد جاء في الكتاب المقدس في إنجيل متى: "ولما وصلوا إلى المكان المعروف بالجُلْجُثة، وهو الذي يدعى مكان الجمجمة، أعطوا يسوع خمرًا ممزوجة بمرارة ليشرب، فلما ذاقها رفض أن يشربها، فصلبوه، ثم تقاسموا ثيابه فيما بينهم مقترعين عليها"[٢].

أمَّا الإسلام فإنه قد جاء منكرًا لهذا الزعم والادعاء ومبطلًا له، فقد قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [سورة النساء:١٥٧-١٥٨].

أما عن زعمهم بعقيدة الفداء، فقد جاء الإسلام بإبطاله، فمن مات على الكفر فلا يفديه شيء البتة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران: ٩١]، فالذي يفدي الإنسان به نفسه من النار، هو أن يموت موحدًا لله سبحانه وتعالى، عاملًا بأوامره، مجتنبًا لنواهيه.

(١) رسالة يوحنا الأولى (٤: ٩ - ١٠).

(٢) إنجيل متى (٢٧: ٢٤- ٢٥).





رابعًا: الهندوسيَّة:

من معوقات منهج بناء المحبة وحمايتها عند الهندوسيَّة: فساد اعتقادهم في الله سبحانه وتعالى، ومن ذلك: إيمانهم بوجود آلهة متعددة، وأن الآلهة تخلق بعضها، ومن شواهد ذلك: أن (براهما) -وهو أحد الآلهة عندهم-، هو من خلق الآلهة بطبقاتها: "ثم إن براهما خلق الآلهة العاملة على مختلف طبقاتها"[1]، أَمَّا في الإسلام، فإن الله سبحانه وتعالى نهى عن اتخاذ آلهة غيره، فقال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ۝ كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [سورة مريم:٨١-٨٢]، "والضمير في اتخذوا، لعباد الأوثان والآلهة الأصنام، وكل ما عبد من دون الله"[2]، وعليه فإن من اتخذ آلهة من دون الله ضل منهجه وانحرف.

لذا فقد صار "الهندوس يعبدون أعدادًا هائلة من الآلهة، كالشمس، والقمر، والأنهار، والبحار، والرعد، والبرق، وغيرها، ويعبدون الحيوانات التي لا تعد ولا تحصى، من الأفاعي، والفيلة، والبقر، والقرود"[3]، وقد جاء في الإسلام: النهي عن عبادة المخلوقات، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُۚ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت:٣٧]، وفي الآية ردٌّ عقلي على من عبد أي مخلوق من مخلوقات الله، وبيان لضلاله وانحراف عقله، حيث تشير الآية إلى أن الله سبحانه وتعالى "خلق الليل بظلامه، والنهار بضيائه، وهما متعاقبان لا يقران، والشمس ونورها وإشراقها، والقمر وضياءه، وتقدير منازله في فلكه ...، ثم لما كانت الشمس والقمر أحسن الأجرام المشاهدة في العالم العلوي والسفلي، نبه تعالى على أنهما مخلوقان عبدان من عبيده، تحت قهره وتسخيره، فقال: ﴿لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت:٣٧] أي: ولا تشركوا به فما تنفعكم عبادتكم له مع عبادتكم لغيره"[4]، وعليه فإن انحراف العقيدة في الهندوسيَّة أدى إلى انحراف العقل، واتخاذ آلهة كثيرة من دون الله.

ومن المعوقات كذلك: تناقض المحبة الإلهية في الهندوسيَّة، فتارة يصفون الآلهة بأنها تحب، وتارة لا تحب، ومن شواهد وصفه للآلهة بأنها لا تحب: ما جاء في الكتاب المقدس، حيث تقول الآلهة: "أنا قوة القوي، خلوٌّ من الرغبة والحب"[5].

---

(١) منوسمرتي (كتاب الهندوس المقدس)، (ص: ١٧).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، (٤/ ٣١)

(٣) الألوهية، الرسالة والخلاص في الهندوسية (دراسة نقدية مقارنة)، مجد الدين جمال ريناوي، (ص: ٣٤).

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٧/ ١٨٢).

(٥) الباجادفيتا (الكتاب الهندوسي المقدس)، (ص: ٧٢).





ومن شواهد وصفه للآلهة بأنها لا تحب: ما جاء في الكتاب المقدس: تحدث الرب قائلا: "مرة أخرى أتحدث إليك يا ذا الأذرع القوية، فأنصت إلى كلماتي العلوية يا من أحب، فإني أتحدث راغبًا بمصلحتك"(١)، أمَّا الإسلام فإنه لا تناقض فيه، فالمحبة ثابتة لله سبحانه وتعالى بشواهد كثيرة في القرآن والسنة، منها قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة:٥٤]، وليس هناك ما يناقض ثبوت المحبة لا في الكتاب، ولا في السنة.

ومن معوقات منهج المحبة في الهندوسيَّة: (الطبقية)، فهي مبنية على أساس خَلْق الإنسان، فيزعمون أن البرهمي خُلق من فم الإله، والكاستريا، أو الكشتري من ذراعه، والويشا من فخذه، والشودرا، أو الثودر من رجله(٢)، ويُعتبر البراهمة أعلى تلك الطبقات، "فبما أن البراهمة، خلقوا من أشرف وأطهر عضو، وهو الوجه، وهم القائمون على الويد، وهم أصحاب الدين، فهم أفضل الجميع"(٣)، أمَّا في الإسلام فإنه لا طبقية، ولا تمييز بين الناس، ولا فضل لأحدٍ على أحدٍ إلا بالتقوى، والالتزام بأوامر الله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]، فالتفضيل في الإسلام مبني على التقوى لا على أساس الخَلْق، كما في الهندوسيَّة.

خامسًا: الزرادشتيَّة:

من معوقات منهج بناء المحبة وحمايتها في الزرادشتيَّة: اعتقاد الزرادشتيين بالعقيدة (الثنوية)، وهي أنهم يؤمنون بإلهين اثنين، وهما إله النور وإله الظُّلمة، حيث جاء في الأفستا تحت عنوان (مبدأ الثنوية): "منذ البدء أعلنت الروحان التوأمان عن طبيعة كل منهما: الطيبة، والشريرة"(٤)، وهاتان الروحان هما آلهة في الزرادشتيَّة.

كما أنه ظهرت آلهة أخرى -عندهم-، فقد "كانت العبادة في الديانة الزرادشتيَّة تُقَدَّم إلى مختلف القوى الإلهية "(٥)، وهو نتيجة لفساد اعتقادهم في الله.

---

(١) الباجادفيتا (الكتاب الهندوسي المقدس)، (ص: ٨٩).

(٢) ينظر: الفلسفة الأخلاقية من سؤال المعنى إلى مأزق الإجراء، سمير بلكفيف وآخرون، (ص: ٣٤)، الأديان المحرفة والوثنية في ضوء العقيدة الإسلامية (دراسة تحليلية نقدية)، مصطفى عثمان مصطفى مُحَمَّد، (ص: ٢٨٩).

(٣) منوسمرتي (كتاب الهندوس المقدس)، (ص: ٣٧).

(٤) أفستا (الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية)، (ص: ٦٢).

(٥) الديانة الزرادشتية (ملاحظات وآراء)، د. أسامة عدنان يحيى، (ص: ١١).





وبمقارنة ذلك في الإسلام، فإن الإسلام قد أنكر هذا الاعتقاد الفاسد، فقد قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [النحل:٥١]، قال الشوكاني رحمه الله في تفسير الآية: "لما بين سبحانه أن مخلوقاته السماوية والأرضية منقادة له، خاضعة لجلاله، أتبع ذلك بالنهي عن الشرك بقوله: (وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ) فنهى سبحانه عن اتخاذ إلهين، ثم أثبت أن الإلهية منحصرة في إله واحد، وهو الله سبحانه، وقد قيل: إن التثنية في إلهين قد دلَّت على الإثنينية"[1]، فالألوهية في الإسلام لله وحده لا شريك له، وهذا الأساس القويم، هو ما جعل منهج بناء المحبة والحماية في الإسلام واضحًا جليًّا منضبطًا، بخلاف ما هو عليه في الزرادشتيَّة.

ومن فساد اعتقادهم في الله سبحانه وتعالى: تأليههم لزرادشت، فهم يقولون: "بأن زرادشت هو جوهر روح الله، وقد تقمصت جسد هذا المخلوق"[2] -تعالى الله عمَّا يقولون عُلوًّا كبيرًا-، أمَّا الإسلام ينكر مثل هذا، فقد قال تعالى منكرًا تقديس الأشخاص على قوم نوح: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ۝٢٢ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ۝٢٣ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا﴾ [نوح: ٢٢ – ٢٤]، والأسماء المذكورة في الآية هي "أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح، فلمَّا ماتوا كان لهم أتباع يقتدون بهم، ويأخذون بعدهم بأخذهم في العبادة، فجاءهم إبليس وقال لهم: لو صورتم صورهم كان أنشط لكم، وأشوق إلى العبادة، ففعلوا، ثم نشأ قوم بعدهم، فقال لهم إبليس: إن الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم، فعبدوهم، فابتداء عبادة الأوثان كان من ذلك"[3]؛ لذا فإن تقديس الأشخاص وتأليههم في الإسلام منهي عنه، لما يفضي إليه من الفساد، والكفر، والضلال.

ومن معوقات منهج بناء وحماية المحبة في الزرادشتيَّة: انحراف العبادة عندهم، فالزرادشتيون يعبدون النار، ويقُومون أمامها بالعبادات، ويتناولون الشراب الإلهي المقدس أثناء ذلك[4].

أمَّا الإسلام فإن العبادة فيه خالصة لله سبحانه وتعالى، ولا يجوز صرفها لغيره سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]، جاء في تفسير الآية: "وما أمروا: يعني هؤلاء الكفار، إلا ليعبدوا الله مخلصين، يعني: إلا أن يعبدوا الله مخلصين له الدين التوحيد والطاعة، حنفاء: مائلين عن الأديان كلها إلى دين

(١) فتح القدير، الشوكاني، (٣/ ٢٠٢).

(٢) الديانة الزرادشتية (مزديسنا)، نوري إسماعيل، ص: ١٢).

(٣) معالم التنزيل في تفسير القرآن، الحسين بن مسعود البغوي، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م، (٨/٢٣٢).

(٤) ينظر: أفستا (الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية)، (ص: ٥٥)، الزرادشتية ديانة ابتدعها المجوس في العصر الإسلامي، د. خالد كبير علال، (ص: ١٠٣).





الإسلام"[١]، فالعبادة في الإسلام خالصة لله وحده، بخلاف الزرادشتيَّة التي قدمتها لآلهة متعددة، وقدمتها كذلك لمخلوقات أخرى كالنار، وغيرها.

ومن معوقات منهج بناء وحماية المحبة في الزرادشتيَّة: التناقض في النظرة للمحبة، حيث يقول زرادشت: "ما أحب شيئًا من صميم فؤادي إلا الحياة، ولا يبلغ حبي لها أشده إلا حين أكرهها"[٢]، فغاية الحب لها يكون حين يكرهها؟ والعقل يستحيل أن يجمع بين هذين المتناقضين، أمَّا الإسلام فإن نظرته للمحبة ثابتة شاملة، لا يعتريها التناقض.

سادسًا: الكونفوشيُوسيَّة:

يعد فساد اعتقاد الكونفوشيوسيين بالله سبحانه وتعالى، أحد معوقات منهج بناء المحبة وحمايتها عندهم، ومن ذلك: إيمانهم بآلهة متعددة، فقد جاء في الكتاب المقدس: "إن الإله (شن نونغ) إله الزرع والحصاد في قديم الزمان، علم الناس كيفية استخدام أدوات الزراعة، واكتشف أسرار الطب والدواء"[٣]، أمَّا في الإسلام، فليس هناك إله إلَّا الله سبحانه وتعالى، قال تعالى:﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٦٢].

ومن المعوقات كذلك: تقديم القرابين لغير الله، فقد جاء في الكتاب المقدس أنه ينبغي: "تقديم القرابين في ساحات المعابد، تبجيلًا لأرواح الأسلاف الأقدمين"[٤]، وهذا فيه تقديسٌ وتعظيمٌ لغير الله، أمَّا في الإسلام، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١]، فلا يجوز الذبح لغير الله.

ومن معوقات منهج بناء وحماية المحبة عندهم: تقديسهم للبشر، كتقديسهم الإمبراطور، حيث يطلقون عليه (ابن السماء)[٥]، وبمقارنة ذلك في الإسلام، فإن الإسلام ينفي لله الولد، وينفي تقديس أو تأليه الأشخاص، قال تعالى على لسان نبيه ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠].

---

(١) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد الثعلبي، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠٢م، (١٠/ ٢٦١)

(٢) هكذا تكلم زرادشت، فريدريك نيتشه، (ص: ١٣٦)

(٣) منشيوس (كتاب مقدس في الكونفوشيوسية)، (ص: ٢٩٥)، بتصرف يسير.

(٤) الاعتدال (رسالة مذهب الوسطية)، (ص: ٥٦٣).

(٥) منشيوس (كتاب مقدس في الكونفوشيوسية)، (ص: ٤٠٧).





ومن المعوقات كذلك: التناقض في النظرة للمحبة، فقد وَرَدَتْ لديهم نصوص تفيد بإمكانية جمع الحب والبغض في آنٍ واحدٍ، حيث يقول كونفوشيوس: "إن كنتَ في موقف تدعو فيه بالخير والشر معًا، تحب شيئًا وتبغضه في آنٍ واحدٍ، فذلك هو الضلال بعينه"(١)، وهذا الأمر لا يمكن تصور اجتماعه في آنٍ واحدٍ، أما القرآن فقد نفى الله التناقض فيه، فقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

وبناء على ذلك فإنه وبعد المقارنة بين الإسلام والأديان، تبين أن منهج بناء المحبة وحمايتها في الإسلام واضح، ومستقيم، ومنضبط، وثابت، وشامل، وأصيل؛ لأنه مستمَدٌّ من الوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فصار المنهج منضبطًا خاليًا من التناقض، أمَّا الأديان المحرفة والوضعية، فإن المنهج لا يمكن رصده أو وجوده أصلًا؛ لأن المصادر التي يستقون منها أصول ديانتهم طالها التحريف، كاليهوديَّة، والنصرانيَّة، أو أنها موضوعة كالهندوسيَّة، والزرادشتيَّة، والكونفوشيُوسيَّة؛ لذا انحرفت أصول الديانة ومنطلقاتها، وتناقضت نظرتهم للمحبة تناقضًا ظاهرًا.

---

(١) محاورات كونفوشيوس (كتاب مقدس في الكونفوشيوسية)، (ص: ١١١).





المبحث الثاني: مقارنة منهجية بناء المحبة، وحمايتها، بين الإسلام، والفلسفات المعاصرة

أولًا: الإسلام:

يتميز الإسلام في منهج بناء المحبة وحمايتها بوجود منهج يتَّسم بالاعتدال، والوسطية، والتوازن في الحكم، وهذا المنهج هو: منهج الصراط المستقيم، حيث "يبدأ الإسلام التدريب على الاعتدال، والوسطية، والتوازن، بالتدريب على المنهج السليم في الحكم على الأشياء، والأشخاص، والآراء، فيسمي هذا المنهج: الصراط المستقيم، وهو يتضمن عنصرين: الأول: العلم، بأن يبذل الإنسان غاية ما يستطيعه بصفته إنسانًا للوصول إلى الحقيقة، فلا يحكم بالظن، ولا بالإشاعة، ولا بناء على خبرٍ غير موثَّق، إذ يسمى مثل هذا الحكم صراط الضالين. والثاني: عدم التحيز، والعدول عن موجب العلم، بألَّا يحكم على خلاف ما أوصله إليه علمه، لهوى، أو عاطفة، إذ يسمى مثل هذا الحكم صراط المغضوب عليهم.

والمسلم يردِّدُ في صلاته في كل ركعة: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۞ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦ -٧].

وقد أعطى القرآن هذا الأمر مساحة واسعة، إذ تناول هذا المنهج بالإيضاح، والتفصيل في أكثر من ثلاثمائة آية، والحكمة واضحة في ذلك؛ لأن منهج الحكم السليم هو أساسٌ لصحة كل قول، أو عمل، أو امتناع عن القول، أو العمل"[١]، فالإسلام يعتمد هذا المنهج ليصل بالحكم على الأشياء إلى نتيجة صحيحة، هي في النهاية مُرادُ الله سبحانه وتعالى وَفْقَ منهاج رسوله ﷺ.

كما يتميز المنهج في الإسلام كذلك، بربط الأخلاق بالثواب والجزاء الأخروي، "فالحقيقة أن المسلم يبتغي بحسن الخلق ثواب الله، وحسن جزائه في الآخرة، أكثر مما يريده في دنياه؛ لأن متاع الدنيا قليل وزائل، أما الآخرة فثوابها وجزاؤها عظيم خالد"[٢]، وهذا يُظهر النظرةَ البعيدة التي تخلو من النتائج المستعجلة المرتبطة بالدنيا، واللهفة وراء تحصيلها، ونيل ملذاتها.

وبمقارنة ذلك بالفلسفات المعاصرة -عمومًا-، فإن الفلسفات تقوم على أساس إنكار الدِّين، فمذهب الفلسفات المثالية ينحاز إلى المذهب العقلاني، الذي غايته أن يُخضِع "اختيارات المرء إلى مقتضيات العقل"[٣]، ومذهب الفلسفات الواقعية ينحاز للعلم والواقع؛ لاعتقادهما أنهما مصدر جميع

---

(١) التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب، صالح بن عبد الرحمن الحصين، (٦٦ – ٦٧).

(٢) الأخلاق في الإسلام (مع المقارنة بالديانات السماوية، والأخلاق الوضعية)، د. يعقوب المليجي، (ص: ١٨).

(٣) العقلانية والحرية، أمارتيا سِن، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م، (ص: ٥٤).



الحقائق[1]، فكلا المنهجين خالٍ من النظرة الدينية، وجعلها منهجها وأساسها في منطلقاته، وصياغة أهدافه.

لذا فإنهما صارا متباينين ومتضادين، وطرفي نقيض لبعضهما، فصار كل منهج منهما يسير في اتجاه معاكس للآخر، ويسعى لأن يقرر أصالته، ويحاول أن يجد لنفسه بعض المذاهب السابقة لتؤيده وتقرَّه على ما ذهب إليه، وقام بنقد كل مذهب يخالفه ويعاكس نظرته[2]، وكل هذا بسبب اختلال منطلقاته، وغموض أهدافه، وهشاشة أسسه ومبادئه.

وعليه، فإن تناقض الفلسفتين -المثالية، والواقعية-، هو أول معوقات وجود منهج بِنَاءٍ وحمايةٍ للمحبَّة فيهما، بخلاف الإسلام، حيث إن منهجه ينطلق من صراط مستقيم قويم، قال تعالى على لسان نبيه ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١]، قال السعدي رحمه الله في تفسير الآية: "يأمر تعالى نبيه ﷺ أن يقول ويعلن بما هو عليه من الهداية إلى الصراط المستقيم، الدين المعتدل المتضمن للعقائد النافعة، والأعمال الصالحة، والأمر بكل حسن، والنهي عن كل قبيح، الذي عليه الأنبياء والمرسلون، خصوصًا إمام الحنفاء، ووالد من بعث من بعد موته من الأنبياء، خليل الرحمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وهو الدين الحنيف المائل عن كل دين غير مستقيم، من أديان أهل الانحراف، كاليهود، والنصارى، والمشركين"[3]، وهنا يظهر التميز الذي تميز به الإسلام في نهج منهج الصراط المستقيم القويم، فالصراط المستقيم في بداية الأمر يُستمد من الله سبحانه وتعالى، وهو نعمة منه سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦ -٧]، وقول تعالى: (أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ)، دليل على أنهم ما اهتدوا له، ولا تمسكوا به إلا بإنعام الله سبحانه وتعالى عليهم بذلك، كما أن هذا الصراط المستقيم مائل عن كل صراط غير مستقيم، والدين الإسلامي الحنيف مائل عن كل دين غير مستقيم، فهو متميز ومتفرد عن غيره من الأديان والمذاهب المنحرفة.

لذا فإن ما نشاهده من تضارب الفلسفات المثالية مع الفلسفات الواقعية، هو مثال لانحراف منهجهما، وضلال طريقتهما، وفساد عقول المنتمين إليها والمصدقين بها، حيث "وضعوا منهجهم على أساس السير على هدي العقل الإنساني، وأعظم خطأ يقع فيه الإنسان -عندهم- هو مخالفة أحكام العقل

(١) ينظر: تقييم التربية التحضيرية الملحقة بالمدرسة الابتدائية في الجزائر (دراسة ميدانية وفق مؤشرات نظرية وتطبيقية بمدينة قالمة نموذجًا)، بورصاص فاطمة الزهراء، (ص: ٥٧).

(٢) ينظر: أوجست كونت (مؤسس علم الاجتماع الحديث) أ. د. فاروق عبد المعطي، (ص: ٢٤٤).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٢٨٢)



والعلم، فوضع الإنسان قوانين المنهج لنفسه"[١]؛ لذلك لما استغنوا عن الوحي وأنكروا الدين تضاربت آراؤهم، وضل سعيهم، وتَشتَّتْ أقوالهم.

ثانيًا: الفلسفات المثالية:

يعد الانحياز، وعدم التوازن الاعتدال أحدَ معوقات وجود منهج بِنَاءٍ وحمايةٍ للمحبَّة في الفلسفات المثالية؛ وذلك لانحيازهم للعقل، وإنكارهم الوحي، مما سبب لهم اضطرابًا في المنهج وانحرافًا عن جادة الصواب، وهذا شأن كل من غلَّب هواه وعقله على أوامر الله سبحانه وتعالى، وسنة رسوله ﷺ.

فالفلاسفة المثاليون يرون أن الدِّين، والأخلاق، وغيرها من مكونات البيئة الثقافية، هي من صنع عقل الإنسان[٢]، ويظهر ذلك المعنى عند الفيلسوف (هيجل)، حيث يقول: "إن الفكرة الوحيدة التي تجيئنا بها الفلسفة، هي هذه الفكرة البسيطة التي تحملها كلمة العقل، ألا وهي أن العقل يحكم العالم، وبالتالي فإن التاريخ الكلي الشامل قد تطور على نحو عقلي"[٣]، أمَّا الإسلام فإنه يحذِّر من استقلال العقل عن مُراد الله ورسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠]، قال الشوكاني رحمه الله في تفسير الآية: "فإن لم يستجيبوا لك أي: لم يفعلوا ما كلفتُهم به من الإتيان بكتابٍ هو أهدى من الكتابين، وجواب الشرط، فاعلم أنما يتبعون أهواءهم أي: آراءهم الزائغة، واستحساناتهم الزائفة، بلا حُجة ولا برهان، وقيل المعنى: فإن لم يستجيبوا لك بالإيمان بما جئتَ به، وقوله تعالى: (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ) أي: لا أحد أضل منه، بل هو الفرد الكامل في الضلال، (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ) لأنفسهم بالكفر، وتكذيب الأنبياء، والإعراض عن آيات الله"[٤]، فمن اتبع عقله وهواه بغير هدى من الله هو الكامل في الضلالة، ولا أحد أضل منه؛ لذا فإنه يتعذَّر أخذ منهج واضح بيِّن منه.

ومن شواهد إنكار الفلاسفة المثاليين للوحي والدِّين: أنهم إذا جاءوا لصياغة فلسفتهم عن الدِّين، فإنها تغلب عليهم ألفاظ (الحقيقة)، أو (الحقيقة المطلقة)، أو (المطلق)، ويندُر وجود رأي لهم مستقل،

---

(١) الأخلاق في الإسلام (مع المقارنة بالديانات السماوية، والأخلاق الوضعية)، د. يعقوب المليجي، (ص: ٣٢).

(٢) ينظر: الفلسفة المثالية من منظور تربوي إسلامي، ليلى عبد الرزاق إسماعيل حافظ، (ص: ٢٦٢).

(٣) هيجل (أو المثالية المطلقة)، د. زكريا إبراهيم، مكتبة مصر، ٢٠١٠م، (ص: ٧).

(٤) فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٢٠٥).





يتحدث عن الدِّين كمصدرٍ إلهي سماوي[١]، وهذا ناتج عن النظرة العقلية البحتة التي صاغوا بها فلسفتهم، وأفكارهم.

ومن معوقات وجود منهج بِنَاءٍ وحمايةٍ للمحبَّة في الفلسفات المثالية: القصورُ والتخبُّط الذي تعيشه في محاولة الربط بين الإنسان والطبيعة، فالفلسفات المثالية منذ نشأتها وإلى الآن لم تستطع أن توجد ارتباطًا وثيقًا بين الإنسان والطبيعة[٢]، وإنما هي محاولات يعتريها النقص، والقصور، والانحياز للجانب الداخلي للإنسان، مقابل إنكار الجانب الخارجي الواقعي الحسي، أمَّا في الإسلام، فإن ربط الإنسان بواقعه الخارجي الحسي أمرٌ ظاهرٌ في القرآن الكريم، ويظهر ذلك في آيات كثيرة في كتاب الله، منها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤]، قال السعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: (لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) "أي: لمن لهم عقول يُعْمِلونها فيما خُلقت له، فعلى حسب ما مَنَّ الله على عبده من العقل، ينتفع بالآيات، ويعرفها بعقله، وفكره، وتدبره"[٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، قال ابن كثير رحمه الله عن معنى (أولي الألباب): "أي: العقول التامَّة الذكية التي تدرك الأشياء بحقائقها على جلياتها، وليسوا كالصُم البُكم الذين لا يعقلون"[٤]، فالقرآن يحث على التأمل في خلق الله، وإثبات الآيات والمخلوقات بحقائقها.

ومن معوقات منهج بناء المحبة وحمايتها في الفلسفات المثالية: التناقضُ الظاهر في النظرة للمحبة، ومن ذلك: قول الفيلسوف (هيجل): إن الحب هو "أعظم أنواع التناقض جميعًا، وهو في الوقت نفسه حل لها"[٥]، وهذا النص من هذا الفيلسوف المثالي يبلغ منتهى التناقض في النظرة للمحبة، ويبين أن المنهج عنده متناقض لا يتَّسِم بالثَّبَات والرسوخ.

ومن الغرائب في تناقض الفلسفات المثالية في النظرة للمحبة: ما جاء عن الفيلسوف المثالي (إريك فروم)، حيث يقول: "إن الماهية القُصوى للحب الأمومي: هي العناية بنمو الطفل، وهذا يعني الرغبة في

(١) ينظر: المثالية المطلقة في الفكر الفلسفي الحديث (عرض وتحليل) ، د. نادية عبد الهادي عبد السلام، (ص: ٢٠٦).

(٢) الفلسفة المثالية من منظور تربوي إسلامي، ليلى عبد الرزاق إسماعيل حافظ، (ص: ٢٦١).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص: ٧٨).

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٢/ ١٨٤).

(٥) ينظر: هيغل والهيغلية، رينيه سرُّو، (ص: ٤٥)، الحب عند هيغل، د. منذر شباني وهانيا بهجت مهنا، (ص: ٤٤١).





انفصال الطفل عنها"[١]، هل يمكن أن يصدق العقل السليم أن الأم تعتني بطفلها؛ لأنها ترغب في انفصاله عنها؟ هذا التناول المتناقض الذي يتسم بالغرابة، هو نتيجة التخبط والضلال في المنهج، الذي تؤمن به الفلسفات المثالية، القائم على العقل، والخالي من نور الوحي؛ لذا كانت هذه نتيجته.

أمَّا الإسلام، فإنه ينظر لعاطفة الأب والأم على أنها منطلق إنساني، وليس رغبة في التخلص من الولد، ومن شواهد ذلك في القرآن الكريم: قصة فقد يعقوب ليوسف عليهما السلام، وفقد أم موسى لموسى عليه السلام، فإنه "يستطيع الناظر في القصتين أن يرى نموذج الأب، ونموذج الأم، الممتلئة نفوسهم بالعاطفة الأبوية الإنسانية، بغضِّ النظر عن الفرق بين النبي وغير النبي، فمنطلق العاطفة إنساني في المقام الأول، لا يتفاوت فيه البشر"[٢]، وهذا ما يميز النظرة الشمولية المعتدلة في الإسلام عن النظرة القاصرة في الفلسفات المثالية.

وعليه فإن الإسلام بمنهجه القويم لا يمكن أن يحدث فيه تناقض في النظرة للمحبة، ولا لغيرها من كافة الأمور، المتعلقة بحياة الإنسان، وعلاقته مع ربه، قال تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، "قال قتادة: أحكمت: أحكمها الله، فليس فيها اختلاف، ولا تناقض"[٣]، فالتناقض في الإسلام لا يمكن وجوده؛ لقيام الدين كله على المنهج المحكم القويم، المستمد من كتاب الله العظيم.

ثالثًا: الفلسفات الواقعية:

تنحاز الفلسفات الواقعية للحس والتجربة، على حساب الوحي والدين، فعلم الأخلاق في الفلسفات الواقعية الوضعية، ليس له أيَّة مصادر إلهية أو دينية، فهو خالٍ منها تمامًا، وإنما هو علم من وضع البشر أنفسهم، جاء وليد أفكار الفلاسفة والمفكرين -المنتمين لها- على مر العصور[٤]، ولا يقف الأمر عند اعتمادهم على أنفسهم، ونبذهم للوحي والدين فحسب، بل إن من الفلاسفة الواقعيين من جَزم

---

(١) فن الحب (بحث في طبيعة الحب وأشكاله)، أريك فروم، (ص: ٥١).

(٢) فقد الولد في قصة يعقوب وأم موسى عليهما السلام -الدلالات والمضامين- دراسة تحليلية، أ.د. عبد الله بن صالح بن عبد الله الخضيري، الخضيري، المجلة العلمية لكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق، جامعة الأزهر، كلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق، المجلد (١)، العدد (٣٠)، ٢٠١٨م، (ص: ٤٤٣).

(٣) معالم التفسير في تفسير القرآن، البغوي، (٤/ ١٥٦).

(٤) ينظر: الأخلاق في الإسلام (مع المقارنة بالديانات السماوية، والأخلاق الوضعية)، د. يعقوب المليجي، (ص: ٣١ – ٣٢)، بتصرف يسير.





بأن الدين -الذي يعتنقه الناس في شتى بقاع الأرض- مصيره إلى الزوال، ولن يبقى منه أي سمة تدل عليه[1]، وسيكون الأمر كله -بزعمهم- للعلم، والتجربة، والحس.

أمَّا الإسلام، فإن الله سبحانه وتعالى قد بيَّن أن الدين سيظهر على سائر العقائد المنحرفة، وأن أولياء الله وأتباع دينه لهم الغلبة، والتفوق على غيرهم، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا﴾ [الفتح: ٢٨]، قال ابن عطية رحمه الله: "وهذا تعظيم لأمر رسول الله ﷺ، وإعلام بأنه يظهره على جميع الأديان، ورأى بعض الناس لفظة: (لِيُظۡهِرَهُۥ) تقتضي: محو غيره به، فلذلك قالوا: إن هذا الخبر يظهر للوجود عند نزول عيسى ابن مريم عليه السلام، فإنه لا يبقى في وقته غير دين الإسلام"[2]، وهذه بشرى من الله سبحانه وتعالى على بقاء دين الإسلام، وظهوره على سائر العقائد المنحرفة، بخلاف ما ذهب إليه الفلاسفة الواقعيون من اندثار الأديان كلها، وبقاء أفكارهم وآرائهم المنحرفة.

ومن أكبر المعوقات في وجود منهج بِنَاءٍ وحمايةٍ للمحبَّة في الفلسفات الواقعية: وصولُ نهاية كثير من آراء الفلاسفة الواقعيين إلى (الإلحاد) -والعياذ بالله-، فأنكروا أنْ يكون الله سبحانه وتعالى قد خَلَقَ الخَلْق، وتمادوا في الغي، والضلالة، والانحراف، ومن شواهد ذلك: إنكار الفيلسوف الواقعي (داروين) خلق الله سبحانه وتعالى، فيقول: "إن تفسير النشوء والارتقاء بتدخل الله هو بمثابة إدخال عنصر خارق للطبيعة في وضع ميكانيكي بحت"[3]، وهذا عين الإلحاد والضلال -تعالى الله عمَّا يقولون عُلوًّا كبيرًا-.

أمَّا الإسلام، فإنه يثبت لله الخلق والأمر كله، قال تعالى:﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وهذا الإنكار من الفلسفات الواقعية يبين أنهم وصلوا إلى ضلالٍ قلَّ نظيره، فمعظم مَن أشرك وكفر بالله لم ينكر الخلق له سبحانه وتعالى، وإنما أنكر صرف العبادة له وحده، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وإثبات المشركين لخلق الله لهم، يبين أن الإنكار الذي وقع فيه الفلاسفة الواقعيون هو من أكبر وأضل الضلال.

---

(١) ينظر: الأخلاق عند المدرسة الوضعية (أوجست كونت ومدرسته) دراسة نقدية على ضوء الإسلام، عائشة علي روزي الخوتاني، (ص: ١١٢).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، (٥/ ١٤٠).

(٣) الفلسفة الوضعية عند أوغست كونت وأسباب ظهورها، د. إلهام محمَّد فتحي، (ص: ٦٦٧ – ٦٦٨).



ومن معوقات منهج بناء المحبة وحمايتها في الفلسفات الواقعية: اعتقادهم أن المجتمع بدأ يتدهور، ولا يمكن تنظيمه إلا بالعلم؛ لأن العلم -بزعمهم- هو ما يمكنه وضع حدٍّ للفوضى الموجودة فيه -بزعمهم-(١)، أمَّا الإسلام فإنه يجعل كامل الأسس والمنطلقات التي تضبط المجتمع في الالتزام بشرع الله، والقيام بما أمر، والانتهاء عن ما نهى عنه وزجر، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ٦٦ - ٦٨]، فالقيام بما أمر الله به، فيه التثبيت والهداية للصراط المستقيم، والابتعاد عن كل ما يشتت، ويشق عصا اللحمة في المجتمع.

ومن أظهر معوقات منهج بناء المحبة وحمايتها في الفلسفات الواقعية: أن كل شيء فيها -سواء المنهج، أو الطريقة، أو الأهداف- قابل للتغير؛ لأن طبيعة هذه الفلسفة أنها تنبع من الواقع المعيش، فهي تتغير بتغير هذا الواقع(٢)، أمَّا الإسلام، فإنه نابعٌ من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ؛ لذلك فإن منهجه محكم قويم، لا يتغير، ولا يتبدل.

ومن معوقات منهج بناء المحبة وحمايتها في الفلسفات الواقعية: التناقض الظاهر في النظرة للمحبة، ومن ذلك: قول الفيلسوف الواقعي (إميل زولا) في وصفه للحب: "إن الكراهية هي المحبة، هي شعور النفس السخي، هي العيش في احتقار الأشياء المخزية البَلْهاء"(٣)، فهو يصف المحبة بالكراهية؟ وهذا لا يمكن أن يتصوره عقل سليم، وهذا ناتج عن الاختلال الكبير في المنطلقات والأسس عنده، وعند الفلاسفة الواقعيين بشكلٍ عام.

كما يعتبر غياب المنطقية، والانحياز، والقصور، أحدَ معوقات منهج بناء المحبة، وحمايتها، عند الفلسفات الواقعية كذلك، فها هو الفيلسوف الواقعي (فرويد)، يقصُر السعادة على تفريغ الرغبات الجنسية، والميول العدوانية، فيقول: "طالما أن الحضارة تتطلَّب التضحية بالرغبات الجنسية، بل والميول العدوانية، فأعتقد أننا نكون أقدر الآن على فهم لماذا يصعب على الناس أن يحسوا بالسعادة في ظل الحضارة"(٤)، وقد نسي -أو تناسى- جوالب السعادة الحقيقية، من امتثال منهج قويم يُذهب الحيرة، التي يقع فيها عقل الإنسان في نظرته للسعادة والمحبة، بل وفي نظرته لسائر الكون، وهو ما يقرره الإسلام، حيث

---

(١) ينظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، (ص: ٣١٤).

(٢) ينظر: تقييم التربية التحضيرية الملحقة بالمدرسة الابتدائية في الجزائر (دراسة ميدانية وفق مؤشرات نظرية وتطبيقية بمدينة قالمة نموذجًا)، بورصاص فاطمة الزهراء، (ص: ٥٩).

(٣) اميل زولا، مارك برنارد، (ص: ١٣٥).

(٤) الحب والحرب والحضارة والموت، سيجموند فرويد، (ص: ٧٥).



يقول تعالى واصفًا أن من يعرض عن القرآن والسنة فإن مصيره الشقاء، والضلال، والعمى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طـه: ١٢٤ – ١٢٧]، فالإسلام يَرُدُّ أسباب السعادة والنجاة إلى الاعتصام بكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وما سواهما من المناهج الضالة والمنحرفة فهي سبل للشتات، والضياع، والشقاء.

"والخلاصة إذن: أن علم الأخلاق الإسلامية هو علم ديني، يعتمد على مصادره الثابتة في القرآن والسنة ... وموضوعه: سلوك الفرد الذي يمثل الجوانب المعنوية في حياته، وعلاقاته بغيره من الأفراد.

أما علم الأخلاق الواقعي الوضعي، فإن مصادره وأصوله بشرية عقلية، وهو يتصل بعدد من العلوم الإنسانية، مثل علم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم البيولوجيا، وغيرها"[١].

وعليه فإن منهج الصراط المستقيم، المستمد من الكتاب والسنة، هو المنهج الذي يسير عليه الإسلام في نظرته للمحبة؛ لذا اتسم منهج بناء المحبة وحمايتها في الإسلام بالاعتدال، والوسطية، والتوازن، والشمولية، بخلاف الفلسفات المثالية التي نبذت الوحي، وحسَّنت الظن بالعقل منعزلًا عن الدِّين، فانحازت للنظرة المغرقة في المثالية، وتناقضت تناقضًا كبيرًا في نظرتها للمحبة، فتعذر وجود منهج بِناءٍ وحمايةٍ للمحبَّة فيها، وبخلاف الفلسفات الواقعية كذلك، التي نبذت الدين والوحي، حتى أنكرت خلق الله سبحانه وتعالى، وردّت كل شيء للعلم والتجربة، فانحازت للجانب الخارجي الحسي، فأهملت داخل الإنسان وبواطنه، فتناقضت تناقضًا كبيرًا في منهج بناء وحماية المحبة، مما جعل رصده والوصول إليه أمرًا متعذِّرًا.

(١) الأخلاق في الإسلام (مع المقارنة بالديانات السماوية، والأخلاق الوضعية)، د. يعقوب المليجي، (ص: ٣٥ –٣٦)، بتصرف يسير.





الباب الرابع

التطبيقات المعاصرة للمحبة بين المجتمع المسلم، والمجتمعات الأخرى.

وفيه فصلان:

الفصل الأول: التطبيقات المعاصرة على مستوى الفرد، والأسرة.

الفصل الثاني: التطبيقات المعاصرة على مستوى العلاقات الاجتماعية، والعلاقات مع الآخر.



الباب الرابع: التطبيقات المعاصرة للمحبة بين المجتمع المسلم، والمجتمعات الأخرى

قبل الشروع في بيان التطبيقات المعاصرة للمحبة الخاصة بهذا الباب، يحسن توضيح مفهوم لفظة (التطبيقات)، والمقصود منها.

والتطبيقات تعني: الأحوال، فالطبقة في اللغة هي: الحال، ويقال: كان فلان على طبقات شتى من الدنيا، أي: حالات، وطابقت بين الشيئين: جعلتهما على حذو واحد، وألزقتهما، فيسمى هذا المطابق[١]، ومن تعريفاتها: إخضاع المسائل والقضايا لقاعدة علمية، أو قانونية، أو نحوية[٢]، والطبق: الخلق الكثير[٣]، والتطبيق يدل على وضع شيء مبسوط على مثله حتى يغطيه[٤]، وإذا قيل: أطبق الناس على أمر، فيعني: أنها تساوت أقوالهم، حتى لو صير أحدهما طبقًا للآخر لصلح[٥]، وبناء على هذه التعريفات أستخلص الآتي:

١- أن التطبيقات عبارة عن أحوال، ومشاهد، يمكن وصفها، والتعبير عنها، والتعبير عنها خاضع لرصد الواصف، ومشاهدته، أو استنتاجه.

٢- يمكن إخضاع تلك الأحوال والمشاهد إلى أصول ومعانٍ، من خلال إلصاق تلك الأحوال بهذه المعاني، والأصول.

٣- أن المعني في هذا الباب: هو المطابقة بين المحبة كمعنى عام، وبين الأحوال، والصور، والتطبيقات المشاهدة داخل المجتمع.

٤- أن التطبيقات واسعة، وخاضعة لاستنتاجات الإنسان، فتعريف الطبق بالخلق الكثير، يشير إلى معنى الكثرة، وهذا يدلُّ على أن الأفهام تختلف في تصيير الأحوال، والتطبيقات للمعاني المختلفة بصور كثيرة، وشتى، ومما يشير لهذا المعنى: التعريف الذي يبين أنه إذا أطبق الناس على أمر معين، فيعني أنها تساوت أقوالهم، حتى لو صير أحدهما طبقًا للآخر لصلح، ففيه إشارة إلى تصيير الأقوال بالصلاحية؛ لوقوع الاختلاف، والمقصود من البسط في هذا المعنى: بيان أن التطبيقات ستكون استنتاجًا واجتهادًا من الباحث، فمن خلال دراستي للمحبة، ومفهومها، ومكانتها، ومنهجيتها في الإسلام، والأديان، والفلسفات، سأقوم برصد المشاهد والأحوال التي أرى مطابقتها للمعنى الذي توصلت إليه في البحث، بشكل عملي واقعي.

---

(١) ينظر: العين، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، (٥/١٠٨ - ١٠٩)، مختار الصحاح، الرازي، ص (١٨٨).

(٢) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد عمر مختار، (٢/١٣٨٧).

(٣) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، (١٠/ ٢١٤).

(٤) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، (٣/ ٤٣٩).

(٥) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، (٣/ ٤٣٩).





٥- سأنطلق في رصدي للتطبيقات في المجتمع الإسلامي إلى اعتبار أن كل مظهر وتطبيق يتم رصده داخل أي مجتمع ينتمي للإسلام، هو تطبيق صالح لاستعماله في المباحث المعنية بالإسلام، كما أن أي مظهر أو تطبيق يتم رصده عند المجتمعات غير المسلمة، يصلح استعماله في مباحث المجتمعات الأخرى.

ومما تجدر الإشارة إليه: أن الإسلام في منهج بنائه للفرد المسلم داخل مجتمعه يستخدم جملة من السبل، التي من شأنها أن تجعله فردًا مسلمًا محافظًا على دينه، ومعتقده تحت أيِّ ظرف، وفي أي مكان، وفي أي زمان؛ لذا فإن المنهج الذي يبني من خلاله الإسلام الفرد بناء هذه حاله، لا بد أن يتسم بالتكامل، والشمولية والواقعية؛ لأن استمرار الفرد في تطبيق المبادئ الإسلامية في كل الظروف، والأحوال، هو نتيجة لتكامل المنهج، وشموليته، وواقعيته، وهكذا هي المحبة التي هي جزء لا يتجزأ من الدين الإسلامي، وهي أحد مقاصد الشرع التي يبني بها الفرد والمجتمع، وهذا يدل على أن جميع المجتمعات الإسلامية بمختلف أزمنتها -من عهد النبي ﷺ، وحتى زمننا هذا- تنتهج الصور والتطبيقات نفسها، التي تعبر عن المحبة الإسلامية، وعليه فإن المباحث الخاصة بالتطبيقات المعاصرة للمحبة في المجتمع المسلم ستعبر عن هذا التكامل، والشمول، فهي تعبر عن التطبيقات الدالة على المحبة في كل أزمنة الإسلام، وأحواله.

ويندرج تحت هذا الباب فصلان، وتحت كل فصل مبحثان:

الفصل الأول: التطبيقات المعاصرة للمحبة على مستوى الفرد، والأسرة.

المبحث الأول: التطبيقات المعاصرة للمحبة على مستوى الفرد.

المبحث الثاني: التطبيقات المعاصرة للمحبة على مستوى الأسرة.

الفصل الثاني: التطبيقات المعاصرة للمحبة على مستوى العلاقات الاجتماعية، والعلاقات مع الآخر.

المبحث الأول: التطبيقات المعاصرة للمحبة على مستوى العلاقات الاجتماعية.

المبحث الثاني: التطبيقات المعاصرة للمحبة على مستوى العلاقات مع الآخر.





الفصل الأول: التطبيقات المعاصرة للمحبة على مستوى الفرد، والأسرة

بالنظر إلى منهج الإسلام والمجتمعات الأخرى في بناء المحبة في الفرد، والمحبة داخل الأسرة، وحمايتها، فإنه يتبيَّن الآثار التي تركتها تلك المنهجية على الفر،د والأسرة، داخل المجتمع، والأمر الذي يجعل الوصول إلى تلك الآثار ممكنًا، هو عملية الرصد والملاحظة للأحوال والمظاهر والتطبيقات والصور، التي يدور رحاها داخل المجتمع، ولا شك أنَّ المحبة تنشأ في البداية داخل الشعور الوجداني الداخلي للفرد، ثم تنطلق إلى أنْ تظهر بشكل عملي ظاهري واقعي محسوس، وبعد تلك التشكلات العملية تظهر الآثار على المحيط الأسري بالفرد، فهي من الفرد ابتداءً، وإلى الأسرة انتهاءً؛ لذا فإن الترابط يكون وثيقًا بين الفرد، والأسرة.

ويندرج تحت هذا الفصل مبحثان:

المبحث الأول: التطبيقات المعاصرة للمحبة على مستوى الفرد.

المبحث الثاني: التطبيقات المعاصرة للمحبة على مستوى الأسرة.





المبحث الأول: التطبيقات المعاصرة للمحبة على مستوى الفرد

في هذا المبحث سيكون الحديث خاصًّا بالفرد، من خلال إظهار أبرز التطبيقات المعاصرة التي ظهرت آثار المحبة من خلالها عليه، ولن يكون الحديث مختصًّا بالمجتمع المسلم، بل سيتم تناول التطبيقات المعاصرة على مستوى الفرد في المجتمع المسلم، وكذلك التطبيقات المعاصرة على مستوى الفرد في المجتمعات الأخرى.

وقد قمتُ بتقسيم المبحث إلى مطلبين:

المطلب الأول: التطبيقات المعاصرة للمحبة على مستوى الفرد في المجتمع المسلم.

المطلب الثاني: التطبيقات المعاصرة للمحبة على مستوى الفرد في المجتمعات الأخرى.



المطلب الأول: التطبيقات المعاصرة للمحبة على مستوى الفرد في المجتمع المسلم

ويندرج تحت هذا المطلب ستة تطبيقات، وهي:

١- **الوازِع الدِّيني**: يعتبر الوازع الديني أحد أهم الدوافع الداخلية الشعورية الوجدانية، التي يزرعها الإسلام، ويسعى لوجودها داخل كلِّ فرد في المجتمع المسلم، وهي ذات شأن مهم وعظيم، وأحد المقاصد الضرورية في الشريعة الإسلامية.

فالإسلام ربط التواصل الأسري بتقوى الله، والتمسك بالدين؛ لأن الدين يدفع صاحبه للإحسان للعائلة وأفرادها، ابتغاء مرضاة الله، والأجر منه سبحانه وتعالى، فللدين أثر بالغ في بر الوالدين، وصلة الأرحام، فكلما كان المرء ملتزمًا بالدين والخُلُق، كان بِرُّه وتقديره وإعانته أكثر قابلية لمن يحيطون به، والعكس بالعكس، وعندها لا يستغرب المتأمل حال كثير من الغربيين في التعامل مع والديهم، وأعمامهم، وأخوالهم، وأبناء عمومتهم؛ إذ إن المنظومة كلها بعيدةٌ عن السلوك الإنساني القويم، بينما يرى المرءُ المسلمُ نفسَه في ظل تعاليم الإسلام مأمورًا ببر أقاربه، والإحسان إلى أرحامه، فيدفعه وازعه الديني إلى القيام بذلك، منشرحَ الصدر، طيبَ النفس، محبًّا لما يفعله، زِدْ على هذا: أنه يرى أمه أو أباه أو جده أو جدته أو عمه أو عمته ممتثلين أوامر الله تعالى، متعبِّدين له؛ صلاةً، وصيامًا، وتصدُّقًا، وحجًّا، وحديثًا طيبًا، وصدقًا، وأمانةً، وغير ذلك، فلا يملك إلا أن يزيد من برهم، والإحسان إليهم بكل أنواع الإحسان، ووسائله(١)، وهذا البر والإحسان هو من آثار ذلك الوازع الديني الداخلي، وهو أحد صور ومظاهر وتطبيقات المحبة الظاهرة في المجتمع الإسلامي المعاصر.

٢- **المحبة الإيمانية**: تعدُّ المحبة الإيمانية أحد أبرز مظاهر الوازع الديني للفرد المسلم، وهي كذلك أحد أبرز التطبيقات التي يتميز بها الفرد داخل المجتمع المسلم، فالمحبة الإيمانية نتيجة طبيعية للأخوة التي أقرها وأمر بها الإسلام، فالأخ يحب أخاه، وبالتالي فإن من القواعد المجتمعية -والتي تساعد على التآلف بين أفراد المجتمع- شيوع المحبة، والتحاب فيما بينهم، فهي من الأمور المهمة التي دعا إليها القرآن والسنة النبوية، حتى تقوم جماعة المسلمين على المحبة والألفة والمودة، ومما هو معلوم أن شيوع المحبة بين أفراد المجتمع المسلم، مما يؤلف قلوب المؤمنين بعضهم إلى بعض، فتجعلهم يدًا واحدة، وتجعلهم يضحون بأنفسهم في سبيل الجماعة، ويقدم الأخ حاجة أخيه على حاجته، فهذا النوع من المحبة هو جزء لا يتجزأ من حقيقة الإيمان، وهو الذي لا يتم إيمان المؤمن إلا به، وعليه فالمحبة القائمة على أساس من العقيدة هي التي تبقى، ولها أثرها الكبير في وَحْدَة المسلمين، ومن أجل هذا كان ثوابها

---

(١) ينظر: الأسرة المسلمة في ظل التغيرات المعاصرة، رائد جميل عكاشة، ومنذر عرفات زيتون، دار الفتح، الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ - ٢٠١٥م، (ص: ٧٥٤ - ٧٥٥) بتصرف.



عظيمًا، وأجرها كبيرًا[١]، والمحبة الإيمانية هي أمر شعوري داخلي يتم التعبير عنه من خلال التآلف، والتواد، والتعاون الموجود بين أفراد المجتمع المسلم.

٣- **تحمل المسؤولية**: بعد أن تأكدت أواصر المحبة الإيمانية المنبثقة من الوازع الديني، الذي أيقظه الإسلام داخل الفرد المسلم، شرع المجتمع الإسلامي إلى توكيل المهام إلى أفراده، ولا شك أن تلك المهام تحتاج إلى فرد يملك المقومات اللازمة لحملها، وهنا يتجلى أحد النتائج والتطبيقات المهمة داخل المجتمع المسلم، ألا وهي: تحمل المسؤولية للفرد داخل محيطه، ومجتمعه.

والأسرة هي أحد التطبيقات والصور المعينة على تدريب الفرد على تحمل المسؤولية، وعليه فإن الإسلام يهدف من وراء بناء الأسرة إلى تدريب الفرد على تحمل المسؤولية، فلقد أراد الإسلام لأبنائه الذين عهد إليهم رسالة عمارة الكون، والخلافة، أن يكونوا جادِّين يؤدون عملهم بكل تفانٍ في أي موقع كانوا، والأسرة هي أفضل موطن يكسب الفرد تلك المعاني، فالرجل حين يصبح بزواجه مسؤولا عن زوجِهِ وأولادِهِ، يَكِدُّ ويتعب في سبيل تأمين العيش الأفضل لهم، وكذلك المرأة فإنها تفني حياتها في خدمة زوجها وأولادها، فالأسرة تدرب الرجل والمرأة أعظم تدريب على حمل المسؤولية[٢].

ومن خلال ذلك التدريب ونتائجه، يتكون داخل المجتمع أفراد مسؤولون، على قدر كبير من أداء مهمة الإسلام في عمارة الكون، والدعوة إلى الله، والمحبة التي أشاعتها الأسرة بين أفرادها هي السبيل إلى تحمل مشاقِّ التدريب للزوج وللزوجة، داخل الأسرة المكونة من الأب، والأم، والأولاد.

٤- **الجو العائلي**: إن الجو العائلي الذي يعيشه الفرد داخل المجتمع المسلم، أحد تطبيقات وصور المحبة التي يتميز بها المجتمع الإسلامي، وهي أحد آثار تحمل المسؤولية، التي تدرب عليها الفرد المسلم، من خلال تعاليم الإسلام المتنوعة.

فالفرد في المجتمع الإسلامي يترعرع في عائلة يلعب الدور التربوي فيها أكثر من رجل واحد، فالجد، والجدة، والأعمام، والعمات -إضافة إلى الأب، والأم- يعطون له فرصة لِأَنْ ينمو جسديًّا، ومعرفيًّا، وعاطفيًّا بشكل أكثر تنوعًا وتأقلمًا، ويكتسب القدرة السلوكية على الاندماج الصحي في المجتمع، على نحو أكثر وأفضل من الفرص التي يمكن أن يكتسبها الطفل المعتمد كليًّا على أبٍ واحدٍ، وأمٍّ واحدة، دون وجود الأجداد، والأعمام، أو الأخوال، وهذا عائد إلى التقارب الجغرافي بين العائلة في المجتمع المسلم[٣]،

---

(١) ينظر: الأبعاد التربوية لتحقيق تآلف المجتمع المسلم في ضوء المتغيرات المعاصرة (دراسة تأصيلية)، د. فهد بن محمد العجلان، مجلة البحث العلمي في التربية، جامعة عين شمس، مصر، المجلد (٥)، العدد (٢٠)، ٢٠١٩م، (ص: ٢٣)

(٢) ينظر: مهددات الأسرة المعاصرة (وجهة نظر إسلامية في التكوين والعلائق والآثار التربوية)، د. فاطمة عبد الرحمن عبد الله، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، السودان، العدد (٩)، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، (ص: ٣١١).

(٣) ينظر: الأسرة المسلمة في ظل التغيرات المعاصرة، رائد جميل عكاشة، ومنذر عرفات زيتون، (ص: ٧٥٠)



وهذا الجو العائلي هو ما يوجِد ويزيد المحبة والتآلف بين أفراد المجتمع ككل، حيث تمتد الآثار التي زرعتها الأسرة في نفس الفرد إلى المجتمع بشكل عام.

٥- **حضانة الطفل**: ما انفك الإسلام يدرِّب الفرد في المجتمع المسلم على تحمل المسؤولية التي ينتج عنها الجو العائلي المنبثق من المحبة، وهذا الجو هو أحد التطبيقات اللصيقة بالمحبة، وهو كذلك الباعث الأكبر لإحسان حضانة الطفل داخل الأسرة.

والمتأمل في شأن الطفل وحقوقه داخل أسرته، فإنه يرى أن الإسلام جعل للطفولة حقها في الرعاية الدائمة والحكيمة من الوالدين، كما جعل لها حقوقها الأخرى التي تسبق هذه الرعاية، كحق الطفولة في مهد صحي سليم، ومناخ عائلي مستقر، وأب وأم يتقيان الله، ويقومان بحقوق الأولاد خير قيام، منذ اللحظات الأولى التي يفكر فيها الرجل في الزواج، ويتخير الزوجة الصالحة[١]، وهذا الاهتمام البين الواضح في الطفل يتجلى في جميع مراحل الطفولة، بل إنه يسبقها كذلك، وهذا يظهر في حسن اختيار والده لأمه، بتخير الزوجة الصالحة، التي من شأنها أن تربي أطفاله على أمر الله، وسنة رسوله ﷺ.

٦- **التأثر بالحضارة الغربية**: بعد أن سقتُ جملة من التطبيقات المعاصرة للمحبة للفرد المسلم، والتي تظهر الأثر المتميز الذي أحدثه الإسلام داخل الفرد، فإنه يحسن أن أبين ظاهرة أو تطبيقًا معاصرًا نشأ داخل قلوب بعض أفراد المجتمع المسلم، وهذا التطبيق هو أحد مظاهر انحراف المحبة داخل شعور الفرد المسلم؛ حيث ظهر ما يسمى بـ(المتعلمين، والمثقفين) حيث نشأ ذلك التطبيق والمظهر في مجموعة من المتعلمين، يشغلون وظائف قيادية، وغير قيادية، فمنهم: الصحفيون، والمدرسون، والأساتذة الجامعيون، والإعلاميون، والمترجمون، وبعض الكتاب الذين يطلق عليهم اصطلاح (المفكرين، والأدباء) الذين يسمون أنفسهم (المبدعين)، كل هؤلاء استوعبوا تمامًا النموذج الحضاري الغربي، واستبطنوه دون أن يدركوا تضميناته المختلفة، فقد استوعبوه في غالب الأمر، باعتباره مجموعة من الأفكار الجميلة النبيلة، التي لا تترابط داخل منظومة واحدة، وتحولوا إلى أدوات توصيل جيدة له ولقيمه، أحيانًا عن وعي، ولكن في معظم الأحيان عن غير وعي، ودون فهم عميق[٢]، وهذه الفئة أغفلت شروط المحبة الإيمانية التي تقوم على المحبة للمسلم، والولاء لأهل الإسلام، والنظر للإسلام على أنه تشريع كامل، لا نقص فيه، فلا يحتاج تكميله باستيراد أفكار المنظومة الغربية، ونشرها داخل أفراد المجتمع المسلم.

---

(١) ينظر: الأسرة في الإسلام، د. أحمد عمر هاشم، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨م، (ص: ١٩)

(٢) ينظر: العالم من منظور غربي، د. عبد الوهاب المسيري، دار الهلال، مصر، ٢٠٠١م، (ص: ٩٦).



المطلب الثاني: التطبيقات المعاصرة للمحبة على مستوى الفرد في المجتمعات الأخرى

ويندرج تحت هذا المطلب ستة تطبيقات، وهي:

١- **التعددية الثقافيَّة، وأثرها على الفطرة الإنسانية**: تعد الفطرة السليمة للفرد أحد أهم ركائز سلامة المحبة، وعدم انحرافها داخل الإنسان، فإذا انحرفت الفطرة، انحرفت معها المحبة تَبَعًا.

وبخصوص التعددية الثقافية التي تتبناها المجتمعات الغربية، فإنها الآن تطورت لتشمل حقوق الأفراد، فكرةً، وسلوكًا، فبدأت تتدخل في حقوق مستجدة تمس الفطرة الإنسانية، وجوهر الأخلاق، وتهدد كرامة البشر، ومن صورها وتطبيقاتها التي تشير إلى انحراف المحبة داخل الفرد: تشريع جديد يبيح الزواج المثلي في عدة دول غربية، فبعد أن صادقت فرنسا على القانون ذي الصلة في إبريل ٢٠١٣م، أصبح الآن في أوروبا ١٢ دولة تبنت هذا الزواج باسم الحرية، وحقوق الإنسان، فالتعددية الثقافية بهذا الإطلاق الخاضع لهوى الإنسان الغربي تكشف بوضوح الطريق الذي تسير فيه، وهو طريق يصادم الفطرة السوية، ويسقط بالإنسان في مستنقع تترفع عنه العجماوات[1]، وعليه فإن الانحراف الحادث في الفطرة الإنسانية عند البعض في الاتجاه لزواج الرجل بالرجل، والمرأة بالمرأة، هو انحراف في المحبة، وآثاره السيئة وخيمة على المجتمع، فالإنجاب سيقل لا محالة لاكتفاء الرجل بالرجل، والمرأة بالمرأة، وتنتشر الأمراض التي تسببها تلك العلاقات الدنيئة؛ فيُهدم الكون بدل أن يُعمَر، وهذا هو مظهر من مظاهر الانحراف في المحبة عند المجتمعات الأخرى.

٢- **الحرية الفرديَّة الساعية إلى الخلاص**: إن الحرية المطلقة التي يتبناها الغرب، ويعتبرها أحد حقوق الفرد، لهي حرية أن تتعرض للانحراف؛ لعدم ارتباطها بشرع، أو رابط إلهي ينظمها، والتعددية الثقافية -آنفة الذكر- وما ينتج عنها من تطبيقات معاصرة، كزواج المثليين، وغيره، هي أحد النماذج المعبرة عن النتائج السيئة للحرية المطلقة.

ومن تلك التطبيقات: ما أحدثته تعاليم البروتستانت من نقلة كبيرة في مجتمعات أوروبا الغربية ومستعمراتها الأمريكية في القرن السابع عشر، فقد ركزت على القضاء على سلطة الكنيسة، ودعت لحرية الفرد، واعتماده على عقله وضميره في نيل الخلاص، وهو الخلاص من العقيدة الدينية عمومًا، وليس المقصود الخلاص من النصرانيَّة بالخصوص، بل هو الخلاص من السلطة الدينية بالكلية، ومن ثَمَّ ركزت

---

(١) ينظر: معالم الرحمة بين الإسلام والتعددية الثقافية، أ.د. عبد الكريم عثمان علي، المؤتمر الدولي عن الرحمة في الإسلام، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م، (ص: ١٨٠).





اهتمامها على جوانب الدين الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية[١]، وهذا الخلاص الكُلي من السلطة الدينية هو في حقيقته انسلاخ للفرد من كل قَيْد، ويتمّ إيكال أمره إلى نفسه، وهذا الخلاص هو أحد التطبيقات المؤثرة بشكل كبير على المحبة المنضبطة الموزونة المرادة، ففيه انفلات لها، وجلب للآثار السيئة من بعد ذلك.

٣- **اندثار خصوصيات الفرد الأسرية**: تعتبر الأسرة هي المحضن الأول للفرد، وهي التي يستقي منها الأفكار والمحددات الشعورية الداخلية، والمنظمات العملية الخارجية؛ لذا فلا بد من المحافظة عليها؛ لكونها أحد أهم وسائل تنشئة الفرد داخل الأسرة، وأحد أهم روافد ودعائم وتطبيقات المحبة عمومًا.

ففي المجتمعات الغربية: تتدخل الدول في عملية تربية الأولاد، والاهتمام بهم، وتعليمهم ما تراه مناسبًا لسياساتها، واتجاهاتها، حتى ولو كانت هذه السياسات لا تتناسب مع عقيدة الأب ورغبته في تعليم أولاده، حيث لا يقتصر هذا التدخل من قِبَل الدول على النظام التعليمي خارج المنزل، بل يَطال أيضا تربية الأولاد داخل المنزل، حيث فرضت القوانين المحلية والتزمت بالاتفاقيات الدولية التي تمنع الأب من استخدام الوسائل التربوية التي تنتقص من حقوق الطفل، حيث صار الأب -في بعض الدول ومنها: إنكلترا- عُرضة للمحاكمة بتهمة القسوة فيما لو عامل أطفاله عين المعاملة التي كان الأب منذ مائة سنة فقط خَليقًا أن يراها كفيلة لحسن تنشئتهم، وهذا له آثار سيئة، وتطبيقات مذمومة تنشأ داخل هذا التدخل الخارجي، فمن تلك التطبيقات: نشر التعليم الجنسي داخل المدارس، ومنع الأهل من التدخل في خصوصية أولادهم، المتعلقة بالصحة الجنسية والتناسلية، ليس ذلك فحسب بل إن بعض الدول تؤمّن للفتاة القاصر الحامل المسكن لها ولطفلها[٢]، وهذا يسير في شأن اندثار الخصوصية الفرية الأسرية، وهو من أكبر الأمور التي تمزق المحبة داخل الفرد تجاه أسرته ووالديه.

٤- **سلب الخصوصية الفردية بين الجنسين**: وتستمر التدخلات الغربية في خصوصيات الفرد التي تكفل له أن ينشئ في شعوره محبة هادئة صحيحة موافقة للفطرة السليمة، فنشأ عندهم أحد النماذج والتطبيقات المصادمة والمؤثرة بشكل كبير في انحراف المحبة عن المسار الصحيح، ألا وهو إلغاء الفروق بين الجنسين (الذكر، والأنثى).

فالناظر للفكر الغربي يرى أنه انطلق في دراسته لشخصية المرأة من مفاهيم ونظريات مادية، لتفسير الجوانب المتعددة لشخصيتها على المستويات النفسية، والفكرية، والبيولوجية، والاجتماعية، فقد خلُصَت

(١) ينظر: الأسرة في الغرب (أسباب تغيير مفاهيمها ووظيفتها) دراسة نقدية تحليلية، د. خديجة كرار الشيخ الطيب بدر، دار الفكر، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م، (ص: ١٤٣).

(٢) ينظر: الأسرة الغربية المعاصرة، د. نهى قاطرجي، موقع صيد الفوائد، تاريخ النقل ٢٤/ ٦/ ٢٠٢١م، ttp://www.saaid.net/tarbiah/78.htm





المدرسة الثقافية والاجتماعية إلى إلغاء الفروق البيولوجية والفسيولوجية بين الرجل والمرأة، واعتبرت أن الاختلاف بين شخصية المرأة وشخصية الرجل يعود إلى النظام الاجتماعي، والاقتصادي، والثقافي، والعادات، والتقاليد، والقيم، والمعتقدات الدينية، والأخلاقية، التي تميز بين الجنسين[١]، وخلاصتهم هذه تهدم كل فرق بينهما، وتنظر للنظرة السابقة على أنها نظرة لا تمتُّ للعلم بصلة، فهم يزعمون أنهم ينزعون إلى العلم والمادية، وهذا أمر مؤثر للغاية على المحبة المتزنة المنضبطة التي تنبع من الفطرة السليمة، وانجذاب الرجل للمرأة، وقيام الأسرة على التكامل بين دور كل واحد منهما، وعليه فإن إلغاء الفروق بين الجنسين هو أحد تطبيقات سلب الخصوصية الفردية المؤثرة على المحبة السليمة.

٥- **الأثر السلبي للنظام المادي على الفرد:** استطاعت المادية أن تغير من تركيبة المجتمعات الغربية، فبجانب قدرتها على إلغاء الفروق الفردية بين الجنسين، وإلغاء الخصوصية الفردية، فإنها كذلك غيرت في النظام الاقتصادي المؤثر بشكل كبير على الفرد داخل المجتمع.

فقد قام النظام الاقتصادي على الربا، والربا هو العدو اللدود للمواساة والتكافل الاجتماعي النابع من داخل الفرد داخل مجتمعه، فإذا دخل الربا من باب، خرجت المواساة من الباب الآخر، وبما أن الربا قد طغى على حياة الغربيين اليوم فقد ظهرت آثاره على كثير من أفرادهم، باستغراق جميع أموالهم، حتى طُرد العاجز منهم عن سداد الديون المترتبة على ذلك من عمله، فأصبحوا مشرَّدين، لا مأوى لهم، متمثلًا بطائفة (الهوملس)، وغيرها من النماذج الدالة على ذلك[٢]، ولا شك أن هذا الأثر السلبي للنظام المادي على الفرد الغربي يقلل بشكل كبير جدًا المحبة، والإحساس بالآخر لدى الفرد، وهو من التطبيقات المؤثرة سلبًا على المحبة الفردية، والمجتمعية على حد سواء.

٦- **طغيان المنظومة المادية على الفرد الغربي:** كل ما سبق ذكره من تطبيقات سلبية على المحبة داخل الفرد في المجتمعات غير المسلمة إنما أغلبه هو من جراء القوانين الوضعية، التي ابتدعت أسسها ومبادئها مما يزعمون بأنه (العلم والمادة)، حتى أضحى النظام الغربي قائمًا بجملته على تلك المنظومة العلمية المادية المجردة.

وقد قامت هذه المنظومة بسحب الأشياء الطبيعية من عالم الإنسان، ووضعتها في عالم الأشياء الذي له قوانينه، بل سحبت الإنسان نفسه من عالم الإنسان، ووضعته في عالم الأشياء، حيث تم إخضاعه لقوانينها، فقد أعلنت المنظومة المعرفية الغربية المادية الحديثة المعاصرة موت الإله باسم مركزية الإنسان،

(١) ينظر: المرأة في الإسلام وفي الفكر الغربي، د. فؤاد حيدر، دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٢م، (ص: ١٥٩ – ١٦٠).

(٢) ينظر: المواساة بين الإسلام والفكر الغربي (دراسة مقارنة)، موسى بن حمود المطيري، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، ١٤٣٨هـ ، (ص: ٤٢٩).





وانتهت بإعلان موت الإنسان باسم الطبيعة والأشياء والحقيقة المادية، وهذه هي الواحدية المادية، حيث تصبح كل المخلوقات خاضعة تمامًا للقانون المادي الصارم نفسه، فيسود المنطق على الأشياء وعلى الإنسان، وهذا هو حجر الزاوية في المشروع المعرفي الغربي، فهناك ثمة قانون واحد، وثقافة واحدة، وإنسانية واحدة، تكتسب وحدتها من كونها جزءًا من النظام الطبيعي؛ ولذا فإنَّ ثمة نموذج واحد للتطور، ويلاحظ أن حركة البناء الفكري المادي تتجه دائمًا نحو تصفية الثنائيات التي نجمت عن الثنائية الدينية (الخالق المخلوق)، وعن الثنائية الهيومانية (الإنسان، الطبيعة)[1]، وهذه المنظومة وما أحدثته من تصفية للثنائيات الهامة في حياة الإنسان (الخالق، والمخلوق) و(الإنسان، والطبيعة) لصالح الطبيعة، إنما هي تزيل النظرة الشعورية الوجدانية للمحبة، وتدفنها تحت التراب، وتبدأ نظرة مادية مجردة متوحشة تجاه الإنسان، كغيره من الحيوانات، والجمادات، وهو أظهر تطبيق معاصر يظهِر هشاشة المحبة داخل الفرد في المجتمعات الغربية، جراء تلك المنظومة المادية المتوحشة.

(١) ينظر: العالم من منظور غربي، د. عبد الوهاب المسيري، (ص: ١٢٦ – ١٢٧)





المبحث الثاني: التطبيقات المعاصرة للمحبة على مستوى الأسرة

بعد أن تطرقتُ للتطبيقات المعاصرة على مستوى الفرد في المجتمع المسلم، والمجتمعات الأخرى، ستكون الدائرة أوسع في هذا المبحث، حيث سيكون الحديث عن الأسرة، من خلال إظهار أبرز التطبيقات المعاصرة التي ظهرت آثار المحبة من خلالها عليها، وسيتم تناول التطبيقات المعاصرة على مستوى الأسرة في المجتمع المسلم، وكذلك التطبيقات المعاصرة على مستوى الأسرة في المجتمعات الأخرى.

وقد قمتُ بتقسيم المبحث إلى مطلبين:

المطلب الأول: التطبيقات المعاصرة للمحبة على مستوى الأسرة في المجتمع المسلم.

المطلب الثاني: التطبيقات المعاصرة للمحبة على مستوى الأسرة في المجتمعات الأخرى.



المطلب الأول: التطبيقات المعاصرة للمحبة على مستوى الأسرة في المجتمع المسلم

ويندرج تحت هذا المطلب ستة تطبيقات، وهي:

١- **المبادئ الشرعية للزواج**: قبل أن تنشأ الأسرة من الأساس، فإن الإسلام وضع أُسُسًا للزواج، تبدأ قبل الدخول في دائرته العملية، وتندرج هذه الأسس تحت تطبيقات المحبة المختصة بمنظومة الزواج.

ولبيان بعض تلك التطبيقات، والمظاهر، والأحوال، فإن الإسلام حدد للحياة الزوجية الأُسس التي تقوم عليها، وهذه الأسس تشمل الكفاءة النفسية، والفكرية، والبيولوجية؛ لأن الزواج بنظر الإسلام ليس إشباع الرغبات والشهوات الجنسية فقط، وإنما هناك مجموعة من الشروط والقواعد التي لا يتم الزواج إلَّا بعد تحقيقها، كالإيجاب، والقبول، والإشهاد، والمهر، وهذا كله قبل وأثناء عقد الزواج، مما يعني أنه في الخطوات الأولى قبل الدخول لمنظومة الحياة الزوجية، وكذا بعد الدخول في المنظومة فإن الإسلام يدعو إلى حسن المعاشرة بين الزوجين، حتى يَنْعَما بالحياة الزوجية السعيدة، ويسودهما التفاهم، والاستقرار، والمودة، والرحمة[(١)]، وما كان للمحبة، والاستقرار أن تتم إلَّا من خلال تطبيق الأسس التي شرعها الإسلام.

وتستمر تلك التطبيقات المرتبطة بالمحبة بين الزوجين داخل الأسرة في أن الإسلام يأمر الزوجين بألَّا يدخل عليهم الأولاد الذين هم دون سن الاحتلام، في ثلاثة أوقات إلا بعد الاستئذان والإذن، وهي: وقت ما قبل الفجر، ووقت الظهر، وبعد صلاة العشاء، وهي الأوقات التي يخفف فيها عادة الأزواج من ثيابهم، وإباحة دخولهم عليهم بدون استئذان في غيرها، وأمر الإسلام بعدم دخول الأولاد على المؤمنين حينما يبلغون الحلم بدون استئذان والإذن لهم بالدخول[(٢)]، وهذا يُظْهِر حفاظ الإسلام على الخصوصية بين الزوجين، التي من شأنها أن تزيد المحبة والألفة بينهما، وبين أفراد الأسرة كافة.

٢- **بناء العلاقة الأسرية على التقوى**: بعد أن سنَّ الإسلام المبادئ الشرعية السَّابقة للزواج، والمرافقة للعقد له، والمنظمة للحياة الزوجية، التي من شأنها أن تشيع المحبة والألفة بين الزوجين، وكافة أفراد الأسرة، فإنه دَلَّهم على ما يصلح به شأنهم، وما يتمكنون من خلاله من مجابهة مصاعب الحياة الأسرية، ويقضون على المشاكل التي تنشأ داخل أسرتهم.

فالإسلام بين سبيل النجاة والفلاح لهذه الأسرة المسلمة، التي يتمنى ولي أمرها لها السعادة، والعيش الرغيد في هذه الحياة الدنيا، وهو في ذلك خائف وَجِل على مستقبلهم؛ فهو يخاف أن تنزل به فاقة، أو عاهة في بدنه، تمنعه من كسب العيش، وجلب الأرزاق لهم، أو أن تحل به مصيبة الموت، وهم صبية صغار

---

(١) ينظر: المرأة في الإسلام وفي الفكر الغربي، د. فؤاد حيدر، (ص: ١٤١ -١٤٢)

(٢) ينظر: المرأة في الإسلام وفي الفكر الغربي، د. فؤاد حيدر، (ص: ١٥٦).



لا كسب لهم ولا مال ولا سلطان؛ فهو قلق وَجِل مترقِّب حريص على جلب المال لهم، وكنزه ليستفيدوا به بعد موته، وهذا أمر محمودٌ شرعًا، ولكن هناك أمر عظيم، وضابط دقيق، وأمان إلهي، ووعد محقق من الجبار ﷻ لمن هذه حالته، فالضابط والوعد هنا هو تقوى الله سبحانه وتعالى، فبوجودها يحصل الأمن، والنجاة، والرزق الحلال، والعيش الرغيد في هذه الدنيا، والنجاح والفلاح في الدار الآخرة(١).

كما أن من أهم الأمور التي تحث على التقوى، وتبعث الطمأنينة: الإيمان بأن الدنيا دار فناء، لا دار بقاء "فالإيمان باليوم الآخر يُسْهِم في تكوين الأسرة المسلمة، بحيث تكون مترابطة، ومتقيدة بالتشريعات الإسلامية"(٢)، وهذا مبعث الطمأنينة، والراحة النفسية.

وعليه فالتقوى والإيمان بأن الدنيا ليست بدار بقاء، هي من أعظم سبل وتطبيقات ومظاهر المحبة داخل الأسرة المسلمة، فبهما يحصل التوفيق، والفلاح، والأمان الأُسري.

٣- **العاطفة والرِّعاية الأسرية**: إن الإسلام من خلال توجيهه بقيام العلاقة الأسرية على التقوى، فإنه يهدف إلى تحقيق جملة من التطبيقات، التي من شأنها أن تقيم حياة الأسرة على الوجه الأكمل والأمثل، ومن تلك التطبيقات: العاطفة التي تنشأ عند الوالدين تجاه أولادهما، فتكسبهما التحمل، والصبر على المشاقِّ، من أجل تحقيق الرعاية الأسرية المناسبة لأفراد الأسرة.

فالأسرة في الإسلام تتميز بمدى ما تقوم به في وظيفتها الأولى والهامة، باعتبارها المحضن العام للأولاد، والمدرسة الأولى في التربية والتوجيه، وخاصة الأم التي تقضي مع أولادها أكبر الوقت، فنرى أن الإسلام قد جعل تفاضل الأمهات بمقدار ما يقدمنه من حنان وإشفاق، ورعاية وعطف، وبمقدار ما يقمن به من واجبات الزوجية، ورعايتها(٣)، وعليه فإن الرعاية والعاطفة هي ناتجة عن المحبة التي تكون في شعور الزوجين تجاه الأسرة.

٤- **صِلَة الرحم**: لم تقتصر تطبيقات المحبة في الأسرة المسلمة على العائلة الصغيرة المكونة من الزوجين والأولاد، بل تجاوزت ذلك لتمتد إلى الأسرة الكبيرة الممتدة للأقارب، والأرحام، وهي الرابطة التي تشمل الأجداد، والأحفاد، والحواشي: من إخوة، وأعمام، وعمات، وأخوال، وخالات، وأولادهم، ويرتبط فيها الإنسان بأهله، ومن سمَّاهم الفقه الإسلامي: (العصبات، والأرحام، والأصهار)، فتجد الإسلام يُولِي شأنًا يربط فيه بين الأقارب وبين تقوى الله، فهو يجعل قاطعها والمفسد في الأرض سواء

(١) ينظر: المحبة الحقيقة للأزواج والذرية، صادق بن عبد الله، دار طيبة، (ص: ٣٥ - ٣٦).

(٢) أثر الإيمان باليوم الآخر في حياة النشء المسلم (دراسة عقدية)، أ.د. نادر بن بهار بن متعب العضياني، مجلة جامعة الطائف للعلوم الإنسانية، جامعة الطائف، المجلد (٧)، العدد (٢٩)، ٢٠٢١م، (ص: ٢٢٣).

(٣) ينظر: الأسرة في الإسلام، د. أحمد عمر هاشم، (ص: ٥١).





بسواء، ويتوعده باللعنة، والطَّرد من رحمة الله، قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٢]، وهذه الصلة ظاهرة في حياة رسول الله ﷺ فعلًا وقولًا، للواصل ترغيبًا، وللقاطع ترهيبًا، حتى صار بناء العائلة أساسًا في المجتمع الإسلامي القوي المتسلم بالصلة، والتكاتف[١]، فصلة الرحم هي أكثر ما يميِّز الأسرة المسلمة عن مثيلاتها في المجتمعات الأخرى، وهي ناتجة عن المحبة، والأُلفة، والترابط.

٥- **الأعياد الشرعيَّة**: إن الإسلام لا ينفكُّ في تشريعاته عن التكامل، والترابط بينها؛ ليتحقق المقصود الشرعي، كما هو مرادٌ منه، فتطبيق صلة الرحم بين الأسرة المسلمة لا بد له من مواسم، ومناسبات يتجلَّى ويظهر فيها بأبهى صوره، ومن ضمن تلك المواسم والتطبيقات: الأعياد الشرعية، فالنفوس بطبعها محبة لمناسبات الفرح والسرور، الخاصة والعامة، ومجبولة على التعلُّق بها، وهذا في ذاته لا غضاضة فيه، ولا مؤاخذة؛ ما دام في إطاره المشروع، بل إن الشريعة مرغِّبَة في إشاعة الفرح، والحرص على إدخاله على النفوس، ومرغبة في جبر خواطر النفوس الكَسِيرة، والعمل على رفع أسباب الشقاء والتعاسة، وجاء الوعد بالثواب الجزيل على هذه الأعمال، والإنسان في نفسه ينبغي أن يكون طلق الْمُحَيَّا، لطيفًا رحيمًا، يلقى الناس بالبَشَاشة، واللطف، والانبساط، فالأعياد الشرعية يجد فيها أفراد الأسرة من الاجتماع، والراحة، واللَّذة، والسرور ما هو معلوم؛ لأجل ذلك جاءت شريعة الإسلام بمشروعية عيدي الفِطر، والأضحى، وشرع الله فيهما من التوسعة بإظهار السرور ما تحتاجه النفوس[٢]، ولا ريب أن تلك المناسبات والمواسم هي أظهر صور تطبيقات المحبة في الأسرة المسلمة.

٦- **النِّظام الشُّمولي المجتمعي**: تعتبر الأسرة المسلمة أحد امتدادات النظام الشمولي الإسلامي القائم على التكامل، والشمولية، والترابط، فنظام الأسرة في الإسلام ليس مجرد تنظيم لعلاقة الرجل بالمرأة، وما يرتبط بهذه العلاقة من حقوق وواجبات، لأحدهما أو كلاهما معًا، أو لمن يأتي من أولادهما، وأحفادهما، بل نظام الأسرة في الإسلام هو جزء من نظرة الإسلام للخلق وللكون، ولمركز الإنسان في هذا الكون، والهدف من وجود الإنسان فيه؛ لذلك كان هذا النظام متكاملًا، وكان جامعًا مانعًا، جامعًا لكل أسباب الخير للإنسان، والمجتمع، ومانعًا لكل أسباب الشر للإنسان، والمجتمع[٣]، فالنظام الإسلامي الشامل الكامل الجامع المانع هو أكبر تطبيق يمكن رصده كأحد التطبيقات المعاصرة للمحبة في الأسرة المسلمة.

---

(١) ينظر: الأسرة المسلمة في ظل التغيرات المعاصرة، رائد جميل عكاشة، ومنذر عرفات زيتون، (ص: ٧٤٥).

(٢) ينظر: عيد الحب (القصة والحقيقة)، خالد بن عبد الرحمن الشايع، دار بلنسية، الرياض، (ص: ٦).

(٣) ينظر: مهددات الأسرة المعاصرة (وجهة نظر إسلامية في التكوين والعلائق والآثار التربوية)، د. فاطمة عبد الرحمن عبد الله، (ص: ٣١٨).





فالمبادئ الشرعية قبل وأثناء وبعد الزواج، وبناء العلاقة الأسرية على التقوى، والعاطفة والرعاية الأسرية، وصلة الرحم، والأعياد الشرعية، كل تلك التطبيقات هي من أجل تحقيق المقاصد الشرعية العُليا، ليس للأسرة فحسب، بل للنظام المجتمعي الإسلامي ككل.





المطلب الثاني: التطبيقات المعاصرة للمحبة على مستوى الأسرة في المجتمعات الأخرى

ويندرج تحت هذا المطلب ستة تطبيقات، وهي:

١- **التفكُّك الأُسري**: انطلاقًا مما توقفت عنده في الآثار السلبية للمنظومة المادية الغربية المعاصرة، التي أثرت بشكل كبير على المحبة الشعورية الوجدانية الفرديَّة، فإن الانعكاسات السلبية لتلك المنظومة ليست حصرًا على الفرد فقط، بل إنها تتعدى بشكل أوسع نطاقًا أكبر تأثيرًا على الأسرة.

فقد أفرزت تلك المنظومة تفكُّكًا كبيرًا، وشرخًا ظاهرًا على الأسرة، وأوجدت قواعد مجتمعية فاسدة، هي في جوهرها مضادة للمحبة، ومنفصلة عنها، فالمرأة في تلك المجتمعات هربت مضطرة من الارتباط بالأسرة، هروبًا من مسؤولية الأولاد والزوج، وطمعًا في الرقي إلى أعلى الوظائف، كل هذا من أجل أن تثبِت للرجل أنها ليست أقل كفاءة، واستجابة لنداء الماديين والطامعين في تحصيل أعلى ربح مادي لشركاتهم، وانخدعت بالدعاية المزيفة التي اتخذت شعارات براقة تحت اسم تحرير المرأة، والحرية الاقتصادية، والمساواة التامَّة بالرجل، وتلك الشعارات التي ترجمت في بعض بنود الوثائق الدولية، والتي تدعو للمطالبة بتعطيل وظيفة المرأة في الحياة، كزوجة مخلصة، وأم فاضلة، واعتبار الأمومة وظيفة اجتماعية يمكن أن يقوم بها أي شخص[(١)]، وهذا التطبيق المعاصر المتمثل في التفكُّك الأسري هو ما يحاول أرباب تلك المنظومة نشره في المجتمعات الإسلامية بغية التأثير على الألفة، والتلاحم، والمحبة الموجودة داخل المجتمعات المسلمة.

٢- **الأسرة المادية**: أنشأ التفكُّك الأُسري في المجتمعات المتأثرة بالمنظومة المادية أنماطًا جديدة من الروابط الأسرية، هي في حقيقتها أقل ترابطًا ومحبة وتآلفًا من الأنماط المنتشرة في المجتمعات المسلمة، ومن تلك التطبيقات والأنماط الجديدة: ما يسمى بالأسرة المادية.

فقد أدى خروج الدِّين من النظام الأسري الغربي إلى التحرر الكامل والمطلق من كل الالتزامات، فالرجل يعيش مع زوجته بمنطق الشراكة المالية، لا العلاقة الأسرية المبنية على المحبة المنبعثة من الدين؛ لذا فإنه كثيرًا ما يلجأ الأولاد إلى ترك ذويهم إذا بلغوا سن الثامنة عشرة، وعندها يستقل الولد بنفسه، وليس ثمة ارتباط بعدَ ذلك بوالديه، ويحدث أن يتوفى أحد والديه، فيكلِّف هذا الولد إحدى مؤسسات الدفن لتتولى نقل هذا الميت إلى مثواه، وسبب ذلك يعود إلى أن الطفل ينشأ وسط قيم مادية خالصة، وأسرة تطغى عليها النظرة المادية، ومن تطبيقات المحبة السلبية التي أفرزتها تلك المادية: أنهم جعلوا للأم يومًا سموه عيد الأم، يحاول الابن أو البنت أن يهديا لأمهما شيئًا فيه، كزجاجة عطر، أو نحو ذلك، وربما يرسلانها بالبريد،

(١) ينظر: مهددات الأسرة المعاصرة (وجهة نظر إسلامية في التكوين والعلائق والآثار التربوية)، د. فاطمة عبد الرحمن عبد الله، (ص: ٣١٧).





وعلى هذا تقاس علاقة الفرد بجده، وجدته، وعمِّه، وعمَّته، وخاله، وخالته، وأولادهم[1]، وبناء على هذا فإن الأسرة المادية هي إحدى صور وتطبيقات المحبة المنحرفة في المجتمعات غير المسلمة.

٣- **اندثار الأسرة التقليدية**: إن الأسرة المادية الناتجة عن التفكُّك الأسري المرتبط بالمنظومة المادية الغربية لها تأثيرات أعمق مما ذكرت، ولها صور وتطبيقات ومظاهر أكثر عمقًا، وهي في جملتها تبين الحالة المتردية للمحبة الأسرية التي قضت عليها المنظومة المادية الجارفة.

فالأسرة في الغرب من أهم المؤسسات التي تضرَّرَت بعد الثورة الصناعية الحديثة، ومن المعروف أن هذه الثورة كان لها السَّبق في إخراج المرأة من بيتها وأسرتها، وإقناعها بأهمية دورها الإنتاجي في المجتمع، كل هذا بهدف تخفيض راتب الرجل، وإجباره على الخضوع لشروط أصحاب المصانع، مما أدَّى إلى تأخير زواج المرأة من جهة، وتقليل عدد أفراد الأسرة من جهة ثانية، وهذا الواقع هو ما تشير إليه الدراسات الصادرة في بعض الدول الغربية، حيث تبين أن النسبة المئوية للأسرة التقليدية التي يعمل الأب فيها، بينما تبقى الأم في البيت لرعاية الأطفال أصبحت تمثل ١٠% من العوائل في أمريكا، و ١١% في بريطانيا، وهبطت النسبة المئوية للأسر الأمريكية التي تتكون من زوجين وأطفال من ٤٠% عام ١٩٧٠م، إلى ٢٦% لعام ١٩٩٠م، وانتشر نوع من العائلات يسمى بعائلة (الوالد المنفرد) الناتجة عن علاقة زواج أو زنا انتهت بانفصال بين الزوجين، نتيجة الطلاق، أو الوفاة، أو الهجر، مما أدى إلى وجود طرف واحد مع الأولاد، هو الذي يتولى تربيتهم، ورعايتهم، وقد ارتفعت نسبة هذا النوع من الأسر في بريطانيا من حوالي ٨.٣% في أوائل السبعينات إلى ضعفها ١٦.٧% في التسعينات[2]، ولا شكَّ أننا في عام ٢٠٢٢م، أي بعد التسعينات بما يزيد عن عشرين عامًا، نشهد زيادة في النسبة، وهذا المظهر والتطبيق يفيد بأن المحبة انخفضت بشكل كبير بسبب الطلاق، أو الهجر، أو غيره من الأمور المسببة لانخفاضها لزومًا.

٤- **الأسرة الاستهلاكية**: امتدادًا لأثر المنظومة المادية على المجتمعات الغربية، فقد أدَّت الثورة الصناعية إلى القضاء على الصناعات المنزلية الصغيرة، التي كانت تستفيد منها الأسر مقابل العمل في المنازل والإقطاعيات، واتجه الناس إلى العمل في المصانع الكبيرة، كما أصبح العمل بالأجر، والتنافس على فُرَصِهِ المتاحة ظاهرة جديدة، فظهرت المدن الكبيرة حول مراكز الصناعة بسبب الهجرة الداخلية من الريف إلى حيث فرص العمل بعد انتهاء الصناعات المنزلية، وأفرز هذا ظهور طبقات جديدة في المجتمع كالطبقة الأرستقراطية -تعتبر قمة النظام الاجتماعي-، والطبقة الوسطى التي اشتهرت لدى الماركسيين بالبرجوازية -تمتلك رؤوس الأموال، والحِرَف، والقدرة على الإنتاج-، والطبقة العاملة،

---

(١) ينظر: الأسرة المسلمة في ظل التغيرات المعاصرة، رائد جميل عكاشة، ومنذر عرفات زيتون، (ص: ٤٩ - ٥٠).

(٢) ينظر: الأسرة الغربية المعاصرة، د. نهى قاطرجي، موقع صيد الفوائد، تاريخ النقل ٢٤/ ٦/ ٢٠٢١م، ttp://www.saaid.net/tarbiah/78.htm





وسماها الماركسيون البروليتاريا –وهي الطبقة العاملة–، وجملة هذه التحولات في المجتمع الغربي، كان لها أثرها على الأسرة بصفة خاصة، فتحولت الأسر من أسر منتجة تأكل مما تزرع، وتلبس مما تصنع، كمقابل للعمل، والعيش في الإقطاعية لدى مالك الأرض، إلى مستهلكة؛ فقد حولت الثورة الصناعية الصناعات المنزلية إلى المصانع الكبيرة التي أنشأها الرأسماليون الجدد والمنظومة المادية الغربية، وانتقل أرباب الأسر إلى كسب عيشهم من المصانع بأجر لا يفي بحاجات الأسرة، خاصة الملابس والطعام، وانطلقت الرأسمالية في تطوير الصناعات، والسعي للكسب المادي، دون قوانين وقيم ترعى حقوق العاملين ومصالحهم(١)، وجملة هذه التطبيقات أنتجت الأسرة الاستهلاكية التي يعمل أفرادها – الرجال، والنساء– في المصانع لفترة طويلة، مما يقلِّلُ فرص الجلوس سويًّا فيما بينهم، وهذا من شأنه التأثير سلبًا على المحبة بين أفراد الأسرة، وأنا هنا لا أبرئ ساحة بعض المجتمعات الإسلامية من أنها تحذو حذو تلك المجتمعات الأخرى المتأثرة بالمنظومة المادية الغربية، ولكني ألصق هذا الأمر بالمجتمعات الأخرى كونه نشأ عندهم قبل أن ينشأ عند غيرهم.

٥- **تنامِي الشعور بالفرديَّة**: تسببت الاستهلاكية المنتشرة في المجتمعات الغربية والمؤدية إلى العمل في المصانع لفترة طويلة بنشوء ظاهرة ظهرت على الساحة المجتمعية، ألا وهي تنامي الشعور بالفردية لدى الرجل والمرأة وأفراد الأسرة كافَّة، حيث أصبح يقدم الفرد تحقيق رغباته الشخصية على حساب المصلحة العامة للأسرة.

فمن ذلك: أنه ظهرت أوضاع جديدة للمرأة اضطرت معها لممارسة كافة المهن التي عمل بها الرجل، وانتقل المجتمع من مجتمع غالبية النساء فيه يقمن برعاية الأسرة، إلى مجتمع يطغى عليه عمل الأبوين خارج البيت، وأدَّى هذا إلى تنامِي الشعور بالفردية، والاهتمام برغبات الفرد عن تكوين الأسرة واستمرارها، ودعا هذا إلى العمل على رفع سن الزواج، وتوسيع دوائر العلاقات الجنسية خارج الزواج، والاعتراف بأن للأسر أشكالًا مختلفة(٢)، وهذه التأثيرات السلبية التي وُجدت في المجتمعات الغربية إنما هي بسبب هذا التنامي الكبير داخلَ الفرد، حيث أن شعوره بالفردية على حساب المصلحة الأسرية أضعف بشكل ظاهر المحبة التي ينبغي أن تُبنى عليها الأسرة، بحيث يعتبر كل فرد منها مصلحة الآخر، ولا يهملها لحساب نفسه.

---

(١) ينظر: الأسرة في الغرب (أسباب تغيير مفاهيمها ووظيفتها) دراسة نقدية تحليلية، د. خديجة كرار الشيخ الطيب بدر، (ص: ١٤٠ – ١٤١).

(٢) ينظر: نظام الأسرة بين حضارتين (دراسة مقارنة في فقه الأحوال الشخصية، بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي، بمكوناته الرومانية، والمسيحية الحديثة)، د. سامح عبد السلام محمَّد، شبكة الألوكة الإلكترونية، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م، (ص: ٣٨).





٦- انخفاض معدَّلات الإنجاب: إن جملة ما ذكرته من تطبيقات معاصرة تشير إلى انخفاض مستوى المحبة بين أفراد الأسرة في المجتمعات الأخرى، نتيجة المنظومة المادية الغربية، له آثار أخرى أكثر عمقًا وتأثيرًا، ومن ضمنها تطبيق ومظهر يؤرق المنظومة الغربية بأكملها، وهو انخفاض معدلات الإنجاب في الأسرة.

فقد توالت الضربات الموجعة المقوضة لأركان الأسرة في الغرب، كالفرديَّة المفرِطَة، التي تقدم الفرد، وتجعله المركز، وقطب الرحى، وتجعل القيم والمبادئ والأخلاق أمرًا هامشيًّا، فالمصلحة الخاصة مقدمة على المصلحة العامة، والحرية الفردية فوق سائر الحريات، كل تلك الضربات الموجعة لكيان الأسرة أدَّت إلى تراجع معدَّلَات الإنجاب، وبسببها أعلنت أوروبا نذير الخطر بأن دولًا منها سوف تتلاشى في الربع الأول من القرن الواحد والعشرين(١)، وهذا الانخفاض وتلك الانتفاضة من أرباب المنظومة في محاولة السيطرة على المشكلة قبل استفحالها، يجعلني أربط هذه المشكلة بالمحبة، حيث إنَّ الأساس الذي أدَّى إلى مثل تلك المظاهر والمشاكل والصور المشكل: هو بسبب الأثر الكبير الذي تركته المنظومة المادية الغربية على المحبة داخل الفرد خصوصًا، وعلى المحبة المتعلقة بأفراد الأسرة عمومًا.

---

(١) ينظر: المواساة بين الإسلام والفكر الغربي (دراسة مقارنة)، موسى بن حمود المطيري، (ص: ٤٤٢).





الفصل الثاني: التطبيقات المعاصرة للمحبة على مستوى العلاقات الاجتماعية، والعلاقات مع الآخر

بعد أن استعرضتُ تطبيقات المحبة على مستوى الفرد والأسرة، في المجتمع المسلم، والمجتمعات الأخرى، وبينتُ آثارَها على المجتمعات، فإني هنا أنتقل إلى مستوى أعلى في النظر، ألَا وهو الأثر الذي أحدثته المحبة على مستوى العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع، والعلاقات مع الآخر.

فقد خلصتُ في الفصل السابق إلى أن الإسلام له تأثير إيجابي كبير على المجتمعات التي تنطوي تحت لوائه، وعليه فإن المحبة تظهر داخل المجتمعات من خلال تطبيقات إيجابية تعبر عن آثارها، ولا شكَّ أن الفرد والأسرة هما المكونان للمجتمع، وعليه فإذا كان البناء لهما يتمتع بمنهجٍ قويمٍ سليمٍ، فينعكس ذلك على المجتمع بأكمله.

وبالمقابل فإن المحبة في المجتمعات غير المسلمة لا تتمتع بالمنهجية القويمة التي يتعامل بها الإسلام مع كافة أفراده، وهذا يبين أن الأثر سيكون سلبيًّا على الفرد والأسرة، وسيمتد ذلك الأثر السلبي على العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع، وسيكون له الأثر الأكبر في تعامل المجتمع مع الآخر.

ويندرج تحت هذا الفصل مبحثان:

المبحث الأول: التطبيقات المعاصرة للمحبة على مستوى العلاقات الاجتماعية.

المبحث الثاني: التطبيقات المعاصرة للمحبة على مستوى العلاقات مع الآخر.





المبحث الأول: التطبيقات المعاصرة للمحبة على مستوى العلاقات الاجتماعية

سيكون الحديث بإذن الله في هذا المبحث عن آثار المحبة على مستوى العلاقات الاجتماعية في المجتمع المسلم، وكذلك آثارها على مستوى العلاقات الاجتماعية في المجتمعات الأخرى، من خلال إبراز أهم التطبيقات المعاصرة التي تظهر تلك الآثار.

وقد قمتُ بتقسيم المبحث إلى مطلبين:

المطلب الأول: التطبيقات المعاصرة للمحبة على مستوى العلاقات الاجتماعية في المجتمع المسلم.

المطلب الثاني: التطبيقات المعاصرة للمحبة على مستوى العلاقات الاجتماعية في المجتمعات الأخرى.



المطلب الأول: التطبيقات المعاصرة للمحبة على مستوى العلاقات الاجتماعية في المجتمع المسلم

ويندرج تحت هذا المطلب ستة تطبيقات، وهي:

١- **التربية الإسلامية**: لا يسع المطلع على تطبيقات المحبة المعاصرة في المجتمع المسلم، إلَّا أن يولي لتطبيق التربية الإسلامية العناية الكبرى من الواقع الذي يشكل أحد جوانب القوة والتماسك، في المجتمع المسلم المعاصر.

فالتربية الإسلامية لها دور عظيم في بناء صرح وحدة المسلمين؛ يتمثل في البناء السليم للفرد، وتنشئته على منظومة من القيم الإسلامية، التي من شأنها أن تشكل الوحدة الإسلامية القائمة على العلاقات الاجتماعية بين أفراد المنظومة؛ لذا فهذا التطبيق المتمثل في التربية الإسلامية يتعرض في ثنايا سيره إلى عقبات ومهددات، فإذا أُريد للوحدة الإسلامية المجتمعية المتمثلة في العلاقات الاجتماعية أن تتحقق، فلا بد من مراعاة السنن الكونية، كسنة التغيير، وسنة التدرج، والأخذ بالأسباب مع التوكل على الله، فالتحديات التي تعصف بالأمة في الوقت الحاضر كثيرة ومتعددة، ويجب التعرف عليها وعلى كيفية التعامل معها، ووسائل مواجهتها[1]، ولن يتأتى الحفاظ عليها دون الالتفات إلى التربية الإسلامية القائمة على المحبة في العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع، وتعزيز دورها، والدفع بها إلى الأمام، لكي لا يتقلص دورها.

٢- **منظومة الزواج**: إن منظومة الزواج هي التطبيق الذي من خلاله يمكن نشر التربية الإسلامية على أوسع نطاق، وبأقصر طريق، وبأسلم وسيلة؛ لذا فهو تطبيق مهم تتميز به المجتمعات الإسلامية، وهو معبر عن العلاقات الوطيدة بين أفراد المجتمع.

فمن أهم نتائج الزواج: الاستقرار، والاجتهاد في العمل لتكوين البيت ورفع مستواه، وإنجاب الأولاد، وإشراق الحياة بالمودة والعفة، وهذه النتائج تُضْفِي على الزواج دَلَالات تدفعه إلى التعارف، والتآلف، والتواد، والتعاطف.

وتنمو العلاقات الاجتماعية في ظل الحياة الزوجية، حينما يستشعر الإنسان الروابط التي تربطه بأهله وأهل زوجه، وأن الجميع ارتبطوا برباط المصاهرة، وأصبح كل منهم له حقوقه، وعليه واجباته تجاه الآخرين؛ لذا فهي إحدى التطبيقات التي تحافظ على علاقات المجتمع بين أفراده.

وحينما يستشعر حاجته إلى جاره، وحاجة جاره إليه، فيحافظ على جاره، وأهله، كما يحافظ على نفسه، وأهله؛ لأنه يحب أن يعامل الناس بما يحب أن يعاملوه به، وحتى تأخذ هذه العلاقات صورتها المتحدة، وتتشكل في دائرة مضيئة تُصَان فيها الحقوق، وقد أحاطها الإسلام برباط الأخوة الإسلامية؛

---

(١) ينظر: الأبعاد التربوية لتحقيق تآلف المجتمع المسلم في ضوء المتغيرات المعاصرة (دراسة تأصيلية)، د. فهد بن مُحَمَّد العجلان، (ص: ٧).



ليشعر كل فرد أو مجتمع أن في أعماقه ودمه صلة قوية، ورباطًا وثيقًا يُلزمه بتحمل التبعة والمسؤولية تجاه الجميع[١].

وعليه فإن منظومة الزواج هي أحد تطبيقات المحبة التي تحافظ على العلاقات المجتمعية في العصر الحاضر.

٣- **المواطنة، والانتماء**: إن العلاقات الاجتماعية في المجتمع المسلم التي تنتجها منظومة الزواج، لا تقف عند حد الحياة الزوجية والجيران فقط، بل تتعدى إلى أن تنمي تطبيقات أخرى أعمق منها، فهي تتغلغل داخل ثنايا أفراد المجتمع المسلم لتشكل علاقات أوسع وأكبر تسمى: (المواطنة، والانتماء).

فالمواطنة والانتماء إذا كانا بناءين إيجابيين يخدمان مصلحة المجتمع، ولا يتعارضان المصلحة العامة مع المصلحة الخاصة فهما محمودان مطلوبان، وإن وصلا إلى درجة التعصب المؤدي إلى إثارة الفُرقة أو الفتنة كانا مذمومين، وإقرار الإسلام للمواطنة والانتماء لا يعني اعتبارهما الأساس الأول للارتباط، وإنما أقرهما للإفادة منها في ترابط المجتمع، وتكافله، وتعاونه على الخير، فهما يحققان مقاصد الشريعة، وقواعدها العامة[٢]، وعليه فالمواطنة والانتماء الذي يتم غرسه من خلال انتشار مفهوم الثقافة الإسلامية داخل علاقات أفراد المجتمع، هي أحد تطبيقات المحبة المعاصرة التي يراها من يعيش وسط المجتمعات المسلمة.

٤- **التكافل الاجتماعي**: يُعَدُّ التكافل الاجتماعي أحد أهم مميزات العلاقات في المجتمعات الإسلامية، فالمسلم حين تتعمق المواطنة الحسنة والانتماء للثقافة الإسلامية في أعماقه، فإنه يبدأ بالشعور والإحساس بمشاكل المجتمع المحيطة به، ويتعدى ذلك لقيامه بشكل عملي لحلها، والمساهمة في القضاء عليها.

فيتولَّد داخل علاقات المجتمعات المسلمة روح التعاون، والإحساس المشترك الذي يلتزم به كل فرد من أفراد الأسرة، وتتجلَّى هذه المعاني في العواطف والمشاعر بينهم في السَّرَّاء والضَّرَّاء، ويظهر الجانب العملي منه في مفهوم النفقة في الإسلام، من إلزام الموسر بالنفقة على قريبه الفقير، وغيرها من صور التكافل، وهذا بلا شك هو الطريق لتآلف الأسرة، وتعاونها على بناء المجتمع الكبير، وبذلك ترتقي الشعوب، وتعمل معا لعمارة الكون، وتبادل المنافع والمصالح[٣]، فالتكافل الاجتماعي هو من التطبيقات المهمة التي تمثل المحبة على مستوى العلاقات الاجتماعية لدى أفراد المجتمع المسلم.

---

(١) ينظر: الأسرة في الإسلام، د. أحمد عمر هاشم، (ص: ٥٧).

(٢) ينظر: الأبعاد التربوية لتحقيق تآلف المجتمع المسلم في ضوء المتغيرات المعاصرة (دراسة تأصيلية)، د. فهد بن محمد العجلان، (ص: ٨).

(٣) ينظر: مهددات الأسرة المعاصرة (وجهة نظر إسلامية في التكوين والعلائق والآثار التربوية)، د. فاطمة عبد الرحمن عبد الله، (ص: ٣١١ - ٣١٢).





٥-الانفتاح المجتمعي: بعد أن أقام الإسلام العلاقات بين أفراد مجتمعه بأقوى صورة ممكنة من الترابط، والتلاحم، والتعاون، فقد أجاز الانفتاح في العلاقات مع المجتمعات الأخرى؛ لأنه أقام العلاقات داخل الفرد بطريقة منتمية إلى الإسلام العميق المتغلغل داخل جنبات شعوره ووجدانه.

فالعلاقات العميقة داخل أفراد المجتمع المسلم يتراحم من خلالها المسلمون فيما بينهم، ولا يتوقف الأمر فيما بينهم فقط، بل يتعدى التراحم إلى غيرهم من أهل الكتاب عبر علاقات اجتماعية، وسياسية، واقتصادية، وجواز الزواج من الكتابية يعتبر نموذجًا للرقي بهذه العلاقة إلى درجة التراحم، والتلاحم، ولهذا الجانب الإسلامي الرحيم، كان زواج المسلم من الكتابية بابًا للتلاحم، ولإدخال غير المسلمين في دائرة أولي الأرحام[١]، وعليه فإن العلاقة التي تنشأ بين الزوج المسلم والزوجة الكتابية تقوم على أساس الرحمة، كما أنها سبيل لدعوتها للإسلام، ودخولها فيه، ودليلًا على الانفتاح المجتمعي للعلاقة مع الآخر، فالانفتاح هو أحد التطبيقات التي تميز المسلم الملتزم بدينه عن غيره من الأديان المنغلقة.

٦-شمولية المواساة المجتمعية: بناء على ما سبق ذكره من التطبيقات التي تبين دور المحبة على مستوى العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع المسلم، فإن التطبيق العام الشامل لها هو الشمولية، والمواساة التي يسعى الإسلام لتحقيقها لأفراد مجتمعه.

فمتى طبق المسلمون المواساة بين المجتمع المسلم، كما أمر الله تعالى، ورسوله ﷺ، تحققت أهداف جليلة، وبرزت آثارها على المجتمع المسلم ماثلة للعيان، وهذه الأهداف ليست مادية فحسب، ولا معنوية فحسب، بل تشمل الجانبين المادي، والمعنوي، وتُعنى بالأهداف الروحية والأخلاقية عنايتها بالأهداف الاقتصادية والمالية، وكذلك هي ليست أهدافًا فردية فقط، ولا اجتماعية فقط، بل منها ما يعود على الفرد، ومنها ما يعود على المجتمع المسلم، وتحقيق أمنه، ونشر رسالته، وحل مشكلاته[٢]، ومن النماذج التي تدل على الشمولية: ما جعله الإسلام من الحقوق الاجتماعية للَّقِيط، فهناك شريحة في المجتمع من الأطفال لا ينتمون إلى أب ولا إلى أم، وهؤلاء لم تهمل الشريعة حقهم في الحياة، ولا حقهم في الرعاية، فحق هذا الطفل على المجتمع الذي يوجد فيه: أنه يجب على من وجده أن يأخذه؛ لأنه كائن حي، ونفس إنسانية مكرَّمة، له حظ في الحياة، وله حق فيها، فمن علم به وتركه فهو آثم؛ لأنه قد يترتب على تركه هلاكه، فإن لم يكن قادرًا على رعايته فعليه أن يسلمه إلى أُولي الأمر في الدولة، لتقوم الدولة برعايته؛ لأنه أصبح واحدًا منها، وله حقوقه، كأي طفل آخر[٣]، وبناء على هذا فإن المواساة والشمولية الإسلامية في العلاقات بين أفراد المجتمع هي أكبر ميزة توجد في المجتمعات الإسلامية المعاصرة.

---

(١) ينظر: معالم الرحمة بين الإسلام والتعددية الثقافية، أ.د. عبد الكريم عثمان علي، (ص: ١٧٣ -١٧٤)

(٢) ينظر: المواساة بين الإسلام والفكر الغربي (دراسة مقارنة)، موسى بن حمود المطيري، (ص: ٤٤٨).

(٣) ينظر: الأسرة في الإسلام، د. أحمد عمر هاشم، (ص: ٢٨).





المطلب الثاني: التطبيقات المعاصرة للمحبة على مستوى العلاقات الاجتماعية في المجتمعات الأخرى

ويندرج تحت هذا المطلب ستة تطبيقات، وهي:

١- **فَصْل الدِّين عن المجتمع**: يُعَدُّ الدِّين أحد المنظمات المجتمعية، فمن خلاله يتم تشريع القواعد والأصول، التي يتمُّ من خلالها تنظيم شؤون الناس العامة، وضبطها، والتحاكم إليها، كما أن الدين هو أحد دوافع المحبة، التي يمكن أن يترابط بها أصحاب الديانة الواحدة، ولكن ظهر تطبيق عند المجتمعات الغربية يقف في وجه المحبة الدينية، ألا وهو فصل الدين عن المجتمع، ويتسمى باسم: (العلمانية).

وتسعى العلمانية التي ينهجها الغرب ألا يتدخل الدين في الشأن العام للمجتمع، وتبريرها لذلك كما عكسه تاريخها في الغرب، هو أن الدين يمثل مصلحة فئة واحدة من فئات المجتمع، وهي الكنيسة، وبما أن التنظيم الداخلي وآلية اتخاذ القرار في الكنيسة سلطوية، وبما أن باقي فئات المجتمع لا تمثل فيها، فإن أي تدخل للكنيسة في الشأن العام يعد طغيانًا واستغلالًا وقهرًا للمجتمع بوساطة مجموعة صغيرة(١)، وهذه النظرة للكنيسة دعتهم لنبذ كل متعلقات الدين، ومنها: المحبة الدينية، فصارت المحبة تحتاج تنظيمًا جديدًا في ظل هذا الانسلاخ من الدين.

٢- **الماديَّة المجتمعية**: أفرز النظام العلماني الذي فصل الدين عن المجتمع، جملة من التطبيقات التي حَرَفَت المحبة عن مسارها الروحي الداخلي، حيث إنه نتج تطبيق ومظهر جديد في الغرب يسمى: (المادية المجتمعية) المهتمة بالإنسان من منظور خارجي مادي، وهو من أكبر المؤثرات على المحبة؛ لأنه ينظر للإنسان وللأشياء عمومًا على أنها مادة ليس لها روح، والمحبة تنشأ داخل الروح والشعور، فكان لزامًا أن تتأثر به بشكل كبير، فصار المجتمع ينزع للمادة.

ومن تأثيرات المادية المجتمعية: انشغال الأهل عن وظيفتهم التربوية التي كُلِّفوا بها، فبات الآباء في هذا العصر لا تسمح لهم كثرة عملهم برؤية أولادهم وقتًا كافيًا، أما الأمهات اللواتي يشكِّلْن مع أولادهن النسبة الكبيرة من عائلات (الوالد المنفرد)، فإنهن بدورهن بِتْنَ يركضن من أجل تأمين متطلبات معيشة الأسرة المتزايدة، فنتج عن هذه الحياة التي أشغلتها الماديات التفكُّك الأُسري الذي تشهده المجتمعات الغربية حاليًا(٢)، وعليه فإن المحبة التي تسود العلاقات المجتمعية تبدأ بالضمور شيئًا فشيئًا، بسبب قِلَّة تلك

---

(١) ينظر: الأسرة في الغرب (أسباب تغيير مفاهيمها ووظيفتها) دراسة نقدية تحليلية، د. خديجة كرار الشيخ الطيب بدر، (ص: ١٢٢).

(٢) ينظر: الأسرة الغربية المعاصرة، د. نهى قاطرجي، موقع صيد الفوائد، تاريخ النقل ٢٤/ ٦/ ٢٠٢١م، ttp://www.saaid.net/tarbiah/78.htm





العلاقات أصلًا، وهكذا أضحت المادية المجتمعية أحد التطبيقات السلبية المعاصرة للمحبة في المجتمعات الغربية.

٣- **التكافل القائم على الماديَّة**: إن العلمانية من خلال إفرازها للمجتمعات المادية واجهت جملة كبيرة وجديدة من المشاكل، حيث إنَّ انتشار المادية المجتمعية سبَّب جملة من المشاكل الاقتصادية عند الناس، فلم يَعُدْ هناك روابط وعلاقات مجتمعية قوية، من شأنها سَدُّ تلك الحاجة الاقتصادية للفقراء داخل المجتمع، فأَوْلَتْ العلمانية قضية التكافل والمواساة اهتمامًا ملحوظًا، سعيًا للحدِّ من أضرار الفقر والحاجة المتزايدة، بسبب إفرازات الماديَّة المجتمعية.

فقامت تمارس في الغالب الأعمال الخيرية من خلال منظمات عملاقة، وهي عبارة عن تجمعات وأوعية للجماهير، يلتقون من خلالها لتحقيق مبادئ معينة، وتعتمد هذه المنظمات في إدارة الأوقاف الاستثمارية، على أساليب شبيهة بالأساليب المتبعة في إدارة المؤسسات الاقتصادية، وبالتالي نجحت في إيصال المساعدات المادية للمجتمعات الغربية، ومواساة أفراد تلك المجتمعات مواساة مادية، كإيواء المشرَّدِين، وصرف الإعانات للمحتاجين(١)، ولكن المثير في الأمر أن مَن يتولى هذا التكافل: إنما هي المؤسسات والمنظمات، مما يبين انعدام قيام الناس بمجهوداتهم الشخصية للتكافل المجتمعي فيما بينهم، ما دفعني أن أستنتج منه ضعف روابط المحبة والعلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع لديهم.

٤- **الرفاهية السلبيَّة**: إن العلاقات الاجتماعية التي تربط أفراد المجتمع بعضهم ببعض، هي علاقات روحية داخلية في منشئها، ثم تتحول إلى مظاهر خارجية ظاهرية واقعية مشاهدة، ومتى ما أُهمل أحد الجانبين حدث الخلل في المنظومة المجتمعية.

فقد نتج في الغرب من جراء المادية الغربية تطبيق ومظهر جديد مرتبط بالمحبة، ألا وهو (الرفاهية السلبيَّة)، حيث ارتبطت الرفاهية المعاصرة بالعنصر المادي على حساب الجانب الروحي في كثيرٍ من الحالات، وقد أحدثت الطَّفرات الاقتصادية والثورة الصناعية، وما رافقها في غالب أمرها، رفاهية مادية مجرَّدَة من الروح، مما أوجد شروخًا نفسية كبيرة في العلاقات بين الأفراد في المجتمعات الغربية، خاصَّة الغنيَّة منها(٢)، وهذه الشروخ والتصدعات هي المظهر الذي يمثل الانعكاس السلبي للرفاهية على المحبة.

٥- **عيد الحُب**: من خلال التطبيقات السابقة تبيَّن أن المجتمعات التي سيطرت عليها المادية الغربية تعيش حالة من الضعف في أواصر المحبة والروابط المجتمعية؛ لذا كان لزاما عليهم إحياء ما من شأنه أن يعوِّضَ هذا النقص، أو يبعث على حل مشكلته، فاهتمَّ الغَرْب بتطبيق مظهر لديهم سموه: (عيد الحب).

---

(١) ينظر: المواساة بين الإسلام والفكر الغربي (دراسة مقارنة)، موسى بن حمود المطيري، (ص: ٤٧٩)

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص (٤٦٦).





واسم هذا العيد الأصلي: (عيد القديس فالنتاين) وهو في اليوم الرابع عشر من شهر فبراير من العام الإفرنجي، ويروي النصارى عددًا من الأساطير حول هذا العيد، منها: أن القديس فالنتاين قام بالتحول من الوثنية إلى النصرانيَّة؛ فأعدمه الرومان، ومنها: أن الرابع عشر من فبراير يوم مقدس لأحد الآلهة المزعومة عندهم، وغيرها من الأساطير التي تُحكى حوله، ثم إنه حدث أن تراجعت الكنيسة عن عيد (فالنتاين)، وترك الاحتفال به رسميا عام (١٩٩٩م)، والسبب في ذلك: أنهم يقولون: إنَّ تلك الاحتفالات تعتبر خرافات لا تليق بالدين والأخلاق، ولكن الناس استمروا في الاحتفال به إلى يومنا هذا، في أمريكا، وأوروبا، وآسيا، وأفريقيا، وأستراليا، وغيرها(١)، وهذا يدلُّ على أن المادية التي طَغَت على حياتهم أخافتهم من ذوبان العلاقات الاجتماعية بالكُليَّة، فحاولوا الحفاظ عليه كبَصِيص أَمَل عندهم؛ لذا فإن عيد الحب هو أحد التطبيقات التي تدلُّ على الحالة المزرية التي وصلت لها المجتمعات الغربية في المحبة.

٦- **الأعياد البِدْعِيَّة المُسْتَحْدَثَة**: إنَّ المجتمعات الأخرى غير الإسلامية لم تقتصر على عيد الحب فقط، بل ظهر فيها أعياد أخرى متعددة، وتُنسب غالبًا إلى آلهتهم، وأحبارهم، ورهبانهم، كعيد القديس (برشلوميو)، وعيد القديس (ميكائيل)، وعيد القديس (اندراوس)، وغيرها، ويصاحب أعيادهم هذه مظاهر عديدة كتزيين البيوت، وإيقاد الشموع، وصناعة الحلوى الخاصة، والأغاني المخصصة للعيد بترانيم محددة، وصناعة الأكاليل المضاءة، وغير ذلك مما يكون من منكرات الأفعال، ومما يدل على توسعهم في الأعياد: أنهم يقيمون عيدًا سنويًّا لكلِّ شخص يوافق يوم مولده، وهو عيد الميلاد، بحيث يُدعى الأصدقاء، ويُصنع الطعام الخاص، وتضاء شموع بعدد سني الشخص المحتفل به، إلى آخر ما هنالك(٢)، وهذه الأعياد المستحدثة إنما هي تطبيق يحاول من خلاله أفرادُ المجتمعات الأُخرى ردمَ الهوَّة التي أحدثتها المنظومة الغربية في تدمير العلاقات الاجتماعية، القائمة على المحبة بين أفراد المجتمع.

---

(١) ينظر: عيد الحب (القصة والحقيقة)، خالد بن عبد الرحمن الشايع، (ص: ١٠ – ١١ – ١٢).

(٢) ينظر: عيد الحب (القصة والحقيقة)، خالد بن عبد الرحمن الشايع، (ص: ٨).





المبحث الثاني: التطبيقات المعاصرة للمحبة على مستوى العلاقات مع الآخر

في هذا المبحث سيكون الحديث منصبًّا على آثار المحبة التي تظهر على مستوى العلاقات مع الآخر داخل المجتمع المسلم، وكذلك آثارها على مستوى العلاقات مع الآخر في المجتمعات الأخرى، محاولًا إبراز أظهر التطبيقات المعاصرة التي تعبِّر عن ذلك.

وقد قمتُ بتقسيم المبحث إلى مطلبين:

المطلب الأول: التطبيقات المعاصرة للمحبة على مستوى العلاقات مع الآخر في المجتمع المسلم.

المطلب الثاني: التطبيقات المعاصرة للمحبة على مستوى العلاقات مع الآخر في المجتمعات الأخرى.



المطلب الأول: التطبيقات المعاصرة للمحبة على مستوى العلاقات مع الآخر في المجتمع المسلم

قبل الشروع في التطبيقات الخاصة بهذا المطلب، يحسن توضيح مفهوم لفظة (الآخر)، والمقصود منها، وبعد البحث والاطلاع، وجدت جملة من التعريفات المختلفة للآخر، فمنهم من يفسره بأنه: المخالف في الدين[١]، ومنهم من يعرفه بأنه: "الذي يختلف عنَّا، ونختلف عنه في الدين، واللغة، والتاريخ، والعِرْق، والثَّقَافة"[٢]، ولعلَّ الأغلب مجمعون على أنَّ الآخر هو: "المخالف في الديانة"، وهذا الأظهر عندي، وهو ما سأسير عليه في مباحث المطلب إن شاء الله.

ويندرج تحت هذا المطلب ستة تطبيقات، وهي:

١- **شموليَّة التكافل الاجتماعي للآخر**: لعلَّ من أهم التطبيقات والضمانات التي يقدمها الإسلام لغير المسلمين -الذين يقيمون في المجتمع المسلم- كفالتهم ضمن نظام التكافل الإسلامي، فقد أمر الإسلام المسلمين أن يتصفوا بصفة الرحمة في تعاملهم فيما بينهم ومع غيرهم[٣]، فالزكاة التي يخرجها المسلمون للفقراء لا تقتضي الاختصاص بالمسلمين فقط، بل إن اللفظ شامل لأهل الذمة كذلك[٤]، وهذا التطبيق الشمولي في التكافل الاجتماعي يبين العظمة، والتميز الكبير في النهج الإسلامي في التعامل مع الآخر، وهذه رحمة كبيرة تبيِّن مدى كبير أثر المحبة التي يشيعها الإسلام بين أفراده، حتى شمل بتكافله الاجتماعي أهلَ الذِمَّة، وهذا لا يعني حبَّهم، وحب دينهم المخالف لدين الإسلام، بل يجلِّي الرحمة الشموليَّة للأنظمة الإسلامية في التعامل مع الإنسانية جمعاء.

---

(١) ينظر: مقومات التعامل مع الآخر في ضوء القرآن الكريم، أ.د. وليد هاشم كردي الصميدعي، مجلة مداد الأدب، الجامعة العراقية، عدد خاص بالمؤتمرات، ٢٠١٨ – ٢٠١٩م، (ص: ٧٥٩).

(٢) ينظر: مفهوم الآخر في الديانتين اليهودية والمسيحية، وموقفهما منه، د. لغرس سوهيلة، جامعة معسكر، الجزائر، على الشبكة العنكبوتية، www.researchgate.net/publication/331024557

(٣) ينظر: التعايش مع غير المسلمين في المجتمع المسلم، منقذ بن محمود السقار، رابطة العالم الإسلامي – مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م، ترقيم الشاملة، (ص: ٣٧).

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٨/ ١٧٤)، وقد منع كثير من الفقهاء إعطاء أهل الذمة من الزكاة المفروضة استدلالا بقوله ﷺ: «فتؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم». أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا، الحديث رقم: (١٤٩٦)، (٢/ ١٢٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، الحديث رقم: (١٩)، (١/ ٥١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وينظر: التعايش مع غير المسلمين في المجتمع المسلم، منقذ بن محمود السقار، (ص: ٣٧).



كما أنَّ الإسلام لا يحرِّم الهدية التي تقدَّم لغير المسلم، ابتغاء تأليف قلبه، "فإنها تهذِّب قلوب غير المسلمين، وسبب رئيس في دعوتهم، واستمالتهم للدين وهدي الشريعة، ولعل هذا يتضح جليًّا في فئة المؤلفة قلوبهم من المشركين"[(١)].

٢- **قيام أصل العلاقة مع الآخر على السِّلْم لا الحَرْب:** إن المستشعر لنظام التكافل الاجتماعي الإسلامي الذي يشمل غير المسلمين ممن يقيمون في بلاد الإسلام، لَيُدْرِك مدى قيام الإسلام على السِّلم، والبراءة من العنصرية والإرهاب، الذي يتم رمي الإسلام به في كلِّ حِين، وعليه فإن السَّلَام هو أصل دعوة الإِسْلَام، حيث إنَّ الدعوة إلى الله وإلى اتباع نهج النبي ﷺ هي غاية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن الأصل هو الدعوة إليهما بالمعروف، والسلم، وليس الأصل الحرب، والقتال.

وعلى هذا فالحرب إنما هي حالة طارئة، وهذا ما يراه كثيرٌ من العلماء مستدلين بأفعال النبي ﷺ ومواقفه مع المشركين، وكذلك فعل الصحابة، ومن بعدهم، وهذا هو قول جمهور العلماء المتأخرين أو المعاصرين[(٢)].

فالمتأمل في النظرة الإسلامية للآخر، فإنه يتجلَّى له التصنيف الذي يحمل في طياته الرحمة، فغير المسلمين إما أن يكونوا محاربين، أو مسالمين، وأهل السِّلْم أربعة أصناف، وهم: أهل الذِّمَّة، وأهل العَهْد، وأهل الْهُدْنَة، وأهل الأَمَان[(٣)]، فالصنف المحارب واحد، والصنف المسالم أربعة، وهذا ما يدعو لوصف العلاقة بين المجتمع المسلم مع الآخر بأنها قائمة على أن السِّلم هو الأصل.

٣- **الدعوة إلى السَّلَام الشامل:** إنَّ القاعدة الأساسية في العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين، هي أن الأصل في الإسلام أنه يدعو إلى السَّلَام الشامل في الدِّين والدنيا، ولكنه يحث المسلمين على التعاون مع غيرهم لتحقيق السلام المحدود في الدنيا، حتى إذا رفضوا التعاون لتحقيق السلام الذي يشمل الحياة الأبدية في الآخرة، والسلام هنا يعني: أن يعمل كلُّ فرد على إسعاد نفسه والأخرين دُونَ إكراه لهم على ما يعتقد أنه الخير، فالتعامل بين المختلفين هنا هو تعامل بين الأنداد، وليس بين وصي وموصى عليه، وبعبارة أخرى: فإن الإسلام لا يُكْرِه المخلوقات المكلَّفَة على الحق، ولكنه يحثها على قبوله، والالتزام بتعاليمه، ويكافئ من ينجح في إقناع الآخرين به، وهذا الاتجاه إلى السِّلْم لا يعني أبدًا التنازل عن الثوابت، واستسلام المسلم لغير المسلم الظالم، والتخاذل أمامه، ولكن عليه التعامل معه

(١) الهدية للمشركين بين الإباحة والحظر في ضوء الكتاب والسنة، أ.د. عبد الله بن صالح بن عبد الله الخضيري، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، العدد (٥٦)، ٢٠١٢م، (ص: ٥١).

(٢) ينظر: التعامل مع غير المسلمين في التشريع الإسلامي، د. هايل داود، مجلة أمة الإسلام العلمية، العدد الثامن، دار كاهل للدراسات والطباعة والنشر، ٢٠١٠م، (ص: ١٩٧).

(٣) ينظر: التعامل مع غير المسلمين في التشريع الإسلامي، د. هايل داود، (ص: ٢٠٠).





بأقصى قدراته، وبحسب الظروف المحددة التي يفرضها الواقع، ومنها ما يفرضه المعتدي، ولا تقتصر وسائل الدفاع على الوسائل العنيفة، ولكن تشمل اللجوء إلى القانون وإلى المنصفين من ذوي النفوذ[١].

وعليه فالدعوة إلى السلام الشامل هي أحد التطبيقات التي تبين مدى اتساع المحبة التي يزرعها الإسلام داخل مجتمعاته، مما ينعكس على تعاملها مع الآخر.

٤- **الالتزام والوفاء بالعهد والقانون الدولي**: يختلف منهج الإسلام في العلاقات الدولية عن منهج الحضارة المعاصرة اختلافًا كليًّا، إذ يرفض الإسلام من البداية أن تُبنى العلاقات الدولية على المصلحة الوطنية أو القوة؛ لأن الإسلام يفرض أن تبنى العلاقات الدولية على العدل، وعلى القوة الإلزامية للاتفاق، ومعروف أن الاتفاقات بين الدول هي المصدر الرئيس للقانون الدولي.

والعدل في الإسلام بخلاف ما هو واقع في الحضارة المعاصرة قيمةٌ مطلقة ذات معيار واحد، وقد عني القرآن بتقرير العدل بالأمر به، ومدح المتَّصِفين به، والنهي عن الظلم، وذم مرتكبيه، في أكثر من ثلاثمائة وخمسين موضعًا، وكما ينطبق هذا المبدأ على العلاقات الدولية في حالة السلم ينطبق عليها أيضًا في حالة الحرب[٢]، وبناء على هذا، فإن الوفاء بالعهود، والالتزام بالقوانين الدولية، هو من أظهر التطبيقات المعاصرة المعبرة عن المحبة في المجتمعات الإسلامية في علاقتها مع الآخر.

٥- **الحفاظ على الهويَّة وعدم التَّشَبُّه بالآخر**: إن ما تمَّ ذكره في التطبيقات السابقة لا يعني أن ينصهر المجتمع المسلم مع الآخر، ويتنازل عن مبادئه، بل هناك حدود وقوانين تحفظ من الانصهار والتأثر بالآخر.

فقد جاءت النصوص المتواترة في النهي عن التشبه بغير المسلم، وأن المسلم لا بد أن يتميز عن غيره في كل أحواله، سواء في العقائد والتصورات، أم في العبادات والسلوك، أم في الأخلاق والآداب، أم في العادات والتقاليد، ففي كلها يلتزم المسلم بالمشروع، والسر في هذا واضح، إذ الجماعة المسلمة مستقلة عن الجماعات الأخرى ومتميزة عنها في كل أمورها، ولو أذن الإسلام بالأخذ عن العدو كل شيء، ومتابعته في ما يريد، والتشبه به؛ لتلاشت معالم الإسلام وأحكامه، ولذابت شخصية المسلمين[٣]؛ لذا فإن النهي عن

---

(١) ينظر: علاقة المسلمين بغير المسلمين، د. سعيد إسماعيل صيني، دار الفجر الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: الثالثة، ١٤٣١هـ، (ص: ٥٧) بتصرف يسير.

(٢) ينظر: التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب، صالح بن عبد الرحمن الحصين، (ص: ١٦٥ – ١٦٦).

(٣) ينظر: التعامل مع غير المسلمين أصول معاملتهم واستعمالهم (دراسة فقهية)، أ.د. عبد الله بن إبراهيم الطريقي، دار الفضيلة، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م، (ص: ٧٥).





التشبه بغير المسلم هو أحد التطبيقات العصرية للحفاظ على المحبة الإيمانية، وعدم انصهارها وذوبانها في محبة الآخر.

٦- **واقعية التطبيق**: إن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن: هل منهج الإسلام في العلاقات مع الآخر، ومن أهمها العلاقات الدولية مع الآخر، واقعي أم لا؟

إن أي شخص يعيش في هذا العصر، لا بدَّ أن يَرِدَ على ذهنه لأول وهلة أن المنهج الإسلامي في العلاقات الدولية منهج مثالي غير قابل للتطبيق في عالم الواقع، ولكن عندما نستعيد أحداث التاريخ نرى أن هذا المنهج طُبق قبل أربعة عشر قرنًا، مع كونه قد طُبِّق من جانب واحد، ولم يكن ممكنًا أن تلتزم به إلا دولة الإسلام، فإن ذلك لم يَحُلْ بين هذه الدولة وبين أن يمتد نفوذها وسلطانها في خلال ثلاثين سنة بحيث يغطي سلطانها جزءًا كبيرًا من المعمورة، ويبلغ في امتداده أكبر مما وصلت إليه واحدة من أعظم إمبراطوريات التاريخ (الإمبراطورية الرومانية) وفي خلال ألف سنة، ومع كون تلك الدولة الإسلامية، مع عدم تكافؤ القوى، واضطرارها أن تقاتل في وقت واحد في جبهتين أكبر قوتين في العالم في ذلك الوقت، لم تتمكن من الانتصار العسكري والسياسي فحسب، بل أمكنها تغيير حياة الشعوب بصورة جذرية وشاملة، حيث تحوَّلَت تلك الشعوب -خلال مدة قصيرة- إلى الإسلام، وقامت حضارة إنسانية من أروع ما شهده التاريخ من حضارات، وحتى الآن لا يزال المؤرخون في حيرة لتفسير سر هذه الظاهرة المدهشة، التي تستعصي على التفسير الذي تعوده الناس لأحداث التاريخ[١]، وهذا التأثير الكبير على الآخر، إنما يبين الواقعية التي يتميز بها منهج المحبة في الإسلام عن غيره.

ومن تطبيقات المحبة التي تبين واقعية المنهج الإسلامي في التعامل مع الآخر: (عقد الذِّمَّة)، فمقصد الإسلام من تشريع عقد الذمة يهدف إلى حِكَم كثيرة منها: أن يترك الحربي القتال برضائه، من أجل التعايش السلمي مع المسلمين، والعيش المشترك بينهم، وحتى تُعطى له فرصة التعرف على محاسن الإسلام، وأخلاق المسلمين، وصفاتهم، وحسن تعاملهم، فيكون ذلك داعيًا إلى تحبيب الإسلام له، والدخول فيه عن قناعة.

كما أن الإسلام يهدف من وراء عقد الذِّمَّة إلى إظهار تسامح المسلمين مع غيرهم، حتى وإن خالفوهم في العقيدة، إن الذِّمِّيين في ظل الحكم الإسلامي يتمتعون بكامل حقوقهم، ويعيشون آمنين مطمئنين على أنفسهم، وأموالهم، وأعراضهم، ومعتقداتهم، ويحرم شرعًا أذاهم أو الإساءة إليهم، فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء، أو غيبة في عرض أحدهم، أو نوع من أنواع الأذية، أو أعان على ذلك، فقد ضيَّع

(١) ينظر: التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب، صالح بن عبد الرحمن الحصين، (ص: ١٧٥ -١٧٦)





ذِمَّة الله وذِمَّة رسوله ﷺ وذِمَّة دِين الإسلام[١]، وهذا التطبيق المتمثل في عقد أهل الذِّمَّة هو من أظهر تطبيقات المحبة في شتَّى العصور.

كما أن العدل مع الآخرين في معاملتهم هو من مكارم الأخلاق في الإسلام، بل هو من الأخلاق التي جاء الإسلام من أجل حمايتها وتتميمها؛ فقد أمر بالعدل، وخصَّ -بمزيد تأكيده- على العدل مع المخالفين الذين قد يظلمهم المرء بسبب الاختلاف والنفرة، فالعدل مع الآخرين موجب لمحبة الله[٢]، كما أن العدل هو الحد الأدنى في بناء علاقة المسلم بغيره، ولكن الإسلام يدعو المسلم بعد ذلك إلى درجات أسمى، فإذا كان العدل يعني المعاملة بالمثل، فالمسلم مدعو إلى العفو، والبر، والإحسان[٣]، وعليه فإن العدل مع الآخر هو من التطبيقات التي تعبر عن المحبة التي شاعت في المجتمعات المسلمة، فصارت تتعامل مع الآخر بأسمى القيم والمثل الإنسانية.

---

(١) ينظر: الفروق (أنوار البروق في أنواء الفروق)، شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي، عالم الكتب، (١٤/٣)، تأصيل العلاقة مع غير المسلمين من خلال أحداث السيرة النبوية، حميد الصغير، شبكة الألوكة، نسخة إلكترونية، (ص: ٤٣).

(٢) ينظر: التعايش مع غير المسلمين في المجتمع المسلم، منقذ بن محمود السقار، (ص: ٢٨ – ٢٩).

(٣) ينظر: التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب، صالح بن عبد الرحمن الحصين، (ص: ١٦٦).





المطلب الثاني: التطبيقات المعاصرة للمحبة على مستوى العلاقات مع الآخر في المجتمعات الأخرى

ويندرج تحت هذا المطلب ستة تطبيقات، وهي:

١- **المصلحة القوميَّة:** تقوم العلاقات الدولية للمجتمعات الأخرى على اعتبار المصلحة القومية كأحد التطبيقات التي لا يمكن التنازل عنها.

فمع كون استناد السياسيين الدائم إلى القيم الخلقية، وإلى القانون الدولي في تبرير سلوكهم في العلاقات الدولية المعاصرة، فإن الواقع أن العلاقات الدولية المعاصرة -سواء في حالة السلم، أم الحرب-، تقوم على أساس المصلحة القومية، والقوة، ولا تقوم على أساس الأخلاق أو القانون إذا لم يتفق أي منهما مع المصلحة القومية، والقوة، فالواقع أن المصلحة القومية مع القوة هي ما يحدد دور القانون والأخلاق في العلاقات الدولية، وليس العكس[١].

وعليه فإن المبدأ الذي يرتكز عليه منهج الحضارة الغربية في العلاقات الدولية لا يختلف عن المبدأ الذي يحكم سلوك قُطَّاع الطُّرُق، أو عصابات الجريمة المنظمة، بل سلوك الحيوانات في الغابة[٢]، وبناء عليه فإن النتيجة الطبيعية هي أن تحدث الفوضى، ويسود نظام الغاب في العلاقات مع الآخر، وكله من جرَّاء تقديم المصلحة القومية على القوانين والقيم الأخلاقية الإنسانية، وهذا يُحْدِث شرخًا كبيرًا في نظام المحبة، ويثير الضغينة، والبغضاء، وحب الانتصار للنفس.

٢- **فرض النموذج الغربي المادي:** في ظل بحث المجتمعات الأخرى المتبنية للمصلحة القومية كمنهج مقدم على القيم والأخلاق الإنسانية، سَعَت تلك الدول والمجتمعات لفرض نموذجها المادي المدمر للحياة الروحية، التي تسودها المحبة والتآلف.

فقد أضحى من الحقائق المهمة التي تجابه الإنسان في القرن العشرين: أن النموذج الحضاري الغربي الحديث أصبح يشغل مكانة مركزية في فكر ووجدان معظم المفكرين والشعوب، بسبب انتصاراته المعرفية والعسكرية الواضحة في مجالات عديدة، والتي ترجمت نفسها إلى إحساس متزايد بالثقة بالنفس من جانب الإنسان الغربي، وإلى إيمانه بأن رؤيته للعالم هي أرقى ما وصل إليه الإنسان، وأن كلَّ التاريخ البشري يصل إلى أعلى مراحله في التاريخ الغربي الحديث، وأن العلوم الغربية علوم عالمية، وأن النموذج الحضاري الغربي يصلح لكل زمان ومكان، أو على الأقل يصلح لكل زمان ومكان في العصر الحديث[٣]، وعليه فإنهم بهذا

---

(١) ينظر: التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب، صالح بن عبد الرحمن الحصين، (ص: ١٥٩ - ١٦١).

(٢) ينظر: التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب، صالح بن عبد الرحمن الحصين، (ص: ١٦٣)

(٣) ينظر: العالم من منظور غربي، د. عبد الوهاب المسيري، (ص: ٨٨).



الازدراء لكل ما أنتجته الأمم الأخرى من عادات، وتقاليد، وخصوصيات لها، يُعَبِّرون عن انعدام المحبة، وعدم اعتبارها في قلوبهم.

٣- **انعدام الإنسانيَّة**: إنَّ ما أحدثته المصلحة القومية من فرضٍ للنموذج الغربي المادي على سائر المجتمعات، لا يقف عند قضية الفرض فقط، بل تعدَّى ذلك فأحدث تطبيقات معادية للإنسانية، والمحبة المجتمعية.

ويظهر ذلك في كون النموذج المادي ينزع إلى أنه كَمِّي رياضي، يضع الربح قبل الإنسان، ويسمي نفسه، موضوعيًّا أو محايدًا، ومثاله: أنَّ إحدى الشركات الأمريكية أنتجت سيارة جديدة، ولكن كان بها عيب صغير، فقد كانت تنقلب عند المنحنيات، وتؤدي إلى هلاك راكبيها؛ ولذا فكرت الشركة في سحبها من السوق، ولكن أحد المستشارين الأذكياء نصح الشركة بأن تترك السيارات في السوق، وتنقلب بقائديها؛ لأنه من خلال حسابات رياضية اتضح له أن التعويضات التي ستدفع للضحايا أو ذويهم ستكون أقل بكثير من الخسائر الناجمة عن استدعاء كل هذه السيارات وإصلاحها، وقد وافقت الشركة على هذا الاقتراح[١]، وهذا المثال يبين انعدام الإنسانية منهم، وخلو قلوبهم من المحبة والرحمة للآخرين.

٤- **الفوقيَّة المؤدية للهَمَجِيَّة**: إن انعدام الإنسانية لا ينشأ من النموذج الغربي المادي فقط، بل إنه قد ينشأ بسبب انحراف في العقيدة أو الديانة المحرفة، فتنزع بعض المجتمعات غير المسلمة إلى التعامل مع الآخر بجملة من الأخلاق غير الحميدة، التي تشير إلى عدم اعتبار المحبة في قلوبهم، فمن يتأمل في تعامل بعض المجتمعات بالفوقيَّة على غيرها، وأنها تتبوأ مكانة وعِزًّا أعلى منهم، يلمس انعدام المحبة في ثنايا تلك التصرفات، ويظهر انعدام المحبة إذا حدث منهم همجية أو اعتداء.

ويتمثل هذا التطبيق في الشعب اليهودي، فالناظر لتصرفاته يستطيع أن يلحظ ما عند اليهود من قيام فلسفتهم على نظرية شعب الله المختار، الذي سخَّر لهم البشرية لخدمتهم، وأباح لهم أموالهم وأعراضهم، وبالتالي لا يستغرب فظائعهم وهمجيتهم[٢]، وهذه الفوقية هي التي قادت للهمجية والازدراء، مما جعل انعدام الإنسانية أمرًا غير مستغرب منهم، وهو مظهر ينم عن انعدام المحبة واعتبارها في قلوبهم إذا قاموا بالتعامل مع الآخر.

٥- **العنصرية تجاه الآخر**: إن الفوقية التي تعيشها المجتمعات الأخرى، كاليهوديَّة مثلًا، تُنشئ تطبيقًا معاصرًا متمثلًا في (العنصرية)، وتتسم العنصرية بالنظرة الفوقية، مع الازدراء والاحتقار للآخر، وهي أمر يبين ضعف أو انعدام المحبة له.

---

(١) ينظر: العالم من منظور غربي، د. عبد الوهاب المسيري، (ص: ١١٢).

(٢) ينظر: التعامل مع غير المسلمين في التشريع الإسلامي، د. هايل داود، (ص: ١٩٥).



فبينما تقوم كافة (العنصريات) عند مختلف الأمم، في جميع العصور على تفضيل جنسها على سائر الأجناس البشرية فقط، فإن العنصرية عند اليهود تزيد على ذلك بالحقد على من عداهم من البشر، إلى درجة تمنى الموت[1]، فالمجتمعات الأخرى تفضل نفسها على غيرها، بينما يزيد اليهود على ذلك بالحقد على غيرهم؛ لذا فإنه دعاهم لزيادة نفوذهم حول العالم بتلك الممارسات غير الحميدة.

فقد بذل اليهود جهدهم لاستغلال نفوذهم المكين في كثير من دول العالم، من أجل تحقيق أهدافهم العنصرية، ويتمثل هذا النفوذ في مجالات كثيرة، أهمها: النفوذ في المجال الديني، والاقتصادي، والسياسي، والثقافي[2]، وكل هذا من أجل السيطرة على العالم، وفرض ما يريدونه، وهذا يبين الحالة المزرية للمحبة في قلوبهم تجاه الآخرين.

٦- ظاهرة الإسلاموفوبيا: إن المجتمعات الأخرى في تعاملها مع الإسلام لا تتعامل بالعدل والإحسان، كما يتعامل الإسلام معها؛ لذا فقد ألصقوا كثيرًا من التُّهَم بالإسلام، حتى نشأ عند مجتمعاتهم مصطلح (الإسلاموفوبيا) الذي يعني: الخوف من الإسلام.

وقد تزايدت مشاعر العداء اتجاه المسلمين في كل مكان في العالم تقريبًا، من كندا في الشمال إلى نيوزيلندا في الجنوب، مع كون العديد من هذه البلدان اشتهرت بدفاعها عن مبادئ الديمقراطية الليبرالية، التي تدعم التعددية الثقافية، وتبني قيم المساواة في الحقوق والتسامح، ومع كون الجاليات المسلمة في الغرب يتم دمجها بشكل مستمر داخل المجتمعات الأصلية، لكن وسط جو مليء بمواقف الاشتباه والتشكيك ضد الإسلام، وبمشاعر المرارة والاستياء خلال الحياة اليومية، وبحالات الاعتداء عليهم، وكذا بالخوف الشديد والاغتراب، والسبب: أنه تم تصوير الإسلام بشكل مستمر وخاطئ على أنه دين تطرف وعنف يدعو إلى سفك الدماء، مما جعله يعكس صورة سلبية عنه في أذهان العامة، فمن الناحية النظرية، تنطبق حرية الدين والمعتقد على كل الديمقراطيات الليبرالية، ولكن في الواقع، يتم استثناء بعض الأقليات من ممارسة هذه الحرية، فقد عانت الأقلية المسلمة الكثير من الاضطهاد في الولايات المتحدة التي تضم أغلبية مسيحية وإرثًا ثقافيًّا عبارة عن مجموعة من التقاليد اليهوديَّة المسيحية[3].

وهذا يبين انعدام العدل عند المجتمعات الأخرى في بيان الصورة الحقيقية للإسلام، مما أنتج تطبيق (الإسلاموفوبيا) عند أفراد مجتمعاتهم.

---

(١) ينظر: العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها، د. أحمد بن عبد الله الزغيبي، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، (١/ ٧٦).

(٢) ينظر: العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها، د. أحمد بن عبد الله الزغيبي، (١/ ٢٨٤).

(٣) ينظر: التقرير الثامن لمرصد منظمة التعاون الإسلامي بشأن ظاهرة الإسلاموفوبيا، الدورة الثانية والأربعين لمجلس وزراء الخارجية، الكويت، ٢٠١٤م - ٢٠١٥م، (ص: ١٠).



الخاتمة

في خِتَام هذا البحث، أحمَد اللهَ العظيمَ أنْ يسَّر لي إتمامَه، وإنهاءَه، فلولا فضلُه وكرمُه وإحسانُه، لما استطاع العبدُ الضعيفُ أن يكتبَ حَرْفًا واحدًا، أو يصيغَ فكرةً واحدة، فلا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، قال تعالى ذكره: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣]، فاللَّهم كما مَنَنْتَ على عبدِك الضعيفِ المقصِّر بإتمام هذا العمل، أسألك يا عظيمُ أنْ تقبلَه منه، وأن تجعله خالصًا لوجهك الكريم، وأسألك يا عظيم ياكريم يا ذا الفضل والجود، أن تجعل لي من اسم هذا البحث نصيبًا، فاللهم حبِّبْني إليك، وإلى ملائكتك، وأنبيائك، ورسلك، والصالحين من عبادك، واجعلني يا الله من أوليائك الصالحين، ومن عبادك المقرَّبين، أنا، ومشرفي، ومناقشيَّ، وكلَّ من أعانني في بحثي، وكل من قرأه، اللَّهم اشمَل بهذا الدعاء والديَّ، وزوجتي، وذريتي، وإخواني، وأخواتي، وذريَّاتهم، وجميع المسلمين، فإن رحمتك وسعت كل شيء، وأنت واسع المغفرة، فاللَّهم لا تحرمنا فضلك ياكريم.

وقد توصلتُ في ختام هذا البحث لجملة من النتائج والتوصيات، وهي:

أولًا: النتائج:

١- يشمل مفهوم المحبة في الإسلام كافَّة جوانب المحبة، من حيث هي شعور قلبي، وسلوك عملي؛ لذلك تعددت وتنوعت مرادفاتها، كالألفة، والشوق، والعلاقة، والصَّبَابة، والمودة، وغيرها.

٢- تتسم مصادر وأسس المحبة في الإسلام بالثبات، والواقعية، والشمولية، كما ترتبط بالعقيدة الإسلامية ارتباطًا وثيقًا.

٣- تغلب النظرة السلوكية العملية على مفهوم المحبة في اليهوديَّة، بينما يغلب الجانب الروحي في النصرانيَّة، والهندوسيَّة، والزرادشتيَّة، ويظهر الجانب الاجتماعي بشكلٍ أكبر في الكونفوشيُوسيَّة.

٤- تعرضت مصادر المحبة في الأديان المحرفة والوضعية للتحريف والوضع، مما كان له الأثر في اعتمادها على أسس هشَّة ومتذبذبة.

٥- تُعرِّف الفلسفات المثالية المحبة تعريفًا عقليًّا عاطفيًّا وجدانيًّا، يكاد يخلو من جوانب المحبة السلوكية العملية المحسوسة.

٦- تحاول الفلسفات الواقعية في تعريفها للمحبة نزع الجانب العاطفي الوجداني، لحساب الجانب الواقعي والمادي المحسوس.

٧- تمتاز تعريفات المحبة في الإسلام بشمول جوانب المحبة (الوجدانية الروحية، والسلوكية العملية)، بينما تنحاز سائر الأديان المحرفة والوضعية والفلسفات المعاصرة لجانب واحد منها، مُغْفِلَة الجانب الآخر.





٨- تفتقد مصادر المحبة في الأديان المحرفة والوضعية والفلسفات المعاصرة إلى الشمولية، والصدق، والثبات، بينما تعد تلك الصفات أحد أهم مميزات مصادر المحبة في الإسلام.

٩- تتميز أسس المحبة في الإسلام باستمدادها من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، بينما تفتقد الأديان المحرفة والوضعية والفلسفات المعاصرة لهذين المصدرين الصحيحين.

١٠- تظهر مكانة المحبة في القرآن الكريم بكثرة مواضعها، وتعدد معانيها، وبيان منهجها، وضوابطها، والطرق الموصلة إليها.

١١- تزخر نصوص السنة النبوية ببيان المحبة، وعلاماتها، وفضلها، وثمراتها، والتأكيد على ثبوتها لله سبحانه وتعالى، ووجوب التحابِّ بين المؤمنين.

١٢- ما انفكَّ الفكر الإسلامي المعتدل عن إثبات المحبة لله سبحانه وتعالى على الوجه الصحيح، وربطها بالتوحيد والعبادة، وذكر أنواعها ومراتبها، وتحديد ضوابطها، وحدودها الشرعية.

١٣- يستغلُّ اليهود المحبة الإلهية -المزعومة عندهم- بإعلان الفوقية والاصطفاء لعِرْقهم، مما جعلهم ينزعون للمادية، وحب السيطرة على الآخرين.

١٤- أحدثت المحبة -المزعومة- عند النصارى، فساد عقيدتهم، فآمنوا بالتجسُّد الإلهي، وغيره، تعالى الله عمَّا يقولون عُلوًّا كبيرًا.

١٥- يظهر الخَلَل الكبير في مكانة المحبة في الأديان الوَضْعيَّة؛ بسبب أنها مستمدة من مصادر وضعية، تفتقد لصحَّة نسبتها إلى الله سبحانه وتعالى.

١٦- تحاول الفلسفات المثالية إظهار مكانة المحبة الوجدانية داخل الإنسان، على حساب المظاهر الواقعية المحسوسة.

١٧- تسعى الفلسفات الواقعية إلى إبراز مكانة المحبة من خلال المظاهر المحسوسة الظاهرية، على حساب الجانب الوجداني الداخلي.

١٨- تستمد المحبة مكانتها في الإسلام بقوة مصادرها، وثبات أسسها، وشموليتها، بينما تفتقد الأديان المحرفة والوضعية والفلسفات المعاصرة جميع هذه الميزات.

١٩- لا تخضع مكانة المحبة في الإسلام إلى النسبية، والتطور، فهي ثابتة، غير متغيرة ولا متطورة، بينما تخضع في الأديان المحرفة والوضعية والفلسفات المعاصرة إلى التغير، والتحول، والتبدل.





٢٠- تتميز النظرة في الإسلام إلى المحبة بالشمول، والتكامل، بينما تنحاز الأديان المحرفة والوضعية والفلسفات المعاصرة إلى جانب أحادي، بسبب قصور النظرة، وعدم شموليتها، والجهل بحقيقة الإنسان وحاجاته وميوله.

٢١- يقوم منهج بناء المحبة في الإسلام على منهج الصراط المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، لاستمداده من الكتاب والسنة.

٢٢- نهى الإسلام -حمايةً للمحبة- عن كل ما من شأنه إضعاف أثرها في قلب المسلم، وبين أفراد المجتمع كذلك.

٢٣- تفتقد اليهوديَّة والنصرانيَّة إلى منهج بِنَاءٍ وحمايةٍ للمحبَّة؛ بسبب فساد اعتقادهم في الله سبحانه وتعالى، والتناقض الظاهر في النظرة إلى المحبة.

٢٤- يعد الفساد الاعتقادي، والتغير، وعدم الثبات في النظرة للمحبة، أهم معوقات وجود منهج بِنَاءٍ وحمايةٍ للمحبَّة في الأديان الوَضْعيَّة.

٢٥- تعتمد الفلسفات المثالية على العقل في الحكم على الأشياء، وتخضع إليه جميع اختياراته، مما يجعل وجود منهج بِنَاءٍ وحمايةٍ للمحبَّة أمرًا غير ممكن؛ بسبب اختلاف العقول، وتباينها.

٢٦- تَرُدُّ الفلسفات الواقعية جميع الحقائق إلى العلم، والواقع المحسوس، مما يجعلها تتغير بتغيره؛ لذا فإن رصد منهج بِنَاءٍ وحمايةٍ للمحبَّة فيها أمر غير ممكن.

٢٧- يتميز منهج بناء المحبة وحمايتها في الإسلام بالاعتدال، والتوازن، والثبات، بينما تفتقد الأديان المحرفة والوضعية هذه الميزات؛ لذا تعذر وجود منهج واضح المعالم عندهم.

٢٨- يتسم منهج بناء المحبة وحمايتها في الإسلام بخضوعه لمراد الله وسنة رسوله ﷺ، بينما تفتقد الفلسفات المعاصرة هذه الميزة، فاعتمدت على العقل، والعلم، والتجربة، فلم تستطع الوصول لأسسِ منهجٍ ثابتٍ، فتناقضت، وتباينت.

٢٩- يتميز الفرد المسلم بالفطرة السليمة، التي استقاها من التنشئة الإيمانية على مبادئ الدين الحنيف، بينما اختلَّت الفطرة عند الفرد في المجتمعات الغربية، حيث إنه عرض للحرية المنفلتة، وسُلِبت منه الخصوصية، وطغى على شخصيته حب المادة، والتعلق بها.

٣٠- يُعدُّ الزواج الشرعي، والاستقرار الأسري، وصلة الرحم، أحد مظاهر سلامة منهج المحبة في الأسرة المسلمة، بينما يُعدُّ تفكُّك واندثار الأسرة، وانخفاض معدلات الإنجاب، أحد مظاهر انحراف المحبة في المجتمعات الأخرى.





٣١- يمتاز المجتمع المسلم بظهور آثار المحبة فيه، كالتربية الإسلامية، والتكافل الاجتماعي، والمواطنة، والانتماء، بينما تظهر آثار المحبة الفاسدة في المجتمعات الأخرى، كالمادية، وانفصال الدين عن المجتمع، والأعياد البدعية، وغيرها.

٣٢- تظهر تطبيقات المحبة في الإسلام في العلاقة مع الآخرين بشمولهم في نظام التكافل المجتمعي، وقيامها على السِّلم معهم، والالتزام بالقوانين والعهود معهم، بينما تنحصر تطبيقات المحبة في المجتمعات الأخرى مع الآخرين بقيامها على المصلحة القومية، وفرض نماذجهم بالقوة، والفوقيَّة.

ثانيًا: التوصيات:

١- يوصي الباحث بمزيد من الدراسة والبحث في موضوع المحبة، ومضامينها في الإسلام، وذلك للإفادة منها في التعرف على المنهج الشرعي، وتطبيقه في واقع المسلمين.

٢- على وسائل الإعلام دور كبير في إبراز الضوابط الشرعية للمحبة في الإسلام، تجنبًا لانتشار مظاهر المحبة الغربية في البلاد الإسلامية.

٣- على المربين والتربويين مسؤولية نشر منهج أهل السنة والجماعة والسلف الصالح في الأسماء والصفات، وبيان إثباتها على الحقيقة لله سبحانه وتعالى، دون تكييف أو تعطيل أو تمثيل، لما لهذه العقيدة الصافية من أثر في انضباط المنهج الخُلُقِي لدى المسلم.

٤- الحاجة الملِحَّة لإفراد مؤلفات مستقلَّة تبيِّن شمولية وتميز المنهج الإسلامي في تناول المفاهيم والتعريفات لكافة مصطلحات القيم والأخلاق، ومقارنتها بجوانب الانحياز والقصور في الأديان المحرفة والوضعية والفلسفات المعاصرة.

٥- الميدان التربوي بحاجة إلى المزيد من الدراسات والبحوث حول منهج القرآن والسنة في غرس المحبة في نفس الفرد المسلم، والأثر السلوكي المترتب عليه.

٦- ينبغي التركيز على الدراسات النقدية للكتب المقدسة في الأديان المحرفة، وبيان انحراف الجانب الأخلاقي فيها، وأثره السلبي على معتنقي تلك الديانات.

٧- ترجمة المؤلفات المعنية بإبراز الأثر السلبي للفلسفات الوضعية على المجتمعات الغربية، مع إبراز محاسن النظام الشمولي في الإسلام، وتميزه في تقديم الحلول لكافة المشكلات الفردية والمجتمعية.

٨- إدراج نماذج -في مقررات المرحلة الثانوية والجامعية-، تبين تميز منهج الإسلام الخلقي، مقابل فشل الأديان المحرفة والوضعية والفلسفات المعاصرة، في المقررات الدراسية للطلاب في كافَّة المراحل الدراسية.





٩- عقد ندوات وورش عمل لدراسة الفَجْوَة بين السلوكيات الخاطئة لبعض أفراد المجتمع المسلم والنظام الأخلاقي المتميز في الإسلام، وبيان انبهار المسلمين بالمجتمع الغربي، مع ما هم فيه من انحلال أخلاقي، وتفسُّخ قِيَمِي تأْنَف منه الفِطَر السليمة.

١٠- تكثيف الدراسات التربوية حول أثر المحبة في الإسلام على الناشئة، والجوانب التطبيقية لحدودها وضوابطها، والتي من شأنها إظهار الجانب السلوكي العملي للمحبة بشكله الصحيح.





الفهارس



فهرس الآيات القرآنية



الآية	السورة	رقمها	رقم الصفحة
﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾	البقرة	١٧٧	١٨٠،٣٤ ٣٦٨
﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾	البقرة	١٨٥	٣٠٨
﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾	البقرة	١٩٠	٤٢
﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾	البقرة	١٩٥	١٦٢،٥٧
﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾	البقرة	٢٠٥	٤٢
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾	البقرة	٢٢٢	٣٧٠،١٦٢،٥٧
﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾	البقرة	٢٥٣	١٩٢
﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾	البقرة	٢٥٣	٣٠٨
﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾	البقرة	٢٧٥	٣٦٨
﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ﴾	البقرة	٢٨٦	١٥٥
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾	آل عمران	٥	٣٦٧
﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ	آل عمران	١٤	٣١٢



الآية	السورة	رقمها	رقم الصفحة
ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾			
﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾	آل عمران	٢٨	١٨٥
﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	آل عمران	٣١	٢، ٤٢، ٤٣، ٥٧، ١٦٢، ١٨٤، ٢٦٨، ٢٨٤، ٢٩٥، ٣٠١، ٣٧٠
﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾	آل عمران	٣٢	٤٢، ٥٧، ٣٠٥
﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	آل عمران	٥٧	١٦١، ١٨٢، ٣٠٥
﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾	آل عمران	٦٢	٣٧٤
﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾	آل عمران	٧٢	٣١٨
وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾	آل عمران	٧٥	٣٦٨
﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾	آل عمران	٧٨	٩٠، ٣١٩



الآية	السورة	رقمها	رقم الصفحة
			٣٦٨
﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾	آل عمران	٨٥	١٨، ٦٩ ٢٦٢
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾	آل عمران	٩١	٣٧٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾	آل عمران	١٠٢	١
﴿فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾	آل عمران	١٠٣	٤٤
﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾	آل عمران	١٣٤	٤١، ٥٧ ١٦٢، ٢٦٧
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾	آل عمران	١٥٩	٥٧، ١٦٢ ١٨١
﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾	آل عمران	١٩٠	٣٧٩
﴿خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾	آل عمران	١٩٩	٢٦٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾	النساء	١	١
﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن	النساء	٢٦-٢٨	٣٠٨



رقم الصفحة	رقمها	السورة	الآية
			يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾
١٧	٣٨	النساء	﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا﴾
٩٠	٥٠	النساء	﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا﴾
٦٨	٦٦-٦٧	النساء	﴿وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡۖ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ﴿٦٦﴾ وَإِذٗا لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾
٣٠١	٨٠	النساء	﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾
٢٨٠،٣٧٥	٨٢	النساء	﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾
٤٢٢	٨٣	النساء	﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾
٤٢ ٣٠٦	١٠٧	النساء	﴿وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا﴾
٤٧	١١٥	النساء	﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾
٣٨، ١٩٢	١٢٥	النساء	﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾
٢٧٩	١٢٥	النساء	﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ﴾
٣٠٦	١٤٨	النساء	﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ﴾



الآية	السورة	رقمها	رقم الصفحة
﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾	النساء	١٥٧	٣٢٧
﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾	النساء	١٥٧- ١٥٨	٣٧٠
﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾	النساء	١٦٥	١
﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾	النساء	١٧٢	١٦٢،٦١
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾	المائدة	١	٣٦٨
﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾	المائدة	٢	١٩٦
﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾	المائدة	٣	٢٧٨،٢٦٠ ٢٩٠
﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾	المائدة	٦	٣٠٨
﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾	المائدة	١٨	٩١، ٣٢٤ ٣٦٧



الآية	السورة	رقمها	رقم الصفحة
﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾	المائدة	٢٦	٣١٨
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾	المائدة	٥١	٢٧٢،١٨٥
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾	المائدة	٥٤	١٦٢،٥٦،٤٤ ٢٥٨،١٦٨ ٢٩٥،٢٧٢ ٣٧٢
﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾	المائدة	٦٤	٣٦٧
﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾	المائدة	٧٢	٣٦٩
﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	المائدة	٧٣	٣٢٤ ٣٦٩
﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ	المائدة	٨٠	٤٣



الآية	السورة	رقمها	رقم الصفحة
عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ﴾			
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾	المائدة	٨٧	٢٩٦
﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾	المائدة	٩٨	١٦٥
﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾	المائدة	١٧١	٣٢٢
﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ﴾	الأنعام	٣٨	٢٨٢،٢٦٠ ٢٩٠
﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ﴾	الأنعام	١٢١	٣٧٤
﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾	الأنعام	١٢٥	٣٠٨
﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾	الأنعام	١٤١	٥٧
﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ	الأنعام	١٥٣	٢٧٤



الآية	السورة	رقمها	رقم الصفحة
ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾			
﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾	الانعام	١٦١	٣٧٧
﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ﴾	الأنعام	١٦٤	١٦٧
﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾	الأعراف	٣١	٣٠٦
﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾	الأعراف	٤٨	٥٠
﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾	الأعراف	٥٤	٣٨١
﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾	الأعراف	٥٥	٣٠٦ ،٢٩٦
﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾	الأعراف	١٥٨	١٦٥
﴿وَقَطَّعۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُمَمٗاۖ﴾	الأعراف	١٦٨	٣١٨
﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾	الأعراف	١٨٠	١٦١،٥٥
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ۩﴾	الأعراف	٢٠٦	١٦٢ ،٦١
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾	الأنفال	٥٨	١٨٢،٥٧ ،٤٢
﴿وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾	الأنفال	٦٣	٦٦،٤٤ ١٦٣
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾	التوبة	٤	٣٧٠،١٨١



الآية	السورة	رقمها	رقم الصفحة
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ...﴾	التوبة	٢٣	١٨٠
﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ﴾	التوبة	٢٤	٥٨،٤٤ ١٨٣، ٢٨٤
﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾	التوبة	٣١	٣١٨
﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾	التوبة	٣٣	١٦٠
﴿وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ﴾	التوبة	٤٦	٤٣
﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾	التوبة	٧١	٤٤
﴿لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ﴾	التوبة	١٠٨	٤١
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ	التوبة	١١٩	٣٦٨



الآية	السورة	رقمها	رقم الصفحة
ٱلصَّٰدِقِينَ﴾			
﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾	هود	١	٣٨٠
﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ﴾	هود	٣٤	٣٠٨
﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ﴾	هود	٩٠	٤٢
﴿قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ﴾	يوسف	٣٠	٣٧
﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾	يوسف	٣٣	٣٦
﴿أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ﴾	يوسف	٩٠	٢٨٥
﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ﴾	إبراهيم	٣	٣٣ ١٨٠
﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾	الحجر	٩	٢٦٥،١٥٤ ٣٦٦
﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ﴾	النحل	١٧	٥٠
﴿لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ﴾	النحل	٢٣	٣٠٦
﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾	النحل	٥١	٣٧٣
﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوۡءِۖ وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾	النحل	٦٠	٢٨٧
﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾	النحل	٨٩	٢٧٦
﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ	النحل	٩٧	١٩٠



الآية	السورة	رقمها	رقم الصفحة
فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ﴾			
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ ...﴾	النحل	١٠٧	١٨٠
﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ﴾	الإسراء	١	٦٢، ١٦٣
﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾	الكهف	١١٠	٢٦١،٢٧٦ ٢٨٦،٢٩١ ٣٧٤
﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا﴾	مريم	٣٠	٦١
﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا﴾	مريم	٣٠	١٦٢
﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةٗ لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزّٗا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا﴾	مريم	٨١-٨٢	٣٧١
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾	مريم	٩٦	٤٢
﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ﴾	طه	١٢٤- ١٢٧	٣٨٣
﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾	الأنبياء	٢١-٢٢	١٦٨،٣٣٠ ٢٨٨



الآية	السورة	رقمها	رقم الصفحة
﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾	المؤمنون	٩١	٣٣٥،٢٨٨ ٣٦٩
﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾	النور	٣٧	٢٠١
﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٥ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾	الفرقان	٥-٦	٢٦٥، ٢٧٦
﴿يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا﴾	الفرقان	٢٨	٣٨
﴿أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا﴾	الفرقان	٤٣	٣٤٩
﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾	الشعراء	١٩٢- ١٩٥	٢٦٤،١٥٣ ٢٧٨
﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	القصص	٥٠	٣٧٨
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾	القصص	٧٦	٣٠٦
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾	القصص	٧٧	٣٠٥،١٨٢
﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ﴾	العنكبوت	٥	١٩٠
﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾	العنكبوت	٥٧	١٦٨
﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾	العنكبوت	٦٩	٥٨
﴿مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾	الروم	٣١	٣٧ ٢٦٤



الآية	السورة	رقمها	رقم الصفحة
﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾	لقمان	١٨	٣٠٦
﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ﴾	الأحزاب	٦	٦٣
﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ﴾	الأحزاب	٦	١٦٣
﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾	الأحزاب	٢٣	٣٦٨
﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾	الأحزاب	٣٣	٣٠٨
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾	الأحزاب	٣٦	٢٦٢
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾	الأحزاب	٣٦	٢٧٥
﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾	الأحزاب	٤٠	١
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾	الأحزاب	٧٠-٧١	١
﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾	فاطر	٤٣	٢٧٨
﴿فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾	ص	٣٢	٣٣،١٧٩



الآية	السورة	رقمها	رقم الصفحة
﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾	الزمر	٣	١٧٠
﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾	الزمر	٢٩	٦٠
﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ﴾	غافر	٥٨	٦٣
﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾	فصلت	١٧	١٨٠
﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾	فصلت	٣٤	٢٦٧،٢٦٦
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾	فصلت	٣٧	٣٧١
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾	الشورى	١١	٥٥،٥٠ ٢٦١،١٦١ ٢٧٥
﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾	الشورى	٤٠	١٦١
﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ (٢١) بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ (٢٢) وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي	الزخرف	٢١-٢٣	١٥٦،٣٤٢



الآية	السورة	رقمها	رقم الصفحة
قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾			
﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۢ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾	الزخرف	٦٧	٢٠٥،٣٨
﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ﴾	الزخرف	٨٧	٣٨١
﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾	الجاثية	١٨	١٨٦
﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ﴾	محمد	٢٢	٣٩٩
﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا﴾	الفتح	٢٨	٣٨١
﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾	الحجرات	١٠	١٦٣،٦٦ ٢٨٩،١٦٤ ٣٠٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾	الحجرات	١٣	٣٧٢،٣٦٧
﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾	الذاريات	٥٦	٦٢،٦١ ٢٨٢
﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾	النجم	٣	٢٧٧
﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾	النجم	٤	٢٦٥
﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾	القمر	١٧	٢٦٤
﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ	المجادلة	٢٢	٦٤



رقم الصفحة	رقمها	السورة	الآية
			ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾
٢٨٠	٧	الحشر	﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾
١٨٠	٩	الحشر	﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾
٣٠٢	١٠	الحشر	﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾
٣٧٠	٢٤	الحشر	﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾
٢٩٥	٨	الممتحنة	﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾
٥٧	٤	الصف	﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾
١٦٢	٤	الصف	﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾



الآية	السورة	رقمها	رقم الصفحة
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾	الصف	٤	١٨١
﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	الصف	١٣	١٨١
﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمَۢا﴾	الطلاق	١٢	٣٦٧
﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾	القلم	٤	٥٤،١
﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا﴾	نوح	٢٢-٢٤	٣٧٣
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ﴾	المنافقون	٩	٢٠١
﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ﴾	التغابن	٧	٢٨٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾	التحريم	٨	١٧٠
﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	الحاقة	٤١-٤٣	٢٦٥
﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾	الحاقة	٤٤-٤٦	٢٧٧
﴿كُلُّ نَفْسِۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾	المدثر	٣٨	١٦٧
﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾	الإنسان	٨	٣٤
﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾	الإنسان	٨	١٨٠
﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾	القيامة	٢٠	٣١٢



الآية	السورة	رقمها	رقم الصفحة
﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾	النازعات	٤٠	٣٢
﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾	الانشقاق	١٩	١٧
﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾	البروج	١٤	٤٢
﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾	الفجر	٢٠	٣١٢
﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾	البينة	٥	٣٧٣
﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾	العاديات	٨	٣١٢
﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾	الكافرون	٦	١٨
﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾	الكافرون	٦	٦٩



فهرس الأحاديث



رقم الصفحة	موضوع الحديث
	إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ
٢	أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي، الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي
٣١٠	تُفْتَحُ أبْوابُ الجَنَّةِ يَوْمَ الإثنين ويَوْمَ الخَمِيس، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عبْدٍ لا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، إلاَّ رجُلًا كانَت بيْنهُ وبَيْنَ أخيهِ شَحْناءُ فيُقَالُ: أنْظِرُوا هذيْنِ حتَّى يصطَلِحا، أنْظِرُوا هذَيْنِ حتَّى يَصطَلِحا
٣٠٤	ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ
٤٦	دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ اليَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ، فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ: عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَ لَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَقَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ
٦٨	سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمامٌ عادِلٌ، وشابٌّ نَشَأَ فِي عِبادَةِ اللَّهِ تَعالَى، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَساجِدِ، وَرَجُلانِ تَحابَّا فِي اللَّهِ: اجتَمَعا عَلَيهِ، وتَفَرَّقا عَلَيهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذاتُ مَنْصِبٍ، وَجَمالٍ فَقالَ: إِنِّي أَخافُ اللَّهَ، ورَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقةٍ فأَخْفَاها، حتَّى لا تَعْلَمَ شِمالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينهُ، ورَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خالِيًا فَفاضَتْ عَيْناهُ
٢٩٦	سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟
٣٠٩	لاَ تَباغَضُوا، وَلاَ تَحاسدُوا، ولاَ تَدابَرُوا، وَلاَ تَقَاطعُوا، وَكُونُوا عِبادَ اللهِ إخْوَانًا، وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أنْ يهْجُرَ أخَاه فَوقَ ثلاثٍ
٦٧ ١٩٥ ٢٧٣	لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ
٣١١	لاَ يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ: فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ



رقم الصفحة	موضوع الحديث
٣١٢	لاَ يَزَالُ قَلْبُ الكَبِيرِ شَابًّا فِي اثْنَتَيْنِ: فِي حُبِّ الدُّنْيَا وَطُولِ الأَمَلِ
٤٧،٦٧ ٣٠٢،٣٠٣	لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ
٦٤، ٣٠٠	لاَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ» فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الآنَ، وَاللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الآنَ يَا عُمَرُ»
٤٥	لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُفْتَحُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»، فَبَاتَ النَّاسُ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَى، فَغَدَوْا كُلُّهُمْ يَرْجُوهُ، فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيٌّ؟»، فَقِيلَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ فَقَالَ: أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ
١٩٠	لَيْسَ ذَاكِ، وَلَكِنَّ المؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الموْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ
٣٠٣	مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى
٤٩	مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ
٤٥،٥٧ ١٨٨،٢٩٦	مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ
٢٩٦	الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ
٣١٢	يَكْبَرُ ابْنُ آدَمَ وَيَكْبَرُ مَعَهُ اثْنَانِ: حُبُّ المَالِ، وَطُولُ العُمُرِ



فهرس الأعلام







المصادر والمراجع

١- أبجديات البحث في العلوم الشرعية، د. فريد الأنصاري، منشورات الفرقان، الدار البيضاء، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

٢- ابن عثيمين الإمام الزاهد، ناصر بن مسفر الزهراني، الطبعة: الأولى، دار ابن الجوزي، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٣- أثر الإيمان باليوم الآخر في حياة النشء المسلم (دراسة عقدية)، أ.د. نادر بن بهار بن متعب العضياني، مجلة جامعة الطائف للعلوم الإنسانية، جامعة الطائف، المجلد (٧)، العدد (٢٩)، ٢٠٢١م.

٤- اتجاهات الفلسفة المعاصرة، إميل بريبه، ترجمة: د. محمود قاسم، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، مصر، ١٩٩٨م.

٥- أديان العالم الكبرى، حبيب سعيد، دار الشرق والغرب، مصر، الطبعة الثانية.

٦- أديان الهند الكبرى (الهندوسيَّة – الجينية – البوذية)، د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة: الحادية عشر، ٢٠٠٠م.

٧- استيقظ أيها الهندوسي (دراسة في الديانة الهندوسيَّة)، د. شاترجي أم، ترجمة: رمضان الصفناوي، مكتبة النافذة، ٢٠٠٦م.

٨- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مُحَمَّد الأمين بن مُحَمَّد المختار الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥ م.

٩- إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: مُحَمَّد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

١٠- أفستا (الكتاب المقدس للديانة الزرادشتيَّة)، د. خليل عبد الرحمن، روافد للثقافة والفنون، سورية، الطبعة: الثانية، ٢٠٠٨م.

١١- الأبعاد التربوية لتحقيق تآلف المجتمع المسلم في ضوء المتغيرات المعاصرة (دراسة تأصيلية)، د. فهد بن مُحَمَّد العجلان، مجلة البحث العلمي في التربية، جامعة عين شمس، مصر، المجلد (٥)، العدد (٢٠)، ٢٠١٩م.

١٢- الأخلاق عند المدرسة الوضعية (أوجست كونت ومدرسته) دراسة نقدية على ضوء الإسلام، عائشة علي روزي الخوتاني، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، ٢٠١٢م.





١٣- الأخلاق في الإسلام (مع المقارنة بالديانات السماوية، والأخلاق الوضعية)، د. يعقوب المليجي، مؤسسة الثقافة الجامعية، مصر، ١٩٨٥م.

١٤- الأخلاق في الفلسفة الوضعية (إيميل دوركايم أنموذجًا)، دراي بريكة، رسالة ماجستير، جامعة محمد بو ضياف، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الفلسفة، الجزائر، ٢٠١٧ – ٢٠١٨م.

١٥- الإخوة في النسب وسلوكهم في القرآن الكريم (المفهوم، الدلالات، الآداب، الثمرات)، أ.د. عبد الله بن صالح بن عبد الله الخضيري، جامعة الحديدة، كلية التربية بالحديدة، اليمن، العدد (١١)، ٢٠١٨م.

١٦- الأديان المحرفة والوثنية في ضوء العقيدة الإسلامية (دراسة تحليلية نقدية)، مصطفى عثمان مصطفى محمد، رسالة دكتوراه، قسم العقيدة والأديان، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، ٢٠١١م.

١٧- الأديان الوَضْعيَّة في مصادرها المقدسة، وموقف الإسلام منها، د. إبراهيم محمد إبراهيم، مطبعة الأمانة، مصر، الطبعة: الأولى ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م.

١٨- الأديان الوَضْعيَّة، مناهج جامعة المدينة العالمية، جامعة المدينة العالمية، ٢٠١٠م.

١٩- الاستيعاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢م.

٢٠- الأسرة المسلمة في ظل التغيرات المعاصرة، رائد جميل عكاشة، ومنذر عرفات زيتون، دار الفتح، الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م.

٢١- الأسرة في الإسلام، د. أحمد عمر هاشم، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨م.

٢٢- الأسرة في الغرب (أسباب تغيير مفاهيمها ووظيفتها) دراسة نقدية تحليلية، د. خديجة كرار الشيخ الطيب بدر، دار الفكر، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩م.

٢٣- الأسس الأخلاقية في العهد القديم مع مقارنتها بالقرآن الكريم، د. ريمة شريف الصياد، دار النوادر، سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م.

٢٤- الإسلام بين الشرق والغرب، علي عزت بيجوفيتش، ترجمة: محمد يوسف عدس، مؤسسة بافاريا، دار النشر للجامعات، مصر، الطبعة: الثانية، ١٩٩٧م.

٢٥- الاعتدال (رسالة مذهب الوسطية)، (كتاب مقدس في الكونفوشيُوسيَّة)، الكتب الأربعة المقدسة، ترجمة: محسن سيد فرجاني، المركز القومي للترجمة، مصر، ٢٠٠٩م.

٢٦- الاعتصام، إبراهيم بن موسى اللخمي، تحقيق: د. هشام بن إسماعيل الصيني، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.

٢٧- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر، ٢٠٠٢م.





٢٨- الإفصاح عن معاني الصحاح، يحيى بن مُحَمَّد بن هبيرة، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، ١٤١٧هـ.

٢٩- الألوهية، الرسالة والخلاص في الهندوسيَّة (دراسة نقدية مقارنة)، مجد الدين جمال ريناوي، رسالة ماجستير، قسم العقيدة، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٩م.

٣٠- الإيروس والثقافة (فلسفة الحب والفن الأوروبي)، فياتشيسلاف شستاكوف، ترجمة: د. نزار عيون السود، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، الطبعة: الأولى، ٢٠١٠م.

٣١- الباجافا دجيتا (الكتاب الهندي المقدس)، د. شاكوانتالا راواشاشري، ترجمة: رعد عبد الجليل جواد، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، الطبعة: الأولى، ١٩٩٣م.

٣٢- التحرير والتنوير، مُحَمَّد الطاهر بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤م.

٣٣- التحفة العراقية في الأعمال القلبية، أحمد ابن تيمية الحراني، المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٩٩هـ.

٣٤- التدرج في التشريع، أ.د. عبد الله بن عثمان بن علي المنصوري، أ.د. عبد الحق عبد الدائم القاضي، مجلة كليات التربية، جامعة عدن، اليمن، العدد (١٣)، ٢٠١٢م.

٣٥- التربية وقضايا المجتمع المعاصر، حافظ فرج، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٣م.

٣٦- التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب، صالح بن عبد الرحمن الحصين، كرسي الأمير سلطان بن عبد العزيز للدراسات الإسلامية المعاصرة، جامعة الملك سعود، كلية التربية، قسم الثقافة الإسلامية، الرياض، ١٤٢٩هـ.

٣٧- التعامل مع غير المسلمين أصول معاملتهم واستعمالهم (دراسة فقهية)، أ.د. عبد الله بن إبراهيم الطريقي، دار الفضيلة، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

٣٨- التعامل مع غير المسلمين في التشريع الإسلامي، د. هايل داود، مجلة أمة الإسلام العلمية، العدد الثامن، دار كاهل للدراسات والطباعة والنشر، ٢٠١٠م.

٣٩- التعايش مع غير المسلمين في المجتمع المسلم، منقذ بن محمود السقار، رابطة العالم الإسلامي – مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.

٤٠- التعريفات، علي بن مُحَمَّد بن علي الجرجاني، حققه وضبطه وصححه: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٤١- التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، شركة ماستر ميديا، القاهرة – مصر.

٤٢- التقرير الثامن لمرصد منظمة التعاون الإسلامي بشأن ظاهرة الإسلاموفوبيا، الدورة الثانية والأربعين لمجلس وزراء الخارجية، الكويت، ٢٠١٤م – ٢٠١٥م.





٤٣- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، مُحَمَّد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ.

٤٤- التيسير بشرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي المناوي، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٤٥- الجامع، (سنن الترمذي)، مُحَمَّد بن عيسى بن سَوْرَة بن موسى بن الضَّحَّاك، تحقيق وتعليق: أحمد مُحَمَّد شاكر وغيره، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٤٦- الجانب المادي في الشخصية اليهوديَّة، آلاء مُحَمَّد عصام مصباح عشا، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، قسم التفسير، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٧م.

٤٧- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، ابن قيم الجوزية، دار المعرفة، المغرب، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٤٨- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد ابن تيمية، تحقيق: علي بن حسن بن ناصر الألمعي وغيره، دار الفضيلة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤م.

٤٩- الجامع لأحكام القرآن، مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٥٠- الحب عند هيغل، د. منذر شباني وهانيا بهجت مهنا، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية العدد (٥)، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد (٣٨)، ٢٠١٦م.

٥١- الحب والبغض في القرآن الكريم، مها يوسف جار الله الجار الله، رسالة ماجستير، قسم التفسير وعلوم القرآن، جامعة الكويت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٥٢- الحب والحرب والحضارة والموت، سيجموند فرويد، دراسة وترجمة: د. عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٥٣- الدرر الكامنة، أحمد بن علي بن مُحَمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: مُحَمَّد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد- الهند، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م.

٥٤- الديانة الزرادشتيَّة (مزديسنا)، نوري إسماعيل، دار مؤسسة رسلان، سوريا، ٢٠١٥م.

٥٥- الديانة الزرادشتيَّة (ملاحظات وآراء)، د. أسامة عدنان يحيى، اشوربانيبال للكتاب، الطبعة الأولى ٢٠١٦م.

٥٦- الذريعة إلى مكارم الشريعة، أبو القاسم الحسين بن مُحَمَّد، المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السلام، القاهرة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.



٥٧- الرسالة التبوكية = زاد المهاجر إلى ربه، ابن قيم الجوزية، تحقيق: د. مُحَمَّد جميل غازي، مكتبة المدني، جدة.

٥٨- الزرادشتيَّة ديانة ابتدعها المجوس في العصر الإسلامي، د. خالد كبير علال، دار المحتسب، الجزائر، ٢٠١٩م.

٥٩- السلسلة الصحيحة، مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى.

٦٠- السنن الصغرى (سنن النسائي)، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخُرَاساني، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٦١- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض بن موسى اليحصبي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨م.

٦٢- الصحاح (تاج اللغة، وصحاح العربية)، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٦٣- الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن مُحَمَّد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.

٦٤- الطبقات الكبرى، أبو عبد الله مُحَمَّد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي، تحقيق: مُحَمَّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٦٥- العالَم مِن منظور غربي، د. عبد الوهاب المسيري، دار الهلال، مصر، ٢٠٠١م.

٦٦- العبودية، أحمد بن عبد السلام ابن تيمية، تحقيق: مُحَمَّد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٦٧- العقلانية والحرية، أمارتيا سِن، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، الطبعة: الأولى، ٢٠١٧م.

٦٨- العقلانية وانتقاداتها، مُحَمَّد سبيلا، وعبد السلام بن عبد العالي، دار توبقال للنشر، الطبعة: الثانية، ٢٠٠٦م.

٦٩- العنصرية اليهوديَّة وآثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها، د. أحمد بن عبد الله الزغيبي، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٧٠- العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، إميل بترو، الهيئة العامة للكتاب، ٢٠١٣م.

٧١- العهد القديم العبري (ترجمة بين السطور) عبري - عربي، الأبوان بولس الفغالي، وأنطوان عوكر، الجامعة الأنطونية، المكتبة البولسية، لبنان، الطبعة: الأولى ٢٠٠٧م.



٧٢- العين، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٧٣- الفروق (أنوار البروق في أنواء الفروق)، شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي، عالم الكتب.

٧٤- الفروق اللغوية، الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، مُحَمَّد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

٧٥- الفِصَل في الملل والأهواء والنِحَل، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي الظاهري، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٧٦- الفكر اللاهوتي في رسائل بولس، الدكتور القس فهيم عزيز، دار الثقافة، مصر.

٧٧- الفلاسفة والحب، سعيد بو خليط، مجلة فكر - العلوم الإنسانية والاجتماعية، المغرب، العدد (١٢)، ٢٠١٥م.

٧٨- الفلسفة الأخلاقية من سؤال المعنى إلى مأزق الإجراء، سمير بلكفيف، وآخرون، دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.

٧٩- الفلسفة المثالية (قراءة جديدة لنشأتها، وتطورها، وغاياتها)، د. يوسف حامد الشين، منشورات جامعة قاريونس - بنغازي، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

٨٠- الفلسفة المثالية من منظور تربوي إسلامي، ليلى عبد الرزاق إسماعيل حافظ، مجلة كلية التربية، جامعة بنها، مصر، مجلد (٢٩)، العدد (١١٥)، ٢٠١٨م.

٨١- الفلسفة المثالية وأفكارها التربوية (دراسة نقدية)، د. شرف أحمد الشهاري، مجلة كلية التربية، جامعة أسيوط، مصر، مجلد (٢٨)، العدد (١)، ٢٠١٢م.

٨٢- الفلسفة المعاصرة في أوروبا، إ.م.بوشنكي، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٢م.

٨٣- الفلسفة الوضعية عند أوغست كونت، وأسباب ظهورها، د. إلهام مُحَمَّد فتحي، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، جامعة الأزهر، مصر، المجلد (٢)، العدد (٣٦)، ٢٠١٩م.

٨٤- القاموس الموسوعي للعهد الجديد، فرلين د.فيربروج، مكتبة دار الكلمة logos، مصر، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٧م.

٨٥- القيم المتضمنة في مقرر التربية الإسلامية في المرحلة المتوسطة في ضوء إشكاليات ثورة الاتصالات بالمجتمع الكويتي، سالم يوسف الحسينان، رسالة ماجستير، جامعة طنطا، كلية التربية، قسم أصول التربية، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

٨٦- القيم بين النسبية والثبات (دراسة في المصادر والنتائج)، د. مُحَمَّد نجدي حامد عبد المجيد، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، مصر، المجلد الثالث، العدد (٣٦).





٨٧- الكتاب المقدس (العهد القديم - العهد الجديد)، نسخة: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، شركة ماستر ميديا، القاهرة - مصر.

٨٨- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن مُحَمَّد الثعلبي، تحقيق: الإمام أبي مُحَمَّد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٨٩- الكليات، أيوب بن موسى الحسيني القريمي، الكَفَوي، تحقيق: عدنان درويش، ومُحَمَّد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٩٠- الكونفشيوسية في الصين (دراسة تحليلية نقدية)، د. عالية صالح القرني، مجلة كلية دار العلوم، العدد: ٦٠، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، ٢٠١١م.

٩١- اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر، الأب سليم بسترس، سلسلة الفكر المسيحي بين الأمس واليوم.

٩٢- المأدبة (فلسفة الحب)، أفلاطون، ترجمة: د. وليم الميري، دار المعارف، مصر.

٩٣- المثالية الكانتية وأبعادها التربوية (دراسة في فلسفة التربية)، د. صابر جيدوري، مجلة جامعة دمشق، المجلد السابع والعشرون، العدد الأول والثاني، ٢٠١١م.

٩٤- المثالية المطلقة في الفكر الفلسفي الحديث (عرض وتحليل)، د. نادية عبد الهادي عبد السلام، مجلة كلية البنات الأزهرية، مصر، العدد (٢).

٩٥- المجمل في فلسفة الفن، بندتو كروتشه، ترجمة: سامي الدروبي، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.

٩٦- المحبة الحقيقة للأزواج والذرية، صادق بن عبد الله، دار طيبة.

٩٧- المحبة في السنة النبوية (دراسة موضوعية)، مُحَمَّد بن شحته البراوي، ماجستير، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

٩٨- المحبة لمخالف الملة (قراءة في الكتب المقدسة: اليهوديَّة - المسيحية - الإسلامية)، د. جمال الحسيني أبو فرحة، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد الثامن والعشرون.

٩٩- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي مُحَمَّد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٠٠- المخصص، علي بن إسماعيل بن سِيدَه، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ -١٩٩٦م.

١٠١- المذاهب الفلسفية العظمى في العصور الحديثة، د. مُحَمَّد غلاب، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م.

١٠٢- المذهب عند كنط، د. مراد وهبة، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ١٩٧٤م.





١٠٣- المرأة في الإسلام وفي الفكر الغربي، د. فؤاد حيدر، دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٢م.

١٠٤- المسائل العقدية المستنبطة من وثيقة مكة المكرمة، أ.د. نادر بن بهار العتيبي، مجلة جامعة شقراء، جامعة شقراء، العدد (١٥)، ٢٠٢١م.

١٠٥- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله بن حمدويه النيسابوري (المعروف الحاكم)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

١٠٦- المستصفى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

١٠٧- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الحموي، المكتبة العلمية، بيروت.

١٠٨- المعتقدات الدينية لدى الشعوب، مشرف التحرير: جفري بارندر، ترجمة: د. إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة: د. عبد الغفار مكاوي، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٣م.

١٠٩- المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، مكتبة المدرسة، بيروت، ١٩٨٢م.

١١٠- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، وآخرون، دار الدعوة، إستانبول، تركيا، الطبعة الثانية،١٩٧٢م.

١١١- المعلم ورسالته في التربية الأخلاقية، مصطفى عبد القادر، جامعة عين شمس، ٢٠٠٠م.

١١٢- المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، لبنان.

١١٣- الملكوت، القمص سيداروس عبد المسيح، دار العالم العربي، الطبعة: الأولى، ١٩٧٩م.

١١٤- الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٩٢م.

١١٥- المنهاج (شرح صحيح مسلم بن الحجاج)، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.

١١٦- المواساة بين الإسلام والفكر الغربي (دراسة مقارنة)، موسى بن حمود المطيري، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، ١٤٣٨هـ.

١١٧- الموجز في المذاهب والأديان، الأب صبري المقدسي، مكتب سركيس آغاجان، أربيل، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٧م.

١١٨- الموسوعة العربية العالمية، مجموعة من المؤلفين، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.





١١٩- الموسوعة الفلسفية العربية، رئيس التحرير: د. معن زيادة، مكتبة مؤمن قريش، معهد الإنماء العربي، الطبعة: الأولى، ١٩٨٦م.

١٢٠- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف: د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٠ هـ.

١٢١- النسبي والمطلق في مفهوم الدين الحق والأخلاق، د. محمود يوسف الشويكي، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، السعودية، المجلد الحادي والعشرون، العدد الأول.

١٢٢- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود مُحَمَّد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٢٣- الهدية للمشركين بين الإباحة والحظر، في ضوء الكتاب والسنة، أ.د. عبد الله بن صالح بن عبد الله الخضيري، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، العدد (٥٦)، ٢٠١٢م.

١٢٤- الهندوسيَّة (مقدمة قصيرة جدًّا)، كيم نوت، ترجمة: أميرة علي عبد الصادق، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، الطبعة: الأولى، ٢٠١٦م.

١٢٥- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

١٢٦- الواقعية وموقفها من الدين، د. إسماعيل عبد العليم علي، حولية كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، جامعة الأزهر، مصر، المجلد (٢٨)، ٢٠١٦م.

١٢٧- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن مُحَمَّد بن علي الواحدي، تحقيق: الشيخ: عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي مُحَمَّد معوض، والدكتور أحمد مُحَمَّد صيره، والدكتور أحمد عبد الغني الجمل، والدكتور عبد الرحمن عويس، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

١٢٨- أمراض القلوب وشفاؤها، أحمد ابن تيمية الحراني، المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٩٩هـ.

١٢٩- إميل زولا، تأليف: مارك برنارد، ترجمة: غالية شملي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٧٨م.

١٣٠- انفعالات النفس، رينيه ديكارت، ترجمة: جورج زيناني، دار المنتخب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.





١٣١- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر بن مُحَمَّد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: مُحَمَّد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

١٣٢- أهداف التربية بين الفلسفة المثالية والفلسفة الواقعية (دراسة مقارنة)، أ. د. مُحَمَّد عبد الله اليحيى، ومُحَمَّد ناصر الرياشي، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، العدد ١٢، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠١٨م.

١٣٣- أوجست كونت (مؤسس علم الاجتماع الحديث)، أ. د. فاروق عبد المعطي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٣م.

١٣٤- بدايات الفلسفة الأخلاقية، د. مُحَمَّد عبد الرحمن مرحبا، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

١٣٥- بغية الوعاة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - لبنان - صيدا.

١٣٦- بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٣هـ.

١٣٧- بناء الأخلاق على هدي القرآن، أ.د. طه عابدين طه، مؤسسة النبأ العظيم، نسخة إلكترونية.

١٣٨- تأصيل العلاقة مع غير المسلمين من خلال أحداث السيرة النبوية، حميد الصغير، شبكة الألوكة، نسخة إلكترونية.

١٣٩- تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري أبو البقاء الهاشمي، تحقيق: محمود عبد الرحمن قدح، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

١٤٠- تخريج العقيدة الطحاوية، أحمد بن مُحَمَّد بن سلامة المعروف بالطحاوي، شرح وتعليق: مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

١٤١- تزكية النفس في الإسلام وفي الفلسفات الأخرى (دراسة تحليلية)، علي بن عبده بن شاكر أبو حميدي، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، ١٤٢٨ - ١٤٢٩هـ.

١٤٢- تسهيل العقيدة الإسلامية، عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة الجبرين، دار العصيمي للنشر والتوزيع، السعودية، الطبعة: الثانية.

١٤٣- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: مُحَمَّد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.





١٤٤- تقييم التربية التحضيرية الملحقة بالمدرسة الابتدائية في الجزائر (دراسة ميدانية وفق مؤشرات نظرية وتطبيقية بمدينة قالمة نموذجًا)، بورصاص فاطمة الزهراء، رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم علم النفس، ٢٠٠٨ - ٢٠٠٩م.

١٤٥- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، سليمان بن عبد الله بن مُحَمَّد بن عبد الوهاب، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ. ٢٠٠٢م.

١٤٦- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

١٤٧- جامع الرسائل، تقي الدين أحمد ابن تيمية، تحقيق: د. مُحَمَّد رشاد سالم، دار العطاء - الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١٤٨- حقيقة المحبة في العقيدة الإسلامية، رنا أحمد مُحَمَّد أبو حبيب، ماجستير، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

١٤٩- درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، أحمد بن عبد السلام بن تيمية، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٥٠- دراسات في الأديان اليهوديَّة والنصرانيَّة، د. سعود بن عبد العزيز الخلف، مكتبة أضواء السلف، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١٥١- دراسات في النقد الأدبي المعاصر، د. مُحَمَّد زكي، دار الشروق، مصر.

١٥٢- دراسات في اليهوديَّة والمسيحية وأديان الهند، د. مُحَمَّد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة: الثانية ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١٥٣- درجات المحبة المسيحية والكينوسيس، د. رؤوف إبراهيم، مدارس الأحد بروض الفرج، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٠م.

١٥٤- دستور العلماء، عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، عرَّب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٥٥- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين الخراساني، أبو بكر للبيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

١٥٦- زرادشت والزرادشتيَّة، د. الشفيع الماحي أحمد، مجلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، العدد الحادي والعشرون، الرسالة الستون بعد المائة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١٥٧- سنن ابن ماجه، أبو عبد الله مُحَمَّد بن يزيد القزويني، تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، مصر.





١٥٨- سنن أبي داود، تحقيق: مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

١٥٩- سير أعلام النبلاء، أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٦٠- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٦١- شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين مُحَمَّد بن علاء الدين علي بن مُحَمَّد ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة المصرية الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

١٦٢- شرح العقيدة الواسطية، للشيخ مُحَمَّد بن صالح بن مُحَمَّد العثيمين، خرج أحاديثه واعتنى به: سعد بن فواز الصميل، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: السادسة، ١٤٢١ هـ.

١٦٣- شرح رياض الصالحين، مُحَمَّد بن صالح بن مُحَمَّد العثيمين، دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٦هـ.

١٦٤- شرح صحيح البخاري لابن بطال، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

١٦٥- صحيح البخاري، مُحَمَّد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، في صحيحه، تحقيق: مُحَمَّد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٦٦- صحيح مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق، مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٦٧- صفة المحبة الإلهية في النصرانيَّة، مفهومها ولوازم تفسيرها، وموقف الإسلام منها، رفعة دحيم الدوسري، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، ١٤٢٩ - ١٤٣٠هـ.

١٦٨- طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن القيم، دار السلفية، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٤هـ.

١٦٩- عشرون محاضرة في شرح رسائل يوحنا الرسول، وليم كيلي، مكتبة الإخوة، مصر، الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل، ٢٠١٨م.

١٧٠- علاقة المسلمين بغير المسلمين، د. سعيد إسماعيل صيني، دار الفجر الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: الثالثة، ١٤٣١هـ.



١٧١- علم الأخلاق المسيحية، الدكتور القس فايز فارس، دار الثقافة، مصر، الطبعة الأولى.

١٧٢- علم الأخلاق، باروخ سبينوزا، ترجمة: جلال الدين سعيد، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٩م.

١٧٣- عيد الحب (القصة والحقيقة)، خالد بن عبد الرحمن الشايع، دار بلنسية، الرياض.

١٧٤- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، إخراج وتصحيح: محب الدين الخطيب، ترقيم: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

١٧٥- فتح القدير، مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.

١٧٦- فتح المنعم شرح صحيح مسلم، د. موسى شاهين لاشين، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٧٧- فقد الولد في قصة يعقوب وأم موسى عليهما السلام - الدلالات والمضامين - دراسة تحليلية، أ.د. عبد الله بن صالح بن عبد الله الخضيري، المجلة العلمية لكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق، جامعة الأزهر، كلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق، المجلد (١)، العدد (٣٠)، ٢٠١٨م.

١٧٨- فلسفة التربية اتجاهاتها ومدارسها، د. مُحَمَّد منير مرسي، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٢م.

١٧٩- فلسفة الدين في الفكر الغربي، د. إحسان علي الحيدري، دار الرافدين، لبنان.

١٨٠- فلسفة الروح (هيجل)، ولتر ستيس، ترجمة: د. إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير للطباعة والنشر- بيروت، الطبعة: الثالثة، ٢٠٠٥م.

١٨١- فن الحب (بحث في طبيعة الحب وأشكاله)، أريك فروم، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار العودة، بيروت، ٢٠٠٠م.

١٨٢- فهم السلف الصالح للنص الشرعي (تعريفه - أهميته - حجيته - قواعده - نماذجه)، أ.د. نادر بن بهار العتيبي، مؤتمر النص الشرعي (القضايا والمنهج)، جامعة القصيم، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، المجلد (٢)، ٢٠١٦م.

١٨٣- في معاني الحب وأنواعه عند ديكارت، سفيان سعد الله، مجلة أوراق فلسفية، القاهرة، العدد (٥٦).

١٨٤- قاعدة في المحبة، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم المعروف بابن تيمية، تحقيق: مُحَمَّد رشاد سالم، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، مصر.

١٨٥- قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر، الحسين بن مُحَمَّد الدامغاني، تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم لملايين، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، ١٩٨٣م.



١٨٦- قاموس الكتاب المقدس، مجمع الكنائس الشرقية، مكتبة المشغل، بيروت، الطبعة: السادسة، ١٩٨١م.

١٨٧- قصة الحضارة، ويليام جيمس ديورانت، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمود وآخرين، دار الجيل، بيروت - لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

١٨٨- كتاب الوسطية والاعتدال في الكونفوشيُوسيَّة ترجمة وشرحًا، مريم سليمان مايو شيانغ، رسالة دكتوراه، قسم مقارنة الأديان، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية العالمية، باكستان، ٢٠١٦م.

١٨٩- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مُحَمَّد بن علي الفاروقي التهانوي، تحقيق: د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

١٩٠- كفارة المسيح، عوض سمعان، كنيسة قصر الدوبارة، شركة الطباعة المصرية.

١٩١- كونفوشيوس (رائد الفكر الإنساني)، صلاح بسيوني رسلان، منتدى مكتبة الإسكندرية.

١٩٢- لسان العرب، مُحَمَّد بن مكرم ابن منظور الأنصاري، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

١٩٣- ما بعد الموت عند اليهوديَّة - النصرانيَّة - المجوسية - الهندوسيَّة - البوذية - الكنفوشيوسية، د. مشاري سعيد المطرفي، أصل الكتاب رسالة دكتوراه في الفلسفة الإسلامية، جامعة المنيا، كلية دار العلوم، قسم الفلسفة الإسلامية، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م.

١٩٤- مبادئ الفلسفة، رينيه ديكارت، ترجمة وتعليق: د. عثمان أمين، دار الثقافة للنشر والتوزيع.

١٩٥- محبة الرسول بين الاتباع والابتداع، عبد الرؤوف مُحَمَّد عثمان، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

١٩٦- محبة الله عند أهل السنة والجماعة ومخالفيهم، والرد عليهم، مريم بنت علي الحوشاني، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، جامعة مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، ١٤١٨هـ.

١٩٧- محبة الله في الكتاب والسنة، سميرة أحمد مصطفى مجدوبة، كلية الدراسات العليا، قسم أصول الدين، جامعة النجاح، فلسطين، رسالة ماجستير، ٢٠٠٧م.

١٩٨- محبة النبي ﷺ وتعظيمه، أ.د. عبد الله بن صالح الخضيري، عبد اللطيف بن مُحَمَّد الحسن، مجلة البيان، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ ، ٢٠٠٦م

١٩٩- مجلة أديان (المودة والرحمة والمحبة في الأديان)، مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان، الدوحة، الإصدار الأول، ٢٠١١م.

٢٠٠- مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز، جمع وإشراف: د. مُحَمَّد بن سعد الشويعر، دار القاسم، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.



٢٠١- مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، الطبعة الخامسة ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م.

٢٠٢- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

٢٠٣- مسائل الربوبية والألوهية والأسماء والصفات الواردة في أذكار الصباح والمساء، أ.د. نادر بن بهار بن متعب العتيبي، مجلة البحوث والدراسات الشرعية، ٢٠١٥م.

٢٠٤- مشكلات فلسفية (المشكلة الخلقية)، د. زكريا إبراهيم، دار مصر للطباعة، مصر.

٢٠٥- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٢٠٦- معالم التنزيل، البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٢٠٧- معالم الرحمة بين الإسلام والتعددية الثقافية، أ.د. عبد الكريم عثمان علي، المؤتمر الدولي عن الرحمة في الإسلام، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٣٧هـ — ٢٠١٦م.

٢٠٨- معجم الفلاسفة، إعداد: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، الطبعة: الثالثة، ٢٠٠٦م.

٢٠٩- معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد عمر مختار بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٢١٠- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى - بيروت، ودار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢١١- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس القزويني، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢١٢- مفهوم الآخر في الديانتين اليهوديَّة والمسيحية، وموقفهما منه، د. لغرس سوهيلة، جامعة معسكر، الجزائر، على الشبكة العنكبوتية، www.researchgate.net/publication/331024557

٢١٣- مفهوم الألوهية في الأديان الزرادشتيَّة والهندوسيَّة والبوذية (دراسة مقارنة)، ريبوار كريم الشميراني، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، بغداد، كلية أصول الدين، قسم العقيدة، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

٢١٤- مفهوم التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي، محمود يوسف الشوبكي، مجلة الجامعة الإسلامية، السعودية، المجلد العاشر، العدد الثاني.



٢١٥- مفهوم صفة المحبة لله تعالى، د. عبد الرعود، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، الأردن، المجلد العاشر، العدد الثاني، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.

٢١٦- مقومات التعامل مع الآخر في ضوء القرآن الكريم، أ.د. وليد هاشم كردي الصميدعي، مجلة مداد الأدب، الجامعة العراقية، عدد خاص بالمؤتمرات، ٢٠١٨ — ٢٠١٩م.

٢١٧- منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، حمزة مُحَمَّد قاسم، راجعه: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق - سوريا، مكتبة المؤيد، الطائف، المملكة العربية السعودية، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٢١٨- منزلة الإنسان ووجوده في المذاهب الفكرية المعاصرة (دراسة نقدية في ضوء الإسلام)، مُحَمَّد عطا مُحَمَّد أبو سمعان، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، كلية أصول الدين، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

٢١٩- منشيوس (كتاب مقدس في الكونفوشيُوسيَّة)، الكتب الأربعة المقدسة، ترجمة: محسن سيد فرجاني، المركز القومي للترجمة، مصر، ٢٠٠٩م.

٢٢٠- منطلقات القيادة الدعوية في القرآن الكريم "دراسة تأصيلية"، أ.د. عبد الله عثمان علي المنصوري، مجلة البحوث والدراسات الإسلامية، ديوان الوقف السني، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، العراق، العدد (٥٧).

٢٢١- منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية، د. مُحَمَّد مُحَمَّد أمزيان، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، أمريكا، ١٩٨١م.

٢٢٢- منهج اليهود في تزييف التاريخ، مُحَمَّد عبد الواحد حجازي، مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى.

٢٢٣- مهددات الأسرة المعاصرة (وجهة نظر إسلامية في التكوين، والعلائق، والآثار التربوية)، د. فاطمة عبد الرحمن عبد الله، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، السودان، العدد (٩)، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٢٢٤- منوسمرتي (كتاب الهندوس المقدس)، ترجمة وتعليق: إحسان حقي، دار اليقظة العربية، دمشق، الطبعة الأولى.

٢٢٥- موسوعة اليهود واليهوديَّة والصهيونية، د. عبد الوهاب المسيري، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٩م.

٢٢٦- نظام الأسرة بين حضارتين (دراسة مقارنة في فقه الأحوال الشخصية، بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي، بمكوناته الرومانية، والمسيحية الحديثة)، د. سامح عبد السلام مُحَمَّد، شبكة الألوكة الإلكترونية، ١٤٢٩هـ — ٢٠٠٨م.



٢٢٧- هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقًّا، محمود محمَّد الخزندار، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

٢٢٨- هكذا تكلم زرادشت، فريدريك نيتشه، ترجمة: فليكس فارس، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر.

٢٢٩- هيجل (أو المثالية المطلقة)، د. زكريا إبراهيم، مكتبة مصر، ٢٠١٠م.

٢٣٠- هيغل والهيغلية، رينيه سرُّو، ترجمة أدونيس العكرة، دار الطليعة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٣م.

٢٣١- وفيات الأعيان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمَّد ابن خلكان البرمكي، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.



فهرس الموضوعات









